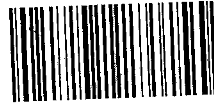
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم العقيدة





النبوة والأنبياء

بين حقائق الدين وشبهات العلمانيين

رسالة مقدمة إلى قسم العقيدة لنيل درجة الدكتوراه

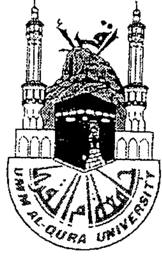
إعداد الطالب
محمد بن عبد الرحمن حسن حبنكة الشهير بالميداني

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود بن محمد مزروعة

المجلد الثاني

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم (رباعي) : محمد عبد الرحمن حبنكة الشهير بالميداني / كلية الدعوة وأصول الدين : قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتـــــوراة في تخصص : العقيــــدة

عنوان الأطروحة : " **النبوة والأنبياء بين حقائق الدين وشبهات العلمانيين** " .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤٢٣هـ بقبول الأطـروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش داخلي	مناقش خارجي
الاسم: أ. د. محمود محمد مزروعة	الاسم : أ.د. محمد بن عمر محمد حسن	الاسم : د. سعود بن حمد الصقري
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

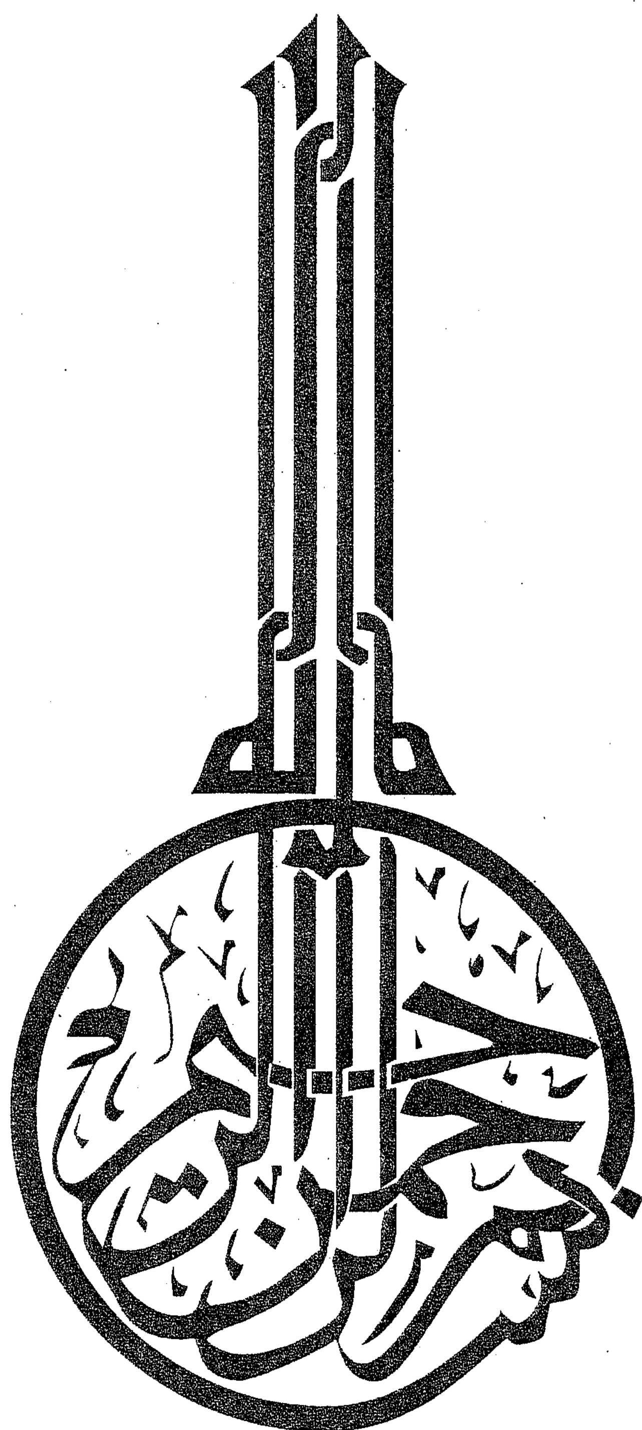
يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د. عبد العزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع : ....

- يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الثالث: مناقشة (العلماني) لما أسماه: (الاستحالة العملية)، والرد على افتراءاته.

تظاهر (العلماني) بأنه يناقش القائلين باستحالة التكليف، ليدس من خلال مناقشاته المزعومة افتراءات كثيرة حول الحاجة إلى النبوة وحول بعض حقائقها الثابتة، ولا سيما تلك المتعلقة بالتشريعات والعبادات، التي بينتها واضحة جلية، فمما دسه بمكر وحيلة قوله:

(وإذا كان التكليف إضراراً عاجلاً؛ فإن ذلك من أجل منفعة آجلة، مشقة الاستيقاظ مبكراً للصلاة لا تعادلها منفعة الأفعال المبكرة وفوائد الصلاة. ومشقة الصيام لا تعادلها مآثره في السيطرة على النفس والإحساس بالآخرين. ومشقة الجهاد والتضحية بالنفس لا يعادلها نصر الأمة وبقاء الحق).

وقال في مناقشة من ادعوا استحالة التكليف إذ فيه تعريض الإنسان للعقاب، والعقاب ظلم قبيح، وغاية التكليف تعب في الدنيا، وعقاب في الآخرة لمن عصى: (والثواب والعقاب متضمنان في الأفعال. والفعل القبيح يتضمن عقابه من داخله، تأنيب الضمير وحكم الناس. والقصاص من الأفراد فيه حياة للمجموع).

ثم ادعى أن التكليف: (ليس تكليفاً من الخارج، بل هو التزام داخلي، تعبيراً عن قدرات الإنسان على تغيير العالم).

ثم نقل شيئاً من أقوال وأمثلة مدعي مخالفة بعض أحكام الشريعة لأحكام العقول، وقال: (والحقيقة أن هذه الأشياء لا تطعن في النبوة وتجعلها مستحيلة، لأنها ليست جوهر التوحيد. فالوحي لا طقوس فيه ولا شعائر، والعبادات فيه صورة، والمعاملات هي المضمون، ويمكن القيام بالصورة دون المضمون، أو تمثل المضمون بصور أخرى.

فالطقوس لا تمس جوهر الوحي، ومع ذلك يمكن إدراك دلالتها، وأخذ الدلالة وترك الأشياء الدالة، فالبعض منها رموز مثل رمي الجمرات، والسعي بين الصفا والمروة، ويمكن إيجاد دلالتها في التجربة البشرية فيما يتعلق بالذكريات، ورغبة الإنسان في زيارة الآثار والأطلال، وأماكن المحبين ومنازل الشعراء، وآثار المفكرين، للرجوع بالذهن إلى الماضي، وتذكّر سير الأبطال، واسترجاع حياة المجاهدين. والسعي رمز للجهاد، ورمي الجمرات رمز للنضال.

كما يمكن إسقاطها بالكلية، كما فعل الحكماء.

ولكن العامة في حاجة إلى طقوس وشعائر واحتفالات ومواكب، والوحي أتى للجميع، عامة وخاصة.

وبسبب هذا الجانب اللاعقلي في صور العبادات؛ رفض الفقهاء التعليل وأبطلوا القياس.

يظل التعليل أساس الأحكام، ويظل القياس أصلاً من أصول التشريع، فليس كل ما في الشريعة مضاداً للعقل، بل إن الأحكام التي بها صلاح العباد، أي كل ما يتعلق بالمعاملات؛ يمكن فهمها بالعقل وإدراك غايتها وقصدها.

والشريعة في نهاية الأمر وسيلة لا غاية، وسيلة يحصل بها الإنسان على فائدة، ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة. فالصيام مثلاً وسيلة للإحساس بالآخرين جوعاً وعطشاً، ولكن يمكن للإنسان أن يشعر بذلك دون الصيام وحده، وذلك بالالتزام بقضايا الفقر ومشاكل الجماعة. وإذا كان الصيام نوعاً من الراحة للبدن؛ فإنه يمكن للإنسان أن يخفف من طعامه وشرابه، وقاية للبدن وحرصاً على صحته. وإذا كان الصيام يدل على أن للإنسان إرادة على بدنه، وقدرة على التحكم في وظائفه العضوية؛ فيمكن للإنسان أن يمارس هذه الإرادة في مواقف اجتماعية، في حالة حصار أو سجن أو فقر.

وبنفس الطريقة: إذا كانت الغاية من الصلاة هي الاطمئنان الداخلي، وحضور الفكر اليومي، والرجوع إلى الباطن، لتعادل الكفة مع مشاغل الحياة اليومية، فيمكن تحقيق هذه الغاية لا بالصلاة وحدها؛ بل بالتفكر أو التأمل، أو الاكتفاء بالفنون والآداب والعلوم. وإذا كانت الغاية من الصلاة الإحساس بالوقت، ووقع الأفعال في الزمان، والإحساس بالفور، وبأن لكل لحظة فعلاً، وإلا لكان الفعل قضاء؛ فإنه يمكن الحصول على هذا الإحساس بالزمان ليس بالصلاة وحدها، ولكن الإحساس بالعمر، والشعور بالغاية والرسالة، وبضرورة العمل على تحقيقها، ووضع خطة يومية للتنفيذ على مراحل. وإذا كانت الغاية من الصلاة صحة البدن وسلامة الأعضاء ونظافة الجسم...؛ فإن الإنسان يستطيع أن يحصل على هذه الفائدة لا بالصلاة وحدها؛ ولكن عن طريق الرياضة البدنية، وبالنظافة الدائمة.

وأخيراً؛ إذا كانت الغاية من الزكاة هي إحساس الإنسان بأن ما يملك ليس له، وبأن للآخرين حقاً فيه؛ فإن الإنسان بطبيعته وبفكره وبنظام الوحي لا يملك شيئاً، وكل ما في الواقع يستخدم لمصلحة الجماعة. فلا يوجد حق للأنا وللآخر، بل يوجد حق للجماعة. وإذا كانت الغاية من الزكاة سيولة المال ورفض كَنْزِ الأموال، فإن الإنسان بفكره وتنظيمه لاقتصاده يمنع اكتناز الأموال، فالمال للاستثمار وليس للاكتناز.

العبادات إذاً معقولة، ولها أسسها الواقعية في مصلحة الإنسان.

وبالتالي يبرز سؤال، لماذا إذاً العبادات والشرعيات، إذا كان الإنسان يستطيع الوصول إلى غاياتها بأساليب أخرى؟!.

لا يستطيع ذلك إلا من أوتي حظاً من الوعي والثقافة، وهو ما لا يتأتى للجميع. ولما كان الوحي أسلوباً في مخاطبة الجميع؛ فإنه أتى بهذا الأسلوب في التعامل، حتى يسهل على الجميع فهمه وتطبيقه والعمل به، فالخاصة والعامة معاً قادرون على حد سواء على فهم العبادات.

ولكن الخاصة وحدهم هم القادرون على الحصول على الغايات بوسائل أخرى. وإذا كان المجتمع كله خاصة، واستطاع أن يكون على درجة من الوعي والثقافة؛ فإنه يصل إلى نفس الغايات بوسائل متعددة.

ولكن اتحاد الوسائل قد يكون أيضاً نوعاً من توحيد السلوك، وأكثر ضماناً للوصول إلى الغايات؛ من وسائل أخرى مازالت تحت التجربة، وهو ما لاحظه الحكماء من قبل.

فإذا ما أدى تطبيق الشرائع إلى نفاق، بغياب الفضائل الداخلية، وحضور الصور الخارجية؛ أتت الفلسفة لتعيد إلى الصورة مضمونها، وإلى الشريعة حياتها.

وإذا خُيِّرَ العاقل بين التقوى دون الشرائع، أو بين غياب التقوى وحضور الشرائع؛ لكان الأول هو الأكمل.

أما فيما يتعلق بذبح الحيوان وإيلامه؛ فلا يكفي لإثبات شرعية ذلك أن يقال: إنه مسموح به من قبل المالك، فهذا تصور خارجي للشرعية، وجعل العقل والطبيعة معاً تابعين لإرادة خارجية. إنما يمكن فهم ذلك باعتبار أن الإنسان سيد الكون، وكل شيء مسخر له. ولماذا الرفق بالحيوان، والرفق بالإنسان أولى؟.

لذلك هناك قانون الاستحقاق، وقانون العوض عن الآلام، كي يعيش الإنسان راضياً عن نفسه، مقيماً للعدل، ونافياً للجور والظلم)[١].

ويمكن تقسيم الرد على ما جاء في هذه المقولة من افتراءات إلى القضايا التاليات:

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٥١-٥٧.

القضية الأولى: مناقشة (العلماني) لدعوى استحالة التكليف:

إن قضية استحالة التكليف، أو أن في الشريعة الإلهية ما يناقض العقل؛ قضية قد تناولها العلماء قديماً وحديثاً بالمناقشة، ورد الباطل ونقضه، وفصّلوا الكلام في مسائل هذه القضية، مسألة فمسألة، فبينوا محاسن الشريعة والأحكام الربانية، واستنبطوا الكثير من الحِكَم من كل حُكْم وقضاء[١].

ومجال البحث هنا لا يتسع للتفصيل في جميع مفردات هذه القضية، ولا سيما أن الموضوع الأساس هنا؛ هو استعراض ما للعلمانيين المحدثين من كلام في هذه المسألة، ومعرفة مدى موافقته الحق، أو مخالفته إياه.

والكلام الذي سبق نقله؛ يتظاهر فيه صاحبه بالرد على الذين ذهبوا إلى استحالة التكليف، فيقول عن التكليف: إنه وإن كان فيه إضرار عاجل؛ فإنه من أجل منفعة آجلة، ولكنه في هذا الرد ومن خلال الأمثلة التي ذكرها، قد أغفل -عن عمد ومن غير وجه حق- أمرين:

الأمر الأول: أن الذي كلفنا هو الله جل شأنه، ونعمه علينا لا تحصى، وآلاؤه لا تعد، والمنصف يرى أن هذه التكاليف مهما بلغت؛ فإنها لا تكاد تؤدي شكر بعض نعم الله جل جلاله علينا، فكيف بسائر نعمه، الممتدة من زمن ما قبل الولادة إلى ما بعد الوفاة؟![٢].

والله جل شأنه متصف بكل كمال، ومنزّه عن كل نقص، والإنسان مفطور على التوجه نحو من يشعر بأن له العظمة والقوة والعزة والسيطرة. ومن أجل هذه المعاني وجدت في الناس ما يسمى بعبادة قوى الطبيعة، وذلك لما انحرف الإنسان عن الفهم الحقيقي لصفات الرب جل شأنه، فجعل يوزع بعض خصائص الرب على قوى الطبيعة، إذ هي التي لها علاقة مباشرة به، محسوسة وظاهرة له، والإنسان كثيراً ما يَغْفُل عن خالق السبب وموجده، اكتفاء بالسبب وحده، وظناً منه أنه وحده كافٍ لتعليل الظواهر من حوله.

ولكن الإنسان لو راجع نفسه وتفكر في الأسباب، وكونها لا تصلح للوقوف عندها، ورجع إلى فطرته التي فطره الله جل شأنه عليها، لاهتدى إلى معرفة الله -عز وجل-، وآمن بأنه

---

(١) انظر على سبيل المثال: شرح الأصول الخمسة؛ القاضي عبد الجبار: ٥٦٤ - ٥٦٧.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٢١٧. و: شفاء العليل، ابن قيم الجوزية: ١٩٥- ١٩٦. و: طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية: ٥٠٩ و: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين؛ له: ١١٤. ومفتاح دار السعادة: ٩/١، ١٠٩/٢.

سبحانه هو وحده تعالى المالك لكل شيء، والمدبر له والمسيطر عليه. وهو وحده المختص بالاتصاف بجميع صفات الكمال، المنزّه عن أي نقص، وهذا الإيمان المقرون بالاستسلام؛ يقوده نحو الخشية والخشوع، والعبودية الكاملة لله عز وجل[1].

وإذا كان بعض أصحاب الديانات الوضعية قد اخترعوا عبادات يعذبون فيها أنفسهم، ظناً منهم بأنها يتقربون إلى معبودهم؛ بهذه الأنواع المحتوية على تعذيبٍ للجسد وإضرارٍ له، من غير أية فائدة حقيقية[2]، فكيف يكون حال المؤمن بالله حقا؟!.

إن الإسلام لا يجيز تعذيب الإنسان نفسه بدعوى التقرب إلى الله جل شأنه، فالله تعالى رحيم بعباده، غني عن أن يعذبوا أنفسهم، قال تبارك اسمه:

﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... (١٨٥)﴾ البقرة.

وقال تبارك اسمه:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً (٢٨)﴾ النساء.

وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا يُهادى بين ابنيه، قال:

["ما بال هذا؟"، قالوا: نذر أن يمشي. قال: "إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني"، وأمره أن يركب][3].

ولكن المؤمن بالله تعالى حقاً وبكماله وكمال صفاته، وعظم استحقاقه للعبودية، تهون عنده أية صعوبة يمكن أن يلاقيها أثناء سلوكه السبيل التي تقربه من الله جل شأنه، قال تبارك اسمه:

﴿ أَلـم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ العنكبوت.

ثم إن من يجتمع عنده الإيمان الكامل بأن كل نعمة في الوجود إنما مصدرها الحقيقي هو الله جل شأنه، مع الإيمان الكامل بأنه تعالى وحده المتصف بكمال الصفات، والمنزه وحده عن صفات النقص، وأنه تعالى هو رب هذا الوجود، يمتلئ قلبه حباً للرب الخالق الرحيم الودود ذي الحمد الكامل والثناء الجليل. والمحب الحقيقي يتجه بكل ما يمكنه للوصول إلى رضا محبوبه، ويهون عليه أي شيء يمكن أن يلاقيه في هذا السبيل، بل إنه قد يصل المؤمن الكامل إلى درجة

---

(١) انظر: شفاء العليل: ١٩٧. ومختصر الصواعق المرسلة؛ الأصل: ابن قيم الجوزية، والاختصار: الموصلي: ٣٣٧/١.

(٢) كما في بعض الديانات الهندية.

(٣) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. البخاري: ٦٥٩/٢/ ح: ١٧٦٦. وانظر: صحيح مسلم: ١٢٦٣/٣-١٢٦٤/ ح: ١٦٤٢-١٦٤٣.

يستسهل معها المشاق التي يلاقيها. وهذا يوجد في الحب الموجود بين البشر، فكيف بالحب الأسمى الموجود في قلب المؤمن لربه تعالى.

وهذه المعاني تعمى عنها أبصار الذين قست قلوبهم وغلظت طباعهم، وجفّت نفوسهم من الخير، لذلك توعدهم الله -جل ذكره- فقال:

﴿... فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢)﴾ الزمر.

ولكن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن الله -عز وجل- قد فطر الناس جميعاً على الحب له، والتوجه له، وعبادته، ولكن هذه الفطرة الطيبة الأصيلة انتكست في كثير من النفوس، تحت عوامل متعددة، ودل على هذا الارتكاس قول الله عز وجل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ (١٦٥)﴾ البقرة.

الأمر الثاني: أن المنافع الآجلة المذكورة في الأمثلة السابقة، محصورة ضمن المنافع الدنيوية، وكون التكاليف الربانية تحتوي على الكثير من المنافع الدنيوية العاجلة؛ هو أمرٌ ثابت وحق[1].

والإنسان وإن استطاع استنباط بعض تلك المنافع؛ إلا أنه قد غاب عنه الكثير، وهو على الدوام يكتشف المزيد من الحكم والغايات الحميدة، من وراء التكليفات التي شرعها الله تعالى لعباده، والتي يعود عليهم أثرها في حياتهم الدنيوية. وبعض من هذه الحكم تبدو واضحة جلية عندما يخالف البشر الأحكام الربانية المنزلة، فلا يجلبون لأنفسهم إلا الشقاء والتعاسة العاجلة والآجلة. وهذا كما في الحدود التي شرعها الله جل شأنه لعباده، ردعاً للظالم عن ظلمه، وللباغي عن بغيه، وحتى يعيش المجتمع في أمن وطمأنينة حقيقيين.

ولكن هذه المنافع الدنيوية لا تقارن بعظم المنفعة الأخروية الآجلة، التي ينالها الإنسان المؤمن بشريعة ربه تعالى، والمطبق لها على قدر استطاعته. ولا يجوز أن يغفل عن هذه المنفعة مَن عنده مثقال ذرة مِن إيمان حقٍ بما جاء من عند الله تعالى[2].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/٢١٤-٢١٦، ٢/٧١-٧٢، ١٨/ ١٩٢-١٩٤، ٢٠٢. و: منهاج السنة النبوية؛ ابن تيمية: ١/٢١٥. و: مختصر الصواعق المرسلة: ١/٣٧٧-٣٧٨.

(٢) ولكن لـ: حسن حنفي رأي آخر في مسألة الجزاء الأخروي؛ إذ لا حياة إلا الحياة الدنيا، ولا جزاء إلا ما كان فيها، وكل ما ورد هو للحث والترغيب، أو للتهديد والمنع، دون أن يكون له أية حقيقة. انظر: المعاد؛ له: ٥٩٩-٦٠٧.

وبعد، فإن (العلماني) عندما جاء ليضرب الأمثلة علىالمنافع الدنيوية؛ وقع في خطأ كبير، وهو إما خطأ مقصود، أو غير مقصود.

وخطؤه يظهر من دعواه أن: مشقة الاستيقاظ مبكراً للصلاة؛ لا تعادلها منفعة الأفعال المبكرة، وفوائد الصلاة . وهذه الصياغة لا يفهم منها: إلا أن مشقة الاستيقاظ باكراً؛ أعظم من المنفعة التي تجنى من وراء صلاة الفجر، والقيام باكراً لأداء الأعمال. ولكن هذا لا يقوله عاقل فضلاً عن أن يقوله مؤمن بالحق.

فإن كثيراً من العقلاء –حتى من غير المؤمنين– مَن يستيقظون في الوقت الذي يستيقظ فيه المؤمن للصلاة، وذلك لكي يبادروا إلى أعمالهم الدنيوية من أول الوقت.

وكل من يؤخر قيامه لأداء أعماله اليومية يذم عند العقلاء، فكيف يزعم مدعٍ أن مشقة الاستيقاظ مبكراً لا تعادلها منفعة الأفعال المبكرة؟!.

هذا فضلاً عن عظم الفوائد الدنيوية والأخروية التي يجنيها المرء من صلاته الفجر في وقتها، ثم المبادرة إلى ما عليه من واجبات دنيوية صالحة، أياً كانت تلك الأعمال.

فالدعوى السابقة إما أن تكون مقصودة، ويكون صاحبها عندئذ مخالفاً للعقل، الذي يدعي نصرته من وجهين:

الوجه الأول: إن ادعى أنه مؤمن بالنبوة[1]، مُقِرٌّ بالتكاليف الواردة فيها، فإن هذا يقتضي منه –إن كان صادقاً في دعواه– أن يعتقد حسن هذه التكاليف الواردة فيها، وأن الالتزام بها واجب، وهويحقق له من المصالح والمنافع العاجلة والآجلة؛ ما لا يمكن أن يتحقق له عندما لا يلتزم بأداء تلك التكاليف. فكيف يصح منه بعد هذا أن يناقض دعواه، ويزعم أن المشقة في التكليف أعظم من الخير الذي يأتي به؟!، ولا سيما أنه لم يشر –مجرد إشارة– إلى المنافع الأخروية التي يجنيها المرء من وراء الالتزام بالتكليف[2]، فأي إيمان بالنبوة وإقرار بحسن التكليف هذا الذي يدعيه؟!.

(١) انظر: النبوة؛ حنفي: ٥٧، وما بعدها.

(٢) القاضي عبد الجبار المعتزلي يعبر عن عقيدة المعتزلة في ذلك فيقول: إن المشاق من وراء التكاليف توجب على الله جل شأنه أن يثيب عبده الملتزم بالتكليف، أي أن تلك المشاق أعظم عنده من أية منفعة تعود على المرء في حياته، وكذلك أعظم من نعم الله تعالى على عباده. وهذا الرأي وإن كان غير صحيح، إلا أن صاحبه قد آمن بالجزاء الأخروي إيماناً جازماً، ومن أجله حَسُن التكليف عنده. وأما حسن حنفي فإنه غير مؤمن بالآخرة، ولا بجزاء يحدث في دار غير دار الحياة الدنيا. انظر ما سبق بيانه: ٤٢٥/ هـ: ٢.

وكيف يرد على من يزعم قبح التكليف، ثم يذكر في رده ما يؤيد قولهم؟!. وأي رد هذا، وأي تناقض هذا الذي لا يقبله عقل العامة، فضلاً عن عقل الخاصة؟!.

الوجه الثاني: أن الأمثلة التي أوردها، وبالصورة التي ذكرها؛ يحكم كل عاقل منصف - حتى ولو لم يكن مؤمناً بالنبوة- أن المنفعة الدنيوية العاجلة من وراء التكليف الوارد في كل منها؛ أعظم وأجل من المشقة التي تحصل بسببه.

فهو إن كان يقصد حقاً ما ذكره، يكون مخالفاً لحكم العقلاء المنصفين في الموازنة بين المنافع والمشاق للأمثلة التي ذكرها.

وإن كان قصده أن المنفعة من وراء تلك التكاليف أعظم من المشقة التي تحصل بسببها؛ فإن الناظر ليعجب من تكرار مثل هذا الخطأ في الأمثلة الثلاثة المذكورة، وذلك من إنسان قد تصدى ليكون حَكَماً بين أقوال علماء الأمة، وأقحم نفسه في مجالِ بيانِ خطأِ تلك الأقوال من صوابها، بل ويريد بعد ذلك -وكما يظهر من كلامه- أن يكون له رأيه الخاص في جميع قضايا أصول الدين ومسائله!!، فأي ثقة في كلامه تبقى بعد هذا؟!.

ومثل هذا الأمر لا يستغرب ممن أخذ على نفسه أن يخالف الحق، الذي أجمع عليه المؤمنون بالنبوات، فهو إن صدر منه موافقة للحق ولو بوجهٍ ما، لم يطاوعه قلمه وسرعان ما يزلّ -ولو من غير شعور منه- كاشفاً عن حقيقته، وما ينطوي عليه قلبه من كفر وجَحْدٍ للنبوة والدين، وإن حاول جهده إخفاء ذلك وإظهار ضده.

القضية الثانية : مناقشة (العلماني) لدعوى استحالة التكليف بسبب العقاب الأخروي المترتب عليه:

تظاهر (العلماني) بأنه ينـاقش من ادعوا استحالة التكليف، بدعوى أنه يترتب عليه عقاب شديد في الآخرة لمن لا يلتزم التكليف.

فكان نقاشه لهم منحصراً في كون العقاب والثواب متضمنين في الأفعـال، فـالفعل القبيـح يتضمن عقابه من داخله، تأنيب الضمير وحكم الناس[1].

وفيما يلي الرد على هذا الافتراء:

١- إن هذه المناقشة ليست رداً على تلك الشبهة، بـل غايـة مـا فيهـا بـث الطمأنينـة في نفوس أصحابها؛ بأنه لا يوجد في الحقيقة عقاب أخروي ينال المسيء على إساءته، وغاية ما هنالك تأنيب الضمير، وحكم الناس على المسيء بأنـه كذلـك. وهـذا يـدل بوضـوح شـديد علـى كفـر صاحب هذا الافتراء بالله سبحانه، وباليوم الآخر، وعلى كفره بالقرآن ومـن أنـزل القـرآن عليـه. ومن الذي يأبه لمثل هذه العقابين؟!. وهل يُظَنُّ بأنه سيكون هناك أولـو عـددٍ يردعهـم مثـل هذيـن العقابين، عن ارتكاب الإساءات والفواحش؟!.

٢- إنه مع وجـود كثرة كاثرة قد آمنت بالجزاء العادل في الدار الآخرة؛ فقد وجد منهـم من غاب عنهم مقتضى هـذا الإيمان، فارتكبوا الفواحش واعتدوا وبغوا وظلموا، إلى جانب الكثرة التي آمنت بهذا الحق، وردعها عن الغي والظلم. فكيف الحال إذا أتـى مـن يزعـم للنـاس بأنـه لا يوجد دار آخرة يجازي فيها الله سبحانه العدل الحكيم العليم الذي لا يخفى عليه شيء مـن أعمـال عباده، السميع البصير؛ عباده كُلاًّ حسب عمله، الجزاء الأوفى؟!.

إن هذا المعتقد لو كان هو وحده الموجـود بـين البشـر علـى الأرض، لما أمكـن لأحـد أن يتصور مدى الظلم والبغي الذي سيكون بين البشر عندئذ.

٣- إن الجزاء الأخروي بشقّيه الثواب والعقـاب؛ يقتضيـه الإيـمان الصحيـح بـالله جـل شأنه، وبحكمته البالغة؛ مِنْ خَلْقِ الإنسان على هـذه الصفة التي خلقه عليها، والتي عَرَّفَهُ فيها الخيرَ وسبيله، ودعاه إليه ورغبه فيه، والشرَّ وطُرُقَه، وحَذَّرَه منـه، ومَكَّنَـهُ مـن فِعْلِهمـا، ثـم تركـه بعـد ذلك يختار لنفسه...، يقول عز وجل:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾ الشمس.



(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

فكيف يتصور وجود إيمان صحيح عند من يدعي أن الله سبحانه قد خلق البشر على هذه الصفة، وقد كان منهم ما كان من الفساد والبغي والظلم العظيم، ثم هو جل شأنه لا يُتْبِعْ أعمال عباده تلك بأي جزاء ولا مساءلة؟!، وهل في هذا إثبات لصفة الحكمة الواجبة له جل جلاله، أم نقض لها؟!.

٤- إن الجزاء الأخروي يقتضيه عقلاً كمال الصفات الربانية، ولولا الجزاء الرباني لكان خلق البشر مُمَكَّنين من فعل الشر: عبثاً، والله سبحانه منزه عن العبث والباطل، قال تبارك اسمه:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾ المؤمنون.

فالله جل جلاله بصفاته وأسمائه الحسنى الكاملة منزه عن أن يكون قد خلق البشر عبثاً، لا لحكمة ولا لغاية، مع تمكينهم من فعل الخير والصلاح، وتمكينهم من أن يعيثوا فساداً في الأرض، قال تعالى جده:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾ ص.

فهذا استفهام ينكر فيه سبحانه على من يظن أنه تعالى يُمْكِن أن يسوي مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ بمصير المفسدين والفجار[١]. ومن غير الجزاء الأخروي فإن مصيرهما واحد. بل ربما يكون مصير الفجار أفضل من مصير كثير من المتقين. وكم من باغ استطاع أن يخدع الناس طوال حياته، فيجعلهم يظنون به الصلاح والتقى، وهو من الفجّار، ولم يكتشف الناس حاله إلا بعد وفاته، ولربما كان ذلك بعد زمن طويل، ولربما ما اكتشف أحد حاله، ولربما استطاع أن يحمل الناس على أن يظنوا سوءاً بمن لا يستحق ذلك، ويموت صاحب الحق وهو مظلوم مقهور، لا يعلم به أحد، ويموت صاحب الباطل على الضد منه، فأي، حكمة في ذلك المصير؟!، وما الذي استفاده صاحب الحق؟!، وكيف سيكون حال الناس كلهم لو آمنوا جميعا بهذا، وكان هو معتقدهم الوحيد؟!.

وهل يظن ظان أن عند أولئك البغاة في الأرض في أيامنا هذه، وقد وصلوا في بغيهم وفجورهم إلى درجة لم يسبق لها مثيل؛ هل يظن بأن عندهم أدنى تأنيب ضمير؟-!. بل إنهم لو

(١) انظر بدائع الفوائد؛ ابن قيم الجوزية: ١٦٥/٤. والتبيان في أقسام القرآن؛ له ١٠١-١٠٢. وشفاء العليل؛ له: ٣٦٨. ومفتاح دار السعادة، له: ١٢/٢، ٨٥. و: العقيدة الإسلامية وأسسها: ٦٢٣-٦٢٤.

سمعوا بمثل هذا الأمر ما ازدادوا إلا سخرية؛ ممن يظن أن هذا التأنيب يمكن أن يردعهم عن الشر والفساد.

ولكن حكمة الله جل شأنه منزهة عن إقرار مثل تلك التسوية، فلابد أن يكون هناك يوم آخر يقيم الله تعالى فيه عدله على أكمل وجه.

ومثل تلك الآية السابقة؛ قوله تبارك اسمه:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾ الجاثية.

فالله جل شأنه يبين بدليل سمعي عقلي مستنبط من دلالة الاستفهام الانكاري؛ أن التسوية في المصير بين المؤمنين والكافرين؛ حكم قبيح يُنَزّهُ الله سبحانه عنه(١).

وقال تعالى:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾ التين.

والاستدلال في هاتين الآيتين كالذي سبق، استدلال سمعي عقلي، يعقله ويؤمن به من آمن بالله تعالى، وبحكمته، الإيمان الصحيح.

٥- فليس التكليف أو العقاب الأخروي هو القبيح، بل إن ترك الناس سُدىً دون تكليف ومسؤولية، ولا جزاء؛ هو القبيح الذي لا ينبغي لعاقل أن يعتقده. قال سبحانه:

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ القيامة.

فالخالق الحكيم جل شأنه لا يترك الإنسان مهملاً من غير منهج يكلفه السير عليه، لتستقيم حياته، ويُتبعه بجزاء يناسب العمل الذي قدمه الإنسان خلال حياته الدنيوية(٢).

هذا هو بعض الرد الواجب على من ادعى قبح التكليف والعقاب، لا الاقتصار في الرد على أن الثواب والعقاب متضمنان في الأعمال، وهما في هذه الحياة، وإغفال الجزاء الكامل والأوفى، الذي لن يكون إلا في الدار الأخرة.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/١١-١٢. و: شفاء العليل: ٣٣٤.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/٧، ٢/١٢. و: شفاء العليل ٣٦٧. و: التبيان في أقسام القرآن: ١٠١ - ١٠٢. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٤/٤٥٢. و: في ظلال القرآن؛ سيد قطب، مج: ٦/ ٩/٣٧٧٣-٣٧٧٤. وانظر تفسير سورة القيامة، في معارج التفكر ودقائق التدبر: ٢/ ٥١٦-٥٢٠.

القضية الثالثة: دعوى أن التكليف إنما هو التزام داخلي، وليس تكليفاً من خارج:

من خلال تظاهر (العلماني) بمناقشته لمن ادعوا استحالة التكليف؛ زعم زوراً وبهتاناً: أن التكليف ليس تكليفاً من الخارج، بل هو التزام داخلي تعبيراً عن قدرات الإنسان على تغيير العالم[١].

وفيما يلي الرد على دعواه الكاذبة:

أولاً:

١- إن معنى تلك الدعوى الباطلة أن الله جل شأنه ليس هو الآمر بالتكاليف الثابتة في الشريعة، وأن الإنسان هو الذي التزم بها وكلف نفسه بها.

و هذا يؤدي إلى أن الرسالة كلها إنما هي من وضع البشر، بما في ذلك الكتاب المنزل، المحتوي على تلك الأحكام والشرائع التي طولب العباد بتنفيذها[٢].

ولكن ماذا يقول هذا المفتري بالنسبة إلى مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً (٥٨)﴾ النساء.

فمن الآمر بحسب نص الآية الكريمة؟. إن الآمر هو الله جل شأنه وهو المكَلِّفُ، والمأمورون هم عباده المُكَلَّفون، فكيف تصح دعوى أن التكليف ليس من الخارج، وإنما هو التزام داخلي، وهل هذا إلا نقض واضح وظاهر لنص الآية الذي لا يحمل تأويلاً.

إن من يدعي أن التكليف ليس إلزاماً من الخارج، لا يكون مخالفاً للحق؛ بل ومكذباً للنصوص الكثيرة الثابتة في الكتاب والسنة.

٢- إن نفي (العلماني) وجود مصدر خارجي للتكليف، لا يوجد له أي تأويل؛ إلا كون صاحبه يعتقد بأن الشرائع التي أتت بها النبوات مصدرها بشري خالص.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٢) إن مؤدى دعوى حسن حنفي هنا: أن النبوة كلها وضع بشري، فلماذا هاجم من أوجبوها، وانتصر بزعمه للعقل؟!. فكان ينبغي عليه أن يؤيّدها ما دامت من وضع عقول البشر، بزعمه. والحق أن من يركب مركب الكفر والإفساد فإنه لا يُسْتَغْرَب أن تصدر عنه المتناقضات.

وأي إيمان بالنبوة يبقى مع هذا الزعم؟!. إن النبوة التي يؤمن بها (العلماني) إنما هي تنبؤات إنسانية، وليست ذات مصدر رباني، وهو بهذا يكون ضمن من قال تبارك اسمه في شأنهم:

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦)﴾ المدثر.

ثانياً: وأما ما ذكره (العلماني) من أن: التكليف التزام داخلي، تعبيراً عن قدرات الإنسان على تغيير العالم[1]، فيرد عليه:

١- إن المطلوب من التكليف والالتزام هو أن يحقق الإنسان لنفسه السعادة الحقيقية، والكاملة في الدنيا والآخرة. وليس شرطاً على الدوام أن يكون هناك تغيير، وذلك إذا التزم بالتكليف وبأوامر الشرع من نشأته، إذ إن أحكام الشرع متوافقة مع فطرته الخيرة، والتغيير لا يطلب إلا ممن خالف الحق في شأن من شؤونه؛ فيؤمر بأن يتغير نحو الأفضل والأحسن.

٢- وقد سخر الله جل جلاله للناس ما خلق في كونه ليبلوهم فيما آتاهم، ولينتفعوا - ضمن حدود طاقاتهم- بما سخر لهم في حياتهم الدنيا، فقال الله عز وجل:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾ الجاثية.

فما يحدثه الإنسان من تغييرات في بعض ما سخر له إنما هو بتكليف من الله جل ذكره، ليستفيد الإنسان مما سخر له فيما يعود عليه وعلى البشرية بالنفع. وهو كذلك بتقدير من الله جل جلاله لتتم حكمة ابتلاء الإنسان في هذه الحياة، قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧)﴾ الكهف.

٣- وإطلاق (العلماني) القول: بقدرة الإنسان على تغيير العالم؛ ادعاء واسع وعريض، إذ كل شيء يحدث في الكون إنما هو بتقدير من الله تعالى، ومجالات الأعمال الإنسانية في الكون؛ ضيقات ومحدودات، خاضعات لمقادير الله، وإمداداته ومعوناته وتوفيقاته.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

القضية الرابعة: ادعاء (العلماني) أن العبادات ليست جوهر التوحيد، وأن الوحي لا طقوس فيه:

إن من المكر السيء الذي تضمنه كلام (العلماني) السابق؛ إيهامه بأنه يرد على الذين ضربوا أمثلة من الأحكام الشرعية وادَّعَوْا مخالفتها لأحكام العقل، بينما اشتمل كلامه معهم على أباطيل عدة:

١- لقد بدأ رده بأسلوب التسليم لما ادعوا من مخالفة ما ذكروه من الأحكام الشرعية والعبادات للعقل، إذ ذكر أن هذه الأحكام التي انتقدوها ليست جوهر التوحيد[1].

ولو أنه كان يرى أن تلك الأحكام والعبادات يمكن تعليلها وإيجاد حِكَم لها، كما ذكر في حيلته بعد ذلك؛ لكان ينبغي له أن يبين ابتداءً بطلان دعوى مخالفة تلك الأحكام الشرعية والعبادات لأحكام العقل وموازينه، ثم يفصل القول في بيان سبب هذا البطلان.

٢- ثم ادعى -وهو يزعم أنه يرد على المخالفين- أن العبادات ليست جوهر التوحيد. وفي هذا إشعار بأنه يريد القول أن التوحيد الذي جاءت به النبوات لا علاقة له بصور العبادات العملية، إذ لا تدخل في جوهره. وهو بهذا يريد التهوين من شأن العبادات، وأنها لا وزن لها مع اعتقاد التوحيد، فما دام الإنسان على التوحيد؛ فسيان أن يؤدي العبادات أو لا يؤديها. والحق أنه إذا كان للتوحيد معنى خاص به كما للعبادات العملية؛ فإن هذا لا يعني أنه لا علاقة بينهما، فإن للتوحيد مدخلا في كل شيء يأتيه الإنسان أو يدعه. ولذلك كانت الأعمال صفة كمال لعقيدة المؤمن، وكانت دليل صدقه فيما يدعيه، أو كذبه فيه. ولذلك كان الإيمان -الذي يقوم على التوحيد- مكوناً من الاعتقاد والعمل، وهذا يقتضي أن يتوجه الإنسان نحو ربه وهو إلهُهُ -أي معبوده- الواحد؛ بصنوف العبادات التي فرضها عليه جل شأنه، وكلفه العمل بها، وهي لا تعلم إلا من خلال رسالات الرسل عليهم السلام.

فالرسل صلوات الله عليهم وسلامه، قد بلغوا الخلق العبادات التي أوجبها الله عليهم، ليتوجهوا له بها جل شأنه، فيحققوا مقتضى التوحيد الذي اعتقدوه، في واقع سلوكياتهم العملية.

وكل عقيدة ذات آثار في السلوك؛ لابد أن تظهر آثارها، وإلا كان ادعاؤها ادعاء كاذباً، أو هي ضعيفة جداً غير قادرة على التأثير في السلوك. قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ الأنفال.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

فالتوحيد له شقان:

الأول: التوحيد الاعتقادي: وهو الإيمان بأن الله عز وجل واحد في ربوبيته، وواحد في إلهيّته.

الثاني: التوحيد السلوكي، أي: أن يقصد المرء بجميع أعماله رضا ربه عز وجل، وبذلك يتحقق بمقتضى قول الله جل شأنه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ الأنعام.

فمن وُجد عنده توحيد صحيح؛ فلابد أن يكون قائماً بالعبادات التي ترضي ربه عز وجل، ومن لم يقم بتلك العبادات فإن توحيده مشكوك فيه، أو هو ناقص، أو ضعيف عن أن يكون له أثر في السلوك.

٣- ومع ذلك فإن (العلماني) لم يكتف بالإشارة إلى قطع العلاقة بين مفهوم التوحيد والعبادات؛ بل تعدى ذلك إلى تكرار باطل ظاهر قد سبق أن ذكره بمعناه[١]، وأعاده هنا عندما ادعى أن الوحي لا طقوس فيه ولا شعائر[٢]، وقد سبق شيء من الرد على هذا الباطل[٣].

ولكنه هنا زاد في تفصيل الباطل وتقعيده، موهماً أن تقريره لأمر ما كافٍ في إثبات هذا الأمر، ويجب على من قرأ باطله أن يقبله دون معارضة ، ثم هو بعد ذلك يبني على الباطل الذي قرره ما شاء، وليس على غيره إلا القبول والتسليم!!.

إن أحداً من علماء المسلمين الذين هجم عليهم واتهمهم بصنوف الاتهامات؛ عندما رد على من أوجب النبوة منهم؛ لم يكن من أحدهم -رحمهم الله تعالى- مِثْلُ فعلته هذه، بل ما ذكر أي منهم أمراً إلا حاول جهده أن يجمع له ما استطاع من الأدلة والبراهين، مناقشاً في الوقت نفسه ما يمكن أن يستدل به عليه.

وأما صاحب هذه الافتراءات فإنما يكفيه أن يقرر ما يشاء، وليس عليه غير هذا، فهل في مناقضة العقل وأحكامه أكثر من هذا؟!. فهو هنا قد وقع في أعظم مما افترى به على غيره من علماء الأمة.

---

(١) انظر ما سبق: ٣٧١.

(٢) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٣) انظر ما سبق: ٤١٧-٤١٩.

وبعد، فمن الذي يسلم لـه أن العبادات والشعائر لا دخل لها بالوحي، أو أنهـا لا تدخل في جوهره، وهي أحد قسمي الوحي الرئيسيين؟.

٤- وأما البناء الباطل الذي أسسه على شفا ذلك الجرف الهارِ؛ فهو دعواه: أن العبادات في الوحي صورة، وأن المعاملات هي المضمون[1].

والسؤال هنا:

أولاً: ما هو دليله على هذه الدعوى؟. وهو لا شبهة له أصلاً فضلاً عن دليل!.

وثانياً: ما المقصود بالمعاملات؟.

إن كلامه بعد ذلك عند تحليله للعبادات، يبين أن مقصوده بالمعاملات، هي معاملة المخلوق للمخلوق، وهو لم يذكر شيئاً عن المعاملة بين المخلوق وخالقه جل شأنه.

إن إغفال المعاملة بين المخلوق وخالقه جل شأنه فيه:

أ- افتراء على الوحي والدين ومُنَزلِهِ تبارك اسمه، فهو تعالى لم يرسل الرسل وينزل الوحي إلا ليحقق البشر العبودية له عز وجل على أكمل وجه، فما من نبي جاء إلا وأمر قومه بعبادة الله تعالى وحده، قال جل ثناؤه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ الأنبياء.

ب- وافتراء على العقل، فإن كل صاحب عقل سليم منصف يعلم يقيناً؛ أن المعاملة بين المخلوق من البشر وخالقه جل جلاله هي الأساس، الذي تبنى عليه سائر المعاملات، سواء بين المخلوق ونفسه، أم بين المخلوق وبني جنسه، أم بين المخلوق من بني آدم وجميع ما حوله، وما سخر الله جل ذكره له.

والمعاملات بين البشر، بعضهم مع بعض؛ لابد أن يكون أساسها السابق متيناً وثابتاً وصحيحاً، حتى تكون على أحسن صورة وأفضل وجه ظاهراً وباطناً.

فهل يصح من إنسان عاقل يريد مصلحة العباد أن يُلْغِيَ تماماً الأساس الذي تصلح به حياة البشر في هذه الأرض؟!.

إنه إذا وصل الإنسان إلى درجة لا يقيم فيها أي اعتبار للعلاقة والمعاملة بينه وبين خالقه جل شأنه؛ فإنه يصبح عندئذ لا حظّ له مطلقاً في هذا الدين، الذي أنزله الرب جل جلاله على عباده. بل ولا حظّ له من العقل المنصف، السليم من الأهواء والأمراض، ولا حتى من إرادة المصلحة والخير للعباد. سواء أكان دافعه إلى ذلك الجهل أم التجاهل.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

وإذ تبين بطلان هذا الإلغاء للجانب الأساس في علاقات الإنسان ومعاملاته، وتبين خطر إلغائه؛ فإنه يظهر واضحاً جلياً أن العبادات التي يتوجه بها الإنسان نحو ربه جل جلاله تدخل ضمن باب المعاملة بينه وبين خالقه تبارك اسمه.

فالعبادات من المعاملات، بل هي الأساس فيها، أي إنها هي المضمون الأساس الذي يقصده الإنسان المؤمن حتى من وراء معاملاته مع المخلوقين من حوله، فهو يبتغي أن يكون في جميع معاملاته عابداً لربه تعالى، لينال رضاه، ويفوز بثوابه.

٥- وأما ما ذكره (العلماني) من أنه يمكن القيام بالصورة دون المضمون[١]؛ فإن من المعلوم أنه يوجد من يقوم بأداء حركات العبادات، وقد يكون قلبه وباطنه إما غافلاً عنها، أو مرائياً بها، أو رافضاً لها غير مؤمن بها ولا بمن يتوجه له بها.

أ- أما الغافل واللاهي، فإنه ينقص من عبادته بقدر غفلته، قال صلى الله عليه وسلم:

"إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها"[٢].

ومن أسباب نقصان أجر الصلاة غفلة قلب المصلي أثناء العبادة، وعدم حضور فكره مع أفعالها وأقوالها، فينقص الله تعالى له من الأجر بقدر ما كان منه من الغفلة والذهول[٣].

ب- وأما الرياء فهو سبب لحبوط أجر العمل الذي صاحَبَه[٤]، قال صلى الله عليه وسلم:

["إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر". قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟، قال: "الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً"][٥].

وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٢) روى الحديث أبو داود والنسائي وأبو يعلى والبيهقي عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، واللفظ لأبي داود. سنن أبي داود: ٢١١/١/ح:٧٩٦، وحسنه الألباني. وانظر: السنن الكبرى: ٢١١/١٠/ح: ٦١١-٦١٢، ٢١٢/١/ ح: ٦١٤, و:مسند أبي يعلى: ١٨٩/٣/ ح: ١٦١٥، وحسنه المحقق: حسين أسد، ١٩٧/٣/ ح: ١٦٢٨، ٥٠١/١١/ ح: ٦٦٢٤. و: سنن البيهقي الكبرى: ٢٨١/٢. وحسن الألباني الحديث في: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٣٣٥/١/ ح: ١٦٢٦.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٦٠٣/٢٢-٦٠٤، ٦١١ - ٦١٢.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٨/١. و: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: ٥٢٤-٥٣٤.

(٥) رواه أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه. المسند: ٤٢٨/٥، ٤٢٩. كما رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٥٣/٤/ ح: ٤٣٠١. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٣٢٣/١/ح:١٥٥٥.

["ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال"؟. قال: قلنا: بلى. فقال: "الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل"][1].

جـ- وأما من يؤدي حركات العبادات وهو رافض لها بقلبه، غير مؤمن بها، فهو المنافق، وهو أسفل دركة من الكافر الأصلي، لأنه جمع إلى كفره؛ خداع المؤمنين، والتظاهر أمامهم بأنه منهم، لكي ينشر الفساد بينهم دون أن يحس به أحد، قال جل شأنه:

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٣٨)﴾ النساء.

وقال جل جلاله:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥)﴾ النساء.

ومما وصفهم به جل شأنه:

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾ التوبة.

وطبعي ألا يُقبل من المنافقين عمل قد يظهر أنه حسن، وذلك لأنهم لا يؤدونه إلا رياء، دون أن يكون مقصدهم رضا الله جل شأنه، قال تبارك اسمه:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢)﴾ النساء.

وقال تعالى:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)﴾ التوبة.

والنصوص في التحذير من النفاق والمنافقين وبيان سوء مصيرهم ومنقلبهم كثيرة جداً.

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. سنن ابن ماجه: كتاب الزهد (٣٧)/ باب: الرياء والسمعة. (٢١)/ ح: ٤٢٠٤، ٢/١٤٠٦، وحسنه الألباني. وحسنه أيضاً في: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ح: ٢٦٠٧/ ٥٠٩/١. وروى الحديث أيضاً أحمد في: المسند: ٣/٣٠.

القضية الخامسة: حول ادعاء (العلماني) إمكانية تمثل مضمون العبادة بصور أخرى:

إن من الأباطيل التي تضمنها كلام (العلماني) السابق: دعوى إمكانية تمثل مضمون العبادة بصور أخرى، أي أن نبحث عن الغاية من وراء كل عبادة، فإذا وصلنا إلى ما يظن أنه هو الغاية، فإنه بإمكاننا أن نسلك سبلاً أخرى لتلك الغاية، غير التي جاءت في الشرع.

ويؤيد أن هذا المعنى هو المراد من تلك الدعوى الباطلة ترديد (العلماني) لفرية أن الطقوس لا تمس جوهر الوحي[1]، أي إن صور العبادات ليست من جوهر الوحي، وذلك حسب ما قرره هو، تقريراً مجرداً عن أي دليل، وكأن كلامه الكلام الفصل الذي يجب أن يرجع إليه الناس!!.

ويؤيد إرادته لهذا المعنى الباطل ادعاؤه : أنه يمكن إدراك دلالات الطقوس -العبادات-، وأخذ الدلالة وترك الأشياء الدالة. وأنه يمكن إسقاط العبادات بالكلية!، كما فعل الحكماء، فيما زعم. وأن غايات العبادات يمكن أن تنال بوسائل أخرى، لا بالعبادة وحدها. وأنه يمكن تمثل المضمون بصور أخرى[2].

وادعاؤه:

(أن الشريعة في نهاية الأمر وسيلة لا غاية، وسيلة يحصل بها الإنسان على فائدة، ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة)[3].

وكذلك تساؤله:

(وبالتالي يبرز سؤال: لماذا إذا العبادات والشرعيات، إذا كان الإنسان يستطيع الوصول إلى غاياتها بأساليب أخرى؟. لا يستطيع ذلك إلا من أوتي حظاً من الوعي والثقافة، وهو ما لا يتأتى للجميع. ولما كان الوحي أسلوباً في مخاطبة الجميع، فإنه أتى بهذا الأسلوب في التعامل؛ حتى يسهل على الجميع فهمه وتطبيقه والعمل به، فالخاصة والعامة معاً قادرون على حد سواء على فهم العبادات.

ولكن الخاصة وحدهم هم القادرون على الحصول على الغايات بوسائل أخرى. وإذا كان

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٢) انظر ما سبق ص: ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) انظر ما سبق: ٤٢١.

المجتمع كله خاصة، واستطاع أن يكون على درجة من الوعي والثقافة، فإنه يصل إلى نفس الغايات بوسائل متعددة.

ولكن اتحاد الوسائل قد يكون أيضاً نوعاً من توحيد السلوك، وأكثر ضماناً للوصول إلى الغايات، من وسائل أخرى مازالت تحت التجربة)[١].

وفيما يلي بيان ما في تلك الدعاوي من الأباطيل والافتراءات:

١- إن الدارس ليعجب ممن يصر على انتمائه إلى الدين؛ وهو لم يدع فيه صغيرة ولا كبيرة إلا تعرض لها بالنقض والإبطال والتحريف، سواء في العقائد أم في الشرائع.

إن الذي يجب على (العلماني) -وأمثاله كذلك- أن يعلن أنه صاحب دعوة مغايرة تماماً لدعوة الإسلام، وهذا أقل ما يجب على من كان متصفاً بأدنى درجات الصدق.

وأما أن يتستر بدعوى الإسلام ويعمل على هدم أركانه من داخله؛ فإن هذا لا يقوم به إلا المنافق، الذي من أبرز صفاته أنه يجبن عند المواجهة، فيحاول جهده إخفاء حقيقة حاله، وحين يكون في الظلمات يُعْمِل في الدين وأهله نقضاً وهدماً وتدميراً. ولن يحيق المكر السيء إلا بأهله، قال تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾ البقرة.

وقال تبارك اسمه:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)﴾ التوبة.

﴿يَفْرَقُونَ﴾ من: الفرق، وهو: الخوف[٢].

وقال جل جلاله:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢)﴾ المنافقون.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢١-٤٢٢.

(٢) انظر: التفسير الكبير؛ الرازي: ١٦ / ٩٦.

فغاية المنافقين من إظهار الإيمان وإبطال الكفر هي العمل على الصد عن سبيل الله تعالى، أي: صرف من يريد الإيمان بهذا الدين عنه، فيظهرون له أنهم قد دخلوا هذا الدين وتبينوا عدم صلاحيته. والعمل كذلك على محاولة استدراج من ضعف إيمانه وقَلَّ فقهه في الدين، بما يلقون إليه من الوساوس والتشكيكات والأباطيل، لعله يستجيب لهم ويكون من أتباعهم، ويكفيهم أن يخرج من الدين ويتبرأ منه[1].

فإذا صدق (العلماني) وأمثاله مع أنفسهم، وكانت لديهم شجاعة كافية على إعلان كفرهم، فليظهروا حقيقة أمرهم، وليدعوا بعد ذلك من شاؤوا، وليستجب لهم من كان على شاكلتهم. فيتميزوا عن أهل الإيمان الحق، ويطهر المجتمع المسلم من نجسهم وخبثهم، وإن جودلوا بعد ذلك؛ فإنما يكون هذا باعتبارهم من الكافرين الجاحدين.

٢- إنه عندما يدعي (العلماني) أنه يمكن تمثل المضمون بصور أخرى، وأنه يمكن أخذ الدلالة وترك الأشياء الدالة؛ فهو يَغْفُلُ أو يتغافل عن حقيقتين:

الحقيقة الأولى:

أن هذه الهيئات والكيفيات الثابتة للعبادات، التي أمر بها الشرع؛ هي مطلوبة لذاتها، كما أنها مطلوبة لما تحققه من منافع.

أ- فهي مطلوبة لذاتها؛ لأنها السبيل لعبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضيه. وعبادة الله وحده هي المطلوب الأساس من المكلفين كافة، كما قال تبارك اسمه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ الذاريات.

فلا سبيل للوصول إلى رضا الله تعالى إلا من خلال عبادته، وعبادته لا تكون إلا بما شرعه، وبيّنه أكمل بيان، وأمرنا بأدائه على الوجه الذي أوضحه، وبين أن من لم يؤد تلك العبادة على الوجه الذي شرعه؛ فهو من الخاسرين الذين هددهم سبحانه وتوعدهم بالعذاب الأليم. قال تعالى:

﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ (٩٧)﴾ آل عمران.

وظاهر أن المراد بقوله جل شأنه : ﴿ومن كفر﴾ أي: بوجوب فريضة الحج[2].

---

(١) انظر: تفسير فتح القدير: ٥/٢٣٠.

(٢) انظر: على سبيل المثال: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ١/٣٨٦.

وعندما يتساءل أهل الجنة عن سبب دخول المجرمين النار؛ فإنهم يجيبونهم بقولهم الذي حكاه الله تعالى عنهم:

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ المدثر.

فذكروا ترك الصلاة لله رب العالمين كأول سبب من أسباب دخولهم دار العذاب.

وقال صلى الله عليه وسلم:

"أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت؛ صلح له سائر عمله، وإن فسدت؛ فسد سائر عمله"[١].

فما حال الذي يدعي أنه يمكن أن يستغني الإنسان المكلف عن الصلاة؟!. أو أن الخاصة يمكنها أن تستغني عن العبادات؟!. أو أن المجتمع كله يمكن أن يكون خاصة، فيستغني عن العبادات؟!.

ب- وكل مؤمن يعلم علماً راسخاً أن من أنكر وجوب معلوم من الدين ضرورة وجوبه، كالصلاة مثلاً؛ فإنه ليس له من الدين أدنى نصيب، ولو التزم بعد ذلك بأداء العبادة، ما دام أنه لم يؤمن بوجوبها على كل مكلف، مستجمع لشروط التكليف.

جـ- وأيضاً فإن كل مؤمن يعلم أنه الله جل شأنه هو وحده صاحب الحق في تشريع السبيل للوصول إلى مرضاته، ولا طريق للبشر لمعرفة ذلك إلا من خلال البيانات، التي ينزلها تبارك اسمه على أنبيائه ورسله عليهم السلام[٢].

وأما إدخال العقل في هذا المجال؛ فإن فيه اعتداء على حق الله جل جلاله في ذلك، والمتفرد فيه، وجعل مَن يقوم بذلك أرباباً يشرّعون ويحرّمون ويحلّون من دون الله سبحانه، قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ التوبة.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه الطبراني والضياء المقدسي عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للطبراني. المعجم الأوسط: ٢/٥١٢/ ح: ١٨٨٠. وانظر: الأحاديث المختارة: ٧/١٤٤-١٤٥، وقال: إسناده حسن لشواهده. والحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٥٠٣/ ح: ٢٥٧٣. وقال المنذري عن إسناد الطبراني لا بأس به إن شاء الله، في: الترغيب والترهيب: ١/١٤٩-١٥٠/ ح: ٥٥١.

(٢) انظر ما سبق: ٤٣٣-٤٣٦.

"أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً اسْتَحَلّوه، وإذا حَرَّموا عليهم شيئاً حَرَّموه"[1].

وقال تبارك اسمه:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ (٢٢)﴾ الشورى.

هذا في الأحكام الشرعية، فكيف الحال في العبادات التي يتوجه بها المؤمن نحو ربه تعالى مباشرة؟!.

وقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ (٨٧)﴾ المائدة.

وقال تبارك اسمه:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)﴾ الأنعام.

وقال جل ذكره:

---

(١) روى الحديث الترمذي والطبري والبيهقي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والطبراني عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، واللفظ للترمذي. سنن الترمذي: ٢٧٨/٥/ ح: ٣٠٩٥، وحسنه الألباني. وانظر: تفسير الطبري: ١١٤/١. و: المدخل إلى السنن الكبرى: ٢٠٩/١-٢١٠. و: سنن سعيد بن منصور: ٢٤٥/٥. و: سنن البيهقي الكبرى: ١١٦/١٠. و: شعب الإيمان؛ البيهقي: ٤٥/٧/ ح: ٩٣٩٤، وفي النسخة المحققة في الهند: ٤٢٣/١٦/ ح: ٨٩٤٨، وحسن محقق هذه النسخة: مختار الندوي؛ هذا الحديث. و: مصنف ابن أبي شيبة: ١٥٦/٧. و: المعجم الكبير: ١٧/ ٩٢. وبداية الحديث أن عديا رضي الله عنه عندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يتلو الآية السابقة، استدرك بأنهم ماعبدوا الأحبار والرهبان، لأنه كان نصرانيا، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك القول.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)﴾ الشورى.

إن تلك الأمور لم يشر إليها (العلماني) أدنى إشارة، فهو إما أن يكون غير مؤمن بحق الله تعالى على عباده أن يعبدوه وحده لا شريك له، وكفره بهذا نظير كفر إبليس، إذ رفض طاعة الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام. أو هو غير مؤمن بأن رضا الله جل ذكره لا ينال، وأن عبادته لا تكون؛ إلا بما شرعه هو تبارك اسمه. وكلٌّ من الأمرين يدل على الردة عن الإسلام، والكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وأعظم من ذلك كله إن لم يكن مؤمنا بوجود الله تعالى أصلاً.

د- ثم إن قطع الصلة بين العبادة وبين الله تبارك اسمه المتفرد باستحقاقها؛ يضعف إلى درجة كبيرة من قيمة أية فائدة يمكن أن يجنيها المؤمن من قيامه بها، ويشمل ذلك ما يتعلق بالفوائد الدنيوية العاجلة، ولذلك قد يظن بعض من قصرت أبصارهم وبصائرهم عن إدراك الحقائق بأنه يمكن نيل تلك الفوائد -الدنيوية- عن طريق أعمال أخرى يقوم بها الإنسان، سوى العبادة.

وهؤلاء قد غفلوا عن حقيقة ذات أهمية، وهي أن أية فائدة ينالها الإنسان إنما تزداد قوة؛ بحسب قوة الوسيلة الموصلة إليها، والمؤمن الحق عندما يقوم لربه تقدس اسمه بعبادة ما على ما ينبغي له تعالى؛ فإن مشاعره ووجداناته وباطنه وظاهره تكون متوجهة بأجمعها نحوه جل جلاله، وعليه فإن ما يناله المؤمن -بعد هذا التوجه الكامل-؛ من الفوائد -التي هي ثمرات لتلك العبادة-؛ لا يمكن أن يقاس بوجه؛ على ما يناله من قيامه بأمر عادي من أمور دنياه.

هـ- فإذا انضم إلى ذلك معونة الرب تبارك اسمه لعبده الصادق المخلص، ومدده له، ورضاه عنه، ومثوبته له، لاستحال على العقل -حقيقة- أن يدرك مدى عظم الفوائد والغايات الحسنة التي يحصل عليها المؤمن الصادق، نتيجة التزامه بالعبادات، وأدائه حقها[1].

والمتدبر يعلم أنه لا توجد قوة في الدنيا تعادل قوة المؤمن بالله تعالى، ذي الإيمان الكامل.

و- وأما غير المؤمن؛ فإما أن يكون من المؤمنين بأنواع من العقائد الغيبية الباطلة، كالديانات المحرفة، أو الوضعية، أو من الذين رفضوا الدين مطلقاً من الملحدين، وادعوا أنهم لا

(١) وهذا أمر لا يدركه من لم يؤمن بالله تعالى حقاً.

يؤمنون إلا بالأمور الواقعية والمحسوسة، كالوجوديين(١)، وكالداعين إلى الإيمان بالإنسانية(٢)، ونحو هذا.

فأما المؤمنون بباطلٍ من العقائد الغيبية؛ فهؤلاء لا تقارن قوة إيمانهم المعنوية؛ بقوة إيمان المؤمن بالله جل ذكره حقا، فالمؤمن الحق لا يزداد إلا قوة في إيمانه، ويقينا وثباتا، إذ هو يرى دواماً من دلائل صدق دينه؛ ما يمد إيمانه كل حين بالقوة والثبات، بالإضافة إلى ما يناله من ربه جل شأنه، مما لا يقدر بشر قدره.

إلا أن المصدق بعقيدة غيبية باطلة قد يظل مجاهداً من أجلها طَوال حياته، ويظن أنه سينال من وراء ذلك فوزاً عظيماً، ولهذا فإنه –من هذه الجهة– أفضل حالاً؛ ممن رفض الإيمان بالغيب مطلقاً، ووصل إلى درجة الإلحاد الكامل، فلم يؤمن إلا بظواهر ما يراه في الحياة الدنيا.

فمثل هذا الملحد يفقد الدافع الداخلي الذي يعطيه قوة كبيرة لملاقاة الصعوبات، وللمجاهدة في سبيل إحقاق ما يرى أنه الحق، فما الذي ينتظره لو أصابه ضر من جهاده هذا؟!، وما الذي يفيده الذكر بين الناس إذا لقي حتفه؟!. وماذا لو هلك ولم ينهل من ملذات الدنيا ما يظن أنه قد يشبع نهمه؟!. وهو في حقيقة الأمر لن يشبعه شيء(٣). ولماذا يكون هو المضحي بنفسه من أجل أن يستفيد الآخرون، ولا يكون الأمر على الضد من هذا؟!.

---

(١) الوجودية: ظهرت في القرن الثامن والتاسع عشر. والمقصود بمصطلح الوجود: الوجود البشري. وهو تيار فلسفي متعدد الاتجاهات، وأشهر اتجاهاته في الوقت الحاضر الوجودية الإلحادية. ورائدها مارتن هيدجر الألماني، من مواليد ١٨٨٩م. ثم نشرها: جان بول سارتر اليهودي الفرنسي، وهو أكبر مروج للوجودية الإلحادية المعاصرة. حتى صارت مرتبطة باسمه. وهذه الوجودية تكفر بالله ورسله عليهم السلام، وبكل المغيبات، وتؤمن إيماناً مطلقاً بوجود الإنسان، وأن الأديان خلال العصور لم تحل مشكلة الإنسان، وأن على الإنسان طرح كل القيود الدينية والاجتماعية والفلسفية، وأنه ليس هناك قيم ثابتة، توجه سلوك الناس وتضبطهم، مما أدى إلى شيوع الفوضى والإباحية والتحلل والفساد. ويرى سارتر أن قوله: (إن الإنسان حر)؛ مرادف لقوله: (إن الله غير موجود). وأن الموجودات بالفعل؛ لا وجود لها مثل ذلك في الذهن. وليس يوجد تعريف ثابت للإنسان، كيف ينبغي أن يكون، بل الإنسان يوجد أولاً، ثم يظل يخلق ماهيته، بما يختار لنفسه من شعور. وغير ذلك من أباطيل لا تقبلها العقول السليمة!.

انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة؛ عبد الرحمن الميداني. ٣٥٩-٣٧٨. و: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٥٤٣-٥٤٥. و: الموسوعة العربية العالمية: ٢٧/٥٣-٥٤.

(٢) الإنسانية: وتسمى العالمية أو الأممية، وهي فكرة تقوم على الاكتفاء برابط وحدة الأصل الإنساني، مع نبذ كل الفوراق القومية أو الوطنية أو الدينية، وما يتبعها من اختلاف في المذاهب والمبادئ والعقائد، ومناهج السلوك. وهي بذلك دعوى قامت بهدف نبذ المبادئ والمذاهب والمعتقدات، ومن ثم الأديان، وعلى رأسها الدين الإسلامي.

انظر: كواشف زيوف: ٢٤٧-٢٥٢، ٢٧٦-٢٨٥. و: مذاهب فكرية معاصرة: ٥٨٩-٦٠٤.

(٣) ويؤكد هذا أن أهل هذا الإلحاد في أيامنا هذه قد انغمسوا في الشهوات، إلى دركة لا يظن بأنها قد سُبق إليها، فيما مضى.

إنه لا يوجد شيءٌ مدمِرٌ لعمل الخير مطلقاً، وللعمل من أجل خير الآخرين، والجهاد في سبيل الحق؛ مثل الوصول إلى هذه الدركة من الإلحاد. وأصحاب هذه المنزلة لو وجد عندهم اندفاع ما لسبب طارئ، فإنه يكون مؤقتاً، سرعان ما يخنس ويختفي أثره، وقد يرجع سبب الاندفاع إلى وجود نوع من الحماس الجماهيري، لمعارضة أمر واقع أثار غضبهم[1].

ز- فهل بعد هذا مجال للمقارنة بين ما يحصل عليه المؤمن من الغايات والفوائد الدنيوية من جراء أدائه العبادات، وبين ما يُزعم نيله لغير المؤمن، نتيجة قيامه بأعمال دنيوية صرف، غير موصولة بأية عقيدة إيمانية راسخة؟!.

إن قطع الصلة بين فوائد وغايات العبادات؛ وبين الله جل شأنه المستحق لهذه العبادة، ليس فيه جناية على الحق والواقع فحسب؛ بل إنه منزلق خطير إلى هاوية الإلحاد الكامل، الذي لا يجلب إلا الشر والتعاسة للفرد والمجتمع.

ح- ثم إن العقل أمامه احتمالات كثيرة ولا مرجح لأحدها، فكيف يستطيع أن يحكم بواحد من هذه الاحتمالات بأنه هو الذي سيرضي ربه جل شأنه؟!. وقد يغيب عنه من الاحتمالات ما يغيب، وهذا في اختيار حركة أو هيئة يتوجه بها الإنسان نحو ربه جل جلاله. فكيف يكون الحال في تكوين عبادة متكاملة مكونة من عدة حركات وهيئات، ولها شروط وأوصاف وأحكام...؟!. إن الأمر عندئذ يصبح من درجة المستحيل، إذا أراد المرء مرضاة الله تعالى حقاً.

ولو ترك ذلك المجال للبشر لاخترعوا عبادات؛ لا ترضي إلا أهواءهم وشهواتهم. ولاختلفوا فيما بينهم اختلافاً كبيراً. ولأتوا بصورٍ تسخط الله عنهم سخطاً عظيماً.

وهذا ما هو معلوم مشاهد عند أصحاب الديانات الوضعية.

ط - ثم إنه ما معنى دعوى إمكان أن يكون للعقل مدخل في هذا المجال، الذي يراد به نيل رضا الله تعالى، وذلك مع وجود التشريع الرباني المنزل والثابت؟!. وهل يصر على هذه الدعوى من يهمه حقاً وحدة صف الأمة ووحدة كلمتها، وإزالة أسباب الفرقة بين أفرادها؟!. أم أن نشر مثل هذه الدعاوي الباطلة لا يزيد الأمة إلا تفرقا وتشتيتا، ولا يزيدها إلا تمزقا وتقاتلاً؟!. فما الذي يريده (العلماني) من فريته هذه؟!!.

إن الذي لا يقيم أي اعتبار للغاية العظمى والأولى من وراء أية عبادة أو عمل يقوم به المؤمن؛ والتي هي طلب الفوز برضا الله جل شأنه وطلب القرب منه تعالى، ونيل ثوابه العظيم في

(١) وذلك كما حصل مع الشيوعية والشيوعيين في العصر الحاضر.

الدار الآخرة، والنجاة من عذابه الشديد؛ إن الذي يكون منه ذلك لا يستبعد أن يصدر عنه أي افتراء على الحق وعلى الدين، ما دامت أن الغايات منحصرة عنده فيما يحصله الإنسان من منافع في حياته الدنيوية.

الحقيقة الثانية: وهي حقيقة تشمل عدة أمور:

أ- أن الغايات من العبادات والأحكام الشرعية كثيرة، حتى الغايات الدنيوية، والحق أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بأنه قد أدرك جميع تلك الغايات من وراء أية عبادة، والعاقل المنصف يضع في حسبانه هذا الأمر دواماً، ومن ثم فإنه لا يمكن أن يتصور أحد أنه يمكنه أن يقوم بأعمال تغنيه عن أداء العبادات المشروعة، فإن كثيراً من الغايات الحسنة تتحقق من وراء إقامته لتلك العبادات، على أحسن ما يستطيعه، وهو قد لا يشعر بتحققها.

ب- ثم أيهما أولى: إقامة عبادة مشروعة تحقق غايات كثيرات على أكمل الوجوه؛ أم تفريق تلك الغايات على أعمال متعددة، قد يضعف الإنسان عن أدائها جميعاً، ومن ثم يضيع عليه نيل كثير من تلك الغايات الحسنات النافعات.

جـ- ثم إن المتأمل في طبيعة الإنسان مهما كان من العامة أو الخاصة؛ يرى أنه بحاجة إلى أمور مادية ليلتزم بها، تضاف إلى الأمور المعنوية، التي طلب منه كذلك أن يتحقق بها، وتكون تلك الماديات مكملات لهذه المعنويات.

فالمعنويات المجردات كثيراً ما يغفل الإنسان عنها، ولكنها إذا ارتبطت بأمور مادية لها هيئاتها وأوقاتها وصفاتها المحددة، كان في ذلك أكبر العون للإنسان على الالتزام، وتحقيق ما هو مطلوب منه. والعبادات تحقق له ذلك على أحسن الوجوه.

د- ثم إن الإنسان روح ونفس وجسد، والعبادات المشروعة كالأحكام الشرعية الأخرى؛ تلبي حاجات كل منهما على أكمل وجه. ولذلك فالعبادات تجمع بين الباطن والظاهر[1]. فالمؤمن يقوم بحركات العبادة بأعضائه الظاهرة، وقلبه ووجدانه وعقله حاضر مع هذه العبادة، مع أقوالها وأفعالها وحركاتها، يتفكر فيها وفي الغايات من ورائها، فيبذل جهده لإحسان عبادته حتى يحصل على أفضل ما يمكن أن يناله من غاياتها.

ومن خلال كل ما سبق يتبين مدى عظم كفر وافتراء من لم ير للعبادات ميزة تختص بها إلا أن فيها توحيداً للسلوك، وأنها أكثر ضماناً للوصول إلى الغايات من وسائل أخرى مازالت تحت التجربة!.

---

(١) راجع: دراسات في النفس الإنسانية؛ محمد قطب: ٦٤-٧٠.

القضية السادسة: أمثلة من العبادات التي ادعى (العلماني) إمكان الوصول إلى غاياتها من خلال وسائل أخرى، (وجميعها من أركان الإسلام الخمسة):

العبادة الأولى: عبادة الصلاة:

تحدث (العلماني) عن غايات عبادة الصلاة فلم يذكر إلا اليسير جداً منها، ثم بنى على هذا الذي ذكره باطله الذي دعا إليه من قبل؛ وهو إمكان استبدال غير العبادة بها، ما دام أنه يمكن الوصول إلى كل غاية ذكرها؛ من خلال وسائل أخرى، بزعمه الباطل. فمما ادعاه:

(وإذا كانت الغاية من الصلاة هي: الاطمئنان الداخلي، وحضور الفكر اليومي، والرجوع إلى الباطن، لتعادل الكفة مع مشاغل الحياة اليومية؛ فيمكن تحقيق هذه الغاية لا بالصلاة وحدها؛ بل بالتفكر أو التأمل، أو الاكتفاء بالفنون والآداب والعلوم!.

وإذا كانت الغاية من الصلاة: الإحساس بالوقت، ووقوع الأفعال في الزمان والإحساس بالفور، وبأن لكل لحظة فعلاً، وإلا لكان الفعل قضاء؛ فإنه يمكن الحصول على هذا الإحساس بالزمان ليس بالصلاة وحدها، ولكن بالإحساس بالعمر والشعور بالغاية والرسالة، وبضرورة العمل على تحقيقها، ووضع خطة يومية للتنفيذ على مراحل.

وإذا كانت الغاية من الصلاة: صحة البدن وسلامة الأعضاء ونظافة الجسد...؛ فإن الإنسان يستطيع أن يحصل على هذه الفائدة لا بالصلاة وحدها، ولكن عن طريق الرياضة البدنية، وبالنظافة الدائمة)(١).

إنه مما لا شك فيه أن تلك الدعاوي الباطلة والواردة في المقولة السابقة؛ لا يمكن أن تصدر إلا عمن لا نصيب له في الدين مطلقاً.

إذ إن أول ما تدل عليه هو عدم التفات مفتريها إلى أن المقصد الأساسي من عبادة الصلاة -كما هو الحال في سائر العبادات-؛ إنما هو تحقيق المؤمن عبوديته لربه عز وجل، على الوجه الذي يرضيه تعالى.

إن كل مؤمن حق يعلم يقينا أنه لا يوجد أي عمل -بل أعمال مهما بلغت- يمكن أن يغنيه عن أداء فرض صلاة واحد، وذلك لإيمانه بعظم أهمية هذا الركن من أركان الإسلام. وبأن

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢١.

الصلاة هي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، فإن صلحت؛ صلح للمحاسب سائر عمله، وإن فسدت؛ فسد له سائر عمله[1]. وبأن منكر وجوبها -أو وجوب أي من العبادات المفروضة- هو من الذين خلعوا ربقة الإسلام من عنقهم بالكلية.

وعلى الرغم من ذلك كله؛ فإنه نظراً لبعد كثير ممن أعلنوا إسلامهم عن أداء العبادات المفروضة عليهم تهاوناً وتكاسلاً، وبعد كثير من المواظبين على أداء العبادات؛ عن إدراك مضامينها ومقاصدها، وأداء كثير منهم تلك العبادات بجوارحهم الظاهرة، دون الباطنة؛ نظراً لذلك كله فإنه لابد من بيان شيء من فوائد تلك العبادات المفروضة، على الوجه الذي يُشعر المسلم بعظم أهمية التزامه أداء العبادة الأداء الأمثل، ويجلعه يدحض أية شبهة، ويخرس مفتريها.

أولاً: أهم فوائد عبادة الصلاة:

قال جل شأنه:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾ العنكبوت.

١- إن المواظب على أداء الصلوات في أوقاتها، والمقيم لها على الوجه الذي تستحقه باطناً وظاهراً، لابد أن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، أي أن مراقبة الله فيها، وتدبر ما يتلى فيها من آيات الله تعالى، وما يقال فيها من الأذكار والأدعية؛ من شأنه أن يحمل الإنسان على تجنب أنواع الفحشاء والمنكر.

فمن يصلي صلاة خاشعة يستشعر دواماً مراقبة الله تعالى له في جميع أحواله، وأنه جل شأنه القادر عليه، والمتفضل عليه بشتى أنواع النعم. وأنه تبارك اسمه سينيله ثوابه إذا أطاعه، وسيعرضه للعقوبة إذا عصاه، والعبد المؤمن المصلي لا شك أن همه الأكبر الفوز بثواب الله تعالى، والنجاة من عقابه. كما أنه بصلاته يستشعر أنه يقرب من ربه جل جلاله، فهو حريص على ألا يرتكب خارج صلاته ما يضيع عليه هذا القرب الذي ناله.

كذلك فإن آيات الله تعالى المتلوة في الصلاة تحوي الكثير من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والمؤمن المصلي عندما يقرؤها ويتدبرها حقيقة سيجد في نفسه دافعاً قوياً لتطبيق ما جاء فيها في واقع حياته. فمقتضى الإيمان الكامل بشيء أن تظهر آثاره واضحة جلية في السلوك.

وحتى لو حدث زلل تذكر المصلي آيات التوبة والرحمة وطلب الرجوع وعدم اليأس والقنوط، فأسرع بالإنابة إلى ربه جل شأنه وسؤاله المغفرة والعفو.

---

(١) انظر: الحديث وتخريجه: ٤٤١.

ولا شك أن المصلي الذي لا يحصل له شيء من ذلك؛ فإن صلاته ناقصة غير كاملة، وهي ليست أكثر من حركات يؤديها، دون أن يوجد منه حضور للقلب والفكر مع أقواله وأفعاله.

٢- وكذلك فإن الملتزم بأداء الصلوات المفروضة جماعةً؛ يستشعر أهمية الحفاظ على كيان الأمة والمجتمع الذي هو فرد من أفراده، فهو مع إخوانه أثناء أداء الصلاة جماعة كالجسد الواحد، قيامهم واحد، وركوعهم وسجودهم، ودخولهم إلى الصلاة وخروجهم منها؛ كله واحد. قد خلا قلبه من أي غلٍ أو ضغينة على أي واحد من إخوانه، فهم كالنفس الواحدة وكالبنيان المرصوص، وليست الرابطة بينهم على أمر من أمور الدنيا، حتى تتعرض للانقطاع أو للتبدل والتغيير، بل إن الرابطة بينهم هي الحب في الله تعالى، وهي لا تنقطع ولا تتغير أبداً، إلا إن زاحمتها الروابط الدنيوية.

فتختفي عندئذ كل أسباب الفرقة بين أفراد المجتمع وطبقاته، إذ يشعرون أنهم أمام الله تعالى سواسية، لا يفضل أحدهم على أخيه إلا بمقدار ازدياده من العمل الصالح، والذي منه محبته لإخوانه، وتقديم كل خير لهم، وعدم العلو والاستكبار عليهم، وتجنيبهم كل سوء وشر.

٣- وكذلك فإن من يقبل على صلاته بفكره ووجدانه كله؛ يشعر بأن حاله قد انقلب وتغير إلى الأحسن والأفضل، بمجرد دخوله فيها. قد انقلب من تشتت الأفكار إلى توحد الاتجاه، نحو غاية وحيدة سامية، ومن توزع الهموم إلى أن يكون همه كله أمراً واحداً.

قد كان قبل صلاته لا يفارق أموراً كثيرة، وقد يكون بعضها مما يجب عليه أن يتجنبه دواماً، وأما في صلاته فهو ملتزم بهيئة معينة في كلامه وفي حركته وفي جميع تصرفاته، دون أن يخل بشيء منها، وهو مجتنب كل أمر يتنافى مع ما يجب لصلاته، ولو كان مباحاً أصلاً[1].

ثم هو يجاهد في كل لحظة -من لحظات صلاته- جميع ما يمكن أن يُنْقِصُ من حُسْنِ صلاته وكمالها، ويشعر بالمعونة وهي تأتيه من قبل ربه جل شأنه، لتثبته على الخير والحق، وتعينه على صرف كل الشواغل والهموم.

إن من يعايش هذه الأمور حقاً في صلاته؛ فإنه عندما يخرج منها يسهل عليه -بل يرى أن من الواجب عليه- أن يقوم بتغيير كل ما يراه سيّئاً إلى الحسن، وما يراه ناقصاً إلى الكمال، على الوجه الذي يلائم كل أمر، وعلى القدر الذي يستطيعه.

فيسارع إلى إصلاح نفسه في جميع أحواله، وإلى إصلاح أهل بيته، وجيرانه، وإلى الإصلاح في عمله، وصولاً إلى إصلاح الأمة والمجتمع بأكمله.

(١) وهذا أمر واقع في عبادات أخرى، كالصيام والحج، على سبيل المثال.

٤- كما أن ذلك الالتزام في الصلاة -وفي سائر العبادات كذلك كالصيام والزكاة- يُعَلّمُ الإنسان ميزة الانضباط على المنهج الحق. فأمامه صراط واضح المعالم، عليه أن يلتزم حدوده، فلا يفسدها بالخروج عنها، ولا يتكاسل عن أداء مقتضيات ذلك الصراط والمنهج.

وهذه كلها أمور لابد منها لكل أمة تبغي النهضة والرقي في جميع مظاهر الحضارة.

٥- ولا شك أن من يستشعر ذلك كله -وأضعاف أضعافه مما يحتاج بيانه إلى بحوث مستقلة- أثناء أدائه للصلاة، ويتمثله حقيقة، لابد أن يعمل على تطبيقه وتمثله في جميع أحواله. فإن الصلاة فرصة لتدبر هذه المعاني وغيرها، ولكنها ليست هي المجال الأوحد لتطبيقها، بل كل أوقات الإنسان ولحظاته زمن صالح لتطبيق جميع تلك المعاني، على الوجه الذي لن يؤدي إلا إلى تكوين مجتمع متماسك متآزر، مكون من أفراد صالحين يحب بعضهم بعضاً، ويعمل كل منهم من أجل جلب السعادة له، ولجميع أفراد أمته ومجتمعه.

وظاهر أنه يوجد فرق كبير بين كون عبادة الصلاة -على سبيل المثال- تغرز هذه المعاني في نفس من يؤديها حقها، على الوجه الصحيح، حتى تجعلها جزأً من كيانه؛ وبين من يقول: إن هذه المعاني يمكن أن يصل إليها الإنسان بسبل شتى[1].

هذا في تدبر الصلاة بوجه عام، فكيف في تدبر كل حركة وكل كلمة؛ يقوم بها المصلي أو يقولها أثناء صلاته؟!.

٦- ولو أخذ الدارس السجود وحده؛ لوجد فيه من المعاني ما يشعر معه يقيناً أنه غير قادر على إحصاء ما فيه من حكم وآثار حسنة على المصلي حقيقة:

أ- فهو يعلمه غاية التواضع لله جل شأنه، وأن الإنسان -في حقيقة أمره- لا يملك سبباً من نفسه يجعله يتكبر أو يستعلي على غيره، من غير وجه حق. وفي هذا تليين للجانب، وتعليم لحسن الخُلُقِ مع الخَلْقِ.

ب- كما أن هذا السجود نفسه يعطيه إحساساً بالعزة والرفعة، لأنه سجود لله الفرد الصمد جل جلاله، دون غيره من خلقه. لذا فإن المشاعر فيه تختلف تماماً عما يشعر به المستضعفون تجاه المستكبرين في الأرض بغير حق[2].

إن المؤمن المصلي يعلم أن الذي يستحق الخضوع له هو الله وحده جل شأنه، لأنه هو

---

(١) حسن حنفي: لم يذكر كما سبق بيانه إلا شيئاً يسيراً عن فوائد الصلاة. انظر: ٤٢١.

(٢) انظر: ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة: ٢٦٤-٢٦٦.

الرب الإله وحده لا شريك له، وهو وحده المتصف بكمال الأسماء والصفات. وهذا يجعله يوقن أنه لا شيء في الوجود من دون الله تبارك اسمه يستحق أن يخضع له ويذل، وأن قوى الطغيان والشر والفساد مهما بلغت، فإنها لا شيء أمام خالقه وخالق الوجود كله جل جلاله، وأنه إن أراد العزة والغلبة؛ فلا يطلبها إلا من مالكها على الحقيقة، وعندئذ فسيكون عنده من مشاعر العزة والعلو على أعداء الله تعالى؛ ما يجعله يشعر بأن الغلبة له ولإخوانه المؤمنين، وإن اقتضت حكمة الله جل شأنه أن يملي للكافرين، ويمكّنهم في بعض الأوقات من العلو في الأرض؛ فإن الغَلَبَ والفلاح لابد أن يكون في النهاية لأولياء الله تعالى وعباده المؤمنين. بل إن شعور الساجد المؤمن أنه عزيز بربه جل وعلا وهو في أشد حالات تواضعه؛ يجعله حتى في الأوقات التي يتمكّن فيها أعداء الله جل شأنه منه وتكون لهم غلبة عليه؛ يشعر بأن العزة له، والذلة والصغار لعدوه وعدو الله سبحانه. وقد يشعر بعض الكفار بالذلة أمام بعض المؤمنين، أقوياء الإيمان، ولو كانت الغلبة الوقتية لأولئك الكفار. فكيف الحال إذا اجتمع إلى ذلك التدبر؛ تَفَكُّرُهُ في آيات الله تعالى وهو يتلوها في صلاته، والتي تؤكد هذه المعاني وترسّخها في نفسه؟!. قال جل شأنه:

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ آل عمران.

وقال تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ (٥٦)﴾ المائدة.

وقال تبارك اسمه:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...(١٠)﴾ فاطر.

وقال جل جلاله:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (٨)﴾ المنافقون.

ج- ويتذكر كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح مسلم: ١/٣٥٠/ ح: ٤٨٢.

"عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة؛ إلا رفعك الله بها درجة، وحط بها عنك خطيئة"[١].

والمؤمن الذي يشعر بأنه كلما سجد لله تعالى؛ ازداد قرباً منه، وزاده تعالى بها رفعة؛ يعطيه ذلك شعوراً بالقوة والعزة بالله تعالى وحده، مما يجعله راسخاً أمام أي أمر يصيبه، لا يضيره منه شيء، لا في نفسه ولا في دينه. وأما الجسد فهو قد باعه، في مقابل الفوز بعظيم الثواب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ (١١١)﴾ التوبة.

٧- وهذه المعاني وغيرها مما يصعب احصاؤه؛ ما كان ليحس بها المؤمن ويعيشها لولا أنه متوجه بصلاته وبفكره كله نحو ربه جل شأنه، يستمد منه القوة، التي تتضاءل أمامها قوى الشر والبغي والطغيان جميعها.

لا شك أن من أسباب ضعف المسلمين هو أن كثيراً من الملتزمين منهم بأداء العبادات؛ قد أصبح قيامهم بها عبارة عن مجرد أداء واجب، حتى لا تترتب عليهم تبعة ترك العبادة. ونسوا أن أية عبادة يقومون بها؛ لها من المصالح والفوائد والغايات الحسنة العاجلة والآجلة، الخاصة والعامة؛ ما لا يحصيه إلا الله جل شأنه، ولكنها لا ينالها إلا من أقبل على عبادته بباطنه وظاهره جميعاً. قال صلى الله عليه وسلم:

"أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا يرى فيه خاشعاً"[٢].

وإذا ارتفع الخشوع ارتفع معه التدبر والتفكر، وأصبحت الصلاة حركات يؤديها الإنسان من باب العادة، دون أدنى تأثير في حياته!!.

---

(١) رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح مسلم: ٣٥٣/١/ ح: ٤٨٨.

(٢) رواه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه. مسند الشاميين: ٤٠٠/٢/ح:١٥٧٩. ورواه بلفظ: "أول ما يرفع من الناس الخشوع"، عن: شداد بن أوس رضي الله عنه، في: المعجم الكبير: ٢٩٥/٧/ ح: ٧١٨٣، ٤٣/١٨/ح: ٧٥. وروى نحوه الدارمي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، سنن الدارمي:٩٩/١/ح: ٢٨٨. و: الحاكم في المستدرك عن شداد: ١٧٨/١/ح: ٣٣٧، وقال الحاكم: هذا صحيح، وقد احتج الشيخان بجميع رواته، ووافقه الذهبي. وفي: ١٧٩/١/ح:٣٣٨، عن عبادة، وصحح الإسناد، ووافقه الذهبي. و: الترمذي في: السنن، عن شداد: ٣١/٥/ح:٢٦٥٣، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني. وروى نحوه: ابن حبان عن شداد رضي الله عنه، صحيح ابن حبان: ٤٣٣/١٠/ح:٤٥٧٢، وقال المحقق: شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وكذا في:١١٥/١٥/ح: ٦٧٢٠، وصحح الإسناد: شعيب الأرناؤوط. و: البخاري في: خلق أفعال العباد: ٧٩. و: النسائي في السنن الكبرى: ٤٥٦/٣/ ح: ٥٩٠٩.

إن الغايات من وراء عبادة الصلاة وحدها -مثلاً- تبلغ من الكثرة حداً؛ لو قدر أن إنساناً أراد أن يستبدل بها غيرها ليُحصِّل الغايات نفسها؛ لما كفاه وقت يومه كله في أداء الأعمال التي يظن أنها تغنيه عن الصلاة، هذا بالنسبة إلى الغايات الدنيوية، ومع العلم بأن كل مؤمن يعلم أن ما يناله من الخير -حتى الدنيوي العاجل- الذي يحصل له من جراء قيامه بأية عبادة؛ لا يقارن بما قد يصيبه غيره من قيامه بأعمال بديلة عن العبادات، ولا يتوجه بها نحو الله جل شأنه. فكل منهما يقوم بالسبب، ولكن سبب أحدهما متصل بالله تعالى، والآخر منقطع عنه، فلا مجال للمقارنة بينهما[١].

وأما تحقيق عبودية الله جل جلاله؛ فإنه لا يوجد عمل أو أعمال -مهما بلغت- تقوم مقام الصلاة وحدها؛ للوصول إلى تلك الغاية، فكيف الحال مع سائر العبادات؟!!.

﴿... وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (٨)﴾ المنافقون.

فأين هذا كله مِن ظَنِّ مَن ادعى أن الغاية من الصلاة تنحصر في:

- الوصول إلى الطمأنينة، وهذه يمكن نيلها بالتفكر المجرد، أو الاكتفاء بالفنون والآداب والعلوم!!.

- الإحساس بالوقت، وهذا يمكن نيله بالإحساس بقيمة الوقت والعمر، ووضع خطة يومية للعمل!!.

- نظافة البدن وسلامة الأعضاء، وهذه يمكن نيلها بالنظافة والرياضة؟!![٢].

وهل يوجد مؤمن عاقل يظن أن هذه البدائل المزعومة مجتمعة أو مفرقة؛ يمكن أن تقوم مقام الصلاة؟!، أو يظن أن الغايات من عبادة الصلاة تنحصر في تلك الأمور؟!.

ثانياً:

وفوق ما سبق فإن الفوائد من الصلاة التي ادعى (العلماني) ظلماً أنها يمكن أن تنال بوسائل أخرى؛ يمكن للمتدبر أن يجد البون واسعاً بين ما يناله المؤمن من تلك الفوائد من خلال صلاته لربه عز وجل؛ وما يناله غيره من خلال الوسائل البديلة المزعومة.

ولضرب المثال عل ذلك؛ فإنه يمكن عقد مقارنة بين ما يناله المؤمن من الطمأنينة من خلال الصلاة؛ وما يناله من يحاول نيل الطمأنينة بوسائل أخرى، مع قطع صلته بربه جل جلاله:

---

(١) انظر ما سبق: ٤٤٣.

(٢) انظر ما سبق: ٤٢١.

الحال الأولى: حال المؤمن الحق وهو يقوم بأداء العبادات المشروعة:

١- إن المؤمن حقاً يوقن أن الطمأنينة التي يحصل عليها من الصلاة التي يتوجه بها لربه جل جلاله، أو من أية عبادة يتوجه بها لربه تعالى؛ هي طمأنينة وراحة نفسية حقيقة تكمل بمدى كمال حضور فكره وقلبه أثناء أدائه للعبادة.

وهو يوقن أيضاً أنه لا وجه للمقارنة بين الطمأنينة التي يحصل عليها من عبادةٍ يتوجه بها نحو ربه جل جلاله، وبين ما قد يشعر به أي إنسان يقوم بعمل لا يريد به وجه الله تبارك اسمه، ويظن أنه سيصل به إلى الطمأنينة والراحة المنشودة. ومثل هذا اليقين لا يوجد عند غير المؤمن أبداً، وإن ادعى المفترون غير هذا!.

٢- وذلك أن النفس بطبيعتها في قلق دائم نتيجة ضغوط الحياة، ونتيجة خفاء المصير في المستقبل، والخوف من أن يلاقي الإنسان ما لا يحبه أو يفقد ما يحبه، وغير ذلك من أمور من الطبعي أن تشغل فكره، وتثير في نفسه أنواعاً من القلق المؤدي إلى المخاوف، التي تتنافى مع وصف الطمأنينة.

ومهما عمل الإنسان غير المؤمن؛ فإنه لا يمكن أن يجد ما يسكّن مخاوفه من كثير من الأمور المستقبلية، لأنه إما أن يعتمد على مسكّنات وقتية، أثرها اللاحق السيئ؛ أعظم مما تخدع به صاحبها من طمأنينة كاذبة، كما يحصل لمن يتناول أنواع المغيّبات العقلية، والتي يكثر جداً تناولها عند غير المؤمنين، أو ضعاف الإيمان، وكثير منهم يقرّ بأن سبب تناوله لها؛ هروبه من المشاكل والمخاوف المحيطة به.

وإما أن يعتمد لتسكين مخاوفه؛ على مبدأ شغل فكره بأنواع من التفكير في مسائل من العلوم -على سبيل المثال-، ولكن هذا لا يعني أنه قد قضى بذلك على تلك المخاوف، بقدر ما أنه قد شغل نفسه لوقت ما بأمور أخرى، وسرعان ما تعاوده مخاوفه بعد أن يكِلّ التفكير في تلك المسائل.

بل إن غير المؤمن حتى عند تفكيره في الأمور العلمية أو نحوها؛ تساوره بين الفينة والفينة؛ مشاعر من القلق، أو من عدم الارتياح والاستقرار النفسي، قد يدري لها سبباً، وقد لا يدري، ولكنها غالباً تعود إلى عدم وصوله أساساً إلى درجة الطمأنينة، أي السكون[١]، ولا يكون ذلك إلا بالأمن من جميع المخاوف، وهو لم يسلك السبيل الموصلة إليها حقاً، وما فعله لا يعدو

---

(١) انظر: تفسير فتح القدير: ٢٨٢/١.

كونه من الشواغل والصوارف العاجلة، والتي سرعان ما تنجلي عن فكره، لتعود مشاعر الخوف والقلق من جديد.

٣- إن الإيمان بالله تعالى، والتوجه له بالعبادة الحقة، هو وحده الذي يعطي ذلك الأمن والطمأنينة والسكينة. إذ إن الإيمان الحق يعطيه الإجابة عن التساؤل الذي يهم كل إنسان أمره، وهو التساؤل عن المصير. كما أنه يعطيه قوة وثباتاً لمجابهة أي أمر يلاقيه، في السراء والضراء، فالمصائب والشدائد التي تنال المرء في حياته الدنيا شأنها كشأن النعم والمتع؛ إنما هي لابتلائه واختباره؛ هل يكون فيها على ما يرضي ربه، أم يكون منه غير ذلك؟. فالدنيا وأحداثها ليست هي نهاية الأمر، بل هي مرحلة اختبار، على الإنسان المؤمن أن يجتاز عقبتها للوصول إلى الفوز الكبير الدائم، والنجاة من الخسران المبين غير المنقطع. قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧)﴾ الفجر.

فلا صنوف الإمداد بأنواع من زينة الحياة الدنيا ومتعها من الإكرام دواماً، ولا الضد من ذلك من الإهانة دواماً، بل إن الأساس في ذلك هو أن هذا وذاك إنما هو لابتلاء الإنسان، وامتحان عمله كيف يكون؟![1].

٤- ومن جهة أخرى: فإن المؤمن الحق همه الأكبر هو الفوز برضا الله جل شأنه، وهذا هو المقصود الأول من قيامه بالعبادات. وهو إذا أدى هذه العبادات المشروعة على الوجه الذي ينبغي لها ظاهراً وباطناً -مع التزامه شريعة الله جل شأنه في جميع شؤون حياته-؛ فإنه يكون قد تيقين من سلوكه السبيل الحق الموصلة إلى تلك الغاية. قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣١)﴾ آل عمران.

وقال صلى الله عليه وسلم:

"إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب. وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيَّنه، وإن استعاذني لأعيذَنَّه. وما تردَّدْتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥٠٩/٤.

الموت، وأنا أكره مساءته"[١].

فالمؤمن حقا يدرك ذلك؛ ومن ثم تطمئن نفسه لتيقنها بأنها قد سلكت طريق السعادة الحقيقية. وأما غير المؤمن فلا يملك مثل ذلك اليقين؛ فهو في قلق دائم.

٥- ثم إن من فاز برضا الله جل جلاله؛ فاز بالخير كله، ولعل من أعظم الخير في هذه الحياة الدنيا؛ الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية وهدوء البال، فالله تبارك اسمه يمد وليّه بهذا الخير أعظم إمداد وأكمله، قال تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ الرعد.

وذِكْرُ الله تعالى في كل حال لابد أن يؤدي إلى الاستقامة على منهجه سبحانه، لأنه كلما ذكر المؤمن ربه جل جلاله؛ ذكر مطلوب إلهه ومولاه تبارك اسمه منه في هذه الحال، فأداه أحسن أداء.

٦- وقد يذكر في هذا المجال؛ أن المؤمن الحق هو الذي إذا ذكر الله تعالى وجل قلبه، كما قال جل جلاله:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ الأنفال.

﴿وجلت قلوبهم﴾: (فرقت، أي: فزعت وخافت)[٢].

وهذا الذي ورد حق لا شك فيه، فإن المؤمن الصادق في إيمانه عندما يتوجه نحو ربه جل جلاله؛ فإنه يقبل عليه وهو مستشعر عظيم نعمته وفضله عليه، وعظيم حقه عليه، وأنه تعالى قادر عليه، وأن عنده الثواب العظيم لمن يعطيه، والعقاب الأليم لمن يعصيه.

فهو عند توجهه نحو ربه جل ذكره يصاحبه شعور الخوف من ألا يؤدي حق ربه سبحانه عليه، على ما ينبغي له تعالى، ومن ثم يخاف من فوت الثواب، وأن يصيبه شيء من العقاب، بسبب ذلك.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له. وكذا رواه عنه ابن حبان والبيهقي والمزي. البخاري: ٢٣٨٤/٥/ ح: ٦١٣٧. وانظر: صحيح ابن حبان: ٥٨/٢/ ح: ٣٤٧. و: سنن البيهقي الكبرى: ٣٤٦/٣، ٢١٩/١٠. و: تهذيب الكمال: ٩١/٢٦/ تر: ٥٤٦٠. وانظر روايات أخرى لعائشة وميمونة وأبي أمامة وأنس بن مالك رضي الله عنهم، في: مسند أحمد: ٢٥٦/٦. و: مسند أبي يعلى: ٥٢٠/١٢/ ح: ٧٠٨٧. و: المعجم الأوسط: ٣٦٠/١/ ح: ٦١٣، ٢٢١/٨/ ح: ٧٨٨٠. و: مسند الشهاب: ٣٢٧/٢/ ح: ١٤٥٦- ١٤٥٧. و: المعجم الكبير: ١٤٥/١٢/ ح: ٩ / ١٢٧. و: سنن ابن ماجة: ١٣٢٠/٢/ ح: ٣٩٨٩.

والمساءة: نقيض المسرة. انظر: مادة: (سوء) في: المعجم الوسيط: ٤٦٠/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٢٨٥/٢.

ولكن مثل هذا المؤمن عندما يُصدّقْ عَملُه قوْلَه واعتِقادَه، ويتوجه إلى ربه تبارك اسمه دواما بباطنه وظاهره، ويلتزم قدر ما استطاع سلوك صراط الله المستقيم؛ فإنه تعالى جده يقبله، في زمرة أوليائه، ويكفر عنه سيئاته، ويعفو عن لَمِمه، قال جل شأنه:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً(٣١)﴾النساء.

وقال سبحانه:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾ النجم.

ومن يقبله تعالى ويدخله في عباده الصالحين؛ يمده سبحانه بالطمأنينة، حتى إنها تصبح إحدى أوصافه الذاتية الملازمة له. ولهذا فإن الملائكة عندما تقبض روح المؤمن الصادق تنادي نفسه بأهم صفة لها، وهي صفة الطمأنينة، فتقول لها كما حكى الله جل شأنه:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ الفجر[1].

﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)﴾ يونس.

وقال تبارك اسمه:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣)﴾ طه.

٧- وهذه الأمور ثابتة للمؤمن في دنياه وآخرته. وأما ما قد يكابده المؤمن من بعض أنواع المصائب والبلاء؛ فإن الصادق في إيمانه يرى في مثل هذه الأمور، تكفيراً عن سيئاته، ورفعاً لدرجاته عند ربه عز وجل، مادام تصرفه حيالها قد كان على النحو الذي يرضيه عز وجل.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٤/ ٥١٠.

قال تعالى:

﴿... وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ الأنبياء.

فالشر في الآية يراد به المصائب التي يبتلى الإنسان بها، والخير: يراد به النعم التي يبتلى الإنسان بها كذلك، فكلاهما اختبار للإنسان وامتحان له، فإن أحْسَن التعامل معهما على الوجه الذي يرضي ربه؛ نال السعادة، وإن أساء فعلى نفسه قد جنى[١].

وقال سبحانه:

﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)﴾ التوبة.

وقال صلى الله عليه وسلم:

"ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة، أو حطت بها عنه خطيئة"[٢].

٨- فالمؤمن الحق يعيش حياته في رضا عن ربه جل شأنه، وفي راحة نفسية تامة، وطمأنينة كاملة. وهذا كله يدفعه إلى مزيد من إحسان العمل. بل إنه لا وجه للمقارنة بين العمل الحسن الذي يؤديه مطمئن القلب، وما يحاول أن يقوم به من عملٍ حسنٍ؛ صاحبَ القلبِ المليء بالهموم والغموم.

فهذه المعاني السابقة كلها عبارة عن غايات حسنة تنال المؤمن الملتزم بأداء العبادات، وإقامتها على ما ينبغي لها. واستنباط تلك الغايات قد أتى من خلال ارتباط تلك العبادات بمن يُتوجه بها إليه، وهو الرب الإله جل جلاله.

الحالة الثانية: حال من يقطع صلته بالله تعالى، وهو يقوم بأعمال بديلة للعبادة:

١- إن من يقوم بأعمال بديلة للعبادة، قاطعاً صلته بالله جل جلاله لابد أن يغفل -أو يتغافل- عن جميع ما سبق بيانه، بل وعن أضعافه. ومثل هذا الإنسان هو في حقيقة أمره قد لحق

(١) انظر: قاعدة في المحبة؛ ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم: ١٦٤-١٧١. وانظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين؛ ابن القيم الجوزية: ١٣٢.

(٢) رواه مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. صحيح مسلم: ٤/١٩٩١-١٩٩٢/ ح: ٥٧٢.

بركب من لم يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فَهَمُّهُ وإرادته متوقفان عند حدودها، وأما ذكر الله فقد تولى وأعرض عنه، وأما الآخرة فهو عنها في عمى، ولذلك فإنه يرفض أو يغفل عن أية غاية تتحقق للإنسان من التزامه بالعبادة، ولو في حياته الدنيا، ما دام أن تحققها مرتبط بحضور قلب العابد مع ربه جل شأنه، وطلبه رضاه والفوز بنعيمه.

قال تعالى:

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)﴾ النمل.

وقال جل جلاله:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾ الروم.

وقال عز من قائل:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)﴾ النجم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في بيان الفرق بين من كانت الآخرة همّه؛ وبين من كانت الدنيا همّه:

"من كانت الآخرة هَمُّهُ؛ جعل الله غِناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا هَمُّهُ؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له"[(١)].

٢- فالغافل عن الآخرة مهما ادعى لنفسه؛ هو في شقاء وتعاسة نفسية، وهموم وغموم، وضيق وضنك ملازم لا يفارقه. يلازمه الخوف من المستقبل بأن يأتي بما يكرهه، ويلازمه الخوف من أن يفارق ما يحبه، أو ألا يفارقه ما يكرهه، إذ لا سبيل للتعويض في نظره، فأي سعادة تظن عند مثل من يكون هذا حاله؟!. وَلْيَسْتر ذلك بما شاء من الزور، فسرعان ما ينكشف الباطل، ويظهر الحق عياناً لكل ناظر. فهل توجد مقارنة بين طمأنينة المؤمن؛ وبين الحالة النفسية التي يعيشها من لم يؤمن بالله حقاً؟!.

(١) رواه الترمذي والحارث في مسنده عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للترمذي. ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني والمزي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. سنن الترمذي:٤/٦٤٢/ ح: ٢٤٦٥، وصححه الألباني. وانظر: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث:٢/٩٨٢/ح: ١٠٩٢. وانظر: المسند: ٥/١٨٣. و: سنن ابن ماجه: ٢/١٣٧٥/ح: ٤١٠٥، وصححه الألباني. و: المعجم الكبير: ٥/١٤٣/ح: ٤٨٩١. و: تهذيب الكمال: ٦/٤٩٢. وصحح الألباني الحديث في: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢/١١٠٩٠ /ح: ٦٥١٠، ٢/١٠١١ / ح: ٦٥١٦.

العبادة الثانية: عبادة الصيام:

ولم يكن حال فريضة الصيام عند ذلك المفتري (العلماني) بأفضل من حال قرينتها السابقة، فمما افتراه عليها؛ ادعاؤه قائلاً:

(فالصيام مثلا وسيلة للإحساس بالآخرين جوعاً وعطشا، ولكن يمكن للإنسان أن يشعر بذلك دون الصيام وحده، وذلك بالالتزام بقضايا الفقر ومشاكل الجماعة. وإذا كان الصيام نوعاً من الراحة للبدن؛ فإنه يمكن للإنسان أن يخفف من طعامه وشرابه، وقاية للبدن، وحرصاً على صحته. وإذا كان الصيام يدل على أن للإنسان إرادة على بدنه، وقدرة على التحكم في وظائفه العضوية؛ فيمكن للإنسان أن يمارس هذه الإرادة في مواقف اجتماعية، في حالة حصار، أو سجن أو فقر)(١).

ومن أبرز أباطيل الفرية السابقة:

الباطل الأول: قطع صلة ذلك الفرض العظيم الذي هو من أركان الإسلام الخمسة؛ عن صاحب الحق الأوحد فيه، وهو الله جل جلاله، ومن ثم عدم الالتفات إلى شيء من الثواب العظيم الذي رتبه عليه تبارك اسمه، كالذي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:

"من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه"(٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم:

"من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً وإحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه"(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم:

"كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به. يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة

---

(١) انظر: ما سبق: ٤٢١.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٢٢/١/ح: ٣٧، وانظر: ٧٠٧/٢/ح: ١٩٠٥. و: صحيح مسلم: ٥٢٣/١/ ح: ٧٥٩.

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٦٧٢/٢/ح:١٨٠٢، وانظر: ٧٠٩/٢/ح: ١٩١٠. و: صحيح مسلم: ٥٢٣/١/ح: ٧٦٠.

عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك"(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم:

"إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم..."(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:

"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه. ويقول القرآن منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان"(٣).

إنه مما قد يلاحظ في عبادة الصيام –وغيرها من العبادات– أن الله تعالى قد اختار عدداً من أفعال الإنسان، وجعل لها شروطاً وأحكاماً، وأمره أن يعبده من خلالها عبادة مخصوصة.

والامتناع عن بعض الأمور: إما لمضرتها المطلقة، أو لمضرتها بالنسبة إلى شخص معين،

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم، كما رواه مالك والدارمي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والنسائي والبيهقي وأبو يعلى. صحيح مسلم: ٢/٨٠٧/ح: ١١٥١. وانظر: صحيح البخاري: ٢/٦٧٣/ ح: ١٨٠٥،٢/٨٠٧/ ح: ١١٥١. و: موطأ مالك: ١/٣١٠/ ح: ٦٨٣. و: سنن الدارمي: ٢/٤٠/ ح: ١٧٧٠. و: مسند أحمد: ٢/٢٥٧، ٢٧٣، ٢٨١، ٤٦٥، ٥٠٣، ٥١٦، ٤٧٧. و: صحيح ابن حبان: ٨/٢١٠/ ح: ٣٤٢٣. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/١٩٧/ ح: ١٨٩٧. و: السنن الكبرى: ٢/٩١/ ح: ٢٥٢٦، ٢٥٢٧، ٤/٣٠٤/ ح: ٨٢٩٠، ٨٢٩١، ٨٢٩٢، ٤/٢٧٣/ ح: ٨١١٦. و: مسند أبي يعلى: ١٠/٣٥٣/ ح: ٥٩٤٧.

(٢) رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن حبان وابن خزيمة وأبو يعلى والطبراني وعبد بن حميد عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٢/٦٧١/ ح: ١٧٩٧. وانظر صحيح مسلم: ٢/٨٠٨/ح: ١١٥٢. و: المعجم الكبير: ٦/١٩٢/ح: ٥٩٧٠. و: سنن الترمذي: ٣/١٣٧/ح: ٧٦٥. و: المجتبى من السنن: ٤/١٦٨/ ح: ٢٢٣٦، ٢٢٣٧. و: سنن ابن ماجة: ١٠/٥٢٥/ ح: ١٦٤٠. و: مسند أحمد: ٢/٤٤٩، ٥/٣٣٣، ٣٣٥. و: صحيح ابن حبان: ٨/٢٠٨/ ح: ٣٤٢٠. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/١٩٩/ ح: ١٩٠٢. و: السنن الكبرى: ٢/٩٤/ح: ٢٥٤٤، ٢٥٤٤، ٢٥٤٥. و: سنن البيهقي الكبرى: ٤/٣٠٥. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/١٩٩. و: مسند أبي يعلى: ١٣/٥٢٥/ ح: ٧٥٢٩. و: المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٦٨/ ح: ٤٥٥.

(٣) رواه أحمد والحاكم والبيهقي وابن المبارك والذهبي وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ لأحمد. مسند أحمد: ٢/١٤٧. و: انظر: الزهد؛ ابن المبارك: ١/١١٤/ ح: ٣٨٥. و: الحاكم في: المستدرك: ١/٧٤٠ / ح: ٢٠٣٦، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. و: البيهقي في: شعب الإيمان: ٢/٣٤٦/ح:١٩٩٤. و: سير أعلام النبلاء: ١٢/٢٢. و: حلية الأولياء: ٨/١٦١. وانظر: مجمع الزوائد؛ الهيثمي:٣/١٨١، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح، وفي ١٠/٣٨١، وقال: رواه أحمد، وإسناده حسن، على ضعف في ابن لهيعة، وقد وثق. و: المنذري في: الترغيب والترهيب: ٢/٥٠، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن. والحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢/٧٢٠ /ح:٣٨٨٢.

وإما لسبب آخر؛ هو مما يكون من البشر عادة، بل إن كثيراً منهم يجاهد نفسه في سبيل امتناع يقوم به، لتحقيق نتيجة يصبو إليها.

وعلى ذلك يمكن القول: إنه جل جلاله قد اختار من هذا الامتناع ذلك الصيام، الذي افترضه علىعباده في شهر رمضان، وندبهم إليه في أوقات أخر، وجعل له شروطاً وأحكاماً، واعتبره من أفضل العبادات الخاصة، التي يتوجه بها المؤمن نحو ربه تبارك اسمه.

وقد أمر به صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة فقال له:

"عليك بالصوم، فإنه لا مثل له"[(١)].

الباطل الثاني: وهو يتعلق بالفوائد اليسيرة التي ذكرها (العلماني) للصيام.

ويردّ عليه بما يلي:

أولاً: إن الأمر العام الذي يصر ذلك (العلماني) على تجاهله هو أن المؤمن مع اختصاصه بثواب الآخرة؛ فإن الله تعالى يكرمه بحصوله على الفوائد الدنيوية، على أحسن وجه، فضلاً منه تعالى، على الرغم من أنها لم تكن هي دافعه إلى القيام بالعمل الصالح. ثم إن حصول المؤمن على تلك الفوائد أعظم من حصول غيره عليها بالوسائل المغايرة، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن التزام المؤمن بعبادته لا يقارنه أي التزام آخر، لقوة الدافع، وثباته واستقراره.

السبب الثاني: أن معونة الله تبارك اسمه لعبادة المؤمنين الصالحين؛ أعظم وأجل مما يمد تعالى به سائر العباد. وهذا له أثر كبير على ما يناله المؤمن من الغايات الحسنة، بسبب أدائه العبادات المشروعة[(٢)].

ثانياً: ثم إنه لو درس الباحث الفوائد التي ذكرها (العلماني) للصوم وادَّعى إمكان

---

(١) رواه النسائي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والحاكم والطبراني والحارث عن أبي أمامة رضي الله عنه، واللفظ للنسائي. المجتبى من السنن: ١٦٥/٤/ ح: ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، وصححه الألباني. وانظر: مسند أحمد: ٢٥٥/٥، ٢٥٧. و: السنن الكبرى: ٩٢/٢/ح: ٢٥٣٠، ٢٥٣١، ٢٥٣٣. و: صحيح ابن حبان: ٢١٣/٨/ ح: ٣٤٢٦، وصححه شعيب الأرناؤوط. و: صحيح ابن خزيمة: ١٩٤/٣/ ح: ١٨٩٣. و: الحاكم في المستدرك: ٥٨٢/١/ ح: ١٥٣٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. و: المعجم الكبير: ٩١/٨/ ح: ٧٤٦٤. و: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٤٢٨/١/ ح: ٣٤٥، ٤٣٠/١/ ح: ٣٤٦. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٧٤٧/٢/ ح: ٤٠٤٤.

(٢) انظر ما سبق: ٤٤٣-٤٤٥.

الحصول عليها بوسائل أخرى؛ لوجد الفرق شاسعاً بين ما يحصل عليه المؤمن؛ وما يحصل عليه غيره من خلال وسائله المغايرة. وبيان هذا فيما يلي:

الفائدة الأولى: كون الصيام وسيلة للإحساس بالآخرين جوعاً وعطشاً، ثم زعم (العلماني) أنه يمكن للإنسان أن يشعر بذلك دون الصيام وحده، وذلك بالالتزام بقضايا الفقر ومشاكل الجماعة[1].

ويقال لهذا المفتري:

١- إن كل من له خبرة بالنفس الإنسانية وصفاتها؛ يدرك الفارق الكبير بين من يعيش تجربة معينة؛ وبين من يحاول أن يتخيل تلك التجربة بذهنه، وأن يدرك نتائجها، دون أن يعيشها مطلقا، ولو بصورة من الصور.

فالذي يشعر بالجوع والعطش، ويدركه من خلال واقع عملي إرادي (كالصيام)؛ يدرك -إلى درجة كبيرة- مدى عظم ما يعانيه مَن هو ملازم لهما لا يكاد يفارقهما؛ قهراً وجبراً لا اختيار له فيه.

٢- وأما ذلك الذي يدعي أنه ملتزم بقضايا الفقر...، دون أن يمارس أية تجربة حقيقية؛ فإنه مهما حاول لا يكاد يصل إدراكه لنتائج هذه المشاكل؛ إلى معشار ما يصل إليه مَن عايشها، أو حتى ما يصل إليه مَن التزم بإرادته الصيام، الذي يعيش من خلاله واقعاً عملياً مشابهاً لواقع الفقير والمحروم.

٣- ومن ثم فإن الحماس والاندفاع الحقيقي والمخلص يختلف اختلافاً كبيراً بينهما. كما أن القدرة على وضع الحلول والخطط للخروج من الأزمات؛ تتباين بدرجة كبيرة بين من وُجِدَ في تلك الأزمات؛ وبين من لم يوجد فيها، ولم يحس بها مطلقاً. فالأول قد أدرك حدودها وأبعادها ونتائجها وتأثيراتها، وأساليب الخلاص منها، وأما الثاني فإن كل ما يتعلق بهذه الأمور إنما يعتمد فيه: إما على تأملات فكرية، وشتان بين التأمل المجرد، والتأمل المبني على تجربة؛ وإما: على تجاربَ للآخرين، ولا يُقارَن بين ما يأتي الإنسانَ عن طريق سمعه فحسب، وبين ما يعايشه بجميع حواسه الباطنة والظاهرة.

٤- فهل توجد مقارنة بين من جاع وعطش؛ وبين من يحاول أن يدرك مشاعر الجائعين والعطاش، وهو دواماً متخم من الطعام والشراب أو يكاد؟!.

---

(١) انظر ما سبق ص: ٤٢١.

وفي المقابل: فهل يُسَوىَّ بين من يشعر بلذة طعام وشراب يتناولـه؛ وبين من يحاول جهـده أن يقدر ذلك بذهنه، مجرد تقدير، دون سابق تجربة؟!.

وهل من مميزات المنهج العقلي الحديث التسوية بين المتباينات؟!.

الفائدة الثانية: -من الفوائد التي ذكرها (العلماني)-: أن الصيام إذا كان راحة للبدن؛ فإنه يمكن للإنسان -على حسب زعمه- أن يخفف من طعامه وشرابه...، ا.هـ[(١)].

ويقال له:

١- إن من المعلوم أن الأطبـاء كثيراً ما يطلبون من العديد من المرضى أن يمتنعوا تماماً عـن تناول بعض المطعومـات والمشروبات حرصاً على سـلامتهم، فالامتنـا ع التـام المحـدد (بـالأنوا ع أو الأوقات)؛ هو نوع من الوقاية، ونوع من العلاج، فوق مستوى التخفيف المجرد.

٢- وأمر آخر يلاحظه المتدبر لِحِكَمِ الصيام؛ وهو أن الامتنـا ع التـام لوقـت محـدود عـن شهوات الطعام والشراب...؛ يجعل الصائم يدرك أهمية هـذه الأمـور بالنسـبة إليـه، وأن عليـه أن يقوم بما من شأنه ألا يحرمه مطلقاً منها، وهذا يجعله يعتدل في جميع أحواله.

٣- ومن المعلوم أن الإنسان محتاج إلى تكرار مثل هذا الدرس، لأنه بطبعه سريع النسيان، شرود الذهن؛ عن العديد مما له علاقة وثيقة به. وكثـيراً مـا تغلبـه شهوتـه، فـلا يبـالي بالاسـتزادة دواماً من الملاذ، ولو كانت عاقبة ذلك وبالاً عليه.

الفائدة الثالثة: من الفوائد التي ذكرها (العلماني): أن الصيـام إذا كان يدل على مـدى قوة إرادة الإنسان؛ فإنه يمكن له أن يمارسـها في مواقـف اجتماعيـة، في حالـة حصـار أو سـجن أو فقر[(٢)]!. ا.هـ.

ويقال له:

١- لا شك أن الصيـام فيه تدريب للمؤمن على تقوية الإرادة والعزيمـة، فباختيـاره وهـو في حالة رخاء من العيش؛ يقوم المؤمن بتنمية قوة تلك الإرادة والعزيمة، وذلـك بضبـط نفسـه عـن نيل طائفة من ملذاتها وشهواتها لمدة معينة.

٢- وعجيب أن يأتي بعد هذا مَن يطالب بتطبيق المناهج العقلية العلمية؛ ثـم يدعـي أمـراً

(١) انظر: ما سبق: ٤٢١.

(٢) انظر: الموضع السابق.

مؤداه: أنه يغني عن ذلك التدريب؛ ما يمارسه الإنسان في الظروف الاضطرارية التي تحيق به دون اختيار منه، كحالات الحصار والسجن والفقر!.

فهل يوجد أحد يدعي مثل هذا، وهو يعقل ما يقول؟!.

إن مثل هذا المضطر على الابتعاد عن ملاذه وشهواته؛ قد يكون في قرارة نفسه متذمراً من ذلك الذي أحاط به، ضائق الصدر، بل قد يخرج عن طوره وتصيبه الأزمات النفسية والعقلية. ومثله قد يسيء التصرف في كلا ظرفي الرخاء والشدة، فلو ارتفعت النازلة التي حلت به؛ فلربما ذهب ينغمس في الشهوات إلى ما لا حدّ له، تعويضاً عما فاته أيام محنته. ولو أحسن مثل هذا في شدته أو رخائه؛ فإن إحسانه لا يقارن ولا يقاس بإحسان من تلقي التدريبات الدائمة على إحسان التصرف في جميع الأحوال.

٣- إن أي عاقل يدرك تماماً أنه لا مجال للمقارنة بين الإثنين مطلقاً، فمن تلقى التدريب باختياره؛ إن جاءه ظرف اضطراري تصيبه فيه شدة؛ كان أقدر على حسن التصرف، وعلى الحكمة في التعامل مع مقتضيات هذا الظرف، فهو قادر على أن يعايش جميع الظروف على أحسن وجه.

إن مَثَل ذلك المدعي؛ مَثَل مَن يزعم أن التدريبات العسكرية وتكرارها؛ يغني عنها خوض الحروب مباشرة!!. فأي منهج ومنطق عقلي يناصره مطلق هذه الدعاوي؟!!.

٤- وكما أن الجندي بحاجة إلى تكرار التدريب؛ فكذا المؤمن في حاجة إلى تكرار تدريبه على تنمية قوة الإرادة والعزيمة.

الباطل الثالث: غفلته -أو تغافله- عن كثير من الفوائد -الدنيوية[1]- ذات الأهمية الكبيرة في حياة الإنسان المؤمن، والتي يجنيها من التزامه بعبادة الصيام، وإقامته لها على الوجه الذي تستحقه. وذلك دون أدنى إشارة، ولو ببيان وجود فوائد أخرى غير ما ذكر، ومن هذه الفوائد:

١- تدريب المؤمنين على اتباع منهج واضح المعالم، مبين الحدود، وذلك في جميع شؤون حياتهم[2].

(١) أما الدينية والأخروية فهو لها من الجاحدين، كما سبق بيانه. وإلا فإنها أضعاف أضعاف الفوائد الدنيوية البحته، على أنه من المستقر في نفوس المؤمنين أن جميع ما يتعلق بالدنيا هو من المجالات التي يمكن للمؤمن أن ينال بها عظيم الثواب؛ وذلك إذا وصلها بربه جل شأنه.

(٢) انظر ما سبق: ٤٥٠.

٢- في الصيام -ما في غيره من العبادات- تعميق لمبدأ وحدة الأمة في نفوس المؤمنين، ففي فرض الصوم تكون بدايته ونهايته الشهرية واحدة، وكذا اليومية[١]، وكيفية الصيام واحدة، وفرحة المؤمن عند الفطر اليومي واحدة، وفرحتهم عند انتهاء الصوم واحدة، فيجتمعون على صعيد واحد، ويتبادلون مشاعر الشكر لله تعالى، وتقوى أواصر المحبة والود بينهم.

٣- والصوم فرصة للإقلاع عن الأخلاق والعادات السيئة في المأكل والمشرب خلال مدة الصيام، تمهيداً للإقلاع عنها تماماً. إذ يشعر الإنسان أنه بإمكانه الإقلاع عما اعتاده من ذلك، ما دام أنه قد قدر عليه خلال مدة الصيام، وإن لزم الأمر مزيداً من قوة الإرادة. فالصيام فيه تنمية لهذه القوة على أحسن الوجوه.

٤- والصائم يتدرب على أن يضبط نفسه وتصرفاته خلال مدة صيامه، وعلى أن يجعل سلطان العقل هو المسيطر عليه، لا سلطان الهوى والنزعات النفسية، تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل. وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين.."[٢].

٥- الإحساس بقيمة النعم الربانية، ومن ثم المحافظة عليها وعدم إهدارها وإضاعتها. والمؤمن يتجدد شعوره بعظيم فضل الله تعالى من خلال هذه النعم، فيزداد شكراً لربه تبارك اسمه.

٦- وفي الصيام ترسيخ لخلق الصبر في نفس المؤمن، وتدريب له على تحمل المشاق. وفي هذا إعداد له لخوض غمار الجهاد الأكبر، الذي يلاقي فيه الإنسان من الصعوبات الشيء الكثير.

---

(١) وهذا بالطبع بالنسبة إلى أهل المنطقة الواحدة.

(٢) روى الحديث: الشيخان وأبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي وأبو يعلى والطبراني والطيالسي والحميدي وابن الجعد وهمام بن منبه، واللفظ للبخاري، وهو جزء من حديث رووه عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح البخاري: ٢/٦٧٠/ ح: ١٧٩٥، ٢/٦٧٣/ ح: ١٨٠٥. وانظر: صحيح مسلم: ٢/٨٠٦/ ح: ١١٥١. و: مسند أحمد: ٢/ ٢٤٥، ٢٥٧، ٣٠٦، ٣١٣، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٤، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥١١، ٦/٢٤٤. و: سنن أبي داود: ٢/٣٠٧/ ح: ٢٣٦٣. و: المجتبى من السنن: ١٦٣-١٦٤/ ح: ٢٢١٦-٢٢١٧، ٤/١٦٧/ح: ٢٢٣٤. و: السنن الكبرى: ٢/٩١/ح: ٢٥٢٦، ٢٥٢٧، ٢/٢٣٩-٢٤١/ح: ٣٢٥٢-٣٢٥٨، ٣٢٦٠. و: صحيح ابن حبان: ٨/٢٥٨/ ح: ٣٤٨٢، ٨/٢٥٩/ ح: ٣٤٨٤. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/٢٤٠/ ح: ١٩٩٢، ١٩٩٣. و: سنن البيهقي الكبرى: ٤/٢٦٩-٢٧٠. و: مسند أبي يعلى: ١١/١٤٤/ ح: ٦٢٦٦. و: المعجم الكبير: ١٠/١٢٩/ ح: ١٠١٩٨. و: مسند أبي داود الطيالسي: ٣٣١/ ح: ٢٥٣٧. و: مسند الحميدي: ٢/٤٤٢/ ح: ١٠١٤. و: مسند ابن الجعد: ٤١١/ ح: ٢٨٠١. و: صحيفة همام بن منبه: ٣٢/ ح: ١٥.

ومعنى (جنة): أي: سترة. انظر: مادة: (جنن) في: مختار الصحاح: ١١٤.

ومعنى (يرفث): من الرفث: وهو الفحش من القول. انظر: مادة: (رفث) في: مختار الصحاح: ٢٥٠.

٧- ومن خلال الصيام يتعلم المؤمن أن كثيراً من الخيرات لا تنال إلا بعد بذل الجهد والنَصَبِ، في سبيل الوصول إليها. فلا ينبغي للمؤمن أن يعتاد على نيل مطلوبه بيسر وسهولة، كلما أراد، بل إن الخيرات العظيمة لا يفوز بها إلامن بذل ذلك المجهود، فعلى المؤمن أن يدرك الفرق بين الخيرات العظيمات النفع والأثر؛ وبين ما سواها، وأن يعدّ نفسه لذلك.

ثم إن من ينشأ على حصول مطلوبه كلما أراد دون جهدٍ منه؛ ينهار عند أول معارض حقيقي يقف أمام تحقيق غاية له، بل إنه قد يصل إلى درجة أنه لا يتحمل أي تأخير في سبيل حصوله على أدنى مراد له، ويضطرب لذلك، ويسوء خلقه وقوله وفعله، ولا يصل إلى ما يريد، بل قد يفقد ما هو بين يديه.

والمؤمن مطلوبه الجنة، فهو يتعلم من الصيام -ومن سائر العبادات- أنه لن يفوز بها؛ إلا بعد أن يقدم الثمن الذي تستحقه.

٨- ثم إن الشهوات وسائر الرغبات الدنيوية تعتبر من الشواغل التي تصرف ذهن الإنسان -في كثير من الأحيان- عن أمور هامة عديدة خاصة وعامة، ولا سيما عند المستكثرين منها.

والمؤمن الصائم يبتعد عن هذه الشواغل لمدة مؤقتة، فيصفو فكره، ويتنبه إلى كثير مما كان لاهياً عنه، ويعطيه حقه من الاهتمام تفكيراً وتدبيراً.

وفي هذا درس للمؤمنين على أن يتبعوا مثل هذا المنهج لشؤون حياتهم بصفة عامة، في أزمنة متعاقبة، لكي لا يغيب عنهم شيء، مما قد يؤدي إلى عواقب تنال الأمة بأكملها.

٩- والصيام يساعد على إيجاد توازن نفسي بين التلبية الكاملة؛ والمنع الكلي للشهوات. فكثير من غير المسلمين يُرَوْن على طرفي نفيض، إما الانغماس الكلي في الشهوات؛ وإما الاجتناب الكلي لها، وكل هذا انحراف في السلوك، ولربما يصيب المؤمن شيء منه، فيأتي الصوم ويعيد له هذا التوازن المطلوب، فلا امتناع كلي عن الشهوات، وتبتل وترهب، ولا انحراف كلي وراء تلبية مطالب النفس، ولو كان ذلك بالتوسع الكبير في نيل المباحات.

١٠- وفي الصيام كذلك تدريب للمؤمن على تنمية المراقب الداخلي له على تصرفاته وأفعاله، فهو امتناع يستغرق وقتاً، والإنسان قد يمكنه أن يتخفى عن أعين الرقباء وينقض صيامه، وأما المؤمن الحق فإن في داخله قوةً نابعةً من إيمانه الصادق تمنعه من ارتكاب هذا الأمر، ولا شك أن هذه القوة تزداد مع تمسك المؤمن بإكمال فريضة الصيام على وجهها الأتم، وتزداد مع تطوع المؤمن بالصيام، فهو فريضة يصعب معها الرياء، وتلك القوة الداخلية إذا زادها الصيام نماء؛ كان لها أكبر الأثر الحسن على تصرفات المؤمن جميعها.

١١- كما أن في الصيام تدريب عملي للمؤمن على الصمود أمام المغريات، حتى إذا

تعرض مرة إلى صنوف منها على أيدي شياطين الإنس والجن؛ كان عنده من التدريب ما يكفل له القدرة على عدم الانجراف وراءها.

١٢- والصيام يبين للمؤمن -بياناً عملياً- أن الحياة الدنيا ليست حياة نعيم ولذة دائمة، بل هي حياة ينال فيها المرء لذته أحياناً، ويمتنع عليه ذلك أحياناً أخرى، وعلى المؤمن أن يكون دواماً على استعداد لمثل هذا، فلا يبطر إذا كان في لذة، ولا يقنط إن تعرض إلى ما لا يشتهيه، بل ينبغي له حسن التكيف والتصرف على اختلاف الأحوال.

وعلى المؤمن الحق إن كان يريد النعيم الدائم؛ ألا يطلب ذلك إلا في الجنة دار المتقين، فيصلح عمله، ليكون من أهلها.

١٣- أما الفوائد الطبية فكثيرة، وقد ألفت فيها أبحاث شتى(١).

إلى غير ذلك من فوائد عديدة ينالها المؤمن من عبادة الصيام، التي يقومه بها لربه جل جلاله.

وبعد، فذلك بعض ما يتحقق للمؤمن من الفوائد الحسنة والغايات الحميدة الدنيوية والأخروية؛ جراء التزامه أداء العبادات على الوجه الذي يقبله المعبود وحده بحق، جل جلاله. وما لم يذكر أضعاف ما ذكر. فهل يصح من إنسان حصيف الفكر أن يدعي إمكان استغنائه عن عبادة الصيام الموصلة إليها، وذلك بوسائل عديدة متغايرة، إن نال ببعضها شيئاً؛ فإنه لا ينال إلا أمراً دنيوياً عاجلاً، سرعان ما ينقضي ويزول أثره، وقد لا ينال ببعضها الآخر شيئاً؟!.

وأيهما أولى أن يؤدي الإنسان العبادة على وجهها الذي يحقق جميع غاياتها، أم دعوى الاكتفاء بوسائل أخرى متكاثرة، سيعجز الإنسان حتما عن حصرها، وإيفائها حقها؟!.

إن المؤمن -وهو يرى للصيام فوائده الجمة الدنيوية والأخروية- لا يدعي أن الناس بإمكانهم الاكتفاء به -ولا حتى بسائر العبادات المخصوصة-؛ عن القيام بالأعمال الأخرى التي تصلح بها حياتهم الدنيوية، فهو يعلم أن القيام بالأمرين كليهما يجلب له السعادة الدنيوية والأخروية، وأنه لا يصح الاكتفاء بأحدهما دون الآخر.

فأي المنهجين موافق للموازين الفطرية العقلية؛ منهج المؤمنين بالله تعالى حقاً؛ أم المنهج الذي تمثله دعاوى صاحب المزاعم السابقات؟!.

---

(١) انظر على سبيل المثال: الصيام وفوائده الطبية؛ مدحت الشافعي. وانظر لما سبق: هذا المرجع: ٢ -٥. و: من حكم الشريعة وأسرارها؛ حامد بن محمد العبادي: ١٣٩ - ١٤٧. و: الصيام ورمضان في السنة والقرآن؛ عبد الرحمن الميداني. وغني عن التأكيد: أن ما سبق من الفوائد والغايات الحسنة، وما لا يحصى غيرها؛ إنما ينالها حقاً من يؤدي العبادة على وجهها الذي ينبغي لها، دون من ليس همّه إلا وضع الواجب عن عاتقه.

العبادة الثالثة: عبادة الزكاة:

وكحال الفريضتين السابقتين فقد افترى (العلماني) على فريضة الزكاة افتراءات عدة، فادعى:

(أنه إذا كانت الغاية من الزكاة هي إحساس الإنسان بأن ما يملك ليس له، وأن للآخرين حقاً فيه؛ فإن الإنسان بطبيعته وبفكره وبنظام الوحي لا يملك شيئاً، وكل ما في الواقع يستخدم لمصلحة الجماعة، فلا يوجد حق للأنا أو للآخر، بل يوجد حق للجماعة.

وإذا كانت الغاية من الزكاة سيولة المال ورفض كنز الأموال، فإن الإنسان بفكره وتنظيمه لاقتصاده؛ يمنع اكتناز الأمول، فالمال للاستثمار وليس للاكتناز)[1].

وفيما يلي الرد على افتراءاته:

١- إن (العلماني) كعادته في التضليل ينظر إلى القضايا بجزء من عين واحدة، ساتراً بقية ما يجب أن ينظر إليه، ليوهم أن ما ذكره هو كل الحق، ثم ليطعن به بعد ذلك. ففي عبادة الزكاة قصر نظراته على حكمتين، ذكرهما، وأغفل عامداً حكماً كثيرة أخرى، يدرك الإنسان الرشيد من خلالها أنه لا يوجد عمل يمكن أن يقوم مقام الزكاة. والأمران اللذان ذكرهما هما:

أ- إحساس الإنسان بأن ما يملك ليس له، وأن للآخرين حقاً فيه.

ب- سيولة المال، ورفض كَنْزِهِ.

٢- وكعادته فقد أغفل ما يتعلق بارتباط هذه العبادة بالله عز وجل، وكون غاية المؤمن العظمى من الالتزام بها؛ هي طلب مرضاة ربه جل شأنه، والفوز بثوابه... قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ البقرة.

وقال تبارك اسمه:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾ البقرة.

وقال جل جلاله:

(١) انظر ما سبق: ٤٢١.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ الروم.

فَالهَمُّ الأول لمن يُخرج الصدقات هو أن يكون عمله هذا في سبيل الله تعالى، وابتغاء مرضاته، ونيل ثوابه، وأما من يخرج نفقته وصدقته وليس في حسبانه طلب رضا الله سبحانه، والفوز بثوابه يوم الدين؛ فهذا ليس له عند ربه شيء من الثواب. قال تبارك اسمه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾ البقرة.

وقال جل جلاله بشأن المنافقين:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)﴾ التوبة.

وإغفال هذه الغاية العظمى التي يقصدها المؤمن من عبادة الزكاة، بل ومن عباداته وأعماله جميعاً؛ يؤدي ضرورة إلى الغفلة عن الآثار الدينية والأخروية، التي سينالها المؤمن الملتزم بعبادة الزكاة، طاعة لربه عز وجل.

وطبعي بعد ذلك أن لا يلتفت (العلماني) إلى ما ذُكر فيما مضى من أنه تعالى قد اختار بحكمته البالغة من أعمال الإنسان وتصرفاته أموراً جعل لها شروطاً وأحكاماً، وجعلها عبارة عن عبادة مخصوصة، يقوم بها الإنسان المؤمن لربه جل جلاله؛ ومن ذلك إنفاق المال، فقد اختار جل شأنه عبادة الزكاة وجعل لها شروطاً وأحكاماً وفرضها على عباده[1].

٣- هذا بالإضافة إلى الأخطاء والأباطيل العديدة التي توجد في ثنايا ما ذكره:

أولاً: تأثير نظرة الفكرة الشيوعية إلى المال والملكية؛ ظاهرة في كلامه، بل إنه يحاول أن يظهر أحكام الشريعة (ونظام الوحي) موافقة لتلك الفكرة الباطلة، التي ما أدت إلا إلى دمار اقتصاد كل من أخذ بها، وجعلها منهج حياته[2].

(١) هذا مع العلم بأن الزكاة ليست هي الواجب الشرعي الوحيد على المؤمن في ماله، فهناك واجب النفقة، وكفاية النفس، ومن يعوله أيضاً. وهناك واجب كسب المال من حلال، وإنفاقه في حلال. إلى غير ذلك من الواجبات التي جاء بها الإسلام، كتاباً وسنة.

(٢) وما حال الاتحاد السوفيتي والدول التي كانت سائرة في ركابه وعلى منواله؛ يخفى على أحد.

أ- إن (العلماني) يزعم أنه لا يوجد حق للأنا وللآخر، بل يوجد حق للجماعة، وذكر قبل هذا أن الإنسان لا يملك شيئاً، وهذا يعني إلغاء الملكية الفردية، وهو أساس النظرة الشيوعية الاقتصادية.

ب- إن إلغاء الملكية الفردية، والزعم بأن الفرد لا حق له في أن يمتلك شيئاً يختص به دون غيره؛ أمر يتناقض مع أحكام الشريعة والوحي الرباني، كما يتناقض مع الفطرة التي فطر الله تعالى عليها خلقه.

جـ- إن الملك كله لله عز وجل، لأن الناس كلهم عبيده، ولكن ليس على معنى أنه لا يجوز للإنسان أن يختص بملكية شيء عن سائر البشر؛ فقد جعل الله الإنسان مالكاً لما مَلَّكَهُ إياه تمليكاً مؤقتاً، و مُسْتَخْلَفاً فيه عن مالك سابق له، فقال الله عز وجل:

﴿ ... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ...(٣٣)﴾ النور.

فهو جل شأنه يبين أنه المالك الحقيقي للمال الموجود بين البشر، والمال في عمومه يشمل ما يملكه الإنسان من كل شيء[١].

د- ولكنه سبحانه مع كونه المالك الحقيقي، فقد تفضل على البشر بأن جعل كل واحد يختص بامتلاك بعض المال دون غيره من البشر، وأعطى الرب جل جلاله البشر حرية التصرف فيما ملّكهم إياه، لحكمة بالغة، ولذلك طالبهم في هذه الآية بإعطاء المُكاتِب من المال الذي أعطاهم الله جل شأنه، ليستعين به على أداء نجوم كتابته[٢].

وقال جل جلاله:

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾ الحديد.

فالأمر بالإنفاق في وجوه الخير دليل على أنهم مالكون لما أُمِروا بالإنفاق منه، وقوله: ﴿مستخلَفين فيه﴾: يبين أن هذا المرء المالك للمال؛ قد خَلَفَ غيره، وسيخلفه غيره، فملكه

---

(١) انظر: مختار القاموس: مادة (مول): ٥٨٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٢٨٧/٣. و: تفسير التحرير والتنوير: ١٨/٢٢٠-٢٢١.

- كاتب السيد عبده، أي كتب بينه وبينه اتفاقاً على مالٍ يقسطه له، فإذا دفعه صار حراً، فالسيد مُكاتِبٌ، والعبد مُكاتَب. انظر: المعجم الوسيط: مادة (كتب)/ ٢ / ٧٧٤.

- نجّم الشيء: قسّطه أقساطاً، يقال: نجّم عليه الدَّين. فالنجم: الوقت المعين لأداء دين أو عمل، وما يؤدَّى في هذا الوقت. انظر: المعجم الوسيط: مادة (نَجَم) /٢/٤/٩٠٠.

للمال ملك مؤقت، وسيزول ملكه عنه إلى غيره. والله جل شأنه يبين أنه هو الذي جعل الخلق مستخلفين على المال، وهذا يؤكد أنه هو المالك الحقيقي، وهي حقيقة بدهية، فما دام أن الله تبارك وتعالى هو الخالق لكل شيء والمدبر له، ولا شريك له، فهو المالك الحقيقي لكل ما في الوجود.

ثم إن كون الله سبحانه هو الذي جعل كل عبدٍ مُسْتَخْلَفاً على ما تحت يديه من المال؛ يدل على مشروعية أصل الملكية الفردية. إذ هي بتقدير من الله تعالى وبِجَعْلٍ منه، فهو الذي أودع الفطر حب التملك، وهو الذي مكَّنَها منه، ولكنه -كما في سائر ما فطر عليه البشر من الغرائز والشهوات- قد وضع حدوداً وضوابط لهذه الملكية، بحيث تنفي تلك الضوابط والحدود عن الملكية ما قد يحدث عنها من شرور على البشر، بدونها.

هـ- وهكذا فإن جميع الآيات التي يأمر ويحضّ فيها الله جل شأنه كل عبد من عباده المؤمنين على أن ينفق في وجوه الخير، أمر إيجاب، كما في الزكاة، أو أمر استحباب، كما في الصدقات؛ فإن كل هذه الآيات دالة على أن الإنسان مالك لهذا الذي مَلَّكَهُ الله إياه، مما أمره بالإنفاق منه.

ويقول الله تبارك اسمه:

﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِياًّ فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (٦)﴾ النساء.

فيضيف الله جل شأنه الأموال إلى عبيده، ويأمر أوصياء اليتامى وأولياءهم أن يدفعوا إليهم أموالهم، إذا بلغوا رشدهم. فهذا كله مما يؤكد مشروعية امتلاك الإنسان ملكية خاصة لها حدودها التي يجب ألا يعتدَى عليها، وإلا كان المعتدِي آثماً. كما قال تبارك اسمه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (٣٠)﴾ النساء.

و- ثم إن كل ما يتعلق بأحكام الميراث والدين والبيوع والمعاملات المالية؛ يؤكد حقيقة مشروعية أن يختص الإنسان بامتلاك أشياء لا يشاركه فيها غيره. وقد قال صلى الله عليه وسلم:

"...بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله

وعرضه"[١].

ففي الحديث إثبات لكون كل امرئ له مال يمتلكه، وفي الحديث أيضاً تحريم الاعتداء على هذا المال بغير وجه حق.

ز- والحكمة من إعطاء الإنسان أموراً يختص بامتلاكها دون غيره؛ هي ذاتها الحكمة الموجودة في سائر ما آتى الله جل شأنه الإنسان، وهي: الابتلاء. قال تبارك اسمه:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥)﴾ الأنعام.

وقال عز من قائل:

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)﴾ الفجر.

فمن أحسن العمل فيما جعله الله تعالى مستخلَفاً فيه؛ أثابه الله جل شأنه عليه، فكان ممن أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. وأما من أساء العمل؛ كان هذا الذي استخلفه الله سبحانه فيه؛ وبالاً ونقمة عليه. قال تعالى:

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١٨٠)﴾ آل عمران.

وقال جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ التوبة.

ح- وبعد، فإن الزكاة -التي فهمها (العلماني) فهماً خاطئاً- تتضمن في حقيقة أمرها إثبات أمرين:

الأمر الأول: أن الإنسان يمتلك من أنواع المال هذا الذي اختُصّ به دون غيره، وإلا فلو

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد سبق تخريج الحديث: ٣٢٣.

كان لا يملك شيئاً؛ فما معنى أن يجب عليه أن يخرج منه جزأً ويعطيه للفقراء؟!. وأين هذا الشيء الذي يطلب منه أن يُخْرِجَ زكاته، وهو لا يملك شيئاً؟؟!.

الأمر الثاني: أن الإنسان المؤمن مع امتلاكه لما اختُصّ به؛ يشعر بأنه يوجد ضمن ما يملكه؛ ما هو حقٌّ لغيره، يجب عليه أن يوصله إليه على أحسن وجه. وكأنه أمانة موضوعة عنده، وقد كُلِّفِ أن يوصلها لأصحابها، وأُعْطِيَ المكافأة مسبقاً بما رزقه الله تعالى، بالإضافة إلى الثواب العظيم الذي سيناله بعد أدائه الأمانة.

ط- فالزكاة تنمي في نفس المؤمن إحساسين وشعورين متكاملين:

الأول: الشعور بعظيم فضل الله جل جلاله؛ إذ أنعم عليه بما رزقه، ومَلَّكَهُ إياه، وأباح له الاستفادة منه، بل وأحاطه بأحكام من شأنها أن تحفظه من المعتدين، فيما لو طبقت تلك الأحكام على وجهها الصحيح.

وفوق ذلك؛ فإنه لو ظُلِمَ في شيء من ماله؛ فلن يضيع حقه، وسيأخذه كاملاً يوم القصاص الأكبر.

الثاني: الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، والمترتبة على ذلك الذي تفضل الله تعالى به عليه، فما من نعمة ينعم الله جل جلاله بها على أحد من عباده المكلّفين؛ إلا ويترتب عليه -بسببها- مسؤولية تجاه ربه تبارك اسمه، فهو تعالى مع إباحته لهذا المخلوق الاستفادة من تلك النعمة، فإنه يطالبه بأمور لابد أن يقوم بها تُجاهَها.

ومن ذلك نعمة المال -بمفهومه الواسع-، فمن وهبه الله تعالى مالاً ترتَّبَتْ عليه أحكام، وحقوق وواجبات لابد أن يقوم بها، مع استفادته من ذلك المال، الاستفادة المحدودة بتلك الأحكام أيضاً.

ورأس تلك الواجبات على المرء الذي نحله الله جل وعلا خيراً: الزكاة.

ي- ومثل تلك المشاعر والأحاسيس تقوّي في نتيجتها أواصر الود، والمشاركة الوجدانية، والفعلية بين أفراد المجتمع.

فالفقير لا يحسد الغني على ما رزقه الله تعالى، لأنه يعلم مدى عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه. والغني لا يحقر الفقير، لأنه يعلم أنه كما ابتلى ذلك بفقره؛ فهو -أي الغني- مبتلى بغناه. وإنما السعيد من أحسن عمله ضمن ظروف ابتلائه، على أي وجه كان.

ثم إن الغني يشعر بأن كل فقير ومسكين ومحتاج: له نسبة وشركة في ماله، والفقير والمسكين ونحوهما يشعرون بذلك أيضاً، فكأنهما شريكان في شركة واحدة، لكل منهما نسبة في تلك الشركة. وكلما مضى حول أعطى الغني؛ مَن هو محتاج؛ حقه من تلك الشركة، بحسب مَالَهُ من نسبة.

وهل في تقوية أواصر الود -بين المؤمنين- أفضل من هذا؟!. فتلك شركة لم يعقدها البشر، وإنما عقدها رب البشر، المطلع على كل خافية، العالم بكل شيء، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. فالمؤمن حقاً يحرص على أن يؤدي حق هذه الشركة على أكمل وجه، والفقير المؤمن يعلم أن الغني المؤمن لن ينقصه من حقه في تلك الشركة شيئاً، فكلاهما في اطمئنان نفسي كامل.

ك- إن الله جل جلاله قد أعطى حق التملك الفردي؛ على وجه لا ينمو معه شعور الفردية في نفوس المؤمنين، فتكون سبباً لهلاكهم، قبل أن تكون سبباً لهلاك المجتمع. فأي حياةٍ ترجى لمجتمع؛ يتملك أغنياءه مشاعر الأنانية والأثرة في نفوسهم، ويتملك فقراءه مشاعر الحسد والحقد والغل، والكمد والغيظ في نفوسهم؟!!.

كما أنه تبارك اسمه وهو العليم بما فطر عليه نفوس خلقه؛ لم يرد أن يمحق دوافع التنافس للوصول إلى الأكمل والأفضل؛ وذلك بإلغاء وتحريم الملكية الفردية. ولا شك أن تلك الدوافع هي من أهم أسباب استمرار دورة الحياة في تسارع وتَنامٍ مطرد.

فكان ذلك النظام الاقتصادي المالي الذي شرعه الرب تعالى جده، والذي هو وسط بين غُلوّين. فهو يعمل على إيجاد التوازن التام بين حق الفرد في العمل والتملك، وبين الحفاظ على التكافل والتضامن الاجتماعي، الذي لابد منه لسلامة المجتمع كله.

ل- وعلى هذه المعاني السابقة يمكن فهم بعض ما دل عليه التطهير؛ في قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ التوبة.

فالتطهير كما يشمل التطهير من الذنوب والمعاصي والآثام؛ فهو كذلك يشمل التطهير من جميع الصفات والخلال السيئة، كالبخل والشح والطمع والأثرة والاستعلاء والتكبر بغير الحق

على الآخرين، والتي هي من باب الآثام والسيئات الخلقية. كما أن التزكية تشمل ضمن ما تدل عليه: التزكية بالاتصاف بكل خلق نفسي وسلوكي حسن.

وذلك التطهير وتلك التزكية كما أنها تحصل لدافع الصدقة والزكاة، فهي كذلك تحصل لمن تعطى له، وهو من أهلها حقاً. إذ تطهّره من صفات الحسد والحقد والغل، وعدم الرضا والتذمر، وتزكي نفسه كذلك بجعله يتصف بالخلال الحسنة اللائقة بالمؤمن[1].

ثانياً: وفوق ما سبق؛ فإن للزكاة حِكَما لا تحصى، قد تغافل عنها (العلماني)، ومنها ما يتعلق بتربية المؤمنين، والتي لا يمكن لغير العبادات أن تحققها، لو أنصف الناظر وكان همه الحق دونما سواه، ومن أهم تلك الحكم:

أ- تربية المؤمنين على اتباع مناهج واضحة ومحددة، فما من مال إلا تجب فيه نسبة زكوية خاصة به. ولو ترك أمر التحديد للناس؛ لبخل أكثرهم بإعطاء أقل القليل.

قال تبارك اسمه:

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)﴾ محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ولكن مع تشريع الزكاة؛ فقد شرع الله تعالى الصدقة العامة، لمن شاء أن يتطوع فيزيد. فباب الزيادة مفتوح أمام الكريم العاقل، وأما باب النقصان فموصد.

وفي هذا تدريب للمؤمن على أن يكون سباقاً إلى الأفضل والأكمل في جميع مجالات الحياة، فإن فَتُرَت همّته في بعض الأوقات؛ فعليه أن يلتزم حداً لا ينقص عنه، وإلا كان ملوماً.

ب- وكذلك فإن الزكاة تربي المؤمن الحق على أن يراقب نفسه دواماً، حتى يؤدي ما عليه من الحق بقدر استطاعته.

---

(١) يلاحظ هنا أن الزكاة -أو الصدقات بوجه عام- ليست هي التشريع الوحيد في مجال المعاملات، فهناك الحث على الكسب وعدم السؤال، بل والتنفير منه، وأن الواجب على المسلم أن يكسب قوته بيده.
ولكن مع ذلك فإنه -حتماً- يوجد من المعدمين الكثير، ممن لا يقدرون على نيل حاجتهم، وقد يكون ذلك لسبب قاهر، فلابد من وجود تشريع ملزم يسد حاجة أمثالهم، ولا يدعهم عرضة للدمار المادي والمعنوي.

ولا شك أن الإنسان بإمكانه أن يخرج أقل مما يجب عليه، إن لم يمنعه كله، وحتى مع وجود جهة جامعة للزكاة، فقد يخفي بعض الناس شيئاً مما تجب فيه الزكاة، وقد يحتالون للتهرب من الزكاة أو بعضها، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

"... ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة..."(١).

ولكن المؤمن بالله تعالى وبجزائه العدل لا يفعل شيئاً يغضب ربه جل شأنه عليه، ويكون سبباً لأن تحل عليه نقمته. وقد سبق ذكر بعض الآيات الدالة على ما سينال مانع الزكاة من العذاب الأليم(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:

" ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها؛ إلا أُقْعِدَ لها يوم القيامة، بقاع قرقر، تطؤه ذات الظلف بظلفها، وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها جماء، ولا مكسورة القرن"، قلنا: يا رسول الله، وما حقها؟!، قال: "إطراق فحلها، وإعارة دلوها، ومنيحتها، وحلبها على الماء، وحملٌ عليها في سبيل الله. ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع، يتبع صاحبه حيثما ذهب، وهو يفر منه، ويقال: هذا مَالُك الذي كنت تبخل به. فإذا رأى

(١) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواية البخاري مختصرة، وقد رواها بكمالها مع ذكر فرائض الصدقات: النسائي وابن حبان وأحمد وأبو يعلى، ورواها مختصراً ابن خزيمة والبيهقي وابن الجعد. صحيح البخاري: ٥٢٦/٢/ ح: ١٣٨٢، ٦ / ٢٥٥١/ ح: ٦٥٥٥. وانظر: مسند أحمد: ١١/١. و: سنن النسائي: ٢٧/٥/ ح: ٢٤٥٥، ١٨/٥/ ح: ٢٤٤٧. و: السنن الكبرى: ٩/٢/ ح: ٢٢٢٧، ١٣/٢/ ح: ٢٢٣٥. و: صحيح ابن خزيمة: ٢٥/٤/ ح: ٢٢٧٩. و: سنن البيهقي الكبرى: ١٠٥/٤/ ح: ٧١٢١. و: الأحاديث الطوال: ٣١٥/ ح: ٥٨. و: صحيح ابن حبان: ٥٧/٨/ ح: ٣٢٦٦. و: مسند ابن الجعد: ٣١٥/ ح: ٢١٤٤. و: مسند أبي يعلى: ١١٥/١/ ح: ١٢٧.

ومعنى: "لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع": وذلك كأن يكون لثلاثة نفر لكل واحد أربعون شاة، وجبت فيها الزكاة؛ فيجمعونها، حتى لا تجب عليهم كلهم فيها إلا شاة واحدة. أو يكون للخليطين مائتا شاة وشاتان؛ فيكون عليهما فيها ثلاث، فيفرقونها، حتى لا يكون على كل واحد إلا شاة واحدة. وفسرت أيضاً: بأن هذا خطاب لرب المال من جهة؛ وللساعي من جهة، فأمر كل واحد منهم ألا يحدث شيئاً من الجمع والتفريق، خشية الصدقة، فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة، والساعي يخشى أن تقل، فيجمع أو يفرق. انظر: فتح الباري: ٣١٤/٣-٣١٥.

(٢) انظر: ما سبق: ٤٧٣.

أنه لابد منه أدخل يده في فيه، فجعل يقضمها، كما يقضم الفحل"[١].

فهل يعقل من مؤمن حقاً أن يعرض نفسه لهذا الوعيد الشديد؟!. وإنما تقع المخالفة من ناقص الإيمان، وكثير منهم من يستدرك نفسه -إذا كان أصل إيمانه صحيحاً- فيعود إلى الصراط قبل فوات الأوان، وأما المُصِرُّ المقيم على الذنب فلن يضر الله تعالى والمؤمنين شيئاً، وسيوفيه الله سبحانه جزاءه كاملاً غير منقوص. وليست الدنيا دار إقامة دائمة، وإنما هي دار إمتحان، سرعان ما ينقضي زمنها، ولابد أن يوجد فيها العاصي كما يوجد الطائع، ووجود أمثال هؤلاء العصاة هو كذلك من ابتلاء الله جل شأنه للمؤمنين الطائعين؛ في كيفية تعاملهم مع أولئك العصاة، ونحو ذلك.

ولكن أنى لمن لم يؤمن بالله تعالى حقاً، ولم يؤمن بجزائه الأوفى أصلاً، أن يدرك أية أهمية لمثل ذلك الوعيد، ولمثل تلك الأمور السابقة؟!!.

جـ- ثم إن المؤمن الذي ابتلاه الله سبحانه بصنوف من متاع الحياة الدنيا، قد تشغله أعماله الدنيوية عن تدبر ما يحدث حوله، فتأتي الزكاة الدورية فتذكره وتوقظه، لينظر إلى حال إخوان له، قد ابتلاهم الله تبارك اسمه بالقدر من أرزاقهم، وابتلاه هو بهم.

د- قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عن ربه عز وجل:

"إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..."[٢].

ولا شك أن الزكاة مما افترضه الله جل شأنه على عباده، بل هي أحد أركان الإسلام الخمسة، ولذلك فإن المؤمن يحاول جهده أن يضعها في أفضل ما يمكن وضعها فيه، لينال أعظم الأجر والثواب من ربه جل جلاله.

وهذا فيه تدريب للمؤمن على أن يسير على هذا المنهج في جميع أحواله وأعماله دواماً.

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. صحيح مسلم: ٢ / ٦٨٥/ ح: ٩٨٨. وتوجد عدة روايات: ٢/٦٨٠-٦٨٦/ ح: ٩٨٧-٩٨٩.

معنى: (قاع): أرض مستوية مطمئنة عما يحيطها من الجبال والأكام، تنصبّ إليها الأمطار، فتمسكها، ثم تنبت العشب. انظر: المعجم الوسيط: مادة: (قوع)/ ٢/٧٦٦. ومعنى: (قرقر): المنخفضة اللينة، ومن الأودية والقيعان: الأملس الذي لا شجر فيه، ولا حجارة. انظر مادة: (قرقر) في: المعجم الوسيط: ٢/٧٢٩. ومعنى: (جمّاء): أي: لا قرن لها. انظر: مادة: (جم) في: مختار الصحاح: ١١٢. ومعنى: (إطراق): من أطرق فلان فلانا فحلاً: أعاره إياه، ليلقح نوقه. انظر: مادة: (طرق) في: المعجم الوسيط: ٢/٥٥٦. ومعنى: (منيحتها): هي دابة أو أداة أو أرض يعيرها لمن ينتفع بها زمناً، ثم يعيدها. انظر: مادة (مَنَحَ) في: المعجم الوسيط: ٢/٨٨٨. ومعنى: (شجاعاً): الحية. انظر: مادة (شجع) في : المعجم الوسيط: ١/٤٧٣. ومعنى (أقرع): الشديد الصلب. انظر مادة: (قرع) في: المعجم الوسيط: ٢ / ٧٢٨. ومعنى (قضم): أكله أو كسره بأطراف أسنانه. انظر: مادة (قضم) في: المعجم الوسيط: ٢/٧٤٢.

(٢) سبق تخريجه: ٤٥٦.

ثالثاً: وأما ما ادعاه (العلماني): من إمكان الوصول إلى حكمة سيولة المال من غير طريق الزكاة؛ فإن مما يبين بطلان زعمه هذا:

أ- إن المتأمل حقا في الأنظمة الاقتصادية سيجد أنه لا يوجد نظام يدفع إلى تلك السيولة كما تفعله عبادة الزكاة في المجتمع المسلم، الملتزم بأداء العبادات. فالزكاة تعمل على استمرار السيولة، وذلك حتى ينمو المال دواماً، فلا ينقص مقدار الزكاة الذي يؤديه المؤمن.

ب- واتباع منهج جازم لاستمرار سيولة المال وتداوله بالتجارة؛ أفضل من دعوى أن الإنسان بفكره وتنظيمه يعمل على مثل هذا، وكم من البشر يعملون على كنز الأموال وتجميعها وتكديسها، دون إفادة للآخرين تذكر، فكيف سيكون الحال لو لم يوجد مثل ذلك المنهج الجازم؟!.

جـ- والمؤمن حقاً يعلم أن المنهج الرباني المنزّل يراعَى فيه العدل والإنصاف، وأحوال البشر المختلفة، بدرجة لا يمكن أن يقارن معها -في حقيقة الأمر- ذلك المنهج؛ مع أي منهج وضعي يشرّعه البشر، سواء كانوا يبغون منه استمرار سيولة المال، أم غير ذلك من المصالح، التي لها أحكامها المنزلة من عند الرب جل جلاله.

د- بالإضافة إلى هذا -وكما سبق بيانه- فإن المنهج الرباني له في النفوس المؤمنة حقاً رقيب داخلي ذاتي، لكونه من عند الله تعالى، مما لا يوجد لغيره من المناهج البشرية، مهما حاولت الاستفادة من هذا الرقيب.

وهذا لا يعني عدم وجود المخالف في المجتمع المؤمن، ولكن وجود بعض المخالفين؛ لا يدفع العقلاء إلى رفض المنهج الحق، لجعل المجتمع كله مخالفاً.

هـ- وتوجد في المجتمع المسلم -كغيره من المجتمعات- فئة ما كانت لتعمل على تنمية ما عندها من مال بالتجارة ونحوها؛ لولا وجود ما أوجبه الله جل جلاله على من التزم دينه وشرعه.

ولن تطاوع تلك الفئة نفوسها على خلاف ما أوجبه تعالى، لما في قلوبها من الإيمان، وذلك مما يجعلها مضطرة إلى تعويض ما تدفعه؛ بالأعمال التي أباحها الله تبارك اسمه، وهذا يعتبر قوة دافعة لحركة المال في المجتمع المسلم.

و- وفي المقابل فإنه في دول العالم المعاصر، والذي يتكون غالبيته من مجتمعات غير إسلامية، أو أنها لا تطبق الأحكام الإسلامية تطبيقاً صحيحاً، لو تدبر إنسان بعض أعمال أهل الجشع العالميين؛ لوجد منهم من يستغل حتى التجارات ونحوها مما أباحه الله تبارك وتعالى؛ لتكديس المال في خزائنه، ولا يترك للآخرين من الفائدة إلا الفتات.

ز- وهذا طبعي إذا لم يوجد ما ينمي في النفس مشاعر الخوف من الله والحب والود، التي لا يمكن أن تنمو من خلال علاقات مادية بحتة. أما الزكاة فهي في أساسها علاقة روحية نفسية قلبية، بين المزكي المؤمن والآخذ المؤمن، قبل أن تكون أي شيء آخر. قاعدتها طلب رضا الله جل شأنه. ويحيطها مشاعر الرفق والحنان من المعطي، والشكر والامتنان من الآخذ. وأنى لهذا أن يوجد عند من ليس لديهم وقت للمشاعر والأحاسيس الإنسانية؟![1].

رابعاً: ولا يستغرب من (العلماني) إذ قد غفل عن حِكَمٍ كثيرة لوجوب أصل الزكاة؛ أن يغفل عما للرب جل جلاله من حكم عديدة فيما أوجب فيه الزكاة، ومما لم يوجبها فيه. وكذلك حِكَمُهُ تبارك اسمه في اختلاف أنصبة الزكاة، بحسب اختلاف الأصناف التي تجب فيها[2].

---

(١) ومثل هذه المعاني لا يدركها ولا يدرك أهميتها كل من غلظ طبعه، وجفت نفسه، وقسا قلبه.

(٢) انظر في بيان بعض هذه الحكم: من حكم الشريعة وأسرارها؛ حامد بن محمد العبادي: ١٢٠-١٣٥، وفي: ١٣٦، من المرجع نفسه: كلام عن الحكمة من تحريم الصدقة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، والتي من أهمها: قطع أي دعوى يمكن أن يطلقها كاذب أو حاقد، يزعم فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليأخذ أموال الناس لنفسه وأهله. بل إن ما خلفه صلى الله عليه وسلم لا يرثه أهله، وإنما هو صدقة توزع على المسلمين. ولما سبق من الحكم: انظر المرجع نفسه ١١٥-١٢٠.

العبادة الرابعة: عبادة الحج:

ثم يأتي (العلماني) إلى ركن الحج، الذي قال الله عز وجل عنه:

﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ آل عمران.

فذلك الركن الأساسي من أركان الإسلام الخمسة لا يعدو عند (العلماني) المبطل عن كونه رموزاً لأمور أخرى، يمكن إسقاطها بالكلية!. وهو وأمثاله لا يلقون بالاً لمثل التهديد الوارد في الآية السابقة، والمختص بشأن الحج:

﴿... ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

وكُفْرُ (العلماني) ومن وافقه على باطله؛ يظهر واضحا جليا من خلال افتراءاته على عبادة الحج وشعائرها، ومنها ما ادعاه من أن (البعض منها -من العبادات- رموز، مثل: رمي الجمرات، والسعي بين الصفا والمروة، ويمكن إيجاد دلالتها في التجربة البشرية فيما يتعلق بالذكريات، ورغبة الإنسان في زيارة الآثار والأطلال، وأماكن المحبين، ومنازل الشعراء، وآثار المفكرين، للرجوع بالذهن إلى الماضي، وتذكر سير الأبطال، واسترجاع حياة المجاهدين...، والسعي رمز للجهاد، ورمي الجمرات رمز للنضال.

كما يمكن إسقاطها بالكلية كما فعل الحكماء، ولكن العامة في حاجة إلى طقوس وشعائر واحتفالات ومواكب، والوحي أتى للجميع، عامة وخاصة)[١].

إن (العلماني) صاحب تلك الافتراءات السابقة قد ظهر منه ما يدل على كفره وفجوره، على الوجه الذي لا يستغرب معه بعد ذلك أن يصدر منه أي افتراء على حقيقة من حقائق الدين، أو ركن من أركانه. ولكنه -في الواقع- يُعَلِّم من خلال تلك الافتراءات كثيراً من أفراخ العلمانيين الذين لم يظهروا حقيقة كفرهم وإلحادهم؛ كيفية التلبيس على المؤمنين، واستدراجهم شيئاً فشيئاً للوصول بهم إلى إبطال حقائق الدين.

فيتدرجون معهم إلى أن شعائر الحج تنحصر في كونها رموزاً لأمور أخرى، ثم يختارون لهم من تلك الأمور أقلها شأناً.

ثم يقولون لهم إنه -في الحقيقة- لا حاجة لمثل تلك الرموز، فالجماهير في حاجة لما هو أعظم وأهم من تلك الرموز، وينبني على هذا عدم الحاجة إلى العبادة الأصلية، التي ما كانت إلا

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

رمزاً[١].

وفيما يلي بيان وجوه الباطل في كلام (العلماني) السابق:

أولاً: وهو الباطل المتكرر فيما سبق: أي قطع العبادات عن كونها لا يراد بها إلا الله تعالى وحده، وأداء واجب العبودية له تعالى، وذلك من خلال ما شرعه هو تبارك اسمه.

ثانياً: وهذا الباطل مترتب على سابقه وهو: إغفال وتجاهل الثواب العظيم المترتب على أداء أية عبادة مشروعة، ومنها عبادة الحج، كالمذكور في قوله صلى الله عليه وسلم:

"العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"[٢].

ثالثاً: إغفال كون الحج عبادة مقصودة لذاتها، وليست كما أراد (العلماني) أن يحصرها في كونها رمزاً[٣].

رابعاً: ادعاء كون الحج إنما يستفيد منه العامة لا الخاصة، مع أن الخاصة الحقيقيون هم أكثر إدراكاً لأهمية هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين[٤].

خامساً: الاقتصار في الحكم المستنبطة من الحج -والتي سماها (العلماني): رموزاً- على أمور يسيرة، وذكرها على وجه يفقدها أهميتها، وقد تكون في الأصل ليست من الأمور الهامة المستنبطة. وهذا مما يفقد الشعور بعظيم أهمية شعيرة الحج، وعظيم آثارها الحسنة العاجلة والآجلة، عند من يؤدونها على وجهها الصحيح.

وفيما يلي بيان وجوه القصور والبطلان فيما ذكره (العلماني) أو لم يذكره من حِكَم الحج المستنبطة، التي سماها (رموزاً):

الوجه الأول:

أ- أن كون شعائر الحج لها أصول تاريخية؛ يتذكرها الحاج كلما عاين واحداً منها أو أداه، فإن هذا مما لا ينكر، وبيانه فيما يلي:

---

(١) يذكرنا هذا بما كان يفعله الباطنيون لاستدراج السذج وضعيفي الإيمان إلى ما كانوا عليه من الكفر والزندقة، وأساليب الشياطين متكررة. وهنا تبرز أهمية الرد على باطل العلمانيين هذا، إذ قد يستدرجون به بعض من لا خبرة له بأساليبهم وحيلهم الماكرة، وبما يهدفون إليه من بعض الألفاظ المحتملة، فإما أن ينزلق معهم إلى باطلهم شيئاً فشيئاً، أو ينقطع معهم، إن كان في موقف حجاج ومناقشة.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظهما متفق. البخاري: ٦٢٩/٢ / ح: ١٦٨٣. و: مسلم ٩٨٣/٢.

(٣) سيأتي بيان بطلان استخدام هذه الكلمة: انظر: ٤٩٦.

(٤) سيأتي التعليق على استخدام العلماني كلمتي خاصة وعامة: انظر: ٤٩٦-٤٩٧.

١- يجب أن يُعْلم أولاً أن جميع تلك الحوادث التاريخية قد كانت بتقدير من الله تبارك اسمه، بل إن بعضها كان إطاعة لأمر وجهه لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام. فليست تلك الحوادث منقطعة الصلة عن الله عز وجل، بل إن وجودها واستمراريتها في التاريخ؛ قد كان بسبب صلتها الوثيقة بالله جل جلاله.

٢- عندما يرى المؤمن البيت العتيق يتذكر أن أول من بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثم يتذكر أنه ما من نبي إلا وقد حج البيت، ويستشعر عند هذا معنى وحدة أمة الإسلام، على اختلاف شرائع أنبيائها عليهم السلام، من لدن آدم عليه السلام، أبي البشر، إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، فكلهم أمة واحدة على الحق والصراط المستقيم.

٣- ويتذكر المؤمن كذلك طواف خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وحثه على ذلك. ويتذكر دعوته صلى الله عليه وسلم عند هذا البيت إلى التوحيد، وإلى الدين الحق. وما لاقاه صلى الله عليه وسلم ومن آمن به من شدائد وصعاب في سبيل الدعوة إلى الحق ونشره بين الناس. وثباته صلى الله عليه وسلم على الحق، وهجرته تاركاً أحب البلاد إليه، ثم عودته إلى هذا البيت منتصراً، محققاً التوحيد بالقول والعمل، مكسراً الأصنام، ومطهراً البيت من كل نَجَس. ومن ثم فعلى المؤمن أن يتحمل ويصبر على ما يلقاه من الشدائد ما دام أن غايته هي نصرة دين الله تعالى. ويتذكر المؤمن كل فعل أو قول أو حكم صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم وله تعلق بهذا البيت العتيق.

فالمؤمن مع تحقيقه وإشباعه لرغبة الشوق إلى رؤية هذا المكان المبارك، الذي يرتبط في ذاكرته بحقائق قد آمن بها وصدق؛ مع هذا يتذكر الأمور التي حصلت، ولها ارتباط بهذا البيت، مما سبق بيان شيء يسير منه، ويحقق المؤمن بعد هذا في واقع حياته العملية ما ينبغي له أن يحققه من تلك الأمور.

٤- وبعد، فإن الحاج يتذكر عند شربه زمزم حادثة إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر رضي الله عنها، عندما وضعهما إبراهيم عليه السلام في هذا المكان الذي لا ماء فيه، امتثالاً لأمر ربه تعالى. وما تعرض له إسماعيل عليه السلام وأمه من الجَهْدِ عند فقد الماء. ثم يتذكر إكرام الله جل شأنه لهما بإخراج ماء زمزم. فيوقن المؤمن عندئذ أنه إذا التزم أمر ربه تعالى -وإن لم يتبين له وجه الحكمة ابتداء- فإنه جل جلاله سَيُكْرِمُهُ بصنوف من الإنعام ما كانت لتخطر على باله. وهل هناك أحسن من أن يكون هذا المكان أفضل بقعة على وجه الأرض، وأن يشرع الله تعالى الحج إليه من كل مكان، وأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليه...؟!.

٥- وإذا سعى الحاج تذكر سعي هاجر رحمها الله تعالى، وإكرام الله تعالى لها بعد ذلك[1]، وأخذ من ذلك أن على المؤمن أن يعمل دواماً لطلب فضل الله تعالى، وألا ييأس من روحه سبحانه، موقناً أن فرجه تبارك اسمه قريب. وتذكر كذلك سعي المصطفى صلوات الله عليه، عندما أظهر هو وصحابته الجَلَد والقوة عند اعتمارهم، ومكة تحت أيدي المشركين، فيتأسى به في جميع أحواله. ثم يتذكر سعيه صلوات الله عليه بعد أن فتح الله سبحانه عليه مكة المكرمة، ويتبين له عظيم فضل الله تعالى على المؤمنين المجاهدين، إذ يختصهم بالعاقبة الحسنة.

٦- وإذا رمى الحاج الجمرات تذكر رمي إبراهيم عليه السلام للشيطان عندها، طرداً له، وقطعاً لوساوسه، وَلِيُتِمّ ما أمره به ربه جل شأنه[2]. وأن المؤمن يجب عليه دواماً أن يكون في حالة جهاد دائم، ضد الشيطان، وضد كل أمر يمكن أن يصده عن سبيل الله تعالى.

٧- وإذا نحر الحاج؛ تذكر إكرام الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ عندما التزما أمره جل شأنه على الوجه الأكمل.

ب- فهذا كله حق، وإن كان (العلماني) قد أطلق القول على وجه لا يتبين معه لدى القارئ؛ عظيم الأثر الحسن الذي يحدث عند المؤمن، الذي يتذكر ما يتذكره من الأحداث التاريخية، عند رؤيته المشاعر.

جـ- كذلك فإن كلامه لا يشير إلى ما يكرم الله جل شأنه به الملتزمين أوامره، المجاهدين في سبيل تحقيقها، من صنوف الإنعام العاجل والآجل.

الوجه الثاني:

أن (العلماني) عندما قاس مشاعر المؤمنين عند أدائهم مناسك الحج على عواطف الشعراء والمحبين الذين يزورون الأطلال، ونحوهم؛ دل على أنه لا يقدر مشاعر المؤمنين حق قدرها:

١- فإن فؤاد المؤمن الحق عندما يهوى إلى البيت الحرام؛ تكون مشاعره أسمى وأعلى وأجل من مشاعر المحبين الذي يعشقون أطلال من أحبوهم!. فضلاً عن أن هوى أفئدة الناس إلى

---

(١) عن هذه الواقعة وقصة زمزم انظر: حديثاً رواه ابن عباس رضي الله عنهما يروي فيه قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: البخاري: ٣/١٢٢٧-١٢٢٩/ح: ٣١٨٤. و: مسند أحمد: ١/٣٤٧. و: السنن الكبرى: ٥ / ١٠٠/ ح: ٨٣٧٩. و: سنن البيهقي الكبرى: ٥/٩٨.

(٢) عن هذه الواقعة انظر خبراً رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على شرط مسلم. كما رواه البيهقي. المستدرك على الصحيحين: ١/٦٣٨/ ح: ١٧١٣. و: سنن البيهقي الكبرى: ٥/١٥٣.

بيت الله الحرام هو استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام لربه، حينما أسكن زوجه هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ إبراهيم –عليه السلام–.

وسمو مشاعر المؤمن قد أتى من سمو من أحب هذا المكان لأجله، وهو الله جل جلاله، فقلب المؤمن لم يتعلق بالبيت وسائر المشاعر؛ إلا لأن الله تعالى هو الذي اختارها من بين سائر الأماكن، فهوى المؤمن كله تبع لما يشرعه له ربه جل جلاله، إذ هو تبارك اسمه أعظم محبوب لديه، بل إن المؤمن إذا أحب أحداً من البشر فإنه –إن كان إيمانه كاملاً– يجعل حبه له تابعاً لحبّه ربَّهُ جل وعلا.

٢– بالإضافة إلى ذلك، فإن قياس ما اختاره الله تعالى وأحبه، على ما يحبه البشر قياس باطل، فأين الخالق الحكيم العليم بكل خير الذي وسعت رحمته كل شيء، من المخلوق الذي لا يختار إلا ما يوافق هواه ورغبته، وقد يعود عليه ما اختاره بالشر والضُّر، ولاسيما العشاق والشعراء الذين كثيراً ما يفارقهم العقل عند اختياراتهم، فلا يعتمدون إلا على أهواء وشهوات جامحات، لا ضابط لها، ولا حكمة توجهها. فهذا ما ذكره وقد تبين ما فيه من نقص وما فيه من باطل.

الوجه الثالث:

وأما ما لم يذكره فكثير ومنه:

١– أعظمه وأعلاه وأهمه: طلب رضا الله تعالى، وذلك بأداء هذا الركن الذي فرضه على عباده[1].

٢– والحج فريضة يؤديها المسلمون جماعة، ويجتمع فيها أكبر عدد منهم، وهم عندما يؤدونها تكون أعمالهم واحدة، وتنقلاتهم واحدة، وغايتهم واحدة، ومنهجهم واحد، وبذلك يستشعرون معنى الأخوة الكاملة بين أفرادهم، بأسمى صورها، وكذا معنى الجسدية الواحدة.

٣– والمؤمن عندما يجتمع مع إخوانه المؤمنين القادمين من أقطار الأرض يتعرف على أحوالهم، وعلى ما يلاقونه من الشدائد في بلدانهم، وبذلك يقوم القادر من المؤمنين على تقديم كل مساعدة تمكنه لإخوانه، الذين ما كان يمكنه الاطلاع المباشر على أحوالهم وهم في بلدانهم

---

(١) وقد تبين أن هذا الأمر لا يشير إليه مطلقاً، حسن حنفي، وهذا يعني أنه لا اعتبار له عنده.

المتباعدة، فمن يأتي للحج يكون كالسفير لمن لم يستطع إلى الحج سبيلاً، وكثير ما هم[١].

٤- وفي الحج يتعرض المؤمن إلى كثير من المواقف التي تربيه على الاتصاف بالإيثار، والبعد عن الأثرة، إذ يرى أهمية مثل هذا الأمر في كثير مما يتعرض له. كما أنه يتدرب على الاتصاف اتصافاً فعلياً بكثير من مفردات الأخلاق الحسنة، كالحلم وسعة الصدر والصبر على المكاره، وحسن التعامل مع الآخرين، والصفح عن المسيء، والمسامحة، ولين الجانب والكلام، وغير ذلك من مفردات عديدة، ما دام أنه يريد أن يتقبل الله تعالى حجته بقبول حسن.

٥- والمؤمن في الحج يشعر بأن كثيراً من مظاهر التفرقة بين البشر قد زالت، فالمؤمنون كلهم، غنيهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسهم، كبيرهم وصغيرهم؛ لباسهم واحد، وهيئتهم واحدة، لا يكاد يتميز فيه واحدهم عن سائر إخوانه. وبذلك يستحضر المؤمنون أنهم كلهم أمام الله تعالى سواسية، وأن متاع الدنيا الزائل ليس بذاته دليل على قربهم منه تعالى، أو بعدهم عنه، بل إن السابق منهم؛ من عظمت تقواه لربه جل ذكره.

٦- والحج نوعٌ من الجهاد[٢]، ويمكن اعتباره جهاداً أصغر، إذ يقابل فيه المرء أنواعاً من المشاق، التي يحاول التغلب عليها، لتتم حجته على الوجه الذي يرضي ربه جل شأنه. وفي ذلك تربية للنفس على أن لا تكون كسولة خمولة، معتادة للراحة والدعة دواماً.

٧- كما أن في الحج تربية أخرى للنفس، على شيء من شظف العيش. إذ إن الحاج يتجنب عدداً من المتع والزينات، فيشعر من كان منهم في رغد من العيش؛ بما يقاسيه إخوانه ممن امتحنهم الله تعالى بالشدائد، ويعلم عظيم فضل الله تعالى بما مَنَّ عليه من النعم التي لا تحصى، فيزداد شكره لربه تبارك اسمه، بالقول والعمل[٣].

---

(١) وقد لا تكون بأيديهم وسائل إعلام يوصلون من خلالها مشاكلهم، بل إن الذي يمتلك كبرى وسائل الإعلام في مشارق الأرض ومغاربها هم أعداء المسلمين، وعندهم مقدرة فائقة على قلب الحقائق. وما يمتلكه المسلمون لا يعد شيئاً في مقابل ما لدى أعدائهم. وعلى كل حال فإنه لا غنى للمسلمين عن أن يقابل بعضهم بعضا، فيتناقلون أخبارهم فيما بينهم.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: "هلم إلىجهاد لا شوكة فيه: الحج".
رواه الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، واللفظ له، ورواه عنه أيضا ابن الجعد وعبد الرزاق وسعيد بن منصور. وقال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٢/ ١١٨٤/ ٧٠٤٤. المعجم الكبير: ٣١٤/٢٤/ح: ٧٩٢. وانظر: المعجم الأوسط: ٣٠٩/٤/ح: ٤٢٨٧. و: مسند ابن الجعد: ٣٤٦/ ح: ٢٣٨٧. و: مصنف عبد الرزاق: ٧/٥/ح: ١٧٤. و: سنن سعيد بن منصور: ١٦٦/٢/ ح: ٢٣٤٢. وانظر: مجمع الزوائد: ٢٠٦/٣. والشوكة: السلاح والقوة والبأس. انظر: مادة (شوك) في: المعجم الوسيط:١/ ٥٠١.
وعند البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: [سأله نساؤه عن الحج. فقال: "نِعْم الجهاد الحج."]. البخاري: ٣/ ١٠٥٤/ ح: ٢٧٢١.

(٣) وهذا يوجد في الصيام أيضاً.

ثم إن في تجنب هذه الزينات إشعاراً لنفس المؤمن بأن هذه المتع لا ينبغي أن تكون مسيطرة على اهتماماتها، بل إنه توجد أمور عظمى؛ يجب على المؤمن أن يوجه إليها همته.

٨- وفي الحج تربية للمؤمن على أن يلتزم منهجاً واضحاً محدداً، لكي يصل إلى مطلوبه، ولا تكون جهوده عشوائية غير منتجة. وهذه التربية موجودة في سائر العبادات، فكل عبادة لها أحكامها وشروطها وهيئاتها وأوقاتها، التي لابد للمؤمن أن يلتزم بها، حتى تكون عبادته مقبولة عند ربه جل جلاله[١].

٩- ثم إن المؤمن يتنقل بين المشاعر المتعددة: مكة -منى -عرفات -مزدلفة، وكل منها له وظائفه وكل منها له وقته المحدد، وعلى المؤمن -إذا أراد أن يكون من الفائزين- أن يغتنم كل لحظة يوجد فيها في تلك الأماكن ليزداد قرباً من ربه تبارك اسمه، وذلك بأداء ما شرع تعالى لكل منها على أحسن ما يستطيع. وهذا بمجموعه يعلّم المؤمن أن يكون حريصاً على اغتنام وقته، واغتنام فرص الخيرات، وعدم إضاعة شيء من وقته، أو مما أنعم الله سبحانه به عليه، من غير أن يستفيد منه الفائدة التي تعود عليه بأعظم الخير العاجل والآجل.

١٠- كذلك فإن أعمال الحج المتعددة، التي لابد من أدائها في وقت محدد، بالإضافة إلى ما لا غنى للإنسان عنه من أمور معيشته، كل ذلك فيه تدريب للمؤمن على أن ينظم وقته وأعماله، فلا يطغى عمل على عمل، ويقدم الأهم ثم الأهم.

١١- ثم إنه مع كثرة الناس وتزاحمهم أيام الحج؛ فإنه ينبغي للمؤمنين أن يلتزموا أثناءها بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة، أثناء الحج، من السكينة، وتقديم الضعفة، وعدم التدافع... وأن يلتزموا كذلك التوجيهات العامة الواردة في النصوص الشرعية، التي تبين كيفية تعامل المؤمنين بعضهم مع بعض. والتزام المؤمنين بهذه التوجيهات في هذا الوقت؛ فيه تدريب لهم على أن ينظموا أنفسهم دواماً، مهما كانت الظروف صعبة، ليصل كل منهم إلى مقصوده وطلبته، دون تعارض ولا تضاد، ودون أن يطغى الأقوى على من أهم أضعف منه.

١٢- بل إن المشاعر والأماكن المحصورة، والوقت المحدد الذي لا يمكن تجاوزه، مع كثرة المؤمنين الراغبين في الحج، كل ذلك فيه تعليم وتدريب لهم؛ على أن يجدوا لأنفسهم الحلول والخطط الناجحة، والمخارج لكل ما يلقونه، مهما كانت الظروف صعبة، والحدود ضيقة[٢].

---

(١) انظر ما سبق: ٤٥٠.

(٢) يلاحظ فيما سبق التركيز على الجوانب الدنيوية العاجلة، التي تحصل للمؤمنين الذين يؤدون الحج بفقه، وعلم بكل أمر يقومون به في حجهم. وليس معنى ذلك إغفال الجوانب الدينية أو الأخروية. فقد سبقت الإشارة إليها مجملة. بالإضافة إلى أن جميع ما ذكر مما يعود بالنفع على المؤمن في حياته الدنيوية، هو مما يشمله الدين بمفهومه الكامل.
وأيضاً فقد قصد هنا بيان مدى ظلم العلمانيين المحدثين عندما يتحدثون عما تعود به العبادات على المؤمنين، حتى بالنسبة لكثير من جوانب الحياة الدنيوية، والتي هي مبلغ علم أولئك العلمانيين.

الوجه الرابع:

وقد خص (العلماني) السعي ورمي الجمرات بالذكر، بإشارة سريعة، لا يتبين معها أهمية الحِكَمْ المستنبطة من هاتين الشعيرتين، والتي منها:

أ- ما روي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إنما جعل رمي الجمار والطواف والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله، لا لغيره"[1].

فالهدف من جميع أعمال الحج المتنوعة هو إقامة ذكر الله جل جلاله على أكمل وجه. ولهذا فإن الأعمال التي شرعها الله تعالى للحج وما يرافقها من تنقلات إلى أماكن متفرقة؛ كلها تتضمن أمراً أساساً واحداً، وهو ذكر الله تعالى وعبادته، مع كل عمل ومع كل تنقل.

قال تبارك اسمه:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾ البقرة.

وقال جل جلاله:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ البقرة.

وقال جل شأنه:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾ الحج.

ب- وكما سبق في شأن اختيار الله عز وجل طائفة من أعمال العباد المعتادة، وجعله تبارك اسمه لها شروطا وأحكاما وهيئات، وطلبه جل جلاله من عباده أن يعبدوه من خلال تلك الأمور؛ فإنه يقال هنا بالنسبة إلى أعمال الحج:

١- إنه إذا كان الإنسان يطوف ويسعى في سبيل قضاء حوائجه؛ فقد جعل تعالى له طوافاً وسعياً يعبد من خلاله ربه جل شأنه عبادة مخصوصة، وجعل لهذا الطواف ولهذا السعي مكاناً محدوداً لكل منهما، وصفاتٍ وشروطاً وأحكاماً لابد أن يلتزم المؤمن بها، حتى يؤدي كلتا العبادتين أداء صحيحاً، مقبولاً عنده جل جلاله.

---

(١) رواه أحمد والدارمي والترمذي وأبو داود والحاكم وابن خزيمة والبيهقي وإسحاق بن راهويه عن عائشة رضي الله عنها. واللفظ للحاكم. المستدرك؛ الحاكم: ١/٦٣٠/ ح: ١٦٨٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وانظر: سنن الدارمي: ٢/٤٧١/ح: ١٨٥٣. و: سنن الترمذي: ٣/٢٤٦/ح: ٩٠٢، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح. و: سنن أبي داود: ح: ٢ / ١٧٩/ ١٨٨٨. و: مسند أحمد: ٦/٦٤، ١٣٨. و: صحيح ابن خزيمة: ٤/٢٢٢/ح: ٢٧٣٨، ٤/٢٧٩/ح: ٢٨٨٢. و: سنن البيهقي الكبرى: ٥/١٤٥. و: مسند إسحاق بن راهويه: ٢/٣٨٠/ ح: ٩٢٨.

٢- وإذا كان الإنسان يتنقل من مكان إلى مكان من أجل تحقيق مآرب له؛ فقد جعل له تعالى تنقلات يعبد المؤمن من خلالها ربه تبارك اسمه عبادة مخصوصة، وجعل لها كذلك شروطاً وأحكاماً لابد من الالتزام بها، فكان السفر إلى مكة، ثم التنقل فيما بينها وبين المشاعر المتعددة[١].

٣- وإذا كان الإنسان يقاوم وقد يحارب من يعارضه من أجل الحصول على مصالح دنيوية له؛ فقد جعل تبارك اسمه من ذلك عبادة مخصوصة، لها هيئة مخصوصة، يعبد المؤمن من خلالها ربه تعالى، وذلك عن طريق الجمار[٢]:

أولاً: فرمي الجمار وسيلة مادية يعلن الإنسان من خلالها مقاومته للشيطان، الذي هو العدو الأكبر له. ويعلن الإنسان من خلالها كذلك عداوته المطلقة للشيطان، وكل من كان من حزبه. ويعلن كذلك أنه عبد الله تعالى، خاضع له وحده، ظاهراً وباطناً، متبع كل أمر يأمره به، مجتنب كل أمر ينهاه عنه.

ثانياً: وتكرار الرجم فيه تأكيد وتثبيت لهذه الحقائق، حتى تصبح راسخة في النفس.

ثالثاً: ويلاحظ أن المؤمن كلما كان أكثر التزاماً في رميه الجمار؛ كلما اشتد وعظم إيذاؤه لعدوه الأكبر. قال صلى الله عليه وسلم وقد تناول حصى الجمار:

"نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[٣].

---

(١) وهذا كما أن للإنسان قياماً وقعوداً...، فاختص تبارك اسمه لنفسه من هذه الحركات؛ بعدد يعبده المؤمن من خلالها عبادة مخصوصة، وجعل لها شروطاً وأحكاماً وهيئات.
وكذا الحال بالنسبة لإنفاق المال عموماً، وعبادة الزكاة والصدقات.
وكذا الحال بالنسبة لما يقوم به الإنسان من تجنب بعض الأمور لمصلحة يريدها، وعبادة الصيام.
وهذا وجه من وجوه الحكمة، لا ينفي سائر الوجوه الكثيرة.

(٢) وظاهر أن هذا المعنى موجود في الجهاد الأكبر على أكمل صورة.

(٣) الحديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الذي التقط الحصى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه إياها، وذكر رضي الله عنه أن الحصى كان كحصى الخذف. والحديث أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أحمد، واللفظ أعلاه له، والنسائي وابن ماجه وابن الجارود وابن خزيمة والبيهقي وأبو يعلى والحاكم. المسند: ١/٢١٥، ١٤٧، وصححه محققو طبعة مسند أحمد الجديدة: ٣/٣٥٠-٣٥١، ٥/٢٩٨. وانظر: صحيح ابن خزيمة: ٤/٢٧٤/ح: ٢٨٦٧. و: مسند أبي يعلى: ٤/٣١٦/ ح: ٢٤٢٧، ٤/٣٥٧/ ح: ٢٤٧٢. و: المنتقى من السنن المسندة: ١٢٧/ ح: ٤٧٣. و: سنن النسائي: ٥/٢٦٨/ ح: ٣٠٥٧، وصححه الألباني. و:السنن الكبرى؛ له: ٢/٣٥/ ح: ٤٠٦٣، ٢/٤٣٦، ح: ٤٠٦٥. و:سنن ابن ماجة: ٢/١٠٠٨/ ح: ٣٠٢٩، وصححه الألباني. و: المستدرك على الصحيحين: ١/٦٣٧/ ح: ١٧١، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. و: سنن البيهقي الكبرى: ٥/١٢٧. وذكره مصححاً إياه محقق شرح السنة للبغوي: ٧/١٨٢، تكملة هامش صفحة سابقة.
و: (حصى الخذف): هو حصى الرمي، والمراد الحصى الصغار، لكنه أطلق مجازاً. المصباح المنير؛ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: مادة: (خذف)/ ١/١٦٥.

وكلما كان المؤمن أكثر التزاماً بحدود الله وحدود شرعه؛ عظم إيذاؤه للشياطين وأعوانهم. وفي هذا تربية للمسلم أن يلتزم الصراط المستقيم في جميع شؤونه، ولا يغلو فيه، كما لا يفرط فيه. فإن الزيادة كالنقصان في عدم الوصول إلى الغاية المطلوبة. وهذا كما هو في أحكام الشرع؛ كذلك هو في الأمور الدنيوية العامة.

رابعاً: كذلك فإن المتأمل يشعر بأن لتعدد أماكن الرجم غايات، قد يكون منها: أن العدو -وعلى رأسه الشيطان- لا يلتزم طريقة واحدة في محاربته العبد المؤمن، بل إنه ينوّع طرقه، وعلى البصير أن يدركها، وأن يقاومها ويدافعها جميعاً.

وفي ذلك أيضاً تدريب للمؤمن على أن يقاوم أعداء الله تعالى، على الوجه الذي يستحقونه، وأن يكرر ذلك ولا يتوانى فيه. وأن يعلم أن عدو الله وعدوه لا يمل من محاربته ومحاربة دينه، فعليه ألا يغفل عنه أبداً[1].

جـ- ومن الحكم المستنبطة من شعيرة السعي:

١- أن السعي من الحج، والحج كله جهاد أصغر، وفيه تدريب للمؤمن على الجهاد الأكبر، فالسعي فيه شيء من ذلك.

٢- وقد شُرِعَ في بعض السعي -وكذا الطواف- الإسراع في حركة المشي، وكان سبب ذلك أول ما شرع أن الرسول صلى الله عليه وسلم طاف وسعى مع صحابته، ومكة ما تزال تحت أيدي المشركين، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يريهم قوة المسلمين[2].

---

(١) انظر: ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة: ٢٦٧-٢٧٢.

(٢) بيّن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه عنه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والنسائي والبيهقي والطحاوي، واللفظ للبخاري. وهو:
عن ابن عباس قال: [قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم، وقد وهنهم حمى يثرب. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين...] الحديث.
البخاري: ٥٨١/٢/ ح: ١٥٢٥، ١٥٥٣/٤/ ح: ٤٠٠٩. وانظر: صحيح مسلم: ٩٢٣/٢/ ح: ١٢١٦. و: مسند أحمد: ٢٩٠/١، ٢٩٤. و: سنن أبي داود: ٢/ ١٧٨/ ح: ١٨٨٦. و:صحيح ابن خزيمة: ٢١٥/٤/ ح: ٢٧٢٠. و: السنن الكبرى : ٤٠٥/٢/ ح: ٣٩٤٢. و: سنن البيهقي الكبرى: ٨٢/٥. و:شرح معاني الآثار: ١٧٩/٢.
كما روى ابن عباس حديثاً آخر فقال: [إنما سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وبين الصفا والمروة؛ ليرى المشركين قوته]. وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وأحمد وابن خزيمة والبيهقي وأبو يعلى والطبراني والحميدي، واللفظ للبخاري. البخاري: ٥٩٤/٢/ح: ١٥٦٦، ٤ /١٥٥٣/ ح: ٤٠١٠. وانظر: صحيح مسلم: ٩٢٣/٢/ح: ١٢٦٦. و: مسند أحمد: ٢٥٥/١، ٣١١. و: سنن النسائي: ٢٤٢/٥/ح: ٢٩٧٩. و:السنن الكبرى: ٤١٤/٢/ ح: ٣٩٧٣. و: صحيح ابن خزيمة: ٢٣٩/٤/ ح: ٢٧٧٧. و:سنن البيهقي الكبرى: ٨٢/٥. و: مسند أبي يعلى: ٢٩/٤/ ح: ٢٣٣٩. و: المعجم الكبير: ١١٥/١١/ ح: ١١٢١٩، ١٣٩/١١/ ح: ١١٢٨٨، ١٦٧/١١/ ح: ١١٣٨١. و: مسند الحميدي: ٢٣٢/١/ ح: ٤٩٧.

وفي هذا تدريب للمؤمنين دواماً على أن يظهروا بمظهر القوة أمام أعدائهم، حتى يرهَبوهم، ولا يستضعفوا جانبهم، وهذا يتطلب منهم أن يحرصوا على ما يجعلهم يظهرون بهذه الصورة[١].

٣- ثم إن في ذلك الأمر تدريب للمؤمنين على أن يبذلوا المزيد من الجهد والطاقة في الأوقات التي تحتاج إلى ذلك، ولو كلفهم هذا مشقة زائدة، فأجرهم لن يضيع عند الله جل شأنه.

٤- وعلى وجه العموم؛ فإن السعي يعلّم المؤمن الجد في نيل الخير الحقيقي، وألا يتوانى في هذا السبيل، بل عليه أن يكرر سعيه ويداومه للوصول إلى الهدف الأسمى.

٥- والسعي بما شُرع له من هيئات؛ يُعَلّم المؤمن أن يزاوج بين بذل المزيد من الجهد وبين التوسط في ذلك، وهذا حتى لا ينقطع به الطريق، إن داوم على إجهاد نفسه وجسده.

الوجه الخامس:

ومما ينبغي بيانه أنه لو ظل المتدبر يستنبط ما لكل شعيرة من شعائر الحج من حِكَم ومصالح، ومن تربية للمؤمن على ما ينبغي أن يكون عليه، في أحواله المختلفة؛ لظن أن وقت عمره كله لا يكفيه لأداء ذلك الاستنباط حقه الواجب له، وهذا فيما عدا الأجر العظيم عند الله جل جلاله[٢].

فأين هذا ممن يظن أن للشعيرة من شعائر الحج مصلحة أو مصلحتين -دنيويتين-، وأنه

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر: ٣/٤٧٠.

(٢) جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام؛ فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة. وأما وقوفك بعرفة؛ فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟. فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً؛ غسلها الله عنك. وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك. وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة. فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك". هذا الحديث رواه: الطبراني وابن حبان وعبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله عنهما. واللفظ المذكور للطبراني. المعجم الكبير: ١٢/٤٢٥/ ح: ١٣٥٦٦. وانظر: صحيح ابن حبان: ٥/٢٠٥/ ح: ١٨٨٧. و: مصنف عبد الرزاق ٥/١٥-١٦/ ٨٨٣٠. وقد حسن الألباني الحديث في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/٢٨٩/ ح: ٣٦٠.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه". متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. البخاري: ٢/٦٤٥/ ح: ١٧٢٣، ٢/٦٤٦/ ح: ١٧٢٤، صحيح مسلم: ٢/٩٨٣-٩٨٤/ ح: ١٣٥٠.

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية عشرين وجهاً من وجوه فوائد التلبية، والتي تعود على المؤمن في دينه ودنياه، يراجع مختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، وبهامشه تهذيب ابن قيم الجوزية: ٢/٣٣٧-٣٤٠.

بإمكان الإنسان أن يحصلها من غير هذا السبيل؟!.

إن من يجهل حقيقة ما في الحج من حكم لا تحصى؛ لا يجوز له أبداً أن يقحم نفسه في دراسة شيء من علوم الدين، قبل أن يحصل مقداراً من العلم بالأمور الشرعية. وهذا ينبغي حتى لمن لم يكن همه إلا محاربة الدين والنبوات، فإن المحارب الذي عنده مقدار ما من احترامه نفسه، يحاول قدر مستطاعه أن يحارب عدوه بنزاهة، ولو كان مجرد متظاهر بها، ولاسيما إن كان المجال في الأمور الفكرية.

وأما من يصر على تجاهل تلك الحقيقة؛ فإنه يدل على مدى ما وصل إليه من الكبر والعناد، إذ يصر على رفض الحق مهما كان واضحاً جلياً.

الوجه السادس:

وكذلك فإنه من خلال ما سبق بيانه يتبين مدى جرم من يصر على ادعاء أن فريضة الحج إنما تفيد العامة، لأنهم هم الذين في حاجة إلى مواكب واحتفالات...!.

فقد تبين أن الحكم والغايات الحسنة لم تنحصر في تلك الفريضة العظيمة على الغايات الأخروية، بل إن المصالح الدنيوية التي تنال من أدائها على الوجه الصحيح لا تكاد تحصى، مما يجعل كل منصف يقر بأن مجرد تلك الغايات الدنيوية -فضلاً عن الأخروية- لا يمكن أن يوجد عمل مهما بلغ يمكن أن يقوم مقام عبادة الحج المشروعة، لتحصيلها على أكمل وجه وأتمه وأيسره وأحسنه وأوضحه وأشمله.

وبعد، فكما أن الإيمان بالله تعالى كلما قوي؛ عظمت استفادة الإنسان من الغايات الحسنة المترتبة على قيامه بالعبادات المشروعة؛ فإن تدبر تلك الغايات وإدراكها يقوّي في نفس الملتزم بشرع الله جل جلاله؛ إيمانه ببالغ حكمته عز وجل وببالغ رحمته بعباده، إذ لم يشرع لهم -حتى في العبادات الخالصة- إلا تشريعات تعود عليهم بالنفع العظيم، من وجوه متعددة في دنياهم وأخراهم.

القضية السابعة: حول استخدام (العلماني) عبارات غير شرعية، أو عبارات شرعية في غير موضعها:

أولاً: استخدم (العلماني) في افتراءاته السابقات كلمة (الطقوس)[1]، تعبيراً عن العبادات ومظاهرها وأحكامها.

وهذه الكلمة غير مستخدمة؛ لا في النصوص الشرعية الإسلامية، ولا عند علماء وفقهاء المسلمين.

وربما تكون قد استخدمت لدى أرباب الديانات الأخرى . ولكن هذا لا يجيز استخدامها للتعبير عن الشعائر التعبدية الإسلامية، وأحكامها، ما دام أن لها اسمها المستنبط من النصوص الإسلامية، (عبادات- شعائر- أحكام...). وذلك حتى لا يقع خلط في المفهوم بين العبادات المشروعة الثابتة، وبين ما لدى الديانات الأخرى، مما قد يكون وضعياً لا أصل له، أو منسوخاً.

ثانياً: نسب (العلماني) إلى من أسماهم الحكماء: أنهم أسقطوا كثيراً من الشعائر والعبادات بالكلية، إن لم يكن جميعها[2].

١- والسؤال هو: من هم الحكماء الذين أسقطوا الشعائر والعبادات بالكلية؟!.

إن الذين كان منهم ذلك إنما هم من الذين أُسْمُوا في التاريخ الإسلامي بالباطنية[3]. وقد تذرع كثير من هؤلاء بادّعاء الحكمة، وهي منهم براء، وقد أخذوا بآراء بعض الفلاسفة،

---

(١) طقوس: جمع طقس وهو: النظام والترتيب.
وعند النصارى: نظام الخدمة الدينية، أو شعائرها واحتفالاتها. المعجم الوسيط: ٥٦١/٢.
فعلى هذا فإن كلمة طقوس إنما هي مستخدمة عند النصارى، وأما المسلمون فلم يستخدموا هذه الكلمة، ولكن قد تكون مستخدمة عند غير النصارى من أصحاب الديانات الأخرى غير الإسلام. أو أنها أطلقت على ما يقومون به من عبادات يتوجهون بها نحو معبودهم، وذلك عند الدارسين لهم ولأحوالهم. على أنني لم أجد الكلمة في: الصحاح، ولسان العرب، وترتيب القاموس المحيط.

(٢) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٣) تعريف موجز بالباطنية:
قال عبد القاهر بن طاهر الاسفرائيني البغدادي في كتاب الفرق بين الفرق: (الذي يصح عندي من دين الباطنية؛ أنهم دهرية زنادقة، يقولون بِقِدَم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، وينكرون المعجزات والملائكة، ويزعمون أن الأنبياء أحبوا الزعامة، فساقوا العامة بالحيل، بدعوى النبوة. واشتهروا باسم الباطنية، لقولهم بالباطن والظاهر، فكل حقيقة من حقائق الدين لها ظاهر، هو المعروف للناس. ولها باطن، وهو المقصود حقيقة، ولا يعلمه إلا إمامهم المعصوم المكذوب، وبهذه الحيلة أبطلوا جميع حقائق الدين.
انظر: الفرق بين الفرق: ٢٨١-٣١٢. و: الملل والنحل؛ الشهرستاني: ٢٠٠-٢٠٧. و: بيان مذهب الباطنية وبطلانه، منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد؛ محمد بن الحسن الديلمي: ٢-١٨، وسائر فصول الكتاب.

الأقدمين، من يونانيين وغيرهم، وأضافوا إلى خرافات أولئك؛ خرافات لا يقبلها عقل سليم.

وحال هؤلاء كحال جاهل في العلوم الكونية، وإن كان لديه إلمام بفنون أخرى، وقد ادعى لنفسه وصف العلم في كل المجالات، ثم أخذ يزعم أن هذه العلوم الكونية كلها باطلة، ولا فائدة منها. فهل يأتي عاقل ويقول إن بعض العلماء قد قال هذا القول؟!!.

٢- إن ثبوت أي وصف لشخص أو فئة؛ إنما يكون بعد أن يثبت بالدليل القاطع أحقية هذا الشخص أو الفئة بهذا الوصف، من خلال دراسة أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم.

فإن ثبتت الأحقية وصفوا بذلك الوصف، وإلا لم يثبت لهم وإن ادعوه، بل قد يثبت لهم خلافه.

وقد يقال: إن هذا الوصف يثبت لهم في مجال دون آخر.

وإذا كانت الحكمة: وضع الأمور في مواضعها اللائقة بها[1]؛ فكيف يصح بعد ذلك أن توضع في المكان الذي لا يليق بها؟!.

٣- لقد تبين من خلال ما سبق من النقاش؛ أن المؤمنين حقاً يوقنون بأهمية العبادة بالنسبة إلى الفرد وإلى المجتمع، وأنها لا يمكن أن يستغني عنها المؤمن، إذا أراد السعادة الدنيوية والأخروية، وقد استُدل لهذه الحقيقة بالأدلة العديدة الثابتة، والتي تجمع بين الدلالتين السمعية والعقلية.

ومن ثم فإن أتى من يزعم أنه من جماعة المسلمين؛ كيف يصح له أن يثبت وصف العلم أو الحكمة بإطلاق؛ لمن يدعي نقض تلك الحقيقة من غير دليل؟!.

٤- إن وصف مدعي سقوط العبادات بأنه من الحكماء؛ لا يكون إلا من شخص مُصرّ على التمسك بباطل هؤلاء القوم الذين ادعوا ما ادعوه، ومن ثم فإنه لا غرابة بعد ذلك أن يصفهم ويجلّهم بما شاء!.

٥- أما أولئك الباطنية فهم باختصار قد زعموا أن العلم كله عند إمامهم المعصوم[2]، ثم أخذوا يتحللون من الدين وشرائعه وأحكامه وعباداته، ويستبدلون بذلك كله الالتزام بخرافات وضعوها، وادعوا أنها هي المراد من وراء تلك الرموز -العبادات-، كموالاة أئمتهم، وكل فرقة

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل؛ ابن قيم الجوزية: ٤٣٣.

(٢) وهل ترضي هذه الفكرة حسن حنفي؟!، وموقفه من الأنبياء والرسل عليهم السلام هذا الموقف الرافض لكونهم هم السبيل الوحيد للسعادة الحقيقية، كما تبين من خلال مناقشاته لمن قال بوجوب النبوة، ولمن قال باستحالتها.

وعن الإمام عند الإسماعيلية -إحدى أكبر الفرق الباطنية- واختصاصه بعلم الباطن. انظر: الحركات الباطنية في الإسلام؛ مصطفى غالب، وهو إسماعيلي، ٩٣-١٠٤.

لها أئمة، أو معاداة أعداء أئمتهم المزعومين. ونحو ذلك من معان لا تستحق أن يُلْتَفْتَ إليها، أو أن تعتبر بوجه من الوجوه هي إحدى الغايات من العبادات، فضلاً عن أن تكون هي المراد من الشرائع والعبادات(١).

٦- فهل هذه هي الحكمة، وهل هؤلاء هم الحكماء في نظر (العلماني)؟!.

أم أن مراده إيهام القارئ -الذي لا اطلاع عنده- بأنه قد وجد في التاريخ الإسلامي مفكرون وحكماء حقيقيون قد نادوا بإسقاط العبادات، والالتزام -بدلا منها- بما دلت عليه؛ من الغايات المتعددة، المستنبطة عقلاً من حكمة القيام بالعبادات؟!.

هؤلاء لم يوجدوا أصلاً. وإنما الذي وُجِدَ هُمْ الباطنية، الذين هم أبعد الناس عن الحكمة

(١) نقل مصطفى غالب في كتابه: الحركات الباطنية: عن أحد دعاة الإسماعيلية الكبار، والذي أسماه: داعي الدعاة المؤيد في الدين؛ انتقاده الشديد لمن ذهب من الشيعة الغلاة إلى: التحلل من الأحكام والشرائع، وادعاء أنها إشارات ورموز إلى معان، لو عرفت أغنت عن تلك العبادات، ووصل إلى حد تكفيرهم. انظر ١٠٦-١٠٧.
وفيه أيضاً: ص: ٩١: ينقل صاحب الكتاب: مصطفى غالب، عن مثيل له معاصر -اسمه: عارف تامر-: أن محمد بن إسماعيل -الإمام السابع لهم- هو أول إمام رفع التكاليف الظاهرية، ونادى بالتأويل، وبالمعنى الباطني!. ولم يعترض عليه مصطفى غالب. ولا يدري الدارس أي الكلامين يصدق. ولكن من الثابت أن الإسماعيلية من الفرق الباطنية التي تحللت من الأحكام، وإن تظاهر بعض أتباعها بخلاف ذلك، تقية، وتلبيساً على من لم يعرف حقيقة حالهم.
وقد نقلت رسالة كاملة لكبير دعاة الدروز -إحدى الفرق الباطنية- حمزة بن علي، وكلها قائمة على إسقاط الفروض كلها، ظاهرة: -كما هي عند المسلمين-، وباطنة: -كما هي عند سائر الباطنيين غير الدروز-، واستبدالها كلها بمعان تدور حول ارتباط الأتباع بمعبوديهم من البشر...!!. والفارق بينهم وبين سائر الباطنيين إنما ينحصر في تغيير الأسماء، وأما الطريقة والمنهج فمتحد. وفي هذه الرسالة يزعم واضعها أن معبودهم الحاكم الفاطمي قد أسقط عن عبيده الشريعتين الظاهرة والباطنة، وتأول: الفحشاء والمنكر، عليها. وقد نقل الرسالة كاملة د. عبد الرحمن بدوي، في كتابه: مذاهب الإسلاميين: ٧٠٧ وما بعدها.
فهل هؤلاء الحكماء هم الذين قصدهم حسن حنفي، وهل قولهم هذا متفق مع العقل الذي يزعم نصرته، أم أنه مضاد له؟!. ثم ماذا يقول عن مدى خضوعهم واستسلامهم لأئمتهم، وهل هو يوافقهم على هذا؟!!. أم هو فقط يستشهد بما عند كل فرقة من ضلالات تؤيد ما يريده من الباطل، حتى ولو أن تكملة ضلالاتهم هذه مما يعارضه ويناقضه أشد المناقضة؟!. وهل هذا فعل من يريد الخير وإعادة البناء، أم فعل من لا يريد إلا الهدم والشر والفساد، بأية صورة وبأي شكل؟!!.
ولا يغيب في هذا المجال ما ادعاه بعض المتصوفة من أن الغاية من العبادة أن تصل إلى الله جل شأنه؛ فإن وصل العابد إليه سقطت عنه العبادة، بل إن انشغاله بها بعد ذلك ينقص من حضوره مع ربه تعالى!. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٠/٤٣٤، ٤٤٦-٤٤٨.
و حسن حنفي الذي لم يلقِ بالاً للغاية العظمى من وراء العبادات، وهي طلب رضا الله جل شأنه، والفوز بثوابه؛ لا يظن بأنه يؤيد هؤلاء على ما زعموه، فأي أهمية عنده لمثل هذا أصلاً؟!، والغايات منحصرة في نظره -كما تبين- في حدود الحياة الدنيا.. وهو في كتابه النبوة؛ قد رد على من ادعى أن التكاليف تشغل عن التفكير في الله تعالى. انظر: الدعوى ص:٥٢، ورده ص:٥٣.

حقيقة، وإن ادعوها.

ثالثاً: استخدم (العلماني) كلمة (رموز)، وهذا أثناء دعواه الباطلة أن: بعضَ العباداتِ رموزٌ لها دلالتها، التي تعود على الإنسان في حياته الدنيوية[(١)].

إن استخدام كلمة رموز؛ فيما يتعلق بشأن العبادات يضعف معناها، إذ يعطي دلالة: أن هذه العبادات إنما شرعت من أجل تلك الأمور، التي ترمز إليها، لا من أجل أن نعبد الله تعالى من خلالها، وهذا غير صحيح.

فالعبادات المشروعة يلتزم بها المؤمن كما شرعت، ومقصده الأساسي طلب رضا ربه جل شأنه. والعبارة التي تستخدم في هذا المجال -كما سبق- هي: أن للعبادات حِكَماً ومصالح وغايات تتحقق للإنسان في حياته الدنيوية؛ من وراء قيامه بها. ولكن ليس معنى ذلك أن تلك الحكم والغايات هي المقصد الأساسي الذي يسعى إليه المؤمن من التزامه بالعبادة.

فاستخدام كلمة الرَّمز استخدام غير صحيح، والصحيح استخدام عبارة الغايات والمصالح، فالعبادة مقصودة، والغايات تتحقق من ورائها، وليست العبادة مجرد رمز لأمر ما[(٢)].

رابعاً: يتكرر استخدام (العلماني) لكلمتي الخاصة والعامة[(٣)]، وهو يجعل الخاصة يقفون معه في صفه، ويؤازرونه على باطله، والحق بخلاف ما ادعاه هذا المفتري.

فالخاصة -في حقيقة الأمر- هم أولو الألباب، وهم أولو العقول الحصيفة، الذين يستخدمون عقولهم هذه وبصائرهم، وما وهبهم الله تعالى من نعم السمع والبصر والحواس، الاستخدام الأمثل، والذي يعود عليهم بالنفع الكامل، فلا يحجرون عقولهم وأسماعهم وأبصارهم ضمن حدود معينة. وهؤلاء عندما يتفكرون في خلق السموات والأرض يعلمون أن وراءهما خالقاً لهما، عليماً حليماً خبيراً قديراً، وأن خلقه لهما ليس باطلاً ولا عبثاً، بل لغاية وحكمة بالغة، قال تبارك اسمه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ آل عمران.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٠.

(٢) هذه الملاحظات قد لا تعظم أهميتها أمام ما ذكره حسن حنفي مما سبق الرد عليه، وسيأتي كذلك، ولكن قد يقع في مثل هذه الأغاليط غيره ممن لا يبلغ مبلغه، فلابد من التنبيه وإيضاح الحق.

(٣) انظر ما سبق: ٤٢٠، ٤٢٢.

وهؤلاء الخاصة عندما يبلغون هذا الحد؛ يكونون أعظم رغبة وأتم إرادة في التوجه إلى الرب الإله الخالق الحكيم تبارك اسمه؛ بصنوف العبادة. وعبادة هؤلاء لله جل جلاله هي في أعلى المراتب، إذ يتوجهون إليه سبحانه وهم مستحضرون لعظيم قدرته وعلمه وحكمته تعالى، التي استنبطوها من خلال تفكرهم في آيات الله جل شأنه المنزلة وآياته الكونية.

قال تبارك اسمه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ فاطر.

وباستطاعة المتدبر أن يرى العلاقة واضحة بين الآيات الكونية المذكورة؛ وبين العلماء الذين بين تعالى أنهم هم الذين يخشونه حق خشيته.

القضية الثامنة: حول دعوى (العلماني) أن الجانب اللاعقلي في صور العبادات هو السبب الذي جعل الفقهاء يرفضون التعليل ويبطلون القياس:

زعم (العلماني) أنه (بسبب هذا الجانب اللاعقلي في صور العبادات رفض الفقهاء التعليل، وأبطلوا القياس.)

واستدرك قائلا:

(يظل التعليل أساس الأحكام ويظل القياس أصلاً من أصول التشريع، فليس كل ما في الشريعة مضاداً للعقل، بل إن الأحكام التي بها صلاح العباد، أي كل ما يتعلق بالمعاملات يمكن فهمها بالعقل، وإدراك غايتها وقصدها)[1].

وفيما يلي بيان أباطيل (العلماني) في هذه الدعوى، والرد عليها:

١- إن إطلاق القول بأن صور العبادات هي من الأمور اللاعقلية؛ إطلاق مجمل يحتمل أكثر من توجيه، ولكن (العلماني) قد بين فيما بعد مراده بـ (اللاعقلية) بشكل ظاهر، وذلك عندما قال: (فليس كل ما في الشريعة مضاداً للعقل)، فهو يريد إيهام القارئ الذي لا علم عنده؛ بأن هذه الصور الثابتة للعبادات هي من الأمور التي يرفضها العقل.

٢- ومثل هذه الدعوى بهذا الإطلاق الذي يشمل العبادات جميعاً؛ لا تصدر عادة إلا عن كافر بالدين، بل عمن هو شديد الكفر موغل فيه، يحمل في نفسه أعظم الضغائن على الدين والنبوات، وإن كان مضطراً إلى كبت ذلك في صدره، فإنه إذا سنحت له فرصة ما؛ أخذ ينفث بعضاً من ذلك المكبوت!!.

٣- ولو أن (العلماني) أبقى هذا الزعم مرتبطا به فقط لهان الخطب، إذا الكثيرون لا يعبؤون بما يراه ويظنه، ولكنه زاد في التلبيس عندما ربط بين ما أسماه بالجانب اللاعقلي في صور العبادات؛ وبين رفض الفقهاء -بإطلاق- للتعليل، دون أن يذكر أي مستند له على ذلك، ودون أن يذكر مراجعه الدالة عليه.

ويظهر أن هذا من مميزات المنهج الثوري التجديدي الحديث، الذي يُعَدّ (العلماني) أحد رموزه، فهو يقرر، وما على غيره إلا أن يسلم له هذا، على الرغم من أن هجومه على النبوة -

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢١.

والذي بَطَّنَهُ بالهجوم على القائلين بوجوب النبوة، والدفاع عن أقوال كثير من مدعي استحالتها؛ إنما يتركز أساساً على ما يحاول أن يقرره -بالدعاوى الباطلة- من أنها لا تأتي إلا بمسلّمات، وتطلب من الناس أن يؤمنوا بها، دون برهان ولا دليل، والحق أنه هو المتلبس بهذه الصفة[١].

والجديد هنا أن هذا الأسلوب التقريري؛ ليس مختصاً بالادعاء على الدين، بل هو كذلك شامل لأقوال العلماء. فإن ادعى أنهم قالوا أمراً؛ فالأمر على ما زعمه!، وإن لم يكن له دليل من الواقع، بل وإن كان الواقع على خلافه!.

٤- ثم أراد صاحب هذه الدعوى أن يظهر نفسه نصيراً للتعليل والقياس، في مقابل الفقهاء الذين ادعى عليهم -بإطلاق- أنهم رفضوهما[٢]، مع أنه من المعلوم الظاهر أنهما ثابتان عند الجمهور الأعظم من فقهاء المسلمين، منذ عصر الإسلام الأول. وللمثبتين أدلتهم وحججهم الكثيرة على ذلك. ومن الأمانة التي ينبغي أن يتصف بها الباحث العلمي، أنه إذا رجّح قول الجمهور -مثلاً-؛ أن يشير إلى هذا، فيقول -على سبيل المثال- والراجح قول الجمهور، أو قول هذه الطائفة، أو نحو هذا، لا أن يبدو وكأنه هو وحده القائل بهذا القول، مخالفاً من سواه.

وعلى هذا فإن في الدعوى السابقة أربعة مزاعم باطلة:

الزعم الأول: ادعاؤه أن صور العبادات هي من الأمور اللاعقلية، على معنى أنها مضادة للعقل؛ لا جديد فيه، إذ هو لا يعتمد إلا على ترديد شبهات أطلقها بعض من ادعو استحالة النبوة من الأقدمين، أو نسبت إليهم[٣].

وقد سبق بيان عدد من الحكم في بعض العبادات، بما يبطل دعوى أن القيام بتلك العبادات أمر يتنافى مع العقل.

ولكن من الثابت أن أمر العبادات المشروعة بصفاتها وأحكامها؛ مما لا تستطيع العقول الوصول إليه بمجردها. وهذه مسألة لا تنكرها فطرة العقول السليمة، وقد سبق بيان هذا

---

(١) انظر ما سبق: ٤٣٤.

(٢) وذلك عندما قال – كما سبق نقله عنه: ٤٢١-: (ولكن يظل التعليل أساس الأحكام، ويظل القياس أصلاً من أصول التشريع). وانظر: النبوة: ٥٥.

(٣) وهم الذين نقل: حسن حنفي أقوالهم وشبهاتهم على الأحكام الثابتة في النبوة الخاتمة، وأظهر نفسه وكأنه يعارضهم. انظر: النبوة: ٥٣-٥٤. وشبهاتهم تدور حول: التساؤل عن حكمة بعض العبادات كالحج إلى مكة، وكالطواف والسعي والصوم...، والحكمة من بعض التشريعات، مما سبق بيان سقوطه، من خلال ما ذكر من بعض حِكَم تلك العبادات.

الأمر[1].

ويقال هنا: إن العقل ما دام قد توصل بالدليل والبرهان إلى خالقه وإلى وجوب عبادته، فهو يطلب من خالقه جل وعلا أن يبين له كيفية العبادة التي ترضيه تعالى. وإذا كان الإنسان كثيراً ما يحتار في اختيار ما يرضي إنساناً آخر مثله، وهما مخلوقان من نوع واحد، وصفاتهما متشابهة بوجه عام، فكيف الحال فيما يتعلق بقدرة الإنسان على معرفة ما يرضي خالقه تعالى، من تلقاء نفسه؟!!.

وعندما يبين الله جل شأنه له العبادات والأحكام؛ فإن العقل المنصف الذي لم ينحرف عن الفطرة التي فطره الله سبحانه عليها؛ سيجد في كل عبادة وكل حكم منها من المصالح والغايات الحسنة العاجلة والآجلة؛ ما يجعله يقر بحسنها، وعظيم علم وحكمة مُشَرِّعِها جل وعلا. ولن يجد في شيء منها ما يناقض الموازين التي فطره الله جل شأنه عليها، وذلك لو تدبرها حق تدبرها[2].

الزعم الثاني: ادعاؤه -بإطلاق- أن الفقهاء رحمهم الله تعالى قد رفضوا التعليل، وأبطلوا القياس:

١- إن مثل هذا الإطلاق معلوم كذبه وبطلانه لدى كل من له أدنى معرفة بأقوال الفقهاء، بل قد يوجد الكثير من الناس لا يعلمون بوجود من أبطل القياس من الفقهاء[3].

٢- ثم إن كثيراً من العلماء ممن تكلم عن التعليل في أفعال الله تعالى وأوامره؛ إنما كان بحثهم مختصاً بمسألة قصد الله جل وعلا لهذه العلل، وهل يعود عليه نفع منها؟. مع إقرارهم بوجود الحكمة والمصلحة والعلة في الأحكام الشرعية، والتي هي الأساس الذي ينبني عليه القياس[4].

فَرَفْضُ تعليل أفعال الله تعالى وأوامره مسألة كلامية مجردة، أما في أصول الفقه، وفي الأحكام الشرعية؛ فإن جمهور فقهاء المسلمين الأعظم قد أثبتوا العلة وأثبتوا القياس.

بل إن الدارس لو طالع كثيراً من كتب التفسير، وكثيراً من كتب شراح الأحاديث النبوية؛ لوجدهم قد استنبطوا الكثير من هذه العلل والحِكَم، من خلال أحكام الله جل شأنه الشرعية.

٣- وقد يوجد في بعض هيئات العبادات ما لم يستطع بعض الفقهاء أن يستنبطوا لها

---

(١) انظر ما سبق: ٣٤٠-٣٤١.

(٢) ألف العديد من العلماء كتباً عن حِكَم الشريعة، في العبادات والأحكام. انظر: كتاب: من حكم الشريعة وأسرارها.

(٣) ومعلوم أن القياس له ضوابط وشروط وأحكام وصفها العلماء، حتى لا يختلط القياس الصحيح بالقياس الباطل.

(٤) انظر: المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين؛ محمد العروسي عبد القادر: ٢٧٢-٢٧٤.

حِكَماً دنيوية عاجلة، ولكن ليس معنى هذا أنه لا توجد غاية تتحقق من الالتزام بها، بل الثابت الراسخ عند جميع المؤمنين؛ أن الغاية العظمى من الالتزام بما يرضي الله تعالى؛ هي الفوز بثوابه العظيم.

٤- وإذا لم يستطع بعض الفقهاء أن يستنبط حِكَماً دنيوية عاجلة من بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات؛ فقد يكون جل جلاله قد استأثر بها، ليُعَلِّم المؤمنين أن يخلصوا في طلبهم للغاية الأخروية، فيكون امتثالهم للأمر بسببها، وهو وحده سبب كاف، ما دام المؤمن قد آمن بربه تعالى، وبوجوب عبادته له جل شأنه.

٥- فليس من شأن المؤمن الصادق ألا يتمثل للأمر الرباني؛ إلا إن تبينت له مصلحة عاجلة، وهذا لأن مقتضى إيمانه أن يكون همه كلّه طلب الفوز برضا الله تعالى، وبالنعيم المقيم، وهو يتحقق بامتثاله للأمر الرباني.

٦- وأما المصالح والحكم العاجلة؛ فالمؤمن بالله سبحانه موقن بكمال حكمته وعلمه ورحمته بعباده، وأنه تبارك اسمه سيختار له من الأحكام والتشريعات ما يحقق له وللمجموع من المصالح؛ ما لا يخطر له على بال، ولكن نية المؤمن الحق مع هذا خالصة في طلب الدار الآخرة، دون النظر إلى ما يتحقق في رحلة الحياة الدنيا من منافع ومصالح.

٧- وقد يكون هذا هو السبب في عدم خوض فريق من الفقهاء والعلماء في بيان تفصيلات حِكَم ومصالح كل حُكْم من الأحكام الربانية المنزلة، مع وجود سبب آخر وهو: قطع باب التساؤلات التي لا نهاية لها؛ عن حكمة جميع تفصيلات الأحكام الشرعية، وإن دقت. فإذا ظهرت الحكمة من حُكْم من الأحكام الشرعية العامة، أو في عبادة من العبادات؛ فقد لا يسهل ظهورها في كل تفصيل من تفصيلات ذلك الحكم، وتلك العبادة. ولماذا الإصرار على هذا، ما دامت الغاية العظمى متحققة؟!.

ثم أليس لله جل شأنه أن يختار أمراً بين احتمالات عدة ويفرضه على عباده، وهو الرب الإله الخالق الملك تبارك اسمه، ولا سيما أنه لن يوجد فيما تركه من الاحتمالات؛ التي يستطيع البشر أن يصلوا إليها بعقولهم؛ ما يفضل على ما فرضه على عباده؟!.

قال الله عز وجل:

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...(١٠٦)﴾ البقرة.

الزعم الثالث: إيهامه أن بعض الفقهاء يظنون أن بعض شرائع الدين مخالفة ومضادة

للعقل، وهذا باطل، فمما سبق يتبين أن الفقهاء رحمهم الله تعالى لا يمكن أن يتصور منهم أنهم يظنون -ولو في بعض العبادات- أنها مخالفة للعقل، فهم أكثر الناس اطلاعاً على العديد من حِكَم ومصالح التشريعات الربانية.

وعلى هذا فإن إيهام أنهم يظنون مثل ذلك الأمر الباطل؛ أمر لا يقصد صاحبه من ورائه إلا أن يزرع في نفوس من لا علم عندهم؛ أن الفقهاء -وهم ذوو الدرجة العالية من فهم الدين- يعتقدون أن أحكامه لا تتوافق ومقتضى الموازين العقلية الفطرية.

وهل يوجد تنفير من الدين ومن الإيمان الحق؛ أعظم من هذا؟!. وهل يستطيع بعد ذلك أحد أن يشك في حقيقة حال من يسلك هذا المنهج؟!.

الزعم الرابع: ويبينه دعوى (العلماني):

(أنه ليس كل ما في الشريعة مضاداً للعقل، بل إن الأحكام التي بها صلاح العباد، أي كل ما يتعلق بالمعاملات يمكن فهمها بالعقل، وإدراك غايتها وقصدها)[1].

ويرد عليه بما يلي:

من خلال ما سبق يتبين أن (العلماني) يحرص حرصاً بالغاً على ألا تفوته فرصة دون أن يوجه للدين وللنبوة سهماً من جعبة الزور والإفك، إما بشكل صريح لاخفاء فيه، وإما بصورة خفية، وكلامٍ ظاهره الدفاع عن مسألة من مسائل الدين أو النبوة، وباطنه يتضمن محاولة إطفاء نور الله تعالى، الذي جاءت به النبوات.

إنه في هذه الدعوى التي يحاول أن يبدو من خلالها وكأنه يدافع عن أحكام الشريعة؛ نجده في حقيقة الأمر يضمنها افتراء يبطل به الشريعة، بل والنبوة من أساسها، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه عندما يزعم قائلاً: (فليس كل ما في الشريعة مضاداً للعقل)؛ فإن هذا يعني: أن في الشريعة ما هو مضاد للعقل، وفيها ما ليس مضاداً للعقل.

فإذا سَلَّم له القارئ الذي لا علم عنده بهذه الدعوى؛ يكون قد دلاّه بغرور ومن حيث لا يشعر إلى القول: بأن مصدر الشريعة إنساني لا رباني.

لأن الشريعة لو كان مصدرها ربانياً، والله تعالى حكيم عليم خبير لا يخفى عليه شيء؛ فإنه لا يمكن أن يوجد فيها شيء يضاد العقل، فخالق العقل ومنزل التشريع هو الله تبارك وتعالى، وأما

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢١.

إذا كان مصدر الشريعة التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام إنسانياً؛ فمعنى هذا أنها معرضة لما تتعرض له جميع القوانين والأحكام الإنسانية. فقد يوجد فيها ما هو صالح، ويظهر فيها كذلك - ولو بعد التطبيق- أمور هي في غير صالح البشر، بل قد يتبين فيها ما هو مناقض لموازين العقول السليمة، الفطرية.

وإذا اعتقد إنسان بأن الشرائع التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام هي من هذا القبيل؛ يكون قد كفر بهم عليهم السلام، وبمرسِلِهم جل وعلا، كفراً لاخفاء فيه.

فالأنبياء صلوات الله تعالى عليهم قد جاؤوا وبينوا أنهم مرسلون من عند الله تبارك اسمه، وأنهم لا يأتون بالشرائع والعبادات من عند أنفسهم، وإنما هم يبلغون البشر ما أوحاه الله تعالى إليهم.

فمن ظن أن ما أتوا به -ولو بعضه- قد يعارض العقل؛ فمعنى هذا أنه يعتقد أن الذي جاؤوا به إنما هو من عند أنفسهم، ومن ثم فإنه يصل إلى دركة الاعتقاد بأنهم لم يكونوا صادقين فيما قالوه: من أن جميع ما يبلغونه من الأحكام إنما هو من عند الله جل جلاله، فإذا لم يكونوا صادقين في هذا؛ فيكف يمكن بعد ذلك أن يُصَدَّقوا فيما قالوه: من أنهم مرسلون من عند الله سبحانه؟!.

فدعوى أن بعض ما جاء به الأنبياء عليهم السلام مضاد للعقل؛ تجعل صاحبها من المكذبين لهم عليهم السلام، وتكذيبهم -في حقيقة الأمر- أكبر من مجرد الكفر بهم، الذي قد يرجع إلى أسباب لا تصل إلى حد التكذيب.

ثم إن الكفرَ بهم كفرٌ بمرسلهم سبحانه، إذ بعدم الإيمان بهم تنقطع الوسيلة التي تُبَلَّغ بها أحكام الله تعالى وتشريعاته للعباد، وهي تتضمن العبادات التي يطلب جل شأنه منهم أن يتوجهوا له بها تبارك اسمه. وكذلك تنقطع الوسيلة التي تُبَلَّغ بها القضايا الإيمانية، على الوجه النقي الصافي، الذي لا يخالطه كدر ولا تشوبه شائبة.

ومن ثم يضع البشر التشريعات من عند أنفسهم، ويتيهون في أباطيل المعتقدات، كما هو موجود دواماً عند من لم يؤمن بالنبوات الإيمان الصحيح، وكل هذا كفر بالله سبحانه، فهو حكم بغير ما أنزل، وهو اتباع كامل -باطناً وظاهراً- لغير ما شرع[1].

الوجه الثاني: أنه عندما يزعم أن الأحكام التي بها صلاح العباد؛ هي كل ما يتعلق

(١) انظر ما سبق: ٤٤١-٤٤٣.

بالمعاملات؛ فهذا يعني أن الأحكام الشرعية التي تتضمن ما فيه سعادة العباد وصلاحهم؛ لا توجد إلا في أحكام المعاملات. ولا يظهر من هذه الدعوى إلا أن صاحبها يريد إخراج العبادات من هذه الأحكام[(١)].

أي إن العبادات -وعلى حسب هذا الزعم- لا تتضمن صلاحاً للعباد!!. وهل في الافتراء على الدين -ممن يزعم أنه من أهله- أعظم من هذا؟!. وهل هذا إلا ترديد لأقوال الجاحدين للنبوات، والكافرين بها وبمنزلها تبارك اسمه؟!.

إنه لو لم يظهر في العبادات من الحكم والغايات إلا ما سيناله المؤمن من الفوز العظيم الخالد؛ لكفى بهذا حكمة وغاية. فكيف وما من عبادة إلا لها من الحكم والمصالح الدنيوية العاجلة ما لا حصر له، مما سبق بيان شيء منه.

لقد بيّن تبارك اسمه أن هذه العبادات جميعها لن ينتفع منها بشيء، ولو أُدّيتْ له جل جلاله من جميع الخلق، وعلى أكمل وجه، كما أنه سبحانه لن يُضيرهُ شيء لو كفر به الخلق كلهم جميعا، فأعمال العباد إنما يختص نفعها وضرها بهم وحدهم. جاء في الحديث القدسي:

"...يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه."[(٢)].

---

(١) انظر عن افتراء حسن حنفي حول العبادات والمعاملات؛ ما سبق: ٤٣٥-٤٣٧.

(٢) الحديث رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، وأول الحديث: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا...". واللفظ لمسلم. ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد وأحمد وابن حبان والبيهقي والطيالسي. صحيح مسلم: ٤/١٩٩٤/ ح: ٢٥٧٧، ٤/١٩٩٥/ ح: ٢٥٧٧. وانظر: مسند أحمد: ٥/١٦٠، ٢/٣٨٥. و: الأدب المفرد: ١٧٢/ ح: ٤٩٠. و: سنن البيهقي الكبرى: ٦/ ٩٣. و: مسند أبي داود الطيالسي: ٦٢٠/ ح: ٤٦٣.

القضية التاسعة: حول افتراءات (العلماني) المتعلقة بالقيام بالأعمال المشروعة الظاهرة مع غياب الأعمال الباطنة:

زعم (العلماني): (أنه إذا ما أدى تطبيق الشرائع إلى نفاق بغياب الفضائل الداخلية، وحضور الصور الخارجية؛ أتت الفلسفة لتعيد إلى الصورة مضمونها، وإلى الشريعة حياتها.

وإذا خُيّر العاقل بين التقوى دون الشرائع؛ أو بين غياب التقوى وحضور الشرائع، لكان الأول هو الأكمل) [1].يرد على هذه الافتراءات بما يلي:

إن دعوى (العلماني) هذه ذات شقين:

الأول: أنه قد يؤدي تطبيق الشرائع إلى نفاق، بأداء العمل ظاهراً، دون أن يرافقه ما يجب له من الأمور الباطنية: القلبية والنفسية، وأن الذي يصحح الوضع في هذه الحالة هي: الفلسفة!.

الثاني: أن العاقل يحكم بأن التزام التقوى دون الشرائع؛ أكمل من غياب التقوى وحضور الشرائع!.

ومما يرد به على ما افتراه (العلماني):

أما الشق الأول: فإنه لا يقال: إن تطبيق الشرائع قد يؤدي إلى نفاق لدى البعض، فهذا قصور في النظر، وسوء في التعبير، ومحاولة لتغطية الحق بغشاء من الباطل، مزين بزخرف من القول الزور:

١- إنه قد يوجد من لديه خلل في إيمانه، ويوجد من ليس لديه إيمان أصلاً، ولكنه يتظاهر بأداء الأعمال المشروعة، وعمله هذا هو من باب النفاق. والنفاق الكامل لا يوجد إلا عند من لم يؤمن بالدين، ولكنه يتظاهر بالإيمان به، إما خوفاً من العقوبة، وإما تحصيلاً لمصالح دنيوية عاجلة، وإما أنه يهدف إلى إفساد جماعة المسلمين من داخلها. والمنافق أسوأ حالاً من الكافر المعلن رفضه وإنكاره. وهذا المنافق لا يحسب على المسلمين فلا ينبغي اعتباره أصلاً.

وأما الذي عنده خلل في إيمانه، فإن عمله من باب الرياء. وهو كمن يزيد في تحسين عملٍ وتجويده؛ ليحسبه بعض الناس من أهل الفضل والكمال، وله من وراء ذلك غايات ومآرب دنيوية.

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٢.

فليس تطبيق الشرائع قد يؤدي إلى نفاق، ولكنه قد يوجد عند بعض من يؤدي الشرائع رياء أو نفاق، مردّه: خلل أو سوء في معتقده الباطن. فالسبب إنما يرجع إلى نفس الإنسان وباطنه.

٢- أما الذين يضعون المبادئ والنظم التي فيها إغراء بتحقيق مصالح الناس ومنافعهم، استناداً إلى الفسلفة؛ فلا يكاد يجد الناس فيهم إلا منافقاً كذاباً مخادعاً. إذا تمكّن من أمر، أوظفر بسلطة ما؛ استغل ذلك لنفسه، ولأنصاره وأعوانه. ولم يجد الناس منه إلا ظلماً وعدواناً وفساداً وإفساداً في الأرض، وطغياناً من الدرجة القصوى. إذ لا يوجد لديه وازع داخلي يدفعه إلى الالتزام بالمبادئ والنظم التي أعلنها، ولا يوجد لديه خوف من عقاب رب العالمين على مخالفتها، وليس في داخله إلا دوافع تحقيق مصالحه وأهوائه وشهواته، ورغبات الفجور في نفسه، وإرادة الاستعلاء في الأرض.

لقد قامت الشيوعية[١] على مبادئ فلسفية، فطغى المؤمنون بها، وبغوا في الأرض، ونشروا الفساد العريض، حتى تساقطت، وهذا من فرط الفساد والإفساد الذي أحدثه الحزب الذي آمن بها، ومن فرط النفاق والكذب والخداع ورغبات الطغيان، ونحوها من الصفات؛ التي كانت من أبرز صفات قادته وأفراده.

ويشهد العالم أجمع أن الديمقراطيات[٢] على اختلاف صورها وأشكالها، القائمة على المبادئ والنظم الفلسفية، لم تصنع إلا منافقين مخادعين مرائين كذابين، يعملون لمصالح أنفسهم، ورغبات أهوائهم وشهواتهم. ويراؤون الجماهير ببعض ما يحققون لهم من منافع ومصالح فردية، أو اجتماعية.

---

(١) الشيوعية: ظهرت في ألمانيا على يد كارل ماركس، وتجسدت في الثورة البلشفية في روسيا بتخطيط من اليهود.
وهي عقيدة جبرية مادية إلحادية غير أخلاقية استبدادية شاملة، تحت ستار مصلحة المجتمع، وأن الفرد للمجتمع، والمجتمع للفرد. وهي تقوم على أساس أنانية الدولة واستئثارها بامتلاك كل شيء، حتى الكتل البشرية التي تستطيع أن تخضعهم لسلطانها. فالدولة هي وحدها المالكة، وليس للفرد ملكية فردية. وبهذا تمثل الشيوعية الربوبية البشرية، بأقبح صورها من جهة، والعبودية الذليلة البائسة، بأقبح صورها كذلك، من جهة أخرى.
ومن شعاراتهم: لا إله والكون مادة، والمادة سابقة في الوجود على الفكر. ولم ولن يكون هناك وقت لا تكون فيه المادة موجودة.
انظر: الكيد الأحمر؛ عبد الرحمن حبنكة: ٦-١٣. و: مذاهب فكرية معاصرة؛ محمد قطب: ٢٥٩، وما بعدها. و: الموسوعة العربية العالمية: ٣١٨/١٤-٣٢٢. و: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ٣٠٩-٣١٣.

(٢) الديمقراطية: كلمة يونانية مشتقة من كلمتي: الشعب والسلطة، والديمقراطية في الحكم تعرّف بأنها: حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه، أو حكم الشعب للشعب ومن الشعب، فالشعب هو مصدر كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهو واضع الدستور، والنظم والقوانين والشرائع، متجاهلين حق الله جل جلاله الحاكم الأوحد، والأحكام الشرعية التي يجب أن يقوم عليها الحكم.
انظر: كواشف زيوف؛ عبد الرحمن حبنكة: ٧١٧-٧٣٥. و: مذاهب فكرية معاصرة؛ محمد قطب: ١٧٨، وما بعدها. و: الموسوعة العربية العالمية: ٥٧٧/١-٥٨١.

فهذه هي طبيعة البشر بصفة عامة، ولا يخفّف من طغيانها إلا الخوف من عقاب الله عز وجل، والطمع بثوابه، بما أعد لعباده من جزاء مؤجل إلى يوم الدين، مع ما قد ينزله إليهم من جزاء معجل في الحياة الدنيا.

٣- ثم إن الدين المنزل من عند الله جل شأنه لم يغفل حال المنافقين والمرائين، حتى يقال: إن الفلسفة هي التي تأتي وتصحح الوضع، فمع أن الفلسفة ليس باستطاعتها أن تصحح الوضع مطلقاً، فإن في نصوص الوحي المُنزَّل وتوجيهاته؛ بياناً كافياً لسوء حال هذين الفريقين، والتحذير من الوقوع في أحدهما، وبياناً للمصير السيء الذي ينتظر كلاً منهما، في الدنيا والآخرة. وفيها -عموماً- تربية للمؤمنين على أن تكون أعمالهم الظاهرية نابعة من إيمان صحيح، ومترافقة مع كل ما يجب لها من الأخلاق والفضائل والكمالات النفسية والباطنية.

ليست النبوة وليس الوحي بحاجة إلى مصدر غير رباني يكمل ما فيه، وإنما المطلوب وجود الذين يتدبرون نصوص الوحي، ويفمهونها، ويبلغونها للناس إبلاغاً حسناً.

٤- وتوجد نصوص شرعية عديدة(١)؛ قد حذرت المؤمنين من القيام بالأعمال الظاهرة، دون حضور قلبي، ودون الالتزام بالكمالات النفسية والخلقية، ومن تلك النصوص:

قال صلى الله عليه وسلم:

"اقرؤوا -أيْ القرآن- فَكُلٌّ حَسَن. وسيجيءُ أقوامٌ يقيمونه كما يقام القِدْح، يتعجّلونه ولا يتأجّلونه"(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر في بيان النصوص التي تحذر من الرياء والنفاق، وتوضح سوء المنقلب لكل من المنافق والمرائي؛ ما سبق: ٤٣٦-٤٣٧.

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود وأحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، واللفظ لأبي داود. كما رواه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أبو داود وابن حبان والطبراني وعبد بن حميد. وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن أبي داود في رواية، وقال عنه في الرواية الثانية حسن صحيح. وصحح الأرناؤوط رواية ابن حبان. انظر: سنن أبي داود: ١/٢٢٠/ ح: ٨٣٠، ٨٣١. و: مسند أحمد: ٣/٣٩٧. و: صحيح ابن حبان: ٣/٣٦/ح: ٧٦٠، ١٥/ ١٢٠/ ح: ٦٧٢٥. و: المعجم الكبير: ٦/٢٠٦- ٢٠٧/ ح: ٦٠٢١-٦٠٢٤. و: المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٧١/ح: ٤٦٦. وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٢٥٨/ح: ١١٦٧. و (القدح): السهم قبل أن يراش ويُنْصَل. انظر: مختار القاموس: مادة (قدح)/ ٤٩١. قال محقق مشكاة المصابيح: ١/٦٧٧/ هـ: (٣): (والمعنى: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة، لأجل الرياء والسمعة) ا.هـ.

وقوله: "يتعجلونه، ولا يتأجلونه ": قال النووي: (معناه يتعجلون أجره، إما بمال وإما بسمعة أو نحوهما). التبيان في آداب حملة القرآن: ٤٥. فهمّهم من قراءته المنافع الدنيوية، التي ينالونها من الناس، وأما الآخرة فهم عنها غافلون. مع أن الواجب في شأنهم أن يكونوا من أكثر الناس استحضاراً لأمر الآخرة.

"اقرؤوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تَجْفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به"(١).

ففي هذين الحديثين تحذير من اتخاذ القرآن معيشة للتكسب(٢) بقراءته، كما يفعل بعض السائلين، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

"من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن، يسألون به الناس..."(٣).

وفي الحديث الذي ذكر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصناف المعذبين الذين أراه الله جل شأنه إياهم:

"فإذا رجل مستلقٍ على قفاه، ورجل قائم بيده فِهْرٌ، أو صخرة، فيشدخ بها رأسه، فيتدهده الحجر، فإذا ذهب ليأخذه؛ عاد رأسه كما كان، فيصنع مثل ذلك".

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

" ... وأما الرجلُ الذي رأيتَ مستلقياً على قفاه، فرجلٌ أتاه الله تبارك وتعالى القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل بما فيه بالنهار، فهو يفعل به ما رأيتَ إلى يوم القيامة..."(٤).

---

(١) هذا حديث رواه أحمد واللفظ له، والبيهقي وأبو يعلى وعبد بن حميد والطحاوي والطبراني عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ١/ ٢٥٨/ ح: ١١٦٨. وصححه حسين أسد محقق مسند أبي يعلى. وصححه أيضاً عبد القادر أرناؤوط محقق كتاب التبيان في آداب حملة القرآن: ٤٤: هـ (١). مسند أحمد: ٤٢٨/٣، ٤٤٤. وانظر: سنن البيهقي الكبرى: ١٧/٢. و مسند أبي يعلى: ٨٨/٣/ ح: ١٥١٨. و: المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٢٩/ح: ٣١٤. و: شرح معاني الآثار: ١٨/٣. و: الآحاد والمثاني: ١٣٥/٤/ح: ٢١١٦.

(٢) ذكر النووي في كتاب: التبيان في آداب حملة القرآن: ٤٥-٤٦: خلاف العلماء في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن. وعلى كلٍّ فهذه المسألة خارجة عن هدف البحث.

(٣) رواه الترمذي وأحمد والطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه، واللفظ للترمذي. وقد صحح الحديث الألباني في: صحيح سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته. سنن الترمذي: ١٧٩/٥/ ح: ٢٩١٧. وانظر: مسند أحمد: ٤٣٢/٤، ٤٣٩، ٤٤٥. و: المعجم الكبير: ١٦٦/١٨/ ح: ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤. و: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢٥٨/١/ح: ١١٦٩. وانظر: تصحيح عبد القادر أرناؤوط في كتاب التبيان لآداب حملة القرآن: ٤٥/ هـ: (٢).

(٤) طرف من حديث طويل: رواه أحمد والشيخان والطبراني والبيهقي وابن حبان عن سمرة بن جندب رضي الله عنه. واللفظ أعلاه لأحمد. المسند ١٤/٥. وانظر: صحيح البخاري: ٤٦٥/١/ ح: ١٣٢٠. و: المعجم الكبير: ٢٤٢/٧/ ح: ٦٩٩٠. و: سنن البيهقي الكبرى: ٢٧٥/٥. و: صحيح ابن حبان: ٤٢٧/٢/ ح: ٦٥٥. ومعنى قوله: "فهر": هو الحجر قدر ما يدق به الجوز، أو ما يملأ الكف. مختار القاموس: مادة (فهر)/ ٤٨٥. و: "يشدخ": الشدخ: التهشيم، وكسر اليابس وكل أجوف، كالرأس ونحوه... لسان العرب: مادة (شدخ)/ ٥٠٥/٣.و "يتدهده": يقال: دهده الحجر، فتدهده: دحرجه، فتدحرج. مختار القاموس: مادة: (دهده)/ ٢١٩.

وقال صلى الله عليه وسلم:

"إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها"[١].

وقال صلى الله عليه وسلم:

"رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:

"من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٣].

فهذه الأحاديث وغيرها كثير جداً ظاهرة الدلالة على أن كل عمل مشروع؛ له أعمال أخرى ظاهرة وباطنة مرتبطة به، إذا لم ترافقه؛ فإما أن يكون ذلك سبباً في نقصان قيمة وفضل وثواب العمل؛ وإما أن يصل الأمر إلى أن يكون العمل سبباً في مؤاخذة العامل، وعقوبته، كما مرَّ في حديث من تعلم القرآن، ونام عنه بالليل، ولم يعمل بما فيه بالنهار، وما يلقاه من عقوبة تكرار تحطيم رأسه. وقد تكون نيته عندما تعلم القرآن غير فاسدة. فكيف الحال إذا كانت النية أساساً فاسدة؟!، كما في الرياء والنفاق، قال صلى الله عليه وسلم:

"من تعلم علماً مما يُبْتَغى به وجه الله عز وجل؛ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا؛

---

(١) سبق تخريج الحديث: ٤٣٦.

(٢) رواه ابن ماجة والدارمي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والحاكم والنسائي والبيهقي وأبو يعلى والشهاب عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما. واللفظ لابن ماجة. وقال الألباني عن رواية ابن ماجة في: صحيح سنن ابن ماجه، وكذا في صحيح الجامع الصغير وزيادته: صحيح. وقال شعيب الأرناؤوط عن إسناد ابن حبان: حسن لغيره. وقال حسين أسد عن إسناد أبي يعلى: صحيح. سنن ابن ماجة: ١/٥٣٩/ ح: ١٦٩٠. وانظر: سنن الدرامي: ٢/٢٩٠/ ح: ٢٧٢٠. و: مسند أحمد: ٢/٣٧٣، ٤٤١. و: صحيح ابن حبان: ٨/٢٥٧/ ح: ٣١٨١. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/٢٤٢/ح: ١٩٩٧. و: المستدرك على الصحيحين: ١/٥٩٦/ح: ١٥٧١، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. و: السنن الكبرى: ٢/٢٥٦/ ح: ٣٣٣٣. و: سنن البيهقي الكبرى: ٤/٢٧٠. و: مسند أبي يعلى: ١١/٤٢٩/ ح: ٦٥٥١. و: المعجم الكبير: ١٢/٣٨٢/ ح: ١٣٤١٣. و: مسند الشهاب: ٢/٣٠٩/ ح: ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦. و: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/٦٥٦/ ح: ٣٤٨٨.

(٣) رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي والطبراني وابن الجعد عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٢/٦٧٣/ ح: ١٨٠٤، ٥/٢٢٥١/ ح: ٥٧١٠. وانظر: مسند أحمد: ٢/٤٥٢، ٥٠٥. و: سنن أبي داود: ٢/٣٠٧/ ح: ٢٣٦٢. و: سنن الترمذي: ٣/٨٧/ ح: ٧٠٧. و: سنن ابن ماجة: ١/٥٣٩/ ح: ١٦٨٩. و: صحيح ابن حبان: ٨/٢٥٦/ ح: ٣٤٨٠. و: صحيح ابن خزيمة: ٣/٢٤١/ ح: ١٩٩٥. و: السنن الكبرى: ٢/٢٣٨/ ح: ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٤٧، ٣٢٤٨. و: سنن البيهقي الكبرى: ٤/٢٧٠. و: المعجم الصغير: ١/٢٨٦/ ح: ٤٧٢. و: مسند ابن الجعد: ٤١٤/ ح: ٢٨٣١، ٤١٦/ ح: ٢٨٤٣.

لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة"[١].

وقال عليه الصلاة والسلام:

"إن أول الناس يُقْضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نعمه، فَعَرَفَها، قال: فما عملت فيها؟. قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فَسحب على وجهه، حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فَأُتي به فَعَرَّفَهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فَأُتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟. قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها؛ إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكن فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار"[٢].

فهذه بعض النصوص الواردة فيمن لم يكن عمله الصالح خالصاً لوجه ربه عز وجل.

وموضوع الأعمال وشروط قبولها والجزاء عليها، ودراسة ذلك من خلال النصوص الواردة في الكتاب والسنة، موضوع يحتاج إلى بحث مستقل طويل.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وابن حبان وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الدارمي مرسلاً، واللفظ لأحمد. وعنده -في رواية- وعند أبي داود بعد قوله: "عرف الجنة يوم القيامة" زيادة هي: "يعني ريحها". المسند: ٣٣٨/٢. وانظر: سنن أبي داود: ٣٢٣/٣/ح: ٣٦٦٤. و: صحيح ابن حبان: ٢٧٩/١/ح: ٧٨. و: سنن ابن ماجه: ٩٢/١/ح: ٢٥٢. و: مسند أبي يعلى: ٢٦٠/١١/ح: ٦٣٧٣. و: المستدرك؛ الحاكم ١٦٠/١/ ح: ٢٨٨، ٢٨٩، وقال: (هذا حديث صحيح، سنده ثقات، رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي. والحديث صححه كذلك الألباني في مشكاة المصابيح: كتاب العلم (٢)/ الفصل الثاني/ ح: ٢٢٧/ ٧٨/١/ هـ: (١). وأيضاً في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١٠٦٠/٢/ح: ٦١٥٩، وكذا في صحيح سنن أبي داود وابن ماجه. وقال شعيب الأرناؤوط عن رواية ابن حبان: حديث صحيح. وقال حسين أسد عن إسناد أبي يعلى: إسناده حسن.

(٢) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا النسائي وأحمد والحاكم وإسحاق بن راهويه والبيهقي، واللفظ لمسلم. صحيح مسلم: ١٥١٣/٣/ح: ١٩٠٥. وانظر: مسند أحمد: ٣٢١/٢. و:سنن النسائي: ٢٣/٦/ ح: ٣١٣٧. و: السنن الكبرى: ١٧/٣/ ح: ٤٣٤٥، ٥/ ٣٠/ ح: ٨٠٨٣، ٤٧٧/٦/ ح: ١١٥٥٩. و: المستدرك على الصحيحين: ١٢٠/٢، ١٢٢. و: مسند إسحاق بن راهويه: ٣٢٤/١٠/ ح: ٣٠٩. و: سنن البيهقي الكبرى: ١٦٨/٩.

فهل النبوة والرسالة، وهل الوحي والدين تحتاج إلى غيرها، وفيها ما يكفي للوقاية من الوقوع في الخطأ، وما يكفي لبيان طرق الخلاص لمن أراد التوبة والإنابة، والرجوع عما وقع فيه من النقص؟!!.

وأما الشق الثاني: وهو دعوى أن العاقل يَحْكُمُ بأن التزام التقوى دون الشرائع، أكمل من غياب التقوى وحضور الشرائع!.

فهذه الدعوى مبنية على قصور نظر في إدراك ما يدل عليه معنى التقوى، أو على تضليل مقصود:

١- إن التقوى اسم جامع لكل ما يقي الإنسان به نفسه من التعرض لعذاب الله، وعقابه وسخطه وغضبه، تبارك اسمه، وتقدست ذاته.

وكمال التقوى لا يتم إلا بفعل جميع ما أمر الله جل شأنه به عباده أمر وجوب، وترك جميع ما نهى تعالى عنه عباده نَهي تحريم، سواء أكان ذلك الأمر أم النهي متعلقاً بالأعمال الباطنة، أم الظاهرة[1].

٢- فالتقوى على هذا التزام باطني وظاهري؛ بكل ما ألزم الله جل جلاله به عباده فعلاً، أو تركاً، وليست توجد تقوى كاملة؛ بدون الالتزام بالعبادات والأحكام الشرعية، التي وضعها الله تبارك اسمه لعباده.

قال جل شأنه في وصف المتقين:

﴿الم (١) ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)﴾ البقرة.

وقال عز من قائل:

﴿ لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ البقرة.

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ١٦٣. و: تفسير: فتح القدير: ١/٣٣-٣٤.

فالمتقي كامل التقوى هو من جمع بين تقوى الباطن وتقوى الظاهر، فاستكمل أركان الإيمان تصديقاً وإقراراً، واستكمل الاتصاف بجميع ما ينبغي له أن يكون عليه من الأخلاق والصفات النفسية والباطنية الحسنة، واستكمل مع ذلك الالتزام بما أوجبه الله تعالى وفرضه عليه.

٣- ثم إنه قد يقال: إن مقصد (العلماني) في دعواه هو: أن الالتزام الباطني دون الظاهري؛ أولى من العكس.

ويجاب على هذا: بأن (العاقل) الذي استشهد به (العلماني) يحكم حتماً بأنه لو وجد التزام باطني صادق وصحيح وتام؛ فإنه يستلزم وجوباً أن يوجد له أثر خارجي في الأعمال الظاهرة، ملائم له. وما من سوء يبدو على الأعمال الظاهرة؛ إلا ويدل على نقص في تقوى وإيمان صاحب ذلك السوء.

فصاحب التقوى الباطنة الكاملة، تكون أعماله الظاهرة جميعها متوافقة وأحكام الشرع. وكلما نقص مقدار التقوى الباطني؛ استتبع ذلك سوءاً ونقصاً في الأعمال الظاهرة.

قال صلى الله عليه وسلم:

"... ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"(١).

فما في القلب من صلاح أو فساد لابد أن يظهر على الجوارح ويؤثر فيها، فصلاح القلب بالتقوى والإيمان والخشية والإنابة...؛ يستلزم صلاح أعمال الجوارح الظاهرة. وفساد القلب بشموله أضداد تلك الأمور الحسنة الباطنة ونحوها، يستلزم فساد أعمال الجوارح الظاهرة(٢).

ويقول جل شأنه:

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا

---

(١) طرف من حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وأوله: "الحلال بين والحرام بين..."، واللفظ أعلاه للبخاري. ورواه أيضاً أحمد وابن ماجة والدارمي والبيهقي والحميدي والطبراني والطيالسي. صحيح البخاري: ٢٨/١/ ح: ٥٢٠. وانظر: صحيح مسلم: ١٢١٩/٣/ ح: ١٥٩٩. و: مسند أحمد: ٢٧٠/٤. و: سنن ابن ماجة: ١٣١٨/٢/ ح: ٣٩٨٤. و: سنن الدارمي: ٣١٩/٢/ ح: ٢٥٣١. و: سنن البيهقي الكبرى: ٢٦٤/٥. و: مسند الحميدي: ٤٠٩/٢/ح: ٩١٩. و: المعجم الصغير: ٢٣٥/١/ ح: ٣٨٢. و: مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٦/ ح: ٧٨٨. و: المضغة: القطعة من اللحم قدر ما يمضغ. انظر: النهاية في غريب الأثر: ٣٣٩/٤.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٩/٧-١٠، ١٨٧، ٢٠٤، ٢٢١، ٥٢٨-٥٢٩، ٥٥٣، ٥٧٥، ٦٤٤- ٦٤٥، ٢٤٤/٢٢. و: دقائق التفسير -من تفسير ابن تيمية-: ٢٣٩/١، ٢٤٢-٢٤٤. و: بدائع الفوائد؛ ابن قيم الجوزية: ١٩٢/٣. و: فتح الباري؛ ابن حجر: ١٢٨/١-١٢٩.

اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾ الحج.

فالذي ينال ا لله تبارك اسمه ويُرْفَع إليه ويثيب عليه هو: ما في قلب صاحب النسك من التقوى، التي دفعته ليقدم نسكه تقرباً إلى ربه جل جلاله(١).

٤- إن العمل الظاهر مرتبط بما في القلب ارتباطا مطردا، فإذا صلحت الأعمال الباطنة؛ فلا بد أن تكون الأعمال الظاهرة صالحة بمقدار صلاح الباطن. وإذا فسدت الأعمال الباطنة؛ فسدت الأعمال الظاهرة بمقدارها. واستثناء المرائي أو المنافق إنما هو بالنسبة إلى الناظر الذي لا يعلم حقيقة الحال. وأيضا فهما لا يكونان إلا بالنسبة إلى القيام بالأعمال الصالحة ظاهرياً. وعلى فلا تصح أبدا دعوى إمكانية أن يكون المرء متقياً لله تعالى بباطنه دون ظاهره(٢)، إذ هو أمر غير متصور(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٣/٢٢٣-٢٢٤.

(٢) الغريب أن حسن حنفي صاحب هذه الدعوى الباطلة في هذا الموضع -كمافي أغلب المواضع- يصرّ في مكان آخر على أن الإيمان تصديق وعمل، وينتقد الذين يعتبرون الإيمان تصديقاً بلا عمل، بل ويقول: إنه لا يمكن تأجيل العمل على الإيمان أو تأخيره عنه.

انظر: المجلد الخامس: من العقيدة إلى الثورة: الإيمان والعمل- الإمامة: ٥٤-٥٥.

فكيف يتوافق قوله هذا مع دعواه المردودة، والتي مؤداها أنه يمكن أن يكون الإنسان متقياً دون أن يكون ملتزماً بالعمل الصالح (الأحكام والشرائع الربانية)، فأي تقوى هذه؟!.

إن كلامه في الموضع الآخر كاف في رده على دعواه الباطلة هنا. وهذه ميزة جديدة من مميزات المنهج الثوري التجديدي الذي يدعو إليه...

(٣) بالنسبة إلى المكره فإن ما يقوم به مأذون له به شرعا، فهو لم يخرج عن حدود التقوى؛ باطنا ولا ظاهرا.

القضية العاشرة: حول دعوى (العلماني) المتعلقة بالحكمة من تشريع ذبح الحيوان وإيلامه:

لقد ادعى (العلماني) أنه:

(فيما يتعلق بذبح الحيوان وإيلامه؛ لا يكفي لإثبات شرعية ذلك أن يقال: إنه مسموح به من قبل المالك، فهذا تصور خارجي للشرعية، وجعل العقل والطبيعة معاً تابعين لإرادة خارجية.

إنما يمكن فهم ذلك باعتبار أن الإنسان سيد الكون، وكل شيء مسخر له، ولماذا الرفق بالحيوان، والرفق بالإنسان أولى؟.

لذلك هناك قانون الاستحقاق، وقانون العوض عن الآلام، كي يعيش الإنسان راضياً عن نفسه، مقيما للعدل، ونافياً للجور والظلم)[1].

وباطل (العلماني) في تلك المقولة الزائفة يتبين من خلال ما يلي:

أ- سبق توضيح[2] أن الله جل شأنه هو صاحب الحق في التشريع، فكما له الخلق، فله الأمر تبارك اسمه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ (٥٤)﴾ الأعراف.

وأما الذين يخترعون أحكاماً يخالفون بها منهج الله سبحانه؛ دون أن يكون عندهم إذن منه تعالى؛ فهم بعملهم هذا قد جعلوا أنفسهم أرباباً من دونه سبحانه، وذلك كما جاء في شأن الأحبار والرهبان الذين اخترعوا أحكاماً من عند أنفسهم، فقد اعتبر جل شأنه من اتبعهم عليها: مشركاً بالله تعالى، جاعلاً لهم أرباباً من دونه سبحانه، قال جل ثناؤه:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ التوبة.

ومعلوم أنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان إلا عبادةَ طاعتهم فيما يشرِّعون لهم من أحكام

---

(١) انظر ما سبق: ٤٢٢.

(٢) انظر ما سبق: ٢٠٨-٢١٠، ٤٤١-٤٤٣.

يخترعونها لهم من عند أنفسهم، وذلك كما جاء في الحديث الذي سبق ذكره[1].

ب- وإذا كان الأمر كذلك فما حال من يرفض أصلاً أن يكون لله سبحانه وتعالى حق تشريع الأحكام، مع أنه تبارك اسمه هو الخالق المالك، الحكيم العليم الخبير الرحيم العدل؟!.

وأي إيمان يبقى بعد هذا لهذا المدعي؟!!.

وهو إما أن يكون كافراً با لله جل جلاله وبوجوده كفراً كلياً، وإما أن يكون كافراً بصفاته تبارك اسمه، وبحقه تعالى في كونه الرب الإله المالك الواحد لا شريك له ولا ند ولا نظير، وهذا نظير كفر إبليس لعنه ا لله تعالى.

جـ- ومثال ذلك: إذا جاء مالك دار؛ وأذن لواحد من الناس أن يلج داره في غيابه، وأن يستخدم ما فيها، وأعطاه ما يثبت ذلك. ثم جاء من ساءَل هذا المستَخْدِم للدار عن مُسْتَنَدِ مشروعية استعماله للدار، فأبرز ذلك الإذن الصريح الثابت، الذي أعطاه له مالك الدار، فرفض من يسائله هذا بدعوى أنه تصور خارجي للشرعية، إذ ما ينبني عليه الحكم من الحق والعدل سيكون تابعاً لإرادة خارجية!.

ثم لما قال له ذلك المستخدم: إنه قد اغتصب هذه الدار، لأنه وجد عنده قوة لم يجدها عند أهل الدار، فطردهم واستحلها هو؛ قبل منه تعليلَه لإثبات شرعية استخدامه للدار، وكف عن الاعتراض عليه!.

فهل هذا هو ما تقبله العقول ذات المرجعية الفلسفية؟!!.

د- وبناء على ما سبق؛ فلا يوجد أي معنى للزعم بأن إذن ا لله تبارك اسمه بذبح الحيوان وأكله؛ فيه تصور خارجي للشرعية، إن كان هذا الزاعم مؤمناً بأن ا لله عز وجل هو الخالق المالك. بل إنه هو التصور الطبعي المنطقي الفطري، الذي لا يقبل العقل السليم سواه. فَمَن غَيْرُ ا لله جل شأنه يستطيع أن يدعي أنه هو الخالق المالك للكون؟!!.

وما معنى رفض قبول تحليل وإباحة ا لله جل شأنه؟!، وأي معنى للزعم بأن هذا يؤدي إلى جعل الطبيعة والعقل تابعين لإرادة خارجية؟!!، وأي عقل سليم يقول هذا، إذا كان يؤمن با لله خالق الكون، والمهيمن عليه بصفات ربوبيته؟!!.

---

(١) انظر ما سبق حديث عدي بن حاتم الطائي رضي ا لله عنه عندما قال للنبي صلى ا لله عليه وسلم: [إنهم ما عبدوهم.]، ورد الرسول صلى ا لله عليه وسلم: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً اسْتَحَلّوه، وإذا حَرَّموا عليهم شيئاً حَرَّموه": ٤٤٢.

إن هذا من الأدلة الكثيرة على إلحاد (العلماني).

إن العقل السليم كما يقبل دونما اعتراض إذن مالك دار لآخر باستخدامها، ما دامت شروط ذلك قد تحققت؛ فهو كذلك يقبل بتسليم كامل أية إباحة يوقن أنها قد أتت من قبل الله جل شأنه، بل إنه -وقد آمن بالله تعالى وبالنبوة والرسالة حقاً- لا يقبل من التحريم والتحليل؛ إلا ما جاء من عند الله عز وجل، الرب الإله الخالق المالك الذي لا شريك له سبحانه وتعالى.

أما إذا فسدت موازين العقل، وانحرف عن سواء الصراط، فلم يؤمن بربه جل ثناؤه؛ فإنه لا يُسْتَغْرب منه عندئذ أن تصدر عنه دعوى أن الاعتماد على إذن الخالق تبارك اسمه فيه؛ تصور خارجي للشريعة... الخ.

هـ- وأما ادعاء (العلماني):

أَن الإنسان سيد الكون، وكل شيء مسخر له.

فإنه يقال له: ومن الذي جعله كذلك في نظرك؟!.

فإن قال: هو الله الخالق الرب تبارك اسمه؛ فقد ألزم نفسه بإسقاط ادعائه، لأن الخالق هو مالك الكون، وليست أحكامه تصوراً خارجياً للشريعة.

وإن قال: هو الإنسان نفسه؛ فقد أعلن كفره بالخالق الرب، المالك للكون، جل جلاله.

وكان بإعلانه هذا؛ مثل مغتصب الدار، الذي يعتبر الاغتصاب تعليلاً صالحاً لإثبات الشرعية[1].

إن كثيراً من الذين فقدوا معظم الصفات الإنسانية الفاضلة، وتدنسوا بصفات الفجور والكبر والاستعلاء، والطغيان والاعتداء على الآخرين، لا يهبطون إلى هذا الدرك القذر من التفكير. بل يحاولون جهدهم اختلاق مسوّغات أخر لكبائرهم، هي أقرب إلىأن تقبلها العقول، ولو نوعاً من القبول.

و- وأما ما ذكره (العلماني) من أن الرفق بالإنسان أولى من الرفق بالحيوان؛ فلقائل أن يقول له: إن البدائل موجودة، وليس من الضروري أن يستكمل الإنسان لذته وغذاءه على حساب تعذيب ما لا يحصى من المخلوقات. وهذا إذا لم يكن ثمة إيمان حقيقي بالله جل ثناؤه.

---

(١) كيف قبل حسن حنفي مسوغاته التي جاء بها بديلاً للحكم الرباني، وهو الذي كثيراً ما يردد دعاوى محاربة الاستعمار، واستغلال خيرات الشعوب المغلوبة على أمرها...!!.

ز- وأما القانونان اللذان ذكرهما (العلماني) وهما: قانون الاستحقاق وقانون العوض عن الآلام؛ فإن إيراده لهما تناقض منه كبير. وهو إما عالم به؛ فلا يكون ذلك إلا بناء على استخفاف منه بمن يقرأ مزاعمه الباطلات، ظناً منه أنه لن يدرك ما في كلامه من تناقض وتخالف.

وإما هو غير عالم، وهذا لا غرابة أن يوجد عند من تنكب الصراط، بل وبذل جهده في هذا السبيل.

ومهما كان الأمر فإنه يقال (للعلماني): إن ذكرك وإيرادك هذين القانونين إيراد في غير محله. إذ ما معنى قانون الاستحقاق هنا، الذي مؤداه أن يكون الجزاء من جنس العمل[1]. وهل ستقوم البهائم المذبوحة المأكولة، وتفعل بالإنسان الشيء نفسه؟!!، ومتى يكون ذلك؟!!. أم أن إخوتها -من البهائم التي لم تذبح- أو غيرها من المخلوقات هي التي ستفعل بالإنسان ذلك؟!!. وهل يقول بشيء من هذا عاقل يدري ما يقول؟!!.

وأما قانون العوض عن الآلام[2]، فهو كذلك لا معنى له ضمن كلامه مطلقاً، إذ كيف سيعوض الإنسان هذا الحيوان الذي ذبحه وأكله؟!!، ومتى سيكون ذلك؟!!.

إن الذين أقروا قانون العوض عن الآلام؛ زعموا: أنه إن لم يتحقق في الدنيا؛ فسيتحقق في الآخرة، وأن الله تبارك وتعالى هو الذي سيحققه[3]. ولكن هل يقبل (العلماني) هذا؟!، أم هو

---

(١) هذا هو ما ذكره حسن حنفي صاحب الكلام نفسه، عندما تكلم عن الاستحقاق، انظر: من العقيدة إلى الثورة: المجلد الرابع: النبوة- المعاد: ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) العوض عن الآلام فكرة عند المعتزلة زعموا فيها: أن كل من يصيبه الألم فإنه يستحق عوضاً، إن لم ينله في الدنيا؛ ناله في الآخرة حتماً. وعرفوه: بأنه كل منفعة مستحقة لا على طريق التعظيم والإجلال ا.هـ. انظر: شرح الأصول الخمسة؛ القاضي عبد الجبار: ٤٩٤.

وأما المستحق عليه العوض؛ فهو فاعل الألم في المقام الأول، ولو كانت بعوضة قرصت إنساناً. وقد يستحق على الله عز وجل، إن كان الألم قد وقع بإباحة منه، كذبح الحيوان الحلال لأكله، فلابد -في زعمهم- أن يعوض جل شأنه ذلك الحيوان في الدار الآخرة. ولهم في ذلك تفصيلات وتفريعات. انظر: الجزاء الأخروي؛ دراسة تحليلية نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة؛ محمد عبد الرحمن الميداني: ١/٩-١٩.

(٣) انظر: الهامش السابق.

حسب دعواه: رجوع إلى التصور الخارجي، وإلى التبعية لإرادة خارجية!![1].

ح- إن استخفاف الكاتب بمن يقرأ كلامه، وظنه أن القارئ لن يدرك ما في قوله من فساد وتناقض؛ لا يدل إلا على استخفافه -أصلاً- بالعلم الذي يكتب فيه، وعلى كونه لا يملك شيئاً من الصفات التي ينبغي لطالب الحق والعدل أن يتحلى بها.

---

(١) لقد تحدث حسن حنفي عن هذا القانون، وكلامه يدل على أنه فيما يتعلق بالبهائم فإن هذا القانون لا يثبت في حقهم على الإنسان فيما لو ذبحها وأكلها، إذ لا عقل عندها ولا وعي ولا حرية، (فكل ما في الطبيعة بما في ذلك الحيوان مسخر للإنسان، لذلك جاز ذبحه وأكله، كما أباحت الشريعة...) ا.هـ.

انظر: من العقيدة إلى الثورة: المجلد الثالث: العدل؛ حسن حنفي: ٥٧٨-٥٨٠.

وكلامه عندما تحدث عن العدل يدل على نفيه لهذا العوض!، وكلامه الذي سبق الرد عليه يثبت فيه العوض مع الاستحقاق، حتى ينفي الإنسان عن نفسه الظلم والجور، مع أن كلامه هنا إنما هو عن النبوات!.

وقد يقول: إني قلت هذا ولم أرد منه أن قانون العوض ثابت حقيقة، ولكنه اختراع من عند الإنسان ليريح ضميره.

ويجاب: بأنه هل يقبل من مجدد لأصول الدين -كما يدعي- أن يسكت على هذه الأكذوبة التي يضحك بها الإنسان على نفسه، وأن يُمرُّها ويثبتها دون نقد؟!، وهو الذي لم يدع حقيقة من حقائق الدين، دقيقة أو جليلة؛ إلا حاول نقضها بكل ما أوتي من أباطيل وأكاذيب وحيل. ثم إذا كان هذا القانون أكذوبة؛ عاد الجور والظلم، إذ حسن حنفي قد ربط في كلامه انتفاءهما بتحقق قانوني العوض والاستحقاق.فهل هو مقر للجور والظلم؟!!.

والعجيب أنه في مجلد العدل استدل كذلك بإباحة الشريعة للذبح والأكل، وإباحة الشريعة ليست إلا إباحة الله عز وجل، المنزل لها.

ولكنه في مجلد النبوة -في الموضع أعلاه الذي سبق الرد عليه آنفاً- رفض تعليل الإباحة؛ بكون الله جل جلاله الخالق المالك؛ هو الذي أذن وشرع. وهكذا تناقضات لا نهاية لها!. وصدق الله جل شأنه إذ يقول: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (٨٢)﴾ النساء.

الفصل الثالث

المقالة الافترائية الثالثة وبيان ما فيها من أباطيل ومغالطات

(وهي تدور حول تظاهر (العلماني) بادعاء إمكان النبوة، وما افتراه من زيوف تبطل النبوة وحقائقها).

ويشتمل على مقدمة وخمس قضايا.

مقدمة:

لقد تناول (العلماني) مسألة إمكان النبوة، وذكر أنه في حاجة إلى إثبات، وقال (ووقوعها بالفعل دليل على إمكانها، وكأن وقوع الشيء بالفعل أكبر دليل على إمكانه).

وكعادته؛ فإن أية قضية دينية يتناولها لابد أن يحيطها بالعديد من مزاعمه وافتراءاته، فمما ادعاه بعد أن ذكر كلامه السابق:

(لا يثبت إمكان النبوة أولاً ثم وقوعها ثانياً، على ما هو معروف من أسبقية الفكر على الواقع، والمبدأ على الحادثة. ولكن يثبت إمكان النبوة بعد وقوعها، أي بأسبقية الواقع على الفكر. لا يتم إثبات النبوة قبلياً استنباطياً، بل يتم بعدياً استقرائياً. يثبت الإمكان من الوقوع، ولا يثبت الوقوع من الإمكان).

ومن الأدلة على إمكان النبوة التي ينتقدها (العلماني)؛ أنها داخلة في قدرة الله جل شأنه، فتكون ممكنة، فرفض هذا الدليل على اعتبار أن النبوة -كما قال-:

(... تستعمل أيضاً طبقاً لمنهج النص والشواهد النقلية لإثبات وجود الله، فإن استعمال وجود الله لإثبات النبوة وقوع في الدور!.

وما الفائدة من استعمال النبوة تراجعياً لإثبات وجود الله، وقد تم من قبل إثباته في التوحيد؟. وكيف تثبت السمعيات العقليات؟. ولماذا تتراجع النبوة إلى الْمُرْسِل، أي إلى ما قبل النبوة، ولا تتقدم إلى الْمُرْسَل إليهم، وإلى الرسالة في التاريخ، أي إلى ما بعد النبوة؟. وهل مصدر النبوة بالنسبة إلينا؛ الله أم أسباب النزول؟!!).

ثم قال:

(... وقد تثبت النبوة عملاً بإثبات حاجة الإنسان إلى التعاون، وبالتالي إلى الرئاسة. ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يقيم معيشته إلا بالاشتراك مع آخر؛ لزمت النبوة، كي تضع قانوناً ينظم العلاقات الاجتماعية، وتسن الشرائع، وتضع النظم).

واعترض على ما سبق فقال:

(وكأن النبوة لا تثبت إلا ببيان أن الإنسان وحش لأخيه الإنسان، وأنه لابد من حاكم عادل، ونظام وشريعة لصلاح الخلق، تأتي من الخارج، لتحقيق الصلاح. مع غياب أي تصورٍ داخلي لعقد اجتماعي حر قادر على تحقيق التعاون، وتنظيم شؤون الرئاسة.

إن تنوع حاجات الإنسان النظرية والعملية أيضاً لا محدود، لديه الحس، والاستدلال، العلم الضروري والعلم النظري، ولديه القدرات الفردية والجماعية على العمل والتحقيق.

فإذا ما أعطت النبوة النظر والعمل لتلبية حاجات الإنسان إلى معلّم؛ أصبح الإنسان قاصراً في حاجة إلى وصي. وكأن الإنسان عاد إلى ما قبل النبوات. وكأن النبوة لم تصل بعد إلى خاتمها.

ولماذا تَثْبُتُ النبوة بتدمير الإنسان، وجعله قاصر الفهم والإدراك، عاجزاً عن الفعل والحركة. تفرض عليه الوصاية بدعوى الهداية؟!.)[1].

---

(١) انظر: النبوة؛ حنفي: ٥٧-٦١، بتصرف: وتوجد أمور عديدة ذكرها وافترى فيها أباطيل كثيرة، قد أضربت عنها، إذ هي في مجملها لا تخرج مما سبق نقله ونقضه.

ثم إن حسن حنفي ذكر بعد هذا: ٦٢-٦٤: أن إمكان النبوة قد يؤدي إلى أدوار أربعة، أوردها. ويُلاحظ استخدامه لحرف التشكيك (قد)، وبالطبع فإنه لا يرضى لنفسه أن يظن به أنه يريد بهذا الحرف التأكيد. ويُلاحظ أيضاً: هروبه من اعتبار الأمور التي ذكرها أدلة على إمكان النبوة، حتى لا يخالف منهجه في عدم جواز تقدم الفكر على الواقع، وكذلك هو لم يقل عن هذه الأمور إنها من فوائد أو غايات النبوة أو نحو هذا، بل حاول جهده اختيار أقل ما يمكن أن يشير إلى ما تعطيه النبوة للبشر: أدوار أربعة قد تؤدي إليها النبوة.

ثم ذكر الأدوار، وفي ثنايا كلامه مؤاخذات عدة، يطول الكلام جداً بتفصيل الرد عليها، وفيه تكرار لبعض ما سبق الرد عليه، والأدوار التي ارتآها للنبوة هي -باختصار-:

أ- أن الوحي يعطي بداية يقينية مطلقة حتى يتجنب الإنسان محاولات الخطأ والصواب إلى ما لا نهاية...، مع أن العقل قادر على ذلك، ولكن من باب تقصير الوقت وتوفير الجهد...، فيعطي الوحي العقل دفعة بالأوليات الأولى، ثم ينطلق العقل.

ب- تشريع بعض القوانين والنظم السياسية والاقتصادية...، ثم يأتي دور العقل في الاستنباطات والاستنتاجات..، وكلما كان الضبط في البدايات أحكم؛ كانت الدقة في الاستنتاجات أعظم.

ج- يعطي الوحي نظرة كلية شاملة للحياة، مقابل النظرة الإنسانية المتجزئة زماناً ومكاناً. بالإضافة إلى الحيادية. وهذه وإن قدر عليها الفيلسوف؛ إلا أن الوحي يظل يمثل ضماناً أكثر لعديد من المنظرين....

د- يمكن للوحي توفير الجهد وتقصير المسافة واختصار الشوط؛ بإعطاء العقل الأمور النظرية العامة، ليكرس الإنسان وقته وجهده للعمل والتحقيق... ا.هـ.

ومما يلاحظ على هذه الأمور:

أ- إغفالها مطلقا دور النبوة في هداية البشر إلى سبيل سعادتهم الأخروية. وقد سبق بيان رأى حسن حنفي في الآخرة، وأنه في حقيقة أمره من المنكرين لها، كما صرح هو بذلك. انظر: النبوة-المعاد: ٥٩٩، ومابعدها.

ب- أن العقائد، ولا سيما ما يتعلق بالله عز وجل لم تدخل ضمن هذه الأدوار، وقد سبق أيضاً بيان رأي حسن حنفي في النبوة، وأنها سمعية خالصة، فكيف يكون لها دور في العقليات؟!. وقد تكرر منه هذا الزعم وسبق الرد عليه، وذكره أيضاً في هذا النقل الأخير، أثناء كلامه عن إمكان النبوة. انظر ما سبق أعلاه: ٥٢٠.

ويلاحظ في مسألة العقليات تناقض وقع فيه حسن حنفي، مع أنه ادعى أن النبوة لا تعطي العقليات. ففي هذه الأدوار التي ذكرها أمور عقلية، قد تؤدي إليها النبوة، كما قال، منها: الأوليات التي ينطلق منها العقل، ومنها: النظرة الكلية الشاملة للحياة، والأمور النظرية العامة، التي تعطيها النبوة للعقل، وتوفر عليه الجهد، ليكرس وقته للعمل والتحقيق، كما قال هو. =

وهذه الأقوال السابقة تشتمل على دعاوي ومزاعم باطلة عديدة، وفيما يلي القضايا التي اشتلمت عليها، والرد على ما فيها من زيوف وافتراءات:

= فهذه الأمور كلها أمور عقلية يمكن للنبوة أن تؤديها، فكيف جاز هذا عنده، وهو لا يرى في النبوة إلا كونها سمعية خالصة؟!!. وإذا جاز هذا فلماذا لم يجز -بزعمه- أن تفيد النبوة إثبات وجود الله جل جلاله ووحدانيته، من خلال الأدلة التي تأتي بها؟!. وما هذا التفريق الذي لا دليل عليه ولا مسوغ له؟!!، إلا في حالة أن يكون صاحبه من الذين بيّن جل ثناؤه أنهم: لا يُسْألون عما يقترفونه.

ج- في هذه الأدوار التي ذكرها للنبوة رأى أن منها: تشريع القوانين والنظم السياسية والاقتصادية...، وهي قوانين تنظم حياة البشر. فإذا كان الأمر كذلك: فلماذا ذلك الهجوم الكبير الذي صدر منه على من قال إن من أدلة إمكان النبوة: أن البشر في حاجة إلى تشريعات تنظم علاقاتهم، فتأتي النبوة وتعطيهم تلك التشريعات؟. وهو هجوم لم يقف فيه عند حد رفض أسبقية الفكر على الواقع، إذ اعتبر أن فيما قالوه فرض وصاية على العقل وامتهاناً له وتدميراً للإنسان...، الخ.

وهل ذلك كان فقط من أجل رفض القول بأن البشر في حاجة إلى ما تأتيهم به النبوة من تلك التشريعات؟!، وأما هو فيرى أن النبوة قد تأتي بشيء من ذلك، ثم العقول قد تتفضل بالقبول!. فإن كان الأمر على هذا النحو فهو ليس إلا كبراً فارغاً لا معنى له، ككبر صغير جاهل قال لمعلمه: أنا لست بحاجة إليك، ولا إلى غيرك من المعلمين، ولكن إن عرضْتَ ما عندك نظرت فيه، ولي الفضل إن قبلت ما تعرضه!!.

ثم أليس ضبط البدايات واختصار الأوقات... مما تؤديه النبوة للعقول، أو قد تؤديه، كما زعم حسن حنفي؛ هي حاجات للعقول تطلبها!، أم أن الأمر مجرد مكابرة؟!.

ولماذا لم يخرّج أقوال الموجبين -على أقل تقدير- بما يتفق مع ما ذكره في هذا الموضع، دون أن يكون منه ذلك الهجوم الكبير، الذي طال النبوة ذاتها، أكثر مما طال أقوال أولئك الذين رد عليهم؟!.

وهل لا يكون الإنسان مجدداً في نظر حسن حنفي؛ إلا إذا دمر كل شيء سبقه، حتى ولو كان فيه الكثير من الحق والخير؟!!.

إن المسألة لم تعد منحصرة فقط في المخالفات العقدية التي لا نهاية لها، بل تعدّت ذلك إلى مخالفة المنهج الفكري والعلمي، الذي ينبغي لكل دارس علم، ولكل مجادل في فن من فنون المعرفة؛ أن يسير عليه، ما دام أنه يملك شيئاً من إرادة طلب الحق.

القضية الأولى: دعاوى (العلماني) حول دليل إمكان النبوة:

إن أول قضية تبرز من خلال دعاوى (العلماني) السابقة: أنه لا دليل للنبوة إلا وقوعها بالفعل. وأن الإمكان لا يثبت إلا بعد الوقوع، ولا يمكن استنباط وقوعها قبل حدوثه بالفعل، فالواقع سابق للفكر دواماً[1].

فهذه الدعوى تشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: انحصار دليل إمكان النبوة في وقوعها بالفعل، وهذا ادعاء باطل. فإنه لا تكاد توجد قضية من قضايا الحق الكبرى، التي جاء الدين بإثباتها؛ إلا ولها أدلة عدة، وهذا لمحاصرة المنكرين للحق من جوانب عدة، فإذا ماروا في دليلٍ، أسكتهم الدليل الثاني أو الثالث...، أو بيّن لكل مريد للحق ضعف موقفهم، وسقوط شبهتهم، وباطل ما هم عليه، وأنهم في حقيقة الأمر ليسوا إلا معاندين رافضين الحق، ولو رأوه عياناً ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)﴾ الحِجْر.

المسألة الثانية: وقد أتى بها (العلماني) لتكون القاعدة التي بنيت عليها المسألة السابقة، وهي دعواه: أسبقية الواقع على الفكر دواماً. وهذه الدعوى العريضة؛ باطلة من وجوه:

الوجه الأول: عدم وجود دليل لدعوى كون الواقع سابقاً للفكر دواماً:

إن دعوى كون الواقع سابقاً للفكر دواماً؛ مجرد زعم لا دليل عليه، بل إن البصير يرى فيها امتهاناً كبيراً للعقل البشري، إذ تجعله محدوداً ضيقاً، لا يعرف إلا في حدود ما تمليه عليه الحوادث، جبراً وقسراً عنه، وإلا ما تُعلّمه إياه الجامدات الصامتات، تعليماً غير مباشر، وأما التخيل والإبداع والابتكار فهيهات للعقل -بحسب هذه الدعوى- أن يقدر عليها!.

إن قادة العلمانيين المعاصرين قد ثاروا للدفاع عن العقل -بزعمهم-، فهاجموا القائلين باحتياج العقل إلى ناصح ومرشد يدله على سبيل السعادتين الأخروية والدنيوية، دون أن يسلبه حقه في التفكير والاستنباط والاستنتاج، واعتبر العلمانيون أن ما قاله أولو الألباب حقيقة؛ فيه امتهان كبير للعقل، وتدمير للإنسان، وسلب للحرية، إلى آخر ما سبق نقله من العبارات التي يكررونها دواماً، مع تقديم وتأخير، أو زيادة أو نقص، دون نظر ولا تفكر، وذلك كلما أرادوا الهجوم على النبوة أو حقائقها، وإن تَستَّروا بتوجيه هجومهم ضد المدافعين عنها، لا ضدها مباشرة.

---

(١) انظر ما سبق: ٥٢٠.

ثم إنهم يقعون في أشد مما اتهموا بـه المدافعين عن النبوة، الذين لم يريدوا إلا الخير العـاجل والآجل للإنسان:

١- فالمدافعون عن النبوة والإنسان حقـاً يقولـون: إن الإنسـان وعقلـه بحاجـة إلى مرشـد وناصح، وذلك كسائر ملكاتـه وقواه، التي لابد لها ممن يتعاهدهـا بالتربية والتنمية والتدريـب. ثـم إن إثبات ذلك المرشد والهادي والناصح ليس فيه سلب لحرية الناس، وقضاء علـى تفكـيرهم، بـل لهم حرية الإرادة في اتباعـه أو عـدم الاسـتجابة لـه، وإن اتبعـوه طـالبهم بإعمـال عقولهـم دوامـاً، وأوجب ذلك عليهم، بل وأبان لهم أنهم مؤاخذون على ما يقومون به من أعمال يضرون عقولهم، ومقدرتهم على التفكير بسببها. وأبان لهم أن البشر مطالبون بأن ينطلقـوا في تفكيرهم خلف هـذه الحدود الضيقة التي يرونها، أو يحسونها، فـإن عندهـم ممـا وهبهـم ا لله تعـالى مـن العقـول، مـا لـو استخدموها على الوجـه الصحيح؛ لاستطاعوا بها أن يدركوا كثيراً من الأمور التي لا يرونها، ولا يحسون بها ولا يسمعونها، ولا يمكن أن تُنال عن طريق الاختبارات والتجارب المادية.

٢- وأيضاً فإن المرشد والهادي والناصح هـو من البشر أنفسهم، وقد أرسله خالق البشـر العليم الخبير الحكيم تعالى.

٣- وأمـا أولئـك العلمـانيون الذيـن رفضـوا الإقـرار بالحاجـة إلى النبـوة زاعمــين أنهــم مناصرون للعقل والحرية الإنسانية؛ فإنهم يزعمون أن العقول لا يمكـن أن تحكـم بالإمكـان إلا لمـا وقع فعلاً، وكأنها لا تستطيع إدراك إلا هذا الذي هـو واقع بالفعل، ولا تسـتطيع أن تنطلـق إلا في حدود ما يراه أصحابهـا، ويدركونه بحواسهم، أو باختباراتهم المادية. وعلى هذا يمكن القول: إنهم يرون أن العقول لا تستطيع الانطلاق وراء هذه المادة المرئية، ولا تستطيع أن تتدبـر وتتفكـر فيمـا وراء المحسوسات، وهذا هو مؤدى زعمهم: أن الحادثة تقع، ثم يعرف الفكر، أي: إنه لا يمكـن أن يكون نطاق الفكر أوسع ولا أكبر من هذه الوقائع والماديات.

وهل في الحَجْرِ على العقل البشري أكثر من هذا، وهل في تدمير الحرية أعظم من هذا؟!!.

٤- إن (العلماني) يزعم أن الفكر تابع للمادة ومُقَيَّدٌ بِإسارها، وينتظر ما تمليه عليـه، مـع أنها جاهلة لا حياة لها ولا علم ولا إرادة.

فأي الفريقين مدافع عن البشر وحرياتهم وعقولهم؟!!.

٥- يبدو أن دفاع بعض العلمانيين -الماديين- عن الإنسان وحريته وعقله إنما هو دفاع مقنع، لإيقاع الإنسان في شر أنواع العبودية الجبرية. فمؤدى قولهم: جعل الإنسان لا اختيار له، والمُجْبِر له -حسب دعاويهم-: مادة، لا حياة عندها ولا علم، ولا إرادة. فوصل هؤلاء في جبريتهم إلى دركة؛ لم يصل إليها أحد من القائلين بالجبر.

الوجه الثاني: فكرة أن الواقع سابق دواماً على الفكر، وعلاقتها بالفكر الإلحادي:

١- هي فكرة التزم بها ودعا إليها الملحدون من الوجوديين المعاصرين، وهم لا يريدون منها إلا تأكيد نفي وجود خالق عليم خبير حكيم، لهذا الكون، قد أبدعه بعلمه وقدرته. كما أنهم يستفيدون من هذه الفكرة بعد ذلك في العمل على تدمير قيم الخير والشر. والمتابع لأقوال أئمتهم يجد فيها الكثير مما يدل على هذا كله(١).

٢- ويكفي لإبطال دعوى أن الفكر تابع دواماً للواقع؛ هذه المخترعات الحديثة التي لا حصر لها. فالإنسان قد فكر ابتداءً وتخيل، ثم أخرج ما فكّر فيه إلى الواقع، على هيئة مخترع، لم يكن له وجود. وهذا ابتداء من وسائل الانتقال التي وصلت إلى الطيران، وإلى أجهزة الاتصال عن بعد، وأجهزة نقل الصور والأصوات، وإلى آلات وأسلحة الحرب والقتال، وإلى أجهزة الحاسب الآلي، وغير هذا من مخترعات لا حصر لها.

---

(١) يعتبر جان بول سارتر أحد أئمة الوجودية الإلحادية المعاصرة، وهو فرنسي وأصله يهودي، وهو من أكّد على فكرة: أن الواقع سابق دواماً على الفكر، ومما ذكره بناء على فلسفته الوجودية: أنه لا يوجد خير ولا شر؛ إلا إذا خلقها الإنسان، كما جاء في مخاطبته لـ: ماتيو. وزعم أنه ليس لأحد توجيه النصح له، بل لكل إنسان أن يصنع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه، فيختار الإباحة لو شاء، وهو مسؤول عما يصيبه من جراء إباحته... وله -كما بين فلاسفة غربيون- نظرية: إنما هي من باب المحال واللامعقول، كالتناقض الذي جمعه في قوله: (نحن لا نعمل ما نريد، ونحن مع ذلك مسؤولون عما نحن كائنون، هذا هو الواقع!). وقد لخص أحد أساتذة الفلسفة الغربيين نتائج فلسفته، فبين أنها أدت إلى: (نكران كل القيم، وكل القوانين الموضوعية...، وأنها فلسفة انحلالية عدمية تماماً). وهذا الفيلسوف هو بوخينسكي، في كتابه: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا. ومن كتب سارتر التي شرح فيها مزاعمه: الوجودية مذهب إنساني، مواقف، الوجود والعدم. ومن الكتب التي درست وناقشت هذا المذهب، وناقشت أئمته أمثال سارتر: هذه هي الوجودية؛ بول فولكييه، ترجمة: محمد عيتاني، و: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا؛ بوخينسكي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، وغيرها. ومن الكتب العربية: أفيون الشعوب؛ عباس محمود العقاد. و: بين الكتب والناس؛ له أيضاً. و: الوجودية وواجهات الصهيونية؛ د. محسن عبد الحميد، وغيرها. انظر في هذا كله: الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة؛ مصطفى حلمي: ١٥٥-١٧١. و: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٣٦٢-٣٧٧. و: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة -الوجودية: ٥٤٣-٥٤٥.

ولو كان الفكر لا يكون إلا تابعاً للواقع لما استطاع العقل البشري أن يصل حتى يومنا هذا؛ إلا إلى ما قدمه الواقع الذي يشهده الناس في الصحاري والوديان والغابات، لا إلى ما نراه من المبتكرات، التي يفكر فيها الإنسان، ويقدرها بذهنه، ثم يخرجها.

٣- إن الالتزام بأن الواقع يسبق الفكر دواماً؛ يستلزم أن ينحصر تفكير الإنسان فيما هو موجود، وهذا ظاهر البطلان لكل ذي فكر.

وبوجه عام فإن صفة الإمكان في الممكنات، ولو لم يكن بعضها موجوداً فعلاً؛ هي التي تجعل الإنسان يُعمل عقله وتفكيره، ويكرر محاولاته، للوصول إلى إيجاد ما يستطيعه، ويريده من تلك الممكنات. بل إن أعمال الإنسان العاقل المتّزن كلها لا تكون إلا صادرة عن تفكير، وأما الذي يعمل عملاً من تلقاء نفسه ثم يفكر؛ فهو إما مصاب في عقله، أو في اتزانه النفسي والسلوكي.

وإذا كان الإنسان العاقل يرى أن الحاكم من البشر قد يصدر قررات وتنظيمات، ويتخذ شتى الوسائل لإيصالها لمن يَحْكُمُهُم؛ فكيف يصح من إنسان يدري ولو شيئاً مما يقوله أن يدعي أنه مؤمن با لله جل جلاله؛ ولكنه يرفض قبول القول بأن النبوة -حتى مع افتراض عدم العلم بحدوثها- هي من الممكنات العقلية لدى كل عاقل، وذلك على اعتبار أنها داخلة في قدرة ا لله الخالق، الذي له الحكم وله الأمر، جل ثناؤه وتبارك اسمه؟!!.

٤- إن هذا النظر الضيق يؤدي إلى رفض القول باحتمال وجود الممكنات، ولو في الزمن المستقبل، فلا أحد يستطيع أن يقرر مسبقاً: مجرد إمكان أن يعيش البشر عاماً قادماً، أو لا يعيشوا، فعلى أي أساس تضع الدول خططها المستقبلية وميزانياتها!!.

إن تصور ما يؤدي إليه ذلك الزعم يعطي دلالة ظاهرة، لكل ذي لب؛ على مدى عمق الهاوية التي ينحط إليها فكر العلمانيين الملحدين، بما يخرجهم حتى من دائرة ذوي العقول.

ويبدو أن هذه منزلة جديدة يريد أصحاب ذلك الدفاع المُقَنَّعِ الكاذب إيصال الإنسان إليها، ولو من بعض الوجوه!.

٥- إن ظهور بطلان زعم تقدم الواقع على الفكر دواماً أظهر من أن يحتاج إلى حشد الأدلة على بطلانه، ولكن أسلوب التقرير -ولو لأمر ظاهر البطلان- كثيراً ما يتكرر عند العديد من العلمانيين الماديين المعاصرين(١).

فما يذكرونه يجب قبوله، وإذا زعموا أن العلم قد أثبت ما افتروه، فليس لأحد أن يناقشهم أو أن يطلب منهم الدليل، بل ما عليه إلا التسليم!.

وأما غيرهم فمهما أورد من أدلة وحجج لما يذكره من الحق؛ فإنهم لا يجدون أدنى غضاضة في أن يكيلوا عليه ما شاؤوا من التهم والتهكمات، ومن هذا إتهام المؤمن المسلم بأنه يورد قضاياه بأسلوب تقريري (إيماني ساذج) دون برهان ولا دليل، ولا محاجه عقلية. والحق أن العلمانيين الماديين هم أكثر من يستخدم هذا الأسلوب؛ لإثبات مزاعمهم الواهية والباطلة. فهم يرمون المؤمن بدائهم، وهو منه براء.

---

(١) انظر نحو هذا فيما سبق: ٤٩٨-٤٩٩.

القضية الثانية: ادعاء (العلماني) أن الاستدلال على إمكان النبوة بوجود الله تعالى وقوع في الدور:

ادعى (العلماني):

أن النبوة طبقاً لمنهج النص والشواهد النقلية تستعمل كذلك لإثبات وجود الله، ومن ثم فإن استعمال وجود الله لإثبات النبوة وقوع في الدور![1]. ا.هـ.

إن هذه الدعوى ليست أكثر من مجرد مغالطة ظاهرة، وبطلانها يظهر بما يلي:

١- ليس يوجد من يدعي أن الطريق الوحيد لإثبات وجود الله جل شأنه هو الأخبار التي تأتي بها الرسالات والنبوات، بل الطرق متعددة، فمنها العقلية، ومنها الوجدانية، وتأتي أخبار النبوات مؤيدة لها.

٢- فكون النبوة والرسالة تأتي بالأدلة على وجود الله تعالى جده وعلى وحدانيته؛ فذلك لأنها تتضمن علوماً وحقائق جليلة، ومن أسماها وأشرفها ما يتعلق بالله جل جلاله. فلا يمكن أن تترك النبوة الأساس الذي إذا صلح في الإنسان؛ كان السبيل لسعادته في الدنيا والآخرة، وإذا فسد؛ لم يجن إلا الشقاء والضنك.

٣- إن أصل دليل إمكان النبوة عقلي، إذ لا توجد استحالة عقلية، ونفي الاستحالة العقلية؛ إثبات للإمكان حتماً.

ثم الاستدلال على إمكان النبوة بكونها داخلة في قدرة الله تبارك وتعالى؛ قد يوجه لمن هو مؤمن بالله عز وجل.

فبعض الناس مؤمنون بوجود خالق الكون تبارك اسمه، ومؤمنون بقدرته، إلا أنهم قد تَعْتَورِهُم شكوك، فيقال لهم: إن النبوة داخلة في قدرة الله جل ثناؤه، إذ هي من الممكنات، فإذا جاء من قال إنه نبي أو رسول؛ فلا مانع من هذا عقلا، ولكن لا بد أن تقترن دعواه بآيات وبراهين تؤكد صدقه، وإلا فإن الكذابين كثيرون!.

ويوجد فريق آخر من الناس ينظر مباشرةً فيما تحتويه النبوة والرسالة من الحقائق والعلوم، فإذا لم ير فيها إلا الشمول والصدق والحق، ورأى -مع ذلك- من الآيات والبراهين ما يؤكد له أن ما جاء به هذا النبي -عليه السلام- هو خارج عن نطاق قدرة البشر مهما بلغوا،

١- انظر ما سبق: ٥٢٠.

كان ذلك لديه برهاناً ينير له سبيل الإيمان با لله تبارك وتعالى حق الإيمان، مع إيمانه بالنبوة، ومن جاء بها عليه السلام.

فكما أن ا لله تعالى قد بث في الكون آيات وبراهين تدل على وجوده، وعلى العديد من صفاته الجليلة؛ فقد أنزل في رسالاته؛ البراهين والحجج الدالة على وجوده، وعلى صفاته الجليلة، وأسمائه الحسنى. وإنما يدرك هذا وذاك من كان له قلب، أو ألقي السمع وهو شهيد.

٤- إن ركني الإيمان با لله تعالى وبالنبوات مرتبطان ارتباطاً وثيقاً. فمضمون الرسالات الربانية هو في المقام الأول: كل ما يتعلق بركن الإيمان با لله جل جلاله، ليكون إيمان المرء بربه صحيحاً تاماً، ومن ثم يكون الأساس الراسخ الذي تنبني عليه سائر الأركان، وإلا كان البناء متهالكاً، سرعان ما ينهار بصاحبه إلى التهلكة.

وفي المقابل فإن وجود إيمان با لله تعالى وبقدرته وعلمه وحكمته، المكتسب عن طريق العقل، والنظر في الآيات الكونية، أو الوجدان؛ لابد أن يجعل صاحبه يؤمن بإمكان أن يرسل الرب الحكيم العليم القدير جل ثناؤه من يبلغ عنه رسالة إلى البشر.

فالعقل البصير الواعي يقود صاحبه -في أدنى الأحوال- إلى أنه من الممكن أن تكون للرب تعالى رسالة يريد أن يبلغها لخلقه، وهذا جائز وممكن، بأية صورة يختارها سبحانه.

فإذا ازداد عقل صاحب الإيمان ذلك، ووعيه، وازداد إيمانه بربه تعالى، وتدبر واقعه، وواقع من حوله، انتقل إلى الاقتناع بحاجة البشر إلى رسالة ربانية، وإن كان لا يستطيع أن يوجب ذلك على ا لله تعالى جده، لأنه لا يستطيع أن يحيط علماً به، وبحكمته جل جلاله[1].

٥- فادعاء (العلماني) أن العقل لا يستطيع أن يحكم بإمكان أن يرسل ا لله جل جلاله نبياً أو رسولاً إلى خلقه، حتى يكون هذا أمراً مفعولاً؛ ادعاء ساقط وباطل عقلاً، وإيراده احتيال متستر بدعاوى المنهجية العقلية، وذريعته آراء الوجودية الملحدة الخارجة، عن نظام المعقول، كما سبق بيانه. وهو أيضاً يتطاول على عظيم قدرة ا لله جل ثناؤه بالإنكار، ويدخل في عموم قوله عز وجل:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ من شيء... (٩١)﴾ الأنعام.

فهو من الكافرين حتماً بقدرة الرب، جل جلاله، وعَظُم سلطانه.

---

(١) وذلك لأن أي عقل سليم يستطيع أن يرى عظم ما عليه البشر غير المهتدين بهدي النبوات؛ من الجهل والضلال في مسائل العقائد، ومن الظلم الطاغي أو النقص الظاهر في كثير من الأحكام، التي تنظم علاقات البشر بعضهم ببعض.

٦- ومن عجيب الرسالة الربانية الخاتمة التي حفظها الله بحفظه؛ أنها تشتمل على أدلة تظهر حيناً فحيناً؛ دالة على أنها تنزيل من عند الله، وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم صادق فيما بلغ عن ربه، فهو رسول الله حقاً وصدقاً.

ولا يجحد هذا إلا حسير خاسئ. ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بتأييد من الحكيم القدير جل جلاله، الذي ليس من حكمته تأييد الكذابين.

وحفظ الرسالة من التغيير والتبديل من أظهر الأدلة على ذلك التأييد. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ الحجر.

وفي المقابل فإنه ما من دعوة إنسانية إلا يعتريها التغيير والتبديل كلما طال عليها الزمن، حتى تكاد تندرس معالمها الأصلية، ولا يكاد يوجد من يتبع الأصل الذي جاء به صاحب تلك الدعوى. وأما دعوات الرسل عليهم السلام السابقين فلم يتكفل سبحانه بحفظها، لأنه كان في تقديره أنه ما من دعوة إلا سيتلوها دعوة أخرى، فإذا تعرضت دعوة النبي السابق عليه السلام للتحريف والتبديل، جاء النبي اللاحق عليه السلام، وبَيَّنَ الحق ودعا إليه.

بخلاف الرسالة الخاتمة، فقد تكفل سبحانه بحفظها حتى لا تندرس، أو تحرّف أو تغيّر، وحتى لا يكون للناس على الله سبحانه حجة، في عدم وجود حق ظاهر يهتدون به.

ومن حفظ هذا الدين إيجاد طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرين على الحق، يمنعون عنه غلو الغالين، وتحريف المحرفين.

ومن ثم فهل يشك أحد في عدم إيمان (العلماني) بقدرة الله جل شأنه على ما ينبغي له؛ إذ يدعي أنه لا يمكن أن نستدل بها على إمكان إرسال الأنبياء عليهم السلام؟!!.

٧- إن ادعاء عدم قدرة الإنسان على معرفة الممكن قبل وقوعه ليس إلا تحقيراً للعقل البشري واستهزاءً به، واستهانة بأحكامه، وبقدرته على التفكير والاستنباط، ومعرفة خصائص الأشياء وصفاتها.

إن مؤدى زعم (العلماني) أن العقل البشري عاجزٌ، فهو ينتظر ما يُملى عليه!. وهل يرضى بشر بمثل هذا البخس من قيمة نعمة العقل الربانية، فضلاً عمن يزعم أنه نصير العقل والمدافع عنه؟!.

٨- إن هذا الفريق من الذين ادعوا أنه مناصرون للعقل والحرية البشرية؛ قد رفضوا أن يكون للعقل أي معين أو هادٍ في مجال الحقائق التي تأتي بها النبوات، مهما عظمت أو دقت،

وادَّعَوْا أنه قادر على أن يعرف بمفرده، ويصل إلى كل شيء[(١)].

فلما صار العقل وحيداً عندهم؛ جاؤوا إلى قضية إمكان وجود بعض الأمور أو عدم إمكان ذلك، وهي تعتبر من أوليات العلوم، فكان مؤدى زعمهم أن العقل مهما فكر فإنه غير قادر على الجزم بشيء منها، حتى يحدث ذلك الشيء!، فيتبين من ثم أنه كان ممكناً[(٢)].

وأية ميزة لهذا العقل إذا كان لا يعرف إلا ما يملى عليه جبراً؟!!.

هذا هو دفاع هذا الفريق عن العقل، وهذا هو الدرك الذي أوصلوه إليه فيما بعد، فهل فِعلهم دفاع عن العقل، أم هو أمر آخر؟!!.

٩- وأما الدور المزعوم في هذه الدعوى بين إثبات وجود الله تعالى وإثبات النبوة؛ فهو كالدور الذي يدعيه جاهل مغالط فيقول:

إنكم تزعمون أن الكتب العلمية النافعة تفيد من يقرؤها ويفهمها علماً جديداً، حتى يصير مع متابعة قراءة تلك الكتب ودراستها بفهم؛ من العلماء. ولكن تلك الكتب لابد أن يضعها العلماء أنفسهم، وهم مرجع لإثبات صحة ما ورد في هذه الكتب، وهذا وقوع في الدور!.

بالطبع فإنه لا يوجد عاقل يقدر نفسه والآخرين؛ ثم يطلق مثل هذا الزعم، الظاهر البطلان.

إن الدور لا يكون إلا إذا قيل -على سبيل المثال-: إن وجود الله جل جلاله لا يثبت إلا عن طريق النبوة، والنبوة لا تثبت إلا بعد إثبات وجود الله جل ثناؤه. لكن هذا الأمر لا يقوله أحد من المؤمنين بالله عز وجل وبرسالاته وأنبيائه عليهم السلام. ولا يجهل مثل هذا الأمر منصف يريد الحق.

---

(١) انظر ما سبق من الشبهات المتعلقة بهذه المسألة والرد عليها: ٢٦٤، وما بعدها.

(٢) وهذا مؤدى زعم من ادعى كذبا وزورا أن الواقع سابق للفكر دواماً، كما ادعاه: حسن حنفي، انظر: ٥٢٠.

القضية الثالثة: حول تساؤل (العلماني) عن فائدة استعمال النبوة لإثبات وجود الله تعالى:

تساءل (العلماني) مستنكراً:

(ما الفائدة من استعمال النبوة تراجعيّاً لإثبات وجود الله -جل شأنه-، وقد تم من قبل إثباته في التوحيد؟. وكيف تثبت السمعيات العقليات؟).

(ولماذا تتراجع النبوة إلى المُرْسِل، أي إلى ما قبل النبوة، ولا تتقدم إلى المُرْسَل إليهم)[١].

وبهذا يتضح لنا أنه قد استنكر من خلال التساؤلين السابقين الاستفادة من النبوة لإثبات ما يتعلق بمسائل الربوبية والألوهية، أولاً: لأن أدلة النبوة -بزعمه- خبرية محضة، وثانياً: لأنه -بزعمه أيضاً- لا فائدة من رجوع النبوة إلى الوراء، أي: إلى المرسِل جل وعلا.

وفيما يلي الرد على كلا الزعمين الباطلين:

أولاً: بالنسبة إلى التساؤل الأول:

فإنه يقال (للعلماني): ماذا تريد بقولك: إن وجود الله جل جلاله قد تم إثباته من قبل في التوحيد، فإن كان جوابك أن وجود الله تبارك اسمه قد تم إثباته عقلياً، كحال سائر مسائل التوحيد[٢]؛ فما معنى قولك: من قبل؟.

إن كنت تريد القبلية الزمانية في التاريخ البشري، فآدم عليه السلام -في اعتقاد المسلمين وكثير غيرهم- قد نزل بالتوحيد، وعلمه أبناءه، وكلما كانت البشرية تنحرف كان الله جل ثناؤه يرسل إليها من يهديها الصراط المستقيم، فما من إيمان بالله تبارك وتعالى -على أية درجة كان- موجود بين جماهير بشرية؛ إلا وهو مستفاد من النبوات والرسالات الربانية.

وإن كنت تريد القبلية الفكرية، فمعلوم بداهة أن الاستدلال العقلي متقدم على الاستدلال الخبري المجرد، ولكن ليس معنى هذا أن النبوات لم تأت إلا بالأدلة الخبرية فقط، بل قد أتت لكل قضية إيمانية بالدليل الذي يناسبها.

وسؤال (العلماني) عن أهمية دور النبوة في إثبات قضايا العقيدة مغالطة منه، لأن أدلة

---

(١) انظر ما سبق: ٥٢٠.

(٢) التوحيد: هو الأصل الأول من أصول المعتزلة الخمسة العقلية، ومعلوم أنهم إنما يعتمدون في إثبات قضاياه ومسائله على الدليل العقلي المحض أساساً، ووجود الله تعالى جده هو ركن هذا الأصل. وصاحب هذه الدعوى: حسن حنفي؛ وفي سلسلته: من العقيدة إلى الثورة؛ قد خص المجلد الثاني منها: بالتوحيد.

النبوة لا تثبت -على سبيل المثال- وجـود الله عز وجـل خالقاً للكـون، ولا كثيراً مـن صفاتـه العظمى؛ إلا بالدليل العقلي السمعي، لا بالدليل السمعي المجـرد، وكـل مؤمـن مسـلم حقـاً يعلـم هذا. فطرح (العلماني) لسؤاله إنما هو -في حقيقته- أسـلوب مـن أسـاليب الشـغب والتشـويش، واللغط في القـول، للإيهام بأنه جاد في مناقشته للحقائق. وإلا فهل يجهل أحد دور المعلم النـاصح، والكتاب النافع؛ في إيصال الحق، والدلالة عليه؟!.

وقد سبق بيان أهمية ما جاءت به النبوات في باب التوحيد بما يكفي، وملخصه:

١- أما إثبات وجود الله تبارك اسمه وتوحيده؛ فإنه هو الأسـاس الـذي تنبـني عليـه سـائر أركان الإيمان، ومن ثم تنبني عليها الشريعة العملية. فـإن لم يكـن ذلـك الأسـاس متينـاً وصحيحـاً وراسخاً، فإنه لا يمكن أن يقوم عليه أي بناء متماسك.

فكيف يعقل أن يأتي رسول من عند الله تعالى جده؛ ثم يلقـي إلى النـاس أحكـام الشـريعة العملية، وهم لم يؤمنوا بالله جل جلاله الإيمان الصحيح، ولا بأن الله تعالى قد أرسله؟!.

وهل يظن عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إلى أقوام كافرين بالله سبحانه؛ فيبـين لهم وجوب الإيمان به نبياً ورسولاً لله الذي لا يؤمنون به. ويبـين وجـوب أن يتبعـوا شـريعته جـل شأنه، التي يمليها عليهم، ويتركهم دون أن يقوم بدوره في تصحيـح عقـائدهم، الـتي هـي الأسـاس لالتزامهم بعد ذلك بشريعة الله جل ثناؤه.

هل يوجد أحد لا يعلم أنه لابد أن تكـون عقـائد النـاس سـليمة صحيحـة قبـل أن تكـون أعمالهم كذلك؟!. وهل يجهل أحد أن عمل أي إنسان عاقل إنما هو نابع مـن المعتقـدات والأفكـار التي يعتنقها ويسلم بها؟![1].

إن أول ما يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم هو دعوة الناس إلى عبـادة الله تبـارك اسمـه الواحد، وهذا يتضمن إثبات وجوده جل شأنه، وإثبات استحقاقه للوحدانية في الربوبيـة والإلهيـة، قال تعالى:

---

(١) وهـل مشروع حسن حنفي إلا محاولـة منـه بزعمـه لإعادة بنـاء علـم أصـول الديـن، بحيث يكوّن منه عقيدة -أيديولوجية- ثورية، تلائم الظروف الحالية للمجتمع الإسـلامي، حتى يكون قـادراً على مواجهـة التحديات الرئيسـة لعصره! -على حسب دعواه-. انظر: الغلاف الأخير لكل مجلد من سلسلة: من العقيدة إلى الثورة. فهو يعلم أن العمـل إنما هو تـابع للعقيدة، وأنه لابد من تصحيح العقيدة لتصحيح العمل، فكيف غاب عنه هذا عند كلامه عن النبـوة؟!!. أم أنه يظن أنه يقوم بدور أكمل؟!!.
إن دوره -بدون شك- يكاد يكون متكاملاً لقيادة أتباعه إلى مصيره الذي يسعى إليه.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾النحل.

وهذا هو الواجب الأول على الدعاة إلى دين ا لله تعالى، إذ المطلوب فيهم أن لا ينطلقوا في بيان تفصيلات الأحكام الشرعية؛ حتى يتأكدوا من صحة إيمان من يدعونهم، وأنهم يؤمنون با لله عز وجل حقاً وصدقاً. وقد قال صلى ا لله عليه وسلم لمعاذ بن جبل[(١)] رضي ا لله عنه عندما أرْسلَه إلى اليمن:

"إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا ا لله، وأن محمداً رسول ا لله. فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن ا لله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن ا لله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين ا لله حجاب"[(٢)].

٢- وقد سبق بيان أن دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الإيمان با لله تعالى وحده وعبادته على ما ينبغي له؛ هي الدعوة التي يكتب لها الاستمرار الطويل في التاريخ، مع وجود الأتباع أولي

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني، رضي ا لله عنه، صحابي جليل، عالم إمام فقيه مجاهد زاهد، مجاب الدعوة، وهو الإمام المقدم في معرفة الحلال والحرام، وأحد من حفظ القرآن كله في عهده صلى ا لله عليه وسلم. وقد خلّفه في مكة بعد فتحها لِيُقْرِئَ الناس القرآن، ويفقههم. وبعثه إلى اليمن قاضياً. وكان يفتي في عهد الرسول صلى ا لله عليه وسلم، وبعد وفاته. وقد استعمله عمر رضي ا لله عنه على الشام، بعد وفاة أبي عبيدة رضي ا لله عنه. وتوفي فيها في طاعون عمواس، عام: ١٧هـ، أو ١٨هـ.
انظر: الطبقات الكبرى: ٣٤٧/٢-٣٥٠. و: التاريخ الكبير: ٣٥٩/٤-٣٦٠/ تر: ١٥٥٤. و: أسد الغابة: ٣٧٦/٤-٣٧٨. و: سير أعلام النبلاء: ٣٤٣/١-٤٦١/ تر: ٨٦. و: البداية والنهاية: ٩٧/٧. و: الإصابة: ٤٠٦/٣-٤٠٧/ تر: ٨٠٣٩. و: شذرات الذهب: ٢٩/٢-٣٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وابن خزيمة والدار قطني وابن حبان والبيهقي عن ابن عباس رضي ا لله عنهما، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٥٠٥/٢/ح: ١٣٣١، ٥٢٩/٢/ح: ١٣٨٩، ٥٤٤/٢/ ح: ١٤٢٥، ٢٦٨٥/٦/ ح: ٦٩٣٧. وانظر: صحيح مسلم: ٥١/١/ ح: ١٩. و: مسند أحمد: ٢٣٣/١. و: سنن أبي داود: ١٠٤/٢. و: سنن الترمذي: ٢١/٣/ ح: ٦٢٥. و: سنن النسائي: ٢/٥/ ح: ٢٤٣٥. و: السنن الكبرى: ٤/٢/ ح: ٢٢١٥. و: سنن ابن ماجه: ٥٦٨/١/ ح: ١٧٨٣. و: سنن الدارمي: ٤٩١/١/ ح: ١٦١٤. و: صحيح ابن خزيمة: ٢٣/٤/ ح: ٢٢٧٥. و: سنن الدار قطني: ١٣٦/٢/ ح: ٥. و: صحيح ابن حبان: ٤٧٥/١١/ ح: ٥٠٨١. و: سنن البيهقي الكبرى: ٩٦/٤، ٢/٧، ٧، ٨.

العدد[١]. وأما غير الأنبياء عليهم السلام أو أتباعهم؛ فإنه لو فرض وجود من آمن با لله تعالى وحده عن طريق عقله المجرد، وقام بالدعوة إلى ذلك؛ فلا يوجد دليل على أن مثل هذه الدعوة قد كتبت لها نجاح واستمرار في التاريخ، وأتباع أولو عدد قد تحملوها ودافعوا عنها، كما كان لدعوات الأنبياء عليهم السلام، وهكذا في سائر قضايا العقيدة.

وأيضاً فإن أي شخص وصل إلى شيء من الحق -في مسألة من مسائل العقيدة-، عن طريق عقله المجرد دون الاهتداء بهدي النبوات؛ لو درست مجمل آرائه لَوُجِدَ أنه وإن وافق الحق في بعضها؛ فقد خالفه فيما لا يحصى من مسائل العقائد.

٣- وأما الافتراء على النبوة بأنها لا تأتي إلا بالسمعيات، أي: بالأخبار المجردة؛ فقد سبق بيان ما فيه من الزور والبهتان على الرسالة التي أنزلها ا لله جل شأنه، العليم الخبير الحكيم، وارتضاها لعباده[٢].

وأي مانع بل وأية شبهة تحمل على الاعتقاد بأن ا لله جل ثناؤه ذا الأسماء والصفات الحسنى؛ لا يوحي لنبيه صلى ا لله عليه وسلم بالأدلة البرهانية العقلية، كما يوحي إليه بالأدلة السمعية؟!.

وهل قوله تعالى:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾ القلم.

دليل سمعي مجرد، أم دليل عقلي برهاني خبري؟!.

فكيف يصح بعد هذا كله الزعم بأن الدليل العقلي المجرد؛ متقدم على الأدلة التي يأتي بها الأنبياء عليهم السلام؟!، وهم صلوات ا لله عليهم قد جمعوا فيما أوردوه بين طريقي الاستدلال العقلي والسمعي.

---

(١) انظر ما سبق: ٢٧١-٢٧٢، وظاهر أن المراد بالمقارنة مقارنة دعوة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، بدعوة من لم يكن من أتباعهم، ولكنه دعا إلى عبادة ا لله تعالى وحده -على سبيل المثال-، حيث توصل إليها بعقله، وبدأ يدعو إليها، وإن كان افتراض وصول إنسان إلى الإيمان با لله تعالى وحده حقا، عن طريق عقله المجرد، دون أدنى اهتداء بأثارة من نبوة سابقة؛ وقيامه بدعوة الناس إلى هذا الأمر؛ لا يوجد له أي دليل من مثال تاريخي مؤكد.

(٢) انظر في بيان وجه الاستدلال بهذا الدليل: منهاج السنة النبوية؛ ابن تيمية: ١١/٢.

ثانياً: وبالنسبة إلى التساؤل الثاني:

والذي يقول (العلماني) في بيانه:

(لماذا تتراجع النبوة إلى المُرْسِل، أي إلى ما قبل النبوة، ولا تتقدم إلى المُرْسَلِ إليهم، وإلى الرسالة في التاريخ، أي إلى ما بعد النبوة؟)[1]. ا.هـ.

فإنه يقال له:

١- إن هذا التساؤل هو مجرد تكرير لمعنى التساؤل السابق مع تغيير في الألفاظ، وكأن صاحبه يريد أن يُؤكّد لقارِئه جهله بأن أساس سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ إنما يقوم على إيمانه با لله جل شأنه الإيمان الصحيح والكامل. وكذا جهله بأن الداعي إلى الحق إذا لم يتأكد من صحة هذا الأساس في نفوس من يدعوهم؛ فإنه لا يمكنه أن ينتقل إلى إبلاغهم تشريع ا لله تعالى المُنَزل، ويحثهم على الالتزام والتمسك به، إلا في بعض الأمور العامة التي يتفق عليها العقلاء.

٢- وإذا بدأنا في تعليم جاهل درجات العلم الأولى؛ فهل يوجد عاقل يستنكر مثل هذا البدء، ويقول إن الناس قد بلغوا في العلم درجة عالية، فلماذا تعودون به إلى الوراء؟!!.

إن مثل ذلك الاعتراض لا يصح إلا إن أتينا إلى عالم وبدأنا نلقنه مبادئ العلم الأولى، التي حصلها قبل هذا!. وأما الجاهل فمن الطبعي أن نبتدئ معه من أول درجات العلم.

وهكذا كان حال البشر قبل مجيء الإسلام، وهذا هو حال كل البشر غير المؤمنين بالحق في أيامنا هذه، وذلك بالنسبة إلى القضايا التي جاءت بها النبوة الخاتمة.

فلابد للنبي عليه السلام أن يبتدئ مع أهل الجاهلية؛ من الركن الإيماني الأول، ولابد له من أن يأتيهم بالأدلة المثبتة له، ليؤمن بالحق من كان مستعداً للإجابة، ولتقوم الحجة على من أصر على الكفر، كبراً وعناداً. ولابد لكل من أراد نشر الحق بين من لم يؤمنوا؛ أن يبتدئ بذلك الأساس، وبتلك الطريقة.

فلا معنى مطلقاً للتساؤل عن سبب رجوع النبوة إلى المُرْسِل، إذ الأمر ليس أمر رجوع، وإنما هو البداية الحق، التي لابد منها، وإلا استحال البناء.

إلا إن كان التساؤل من شخص لا يؤمن بالمُرْسِل أساساً كما هو حال هذا (العلماني)، فلا يُسْتَغْرَبُ منه -والحال هذه- أي إنكار للحق.

---

(١) انظر ما سبق: ٥٢٠.

٣- وكيف يظن بالنبوة أنها لم تتقدم إلى المُرْسَلِ إليهم؛ وهي إنما نزلت لأجل صلاحهم، ولأجل أن تبين لهم طريق سعادتهم الدنيوية والأخروية؟!. وهذا موجود في كل بيان من بياناتها، وفي كل دعوة وقضية ومسألة جاءت بها. ولا ينكر هذا إلا جاهل مطبق، أو متجاهل لا يستحي من رفض الحق مهما كان جلياً.

وهل إذا قامت النبوة بإصلاح عقائد الناس، تعتبر أنها لم تتقدم إليهم؟!.

٤- إن مجرد عرض مثل تلك العبارات نقلاً عن (العلماني)؛ أبلغ من أي وصف ذَمّ يمكن أن يطلق عليه، وهو يعتبر نفسه مجدداً للدين، وباعثاً لأهله المسلمين!.

أي شيء في عقائد الدين الإسلامي يحمل (العلمانيين) على أن يرفضوا قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى تلك العقائد، التي تثبتها براهين العقل، أو على تصحيحها في نفوس البشر؟!.

والحق أن (العلمانيين) غير مؤمنين بها، وخيْر للمتحدث منهم في قضايا الدين؛ أن يُظْهِرَ عدم إيمانه، ويسكت عن أباطيله وافتراءاته وتزييفاته، ويتحدث بمنطق الكافر، ليَظْهَر التوافق والتلاؤم في كلامه، ولئلا يظن الناس في عقله الظنونا!.

٥- لقد كان كثير من المنافقين في التاريخ أكثر من هؤلاء ذكاء، وأحرص على ألا يقعوا في مثل هذه المناقضات لأحكام العقول الظاهرة. فمن أراد أن يكون منهم؛ فعليه أن يدرس أساليبهم وطرائقهم في النفاق وخداع أهل الحق، حتى يوافقوا على جعله من زمرتهم، ومن أهل دَرَكَتِهِم، ولئلا يرفضوه، خوفاً من أن يسيء إليهم بأساليبه الساذجة!.

القضية الرابعة: حول تساؤل (العلماني) عن مصدر النبوة:

يستمر (العلماني) في أسلوبه التساؤلي، فيقول:

(وهل مصدر النبوة بالنسبة إلينا: الله، أم أسباب النزول)؟!. ا.هـ[١].

ومن الواضح أن هذا التساؤل لا يصدر إلا ممن لا يؤمن بالله سبحانه ولا بالنبوات حقا:

١- إن الله جل ثناؤه هو من أنزل الرسالة، فهو صاحبها، وهو مصدرها، جل جلاله، وسواء كان ذلك بالنسبة إلى الرسالة، أم بالنسبة إلينا، فالمؤمن الحق يوقن بأنه لم يتبع هذه الرسالة المنزّلة؛ إلا لينال رضا الله جل جلاله، قبل كل شيء.

وقد يكون لبعض ما ينزله تعالى سبب، يرجع إلى واقعة حدثت في حياة المجتمع الذي تنزل عليه الرسالة، كحادثة الإفك وما نزل في شأنها في سورة (النور).

فما معنى التساؤل السابق؟!.

وما معنى المقابلة بين الله تبارك اسمه، وبين أسباب النزول؟!.

وهل أسباب النزول هي الرب الإله الذي بعث الرسل عليهم السلام، وأنزل عليهم الأحكام؟!.

قد يشرب الإنسان لأنه شعر بالعطش، فيبحث عن مصدر للماء، ومن ثم يشربه، فالعطش في هذه الحالة سبب لبحث الإنسان عن الماء، ولكنه لا يطلق عليه أنه مصدر الماء، سواء بالنسبة إلى الشارب، أم بالنسبة إلى الماء نفسه.

وكذا الحال في أسباب النزول.

٢- ولو أراد (العلماني) أن يطلق على سبب النزول أنه مصدر الحكم، اصطلاحاً من عنده؛ فإنه لا يمكنه بحال من الأحوال أن يلغي إطلاق كون الرب جل ثناؤه هو المصدر الأساسي، لجميع الأحكام الشرعية المنزلة، وذلك على أي تقدير أو نسبة. إلا في حالة كفره بأن الله تعالى جده هو وحده صاحب الحق في التشريع. وإذا كان قد وصل في حقيقته إلى هذه الدركة؛ فلا داعي للكلام معه عن النبوة ومسائلها، وهو في الأساس غير مؤمن بمن أَرْسَل الرسل وبعث الأنبياء، تبارك وتعالى.

---

(١) انظر ما سبق: ٥٢٠.

٣- ويلاحظ أن إطلاق (العلماني) على أسباب النزول: أنها مصدر النبوة؛ إنما يريد به -في الحقيقة-: أن مصدر النبوة بشري لا رباني. واستخدامه لعبارة (أسباب النزول) إنما هو للتلبيس على أهل الحق، باستخدام عباراتهم، عسى أن ينخدع منهم أحد بشيء من زيفه وافترائه.

فالذي يريده ذلك (العلماني) أن الوقائع والأحداث هي التي تدفع الرسول عليه السلام إلى إصدار الأحكام، فهي من ثم السبب الحقيقي لتلك الأحكام، لا أنه يوجد رب حكيم ينزّل الحكم ابتداءً، أو ينزّله بناء على حادثة معينة، وإن كان جل ذكره قد علم بأنه سيشرّع لعباده ذلك الحكم، ولكنه لكونه الحكيم العليم؛ فقد جعل إنزال ذلك الحكم بعد حدوث الواقعة المقتضية له. (فالعلماني) لا يؤمن بهذا كله.

القضية الخامسة: حول اعتراض (العلماني) على اعتبار كون إمكان النبوة؛ راجع إلى حاجة الإنسان إلى من ينظم له علاقاته الاجتماعية:

نقل (العلماني) قول من أرجع إمكان النبوة إلى حاجة البشر إلى تشريع عادل ينظم علاقات بعضهم ببعض، ثم رفضه بشدة، فقال في نقله ثم رفضه:

(وقد تثبت النبوة عملاً بإثبات حاجة الناس إلى التعاون وبالتالي إلى الرئاسة. ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يقيم معيشته إلا بالاشتراك مع آخر؛ لزمت النبوة، كي تضع قانوناً ينظم العلاقات الاجتماعية، وتسن الشرائع، وتضع النظم.

وكأن النبوة لا تثبت إلا بيان أن الإنسان وحش لأخيه الإنسان، وأنه لابد من حاكم عادل، ونظام وشريعة لصلاح الخلق، تأتي من الخارج لتحقيق الصلاح. مع غياب أي تصور داخلي لعقد اجتماعي حر قادر على تحقيق التعاون، وتنظيم شؤون الرئاسة. إن تنوع حاجات الإنسان النظرية والعملية أيضاً لا محدود، لديه الحدس والاستدلال، العلم الضروري والعلم النظري، ولديه القدرات الفردية والجماعية على العمل والتحقيق. فإذا ما أعطت النبوة النظر والعمل لتلبية حاجات الإنسان إلى معلم؛ أصبح الإنسان قاصراً، في حاجة إلى وصيّ، وكأن الإنسان عاد إلى ما قبل النبوات، وكأن النبوة لم تصل بعد إلى خاتمها.

ولماذا تثبت النبوة بتدمير الإنسان، وجعله قاصر الفهم والإدراك، عاجزاً عن الفعل والحركة، تفرض عليه الوصاية بدعوى الهداية؟!.

يبدو أن حجج وجوب النبوة قد عادت لإثبات إمكانها، حتى لحق الإمكان بالوجوب، وكأن الإمكان هو وجوب مقنع)[1].

ومن الرد على افتراء (العلماني) وزيفه:

إن هذه الدعوى تقوم على ذات الأسس التي قامت عليها الدعاوي التي سبق نقضها عند مناقشة (العلماني) حينما رفض القول بوجوب بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام[2].

أ- فصاحب هذه الدعوى يريد أن يوهم السذّج أن عقل الإنسان لديه قدرة لا حدود لها، مع أنه ما من قدرة أو قوة في الإنسان إلا لها حدود معينة، والعقل من هذه القوى، وإخراجه منها، وادعاء أنه لا حد له؛ زعم لا دليل عليه، بل الأدلة الكثيرة تبرهن على خلافه.

---

(١) انظر ما سبق: ٥٢٠-٥٢١.

(٢) انظر ما سبق: ٢٦٤، وما بعدها.

فإن العقل ابتداء لابد له من أن يستعين بالمعلومات التي تأتيه عن طريق الحواس، وأما التأمل المجرد (والاعتماد على الحدس)؛ فإنه قد أوقع الإنسان فيما لا حصر له من الأخطاء، وذلك معلوم وظاهر في الأمور المادية والكونية.

ثم هو لابد له من الاستعانة بخبرات وتجارب ومعارف الآخرين، التي يتلقاها عن طريق التعلّم، إما قراءة وإما سماعاً.

وهذا لابد منه في العلوم البشرية، وإلا كانت معرفته جزئية قاصرة، لا تفيد في معرفة الحق. ومعلوم أنه ليس يوجد عاقل يدعي أنه لا يصحّ أنْ يُطْلَقَ أنّ العقل في حاجة إلى هذه الأمور، انتصاراً منه للعقل، فكل من كان من أهله؛ يدرك مدى تلك الحاجة.

وعلى هذا؛ فلا معنى مطلقاً لرفض دعوى إمكان النبوة لاحتياج البشر إلى التشريع عادل، ينظم علاقاتهم، يأتيهم من عند الحكيم العليم الخبير بهم وبما يصلحهم، ويبلغهم إياه رسولٌ من عنده جل شأنه.

وحتى إنْ تَوَهَّم إنسان ما -توهماً غير صادق- أن البشر قد يتوصلون يوماً -ولو طال الزمن- إلى تشريع عادل، ينظم جميع علاقاتهم؛ فإنه لا يمكن أن يدعي أن البشر لم يكونوا طوال تلك المدة؛ في حاجة شديدة إلى ذلك التشريع، ليحققوا لأنفسهم السعادة والأمن والطمأنينة. ومن ثم فإن مثل هذا الإنسان، لو كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان با لله جل ثناؤه؛ فلا يمكن أن يتصور منه أن يَرْفُضَ إمكان أن ينزل ا لله تبارك اسمه مثل ذلك التشريع، تلبية لمقتضى تلك الحاجة.

وأما الصادق مع نفسه، الذي يريد الخير للبشر جميعاً، فإنه يعلم من خلال تدبره لصفات البشر، ولأحوالهم عبر العصور المختلفة؛ أنهم لن يصلوا إلى ذلك التشريع أبداً.

ب- إن أصحاب الدعوى السابقة يُغْفِلون دور الأهواء والشهوات والمصالح الشخصية، والصفات النفسية المتقابلة(١)، التي لها أكبر الأثر في انحراف الأنظمة الوضعية البشرية عن المنهج الوسط(٢).

---

(١) كالشدة الزائدة عند بعض الناس، أو التساهل غير المحدود عند بعض آخر. وكالمثالية الخيالية عند بعضهم، والمادية المغرقة عند آخرين. وهكذا...

(٢) قد ظهر حال الرأسمالية ومدى محاباتها لمصالح أرباب رؤوس الأموال، ولو عارضت مصالح الجماهير البشرية العاملة، وكذلك حال الشيوعية وتظاهرها بمحاباة العمّال، ولو أدى هذا إلى تدمير روح التنافس والإبداع في نفوس البشر.
وكذلك فإن من المعلوم الظاهر حال الدكتاتوريات السياسية، التي تجعل فرداً أو مجموعة تتحكم في مصير الأمة، حسب أهوائها وشهواتها. وكذلك حال الديمقراطيات القائمة على الخدع والوعود الكاذبة، والوقوع تحت سيطرة أصحاب رؤوس الأموال، والذين يشترون أصوات الناخبين، ويشترون ضمائر المُنْتَخَبين.
ومعلوم أيضاً حال أنظمة القضاء البشرية، التي تتراوح بين شدة لا يقبلها عقل، من قتل وتعذيب لمن لا يستحق ذلك؛ وبين تساهل أدّى في البلاد التي انتشر فيها؛ إلى تفشي الإجرام، في دائرة لا حدّ لاتّساعِها.

ويُزيد ذلك الانحراف سوءاً؛ تسلط أهل المنافع والمصالح على واضعي الأحكام، وإجبارهم على أنواع من الجور والحيف الظاهر.

وفي المقابل فإنه لا يمكن إلغاء تلك الصفات والنوازع النفسية، وإلا أدى هذا إلى وضع قانون لا يتلاءم مع هذا الكائن البشري أبداً.

وإيجاد ذلك التوازن بين مراعاة تلك الصفات والمصالح؛ وعدم الانحراف بسببها؛ هو الذي لم يستطع البشر تحقيقه إلى الآن، بل ولن يستطيعوا ما داموا بشراً، تعتريهم الصفات الإنسانية الملازمة لهم.

جـ- إن أصحاب الدعوى السابقة يُغْفِلون التاريخ الماضي والحاضر للبشرية، المليء بأنواع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان[1]. وهذا قد وُجِدَ في معظم التاريخ البشري، حتى عند من لديهم إيمان بوجوب تطبيق شريعة الله جل شأنه المنزلة، إلا أنهم انحرفوا عند التطبيق، تلبية لأهواءٍ وشهوات خاصة. بخلاف الذين آمنوا وكانوا يتقون ويخافون عذاب الله تعالى، فيتبعون منهجه وشرعه، على أفضل ما يستطيعونه.

فهذا الحال مع وجود الميزان الرباني المنزل، ذي القسطاس المستقيم، فكيف الحال مع عدم وجوده مطلقاً؟!.

ثم إن المؤمن بالله تعالى جده وبرسالاته حقاً؛ يعتقد جازماً بأنه ما من عدل يوجد في حكم من أحكام قانون بشري وضعي؛ إلا هو مستفاد من أحكام الشرائع الربانية المنزلة، عبر تاريخ الإنسانية جمعاء، وإن جحد هذا واضعو تلك الأنظمة، إذ تلك الأمور قد أصبحت مما ترسخ في النفوس، بسبب الرسالات الربانية المتتابعة، ولم تعبث به يد التحريف[2].

د- وأما رفض اعتبار النبوة معلماً وناصحاً وهادياً للبشر، حتى لا ينسب القصور إلى الإنسان، وحتى لا يؤدي ذلك إلى تدمير الإنسان وتدمير قواه، وكذلك دعوى أن ختم النبوة يعني انتهاء دورها؛ فهذه افتراءات قد تكررت كثيراً، وقد سبق بيان سقوطها[3]، وإن كان ذلك واضحاً وظاهراً لكل عاقل منصف.

---

(١) يُحال حسن حنفي إلى ما كتبه هو عن قهر واحتلال بعض الشعوب لبعضها الآخر، والظلم الذي تنزله بها، والموجود في عصرنا الحاضر. وما كتبه عن واقع الشعوب العربية والإسلامية المعاصرة، الواقعة تحت ذلك الظلم والقهر...، إلى آخر هذه العبارات التي يرددها في كثير من كتبه. ويُقارن هذا الكلام بما كتبه هنا، حتى يُعلم مدى توافق أفكاره وآرائه، ومدى صدقه في دعاويه. ينظر في هذه المسألة سلسلته: من الدين إلى الثورة، ذات الثمانية أجزاء.

(٢) لقد أثبت الكثيرون استفادة القانون الفرنسي من العديد من أحكام الشريعة الإسلامية.

(٣) انظر ما سبق: ٢٦٤-٢٧٣، ٢٨٣-٢٨٤، ٣٨٦-٣٨٨.

هـ- ولكن الذي يستغرب[1] أن هـذا الفريـق مـن (العلمـانيين) يَدَّعـون في مواضـع مـن كلامهم أن النبوة إنما تعطي البشـر المنهج العملي، ويرفضون في المقابل أن تكون النبوة تفيد البشر فيما يسمونه بالجانب النظري العلمي (العقائد)[2]. ثم يرفضون في مواضع أخرى مـن كلامهـم أن تكون النبوة تلبي حاجة للبشر في الجانب العملي أيضاً، كما هو الحال في الفرية السابقة!.

فهـل هذا من التناقض الملازم لكل مخالف لمنهج الحق والعدل، أم أنه تسـتر جزئـي يقصـد به إلغاء النبوة وإنكارها بالكلية؟!. ففي موضع يُتسـتر فيـه بـأن فـائدة النبـوة إنمـا هـي في الجـانب النظري لا العملي، وفي موضع آخر بالعكس، والحقيقة أنه لا يوجد لديهم إيمان بالنبوة أصلاً[3].

و- وأما ما يتعلق بحكم النبـوة وهـل هـو راجـع إلى الإمكـان أو الوجـوب؛ فقـد سـبقت دراسة هذه المسألة باستفاضة في فصل حكم النبوة[4].

ومن ذكر من العلماء أن النبوة ممكنة، فقد يكون قصـده بالإمكان ما يتعلق بفعل ا لله جل ثناؤه، فهو يرى أنه على الرغم من حاجة البشر الظاهرة إلى الحق؛ الذي يـأتيهم مـن قِبَـلِ ا لله عـز وجل، إلا أن ذلك لا يدل على أن إرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام واجب عليـه تعالى، ولـو كان ذلك من باب أن كمـال صفاتـه جـل شـأنه تقتضـي ذلـك، إذ قـد يحتمـل أن يكـون جـزاؤه الأخروي جل جلاله مقتصراً على ما يدركه البشر ويخالفونه، وأما الدنيا فليست بدار بقاء.

فلا يظهر أن هذا الفريق يقولون بالوجوب المقنع بالإمكان، إذ هـم غـير محتـاجين إلى مثـل هذا التلبيس والتدليس، وأما الذي هو محتاج إليـه حقيقـة؛ فهـو الـذي يعظـم مـن شـأن العقـل في مواضع من كلامه إلى درجة لا يقر بها العقل نفسه، ثـم يبخسـه حقـه ويهـوي بـه إلى حضيـض لا يقبله عقل[5].

---

(١) وإن لم يكن هذا غريباً عند من يعرف شيئاً من حقيقة هؤلاء العلمانيين المجددين.

(٢) ولا سيما العقائد التي تدل عليها البراهين العقلية، وقد سبق هذا؛ انظر مـا سبق: ٢٥٤-٢٥٥، ٣٠٢، ٣٠٨-٣٠٩. أما العقائد التي يسميها أمثال حسن حنفي بأنها عقائد سمعية خبرية صرفة؛ فهذه لابد من تحويلها عندهـم إمـا بالتـأويل أو الإنكار إلى عقلية كذلك، ليتحول العلم كله إلى علم عقلي صرف!. انظر: النبوة؛ له: ٦. فماذا أفادت النبوة؟!.

(٣) وقد سبقت الإشارة إلى مثل هذا التناقض، انظر: ٣١٦-٣١٧.

(٤) انظر ما سبق: ٦٩، وما بعدها.

(٥) انظر ما سبق: ٥٢٣-٥٢٦.

القسم الثاني

إبطال الشبهات الواردة حول موضوعات ومسائل خاصة تتعلق بالنبوة ويشتمل على خمس عشرة قضية

القضية الأولى: شبهات وأباطيل حول مسألة اشتقاق كلمة (النبوة).

القضية الثانية: شبهات وأباطيل حول معنى النبوة والرسالة.

القضية الثالثة: شبهات وأباطيل حول مكانة موضوع النبوة بالنسبة إلى سائر موضوعات العقيدة.

القضية الرابعة: شبهات وأباطيل حول الفرق بين النبي والرسول عليهما السلام.

القضية الخامسة: شبهات وأباطيل حول كون النبوة اصطفاءً ربانيا.

القضية السادسة: شبهات وأباطيل حول مسألة التفضيل.

القضية السابعة: شبهات وأباطيل حول حقيقة الوحي الرباني.

القضية الثامنة: شبهات وأباطيل حول موضوعات النبوة والوحي.

القضية التاسعة: شبهات وأباطيل حول آيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات).

القضية العاشرة: شبهات وأباطيل حول عصمة الأنبياء عليهم السلام.

القضية الحادية عشرة: إنكار العلمانيين شمول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الجن.

القضية الثانية عشرة: شبهات وأباطيل حول القرآن الكريم.

القضية الثالثة عشرة: شبهات وأباطيل حول السنة النبوية المطهرة.

القضية الرابعة عشرة: شبهات وأباطيل حول مكانة الكتاب والسنة في التشريع.

القضية الخامسة عشرة: شبهات وأباطيل حول عموم وشمول وجوب تحكيم شريعة الله عز وجل.

تمهيد:

سيتم فيما يلي -بإذن الله تعالى- استعراض بعض الشبهات التي وجهت إلى موضوعات النبوة المتعددة، من قبل بعض العلمانيين المحدثين، الذين يزعمون إيمانهم بالنبوة، وإن كانت كلماتهم تأبى هذا. وذلك ضمن القضايا التاليات:

القضية الأولى: شبهات وأباطيل حول مسألة اشتقاق كلمة النبوة:

يزعم (العلماني) أنه: قد ذكر أن النبوة لها اشتقاق آخر غير الاشتقاق الأول الذي هو من النبأ: أي الخبر. والاشتقاق الثاني المذكور هو: الرفعة. فالنباوة من غير همزة: ما ارتفع من الأرض، والنبي رفيع المنزلة عند الله، (وهو معنى يترك النبوة ويتجه نحو النبي، ويترك الرسالة ويعرّف الرسول، ويترك النبوة في التاريخ، ويتصور علاقة النبي بالله، ويؤثر قيمة الارتفاع على الانخفاض...، وهو ما يعارض سير الوحي، ومسار النبوة)[1].

ومن الرد على هذه الافتراءات:

أولاً: إن كون النبوة مشتقة من كلا المعنيين، أو أنها قد أريد بها عند استخدامها كلا المعنيين: الخبر والارتفاع؛ هو أمر ممكن، ولا تعارض بين أيٍّ من المعنيين، وليس في إثبات أحد المعنيين نفي للمعنى الآخر، فالنبي عليه السلام يأتي بالأخبار من عند الله عز وجل، وهو عليه السلام رفيع المنزلة عند ربه جل شأنه، وعند من آمنوا به حقاً.

ثانياً: من الخطأ توهم أن إثبات أحد الاشتقاقين للنبوة يعني سقوط اعتبار الاشتقاق الآخر، وقد سبق بيان إمكانية اشتقاق النبوة لغة من كلا المعنيين المذكورين[2].

ثالثاً: وقد ادعى صاحب الفرية السابقة أن الكلام عن علاقة النبي عليه السلام بالله تعالى، والكلام عن منزلته عنده جل شأنه؛ أمر يعارض سير الوحي ومسار النبوة، وهذه الدعوى الباطلة لا يفهم منها إلا أن صاحبها يريد إسقاط الكلام عن مكانة الرسول عليه السلام على وجه الإطلاق، وهذا مع ما فيه من الخلل الكبير في الإيمان بهذا الركن؛ فإنه يعارض ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تبين فضل الأنبياء عليهم السلام وعظيم منزلتهم عند الله جل جلاله[3].

رابعاً: ومثل ذلك الإسقاط يعارض كذلك ما تواضع عليه البشر من شكر من أسدى إليهم معروفاً، وتعظيم من قام لأجلهم بأعمال جليلة، ونذر نفسه لصالحهم، ودلهم على سبيل سعادتهم

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٤.

(٢) انظر ما سبق: ١٦-٢١.

(٣) انظر ما سيأتي: ٦١٥-٦١٧.

ورفعتهم، ووضعهم عليه. ومثل هذا الأمر يوجد عند البشر حتى تُجاه من كان منه شيء من ذلك، وإن كانت لديه هنات ونواقص في جوانب كثيرة من حياته. وليس من بلد من بلدان العالم إلاَّ لهم عظيم يفتخرون بذكره، ويتباهون بما قدمه لهم، فيكف بالرسل والأنبياء عليهم السلام الذين لا يوجد عمل لغيرهم يوازي أو يقارب -ولو من بعيد- أعمالهم التي قدموها لصالح من بعثوا إليهم، وهم -عليهم السلام- الذين لا توجد فيهم المعايب والنواقص الموجودة لدى غيرهم؟!.

خامساً: إن رفض ذكر فضل الأنبياء والرسل عليهم السلام لا يدل إلا على صفة الجحود والنكران، المتأصلة في نفس ذلك المنكر، والتي لا توجد حتى عند الكافرين بالنسبة إلى من يعظمونهم. ويدل كذلك على تأصل صفة الكبر المذمومة، والتي تدفع صاحبها إلى رفض مجرد شكر من قدم له معروفاً.

سادساً: وذكر فضل الأنبياء عليهم السلام له فوائد متعددة، لعل من أهمها: تأصيل حبهم عليهم السلام في النفوس، ليقوي اقتداء الناس بهم في جميع شؤونهم[١].

---

(١) انظر ما سيأتي: ٦١١- ٦١٥. ٪

القضية الثانية: شبهات وأباطيل حول معنى النبوة والرسالة:

الشبهة الأولى:

إن من الأغاليط -أو هو في حقيقة الأمر من باب التلبيس والتضليل- التي توجد في كتابات العلمانيين المعاصرين إطلاقهم لفظ نبي على المتنبئ الكذاب، فهذا (علماني) يقول:

(...وتفاقمت -أي: بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم- ظاهرة الأنبياء الداعين إلى خضوع الآخرين -القبائل الأخرى- لحكم قبائلهم...)[1].

ومما يرد به على افتراء (العلماني):

إن (العلماني) لو كان يقصد بيان الواقع الذي حصل بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكان يجب عليه أن يلتزم بالألفاظ التي اصطلح علماء المسلمين أن يطلقوها في حق أمثال أولئك الكذابين.

فقد كان يجب عليه أن يطلق على أولئك الكذابين لفظة المتنبئين، على أقل تقدير، والأحرى به أن يذكر لفظة كذاب أو مدعٍ، ونحو هذا من العبارات التي تدل على كذبهم، فيقول -مثلاً-: ظاهرة من ادعوا -أو: زعموا- أنهم أنبياء، أو: ظاهرة المتنبئين الكذابين، ونحو هذا. ومثل ذلك البيان يجنب الوقوع في الالتباس والخلط بين الحق والباطل.

ولكن الظاهر أن (العلماني) لا فرق عنده بين نبوةٍ صادقة أو كاذبة، إذ هو غير مؤمن بوجودها، فالكل عنده سيّان.

---

(١) النص، السلطة، الحقيقة؛ نصر أبو زيد: ٥٥.

الشبهة الثانية:

اخترع بعض من هم في حقيقتهم من العلمانيين المحرفين(١)؛ معاني ما أنزل الله تعالى بها من سلطان؛ للنبوة والرسالة، ومن هذا ادعاء أحدهم:

(أن النبوة من (نبأ) هي: مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية، أي: الحق والباطل.

وأما الرسالة فهي: مجموعة التعليمات التي يجب على الإنسان التقيد بها، كالعبادات والمعاملات والأخلاق، أي ما يطلق عليه: الحلال والحرام، وهي مناط التكليف.)(٢).

وفي موضع آخر أشار إلى إضافة ما يتعلق بوحدانية الله تعالى؛ إلى النبوة(٣).

وقد بنى على هذا التفريق العجيب استنتاجاً أعجب منه، فادعى أن:

(رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فرقت بين الحلال والحرام في السلوك الإنساني، ونبوته فرقت بين الحق والباطل -الحقيقة والوهم- في الوجود الموضوعي، وشتان بين الاثنين.

إن الخطيئة القاتلة، التي يرتكبها المسلمون اليوم؛ أنهم لا يفرقون بين قواعد السلوك وحقيقة الوجود، أي: ما بين الذاتي والموضوعي، فالرسالة فيها الذاتي، والقرآن فيه الموضوعي.

أي إننا يجب أن نفرق بشكل واضح لا لبس فيه بين القانون الموضوعي والقيمة الأخلاقية، فلا نضع القيمة الأخلاقية بديل القانون الموضوعي.

إن كل الأخلاق الفاضلة في الدنيا لا تستطيع أن تصمد مقابل الحقيقة الموضوعية، وإن الحقيقة المادية لا تواجه بالتقوى والأخلاق، وما خيبات الأمل المتتالية التي نصاب بها، وما التشويش الفكري وضيق الأفق إلا نتيجة مباشرة لآفة عدم التفريق بين القانون الموضوعي والقيمة الأخلاقية)(٤).

ومما بناه على ذلك التفريق الباطل بين النبوة والرسالة؛ استنتاجاً كاذباً، زعم فيه:

(أن العرب منذ أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا قد اهتموا برسالته، وهجروا

---

(١) وإن لم يعلنوا هذا، بل يتظاهرون بأنهم يقرؤون الرسالة المحمدية وكتابها قراءة جديدة، تتلاءم مع الوضع الراهن للبشر، أي: تطويع الدين وحقائقه ليتلاءم مع الضلال الذي وصل إليه عامة البشر، ومن أبرز الأسماء المعاصرة في هذا المجال: محمد شحرور، الذي قدم كتابه: (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة)، لينقض فيه حقائق القرآن باسم الإيمان به، والغيرة عليه، وإعادة النظر في فهمه!.

(٢) انظر: الكتاب والقرآن؛ محمد شحرور: ٥٤، ٥٥.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٨٤.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٩٠.

نبوته، ولكن اهتم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في العالم، لأن نبوته هي قوانين الحقيقة، الحقيقة الموضوعية المادية والتاريخية -بالإضافة إلى وحدانية الله-، وهذا ما تهتم به المعاهد والجامعات، وما بحث فيه كل فلاسفة العالم قاطبة، ابتداء من أرسطو وأفلاطون، مروراً بكانت وانجلز وهيجيل وديكارت).

ومن الرد على الافتراءات السابقات:

إن السمة البارزة عند معظم العلمانيين في العالم العربي والإسلامي -كما تبين مراراً- هي: أنهم يطلقون الدعاوي الكاذبة، من غير أن يقيموا عليها أية شبهة فضلاً عن دليل، بل ويجعلونها في مرتبة الأسس التي لا تقبل النقض أو المناقشة، ومن ثم فإنهم يبنون على أسسهم الباطلة تلك؛ ما يشاؤون من افتراءات وزيوف لا تنتهي.

وتلك السمة واضحة جليّة في فرية (العلماني) حول بيانه السابق لمعنى النبوة والرسالة، وما بني عليها من مزاعم باطلة، ومما يوجه (للعلماني) في مقابل زيوفه السابقة:

أولاً: ما هو دليله -أو: حتى شبهته- لما ذهب إليه من التفريق بين النبوة والرسالة، ولا سيما أنه يتظاهر بكونه يستقي معلوماته من نصوص هذا الدين الثابتة؟!.

ومن أين أتى بالمعنى الذي زعمه للنبوة بأنها مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية؟!، وإن كان قد ضم إليها فيما بعد ما يتعلق بتوحيد الله عز وجل، وهذا إشارة سريعة.

وأين سائر القضايا الإيمانية التي هي الأساس فيما ينزل على كل نبي؟!، وإذا كان المؤمن من عامة الناس لا يكمل إيمانه إلا بها؛ فالنبي -عليه السلام- أولى وأحرى بأن تكون تلك القضايا -ولا سيما الكبرى منها- من أوائل ما ينبأ به.

ثانياً: وأما ما ذكره من التفريق بين الحق والباطل، فيقال له:

أليس من التفريق بين الحق والباطل؛ بيان أن المؤمن الذي يعمل الصالحات هو من الناجين الفائزين، وأن الكافر الضال هو من الخاسرين؟!.

أليس من التفريق بين الحق والباطل : بيان ما يصير به الإنسان مؤمنا، وما يصير به كافراً؟!، وبيان ما يصير به الإنسان من الذين يعملون الصالحات، وما يصير به من الفاسقين؟!، ثم أليست هذه البيانات تستند إلى أمور عملية، من عبادات ومعاملات وأخلاق؟!.

فالتفريق بين الحق والباطل يشمل الأمور العملية، كما يشمل الأمور الاعتقادية والفكرية والكونية، وادعاء أنه يشمل أحدهما دون الآخر هو الباطل حقاً.

ثالثاً: إن مما يبطل كون النبوة تنحصر في الأمور الكونية أو التاريخية أو حتى الفكرية أو العقدية؛ أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام[١]، وكثير منهم لم تثبت له صفة الرسالة، وقد كانوا يدعون قومهم إلى الإيمان الصحيح بالرسالة الربانية، وإلى تطبيق ما جاء فيها من الأحكام، بل وكانوا يقومون بتطبيقها فعلاً. ولا يخفى على أحد نبيٌّ بَني إسرائيل عليه السلام؛ الذي طلب منه قومه ملكاً يجاهدون تحت رايته، فأشار عليهم بطالوت وطالبهم بطاعته[٢]، فهل هذا من الأمور المتعلقة بحقائق الوجود، أم هو من الأمور التشريعية العملية؟!.

رابعاً: وفي المقابل، فقد أمر الله جل ذكره رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزله إليه، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾ المائدة.

فخاطب عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم مناديا له بوصف الرسالة، وطلب منه تبليغ جميع ما أُنْزِل إليه منه جل ذكره، وهو بالطبع يشمل الأمور العلمية والعملية.

خامساً: أما ما ذكره (العلماني) من أن النبوة هي مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية[٣]؛ فَمَن الذي قال إن الأمور الكونية، أي: القوانين المتعلقة بظواهر الحياة الدنيا؛ هي: من المواضيع الأساسية للنبوة؟!!، وما الدليل على هذا؟!!.

إن أدلة ونصوص النبوة الخاتمة تدل على أن موضوع جميع النبوات الأساس هو بيان العقيدة الصحيحة، ابتداء من توحيد الرب عز وجل إلى سائر الأركان الإيمانية، ومن ثم بيان المنهج العملي الملائم لتلك العقيدة[٤].

وما ورد في الرسالة الخاتمة من بعض الأمور الكونية؛ فإما أنه من الأمور المغيبة، التي يطلب من الإنسان الإيمان بها، كخلق آدم عليه السلام وخلق السموات والأرض. وإما أنه -كما سبق- ليكون دالاً على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق كون الكتاب الذي جاء به هو من عند الله تبارك اسمه. وهذا؛ عندما يستطيع البشر الوصول إلى تلك الحقائق الكونية، بعد تقدمهم العلمي، فتقوم الحجة عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يمكنه من عند نفسه معرفة تلك الحقائق الكونية، وأنه ما كان ليأتي بها إلا من عند الله عز وجل.

---

(١) انظر الدليل على هذا: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٢٤٦-٢٤٨.

(٣) انظر ما سبق: ٥٤٨.

(٤) انظر ما سبق: ١٩٢.

إن (العلماني) لا يستطيع أن يدعي أنه يقصد بالأمور الكونية؛ ما يشمل الإيمان با لله عز وجل أو اليوم الآخر أو الملائكة أو الرسل عليهم السلام أو الكتب أو القضاء والقدر، فعبارة الأمور الكونية تتعلق بدراسة المخلوقات الموجودة في هذه الحياة، ولا تتناول دراسة ما يتعلق بوجود الخالق عز وجل، أو صفاته، أو ما ينبغي له من التوحيد. ولا تتناول أيضاً دراسة ما يتعلق باليوم الآخر، لأن هذا الكون شيء واليوم الآخر شيء آخر. وأما القضاء والقدر والملائكة والرسل عليهم السلام والكتب؛ فلا أحد يطلق عليها إنها أمور كونية. ومن أراد أن يتكلم في علم؛ فعليه أن يلتزم بمصطلحات أهله، وإلا كان كلامه من باب التلبيس والتضليل.

ومما يدل على أن (العلماني) لا يقصد شمول الأمور الكونية لتلك الأركان الإيمانية، التي هي الغاية الأولى من إنزال النبوات؛ كونه قد جهّل العرب -بما فيهم من علماء وفقهاء- لأنهم لم يتناولوا الأمور الكونية بالدراسة، أي بتعبيره التلبيسي: لم يتناولوا بالدراسة نبوة محمد صلى ا لله عليه وسلم!، والمنحصرة في زعمه بالأمور الكونية والتاريخية، بينما تناولت هذه الأمور بالدراسة؛ معاهد الأبحاث، والفلاسفة من غير المسلمين!. ولو كان يقصد شمول الأمور الكونية لتلك الأركان أو لبعضها؛ لما جَهِل ما لعلماء المسلمين من كتب ومؤلفات لا تحصى، لتقرير تلك العقائد، وإقامة الأدلة عليها، ورد الشبهات عنها[1].

سادساً: أما ما ذكره (العلماني) من أن حقائق الوجود أو القانون الموضوعي لا تتعلق بها الأخلاق، فهذا إطلاق عام يخلط فيه الحق بالباطل عن قصد سابق.

فوصف الأمور الطبعية الكونية لا يبعد أن يقال إنه مسألة لا تتعلق بها الأخلاق، وهذا كقول عالم الذرة إنها تحتوي على نواة وكهارب سالبة وموجبة، ومثل هذا لا يقال في حقه: إنه يتحدث عن حلال أو حرام، أو إن في حديثه سوء خلق وقلة أدب!.

ولكن ذلك لا يعني: عدم ضبط الأحكام الشرعية والأخلاق لتصرفاتنا في الأمور والسنن الكونية، ولكيفية استخدامنا لها، فشتان بين الأمرين.

وبهذا يتبين مدى التلبيس في كلام (العلماني) عندما يدعي أن المسلمين لا يفرقون بين قواعد السلوك وحقيقة الوجود، وأن هذا هو الذي أدّى إلى خيبات الأمل المتتالية، التي يصابون بها. وسبب هذا يرجع إلى أنه:

أ- لم يوضح بالأمثلة الظاهرة كيف أن عدم تفريق المسلمين بين قواعد السلوك وحقيقة الوجود؛ قد أدى إلى خيبات الأمل المتتالية.

---

(١) سيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في الرد السابع والثامن على فرية الشحرور هذه، انظر: ٥٥٣-٥٥٤.

بينما لا يخفى على كل مصنف؛ أن خيبات الأمل والضعف والهوان لم يحل بالمسلمين؛ إلا بعد أن ضعف تمسكهم بدينهم، وبعد إقصائهم له -كلياً أوجزئياً- عن ضبط جميع شؤون حياتهم الدنيوية.

ب- ثم يقال (للعلماني) المضلل: إنه لا يوجد عاقل في المسلمين يأتي إلى عالم كوني يصف حقيقة كونية قطعية، كالحال السابقة لعالم الذرة فيقول له: كلامك حلال أو حرام أو نحو هذا.

ولكن قد تنسب أمور إلى تلك الحقائق زوراً وبهتاناً، وهي لا تعدو كونها فرضيات لا دليل لها، أو قد ثبت سقوطها[١]، وربما تتعارض بعض هذه الفرضيات مع حقائق قد وردت في الكتاب العزيز عن الكون؛ فيأتي العالم المسلم ويقول إن هذه الفرضية باطلة قطعاً، إذ هي تتعارض مع الحقائق الواردة في الكتاب العزيز حول المسألة ذاتها[٢].

جـ- وإن أراد (العلماني) بدعواه السابقة ما يوجهه علماء المسلمين من أحكام الحلال والحرام إلى الاستخدامات البشرية، المبنية على اكتشافاتهم للسنن المبثوثة في الكون[٣]، فإن ما يقوم به أولئك العلماء هو الحق. فما من تصرف بشري إلا ويتعلق به حكم من الأحكام الشرعية الخمسة[٤]، ومن ينتقدهم فهو إما أن يكون من الذين لا يعلمون شيئاً عن دين الله عز وجل المنزل، أو هو من غير المؤمنين به أصلاً.

ومن ذلك أنه توجد في الإنسان غرائز وشهوات، وهذه عندما تبيّن وتدرس بشكل منصف وواقعي فإنها لا تثير إنكار أحد، ولكن عندما يدعي من يلبس ثوب العلم زوراً وبهتاناً؛ أنه يجب أن يطلق لها العنان من غير ضابط، ليبدع الإنسان، فهذا الذي ينكره علماء المسلمين، ويقولون إنه غير خلقي، وأنه يدخل في باب المحرمات.

ومثل ما سبق: لو جاء من يدعي العلم وهو كاذب، ودرس الصفات الإنسانية على وجه محرف يؤدي إلى سلوكيات ضالة، فإن علماء المسلمين ينكرون ادعاءاته، ويبينون ما فيها من ضلال. ويشمل هذا من لا يلتفت إلى وجود تلك الغرائز بالكلية، ويدعي أنه يمكن كبتها بالكلية. ويشمل -من يدعي زوراً وبهتاناً- أن تلك الغرائز أو بعضها؛ هي المسيّر لجميع نشاطات الإنسان، ولهذا فإنه يجب عدم كبتها بأية صورة؛ ويجب إطلاقها من غير قيد ولا ضابط!.

---

(١) كحال الفرضية الداروينية مع حقيقة خلق الله تعالى لآدم عليه السلام.

(٢) وهذا موجود حتى بين علماء الكون، فكثيراً ما ينقض بعضهم كلام بعضهم الآخر ويبطله.

(٣) قد يقول (الشحرور) إن هذه الأمور تدخل فيما أسماه بقواعد السلوك، ولكن بعد سبر الأمور التي ادعى أنها كانت السبب في خيبات الأمل نتيجة عدم تفريق المسلمين بين قواعد السلوك وحقيقة الوجود؛ لم يبق إلا هذا الأمر، ليكون هو السبب المزعوم لتلك الخيبات.

(٤) فدراسة العلوم الكونية -على سبيل المثال- هي من فروض الكفايات على المسلمين جميعاً.

سابعاً: إن من أظهر افتراءات (العلماني) المبنية على ما ادعاه كذباً حول الفرق بين النبوة والرسالة؛ زعمه الساقط: أن علماء العرب لم يهتموا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما قصروا اهتمامهم على رسالته.

فإن كانت النبوة عنده تشمل العقائد[1]؛ فلا يخفى على جاهل -فضلا عمن عنده شيء من المعرفة والاطلاع- عِظَم فِرْية من يدعي على علماء المسلمين من عرب وغيرهم -من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا!!؛ بأنهم لم يهتموا بأمور العقائد -ولا سيما عقيدة التوحيد-، وبأنهم لم يبلغوا الغاية في دراستها وبحثها وإقامة الحجج والبراهين عليها، والرد على المخالفين، والدعوة إليها، وتأليف الكتب التي لا تحصى في سبيل ذلك.

فهل غاب عن صاحب هذه الفرية أولئك العلماء المسلمون ممن لا حصر لهم؟!، وهل غاب عنه نظار كل فرقة من فرق المسلمين ممن تناولوا أدق تفاصيل العقائد؛ بالشرح والتعليل والتدليل، والرد على المخالف؟!، وهل لم يجد من دارسين لفلسفة الكون والوجود إلا أمثال: أرسطو وأفلاطون، مروراً بكانت وانجلز وهيجيل وديكارت، وغيرهم من المخرفين الضالين؟!.

بل إن في كثير من المنتسبين إلى الإسلام من الفلاسفة الأقدمين من لا يقل عن أولئك الفلاسفة في التخريف والضلال، فهل غاب هؤلاء أيضاً عن ذهن صاحب هذه الفرية، فلم يمر عليهم، وادعى عدم وجودهم منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا؟!.

وأما ما ذكره (العلماني) عن المعاهد ومراكز البحث؛ فسياق الكلام يدل على أنه يريد المعاهد التي تدرس الأمور الكونية المادية، وقد سبق بيان أن هذه الأمور ليست من الأمور الأساسية لإنزال النبوات، وأن ماجاء فيها في كتاب النبوة الخاتمة وأخبارها قد كان لحكمة التدليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق الكتاب العزيز.

وعلى الرغم من هذا؛ فلم يترك علماء المسلمين -قديماً ولا حديثاً- تلك الأمور، فأهل التفسير قد تناولوها منذ بداية عهد التفسير، كلٌ قدر استطاعته، وقد تناولها أيضاً بالبحث والدراسة الكثير من علماء مسلمين متخصصين في علوم متنوعات، منذ مئات السنين وإلى يومنا هذا. وفي عصرنا هذا يوجد أعداد من أولئك العلماء قد خصصوا أنفسهم لدراسة هذا المجال، لاستنباط ما فيه من إعجاز يدل على صدق الرسالة ومن جاء بها صلى الله عليه وسلم.

والحق أنه لا يمكن أن يجهل إنسان وجود أولئك العلماء المسلمين من عرب وغيرهم، ولكن أهل الضلال يلجؤون إلى التعميمات الباطلات لإبطال حقائق الدين، فيقعون فيما يفضحهم ويكشف حقيقة حالهم.

---

(١) وقد سبق أن ذكرت أنه أشار إلى شمول النبوة لعقيدة التوحيد واليوم الآخر، انظر: ٥٤٨.

ثامناً: وأما الفلاسفة الذين ذكرهم (العلماني) وعدّد أسماءهم؛ فإنهم وأضرابهم من أجهل الخلق بالقرآن المجيد المنزل، ومن أبعدهم عن الحق الذي جاء فيه، ولا سيما بالنسبة إلى الأمور العقدية، وإلى الحكمة من الخلق والوجود، بل إنه لا تكاد توجد أية قيمة لآرائهم في تلك الأمور، إلا قيمة ضلال وانحراف.

وإذا كان هذا هو حال هؤلاء؛ فما هو حال مَن يعتبرهم هم الباحثين حقاً عن قوانين الحقيقة الموضوعية المادية والتاريخية (بالإضافة إلى وحدانية الله عز وجل)، والتي تمثل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حسب ادعاء هذا المفتري؟!!.

بل ما قيمة ما جاء في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ إن كانت ستؤول إلى ما ذكره أولئك الفلاسفة من كفر وضلال؟!، وهل يُعْتبَر من يذكر مثل ذلك الافتراء ذا إيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم؟!.

القضية الثالثة: شبهات وأباطيل حول مكانة موضوع النبوة بالنسبة إلى سائر موضوعات العقيدة:

يزعم (العلماني):

(أن موضوع النبوة لم يظهر على الإطلاق في الكتب المتقدمة، وأنه ظهر تدريجياً بعدها إلى أن أخذ وضعه بعد العقليات، وفي أول السمعيات، حتى إنه أصبح ذا أهمية بالغة في العقائد المتأخرة...، وأنه لم يظهر في مصنفات التوحيد المتقدمة أو المتأخرة، كما لا يظهر في مصنفات المعتزلة، كأصل من الأصول الخمسة)(١).

ومن ثم يخلص صاحب هذه الفرية إلى أن المكان الطبعي للنبوات في العلم هو بعد انتهاء العقليات، وكأول موضوع للسمعيات، فمن فعل هذا فهو المصيب في نظره(٢).

ومن الرد على تلك الافتراءات:

إن صاحب هذه المقالة إما هو جاهل؛ أو مغالط مكابر في الأمور الواضحات:

أولاً: فإن كان في دعواه السابقة التي تزعم بأن موضوع النبوة لم يظهر على الإطلاق في الكتب المتقدمة؛ يقصد الكتب الجامعة للعقائد كلها، فإنه سيجد لدى مَن كَتَب في الإيمان والسنة ونحو هذا من العناوين، لدى الأقدمين، أو مَن كَتَب في جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على الموضوعات، ممن هم أقدم من كتب في العلوم الشرعية في تاريخ المسلمين؛ سيجد لديهم الكثير من المسائل المتعلقة بالنبوات.

ثانياً: لكن إذا كان بعض الأقدمين قد خصص كتابه للتوحيد -على سبيل المثال-، أونحوه، فإنه إن لم يكتب شيئاً يتعلق بالنبوات؛ فلا يجوز أن يبنى على هذا دعوى أن النبوة لم تظهر على الإطلاق في الكتب المتقدمة، كما أن بعضهم لو خصص كتابه في الأحكام الفقهية؛ فإنه لا يجوز أن يعمم القول بأن الأقدمين لم يوجد في كتبهم شيء من مسائل العقائد على الإطلاق!!.

ثالثاً: بل إن من الأقدمين من خصص كتبا -وبعضها في مجلدات- وذلك في بعض مسائل النبوات، كشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرته، ودلائل نبوته، ونحو هذا. وكثير من هذه الكتب تعتبر من أقدم كتب العقائد، قد كتبها علماء راسخون في علم العقيدة والتوحيد(٣).

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٦.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٩-١٧.

(٣) كالشمائل المحمدية؛ الترمذي، المتوفى سنة: ٢٧٩ هـ. انظر: طبقات الحفاظ: ٢٨٢/١. وقد سبق في هذه الرسالة ذكر العديد من الكتب في مسائل متفرقة تتعلق بالنبوة، كتبها العلماء الأقدمون. ولا يغيب عن البال احتواء العديد من المصنفات الحديثية لما لا يحصى من الأحاديث المتعلقة بالنبوات، وهي من أقدم المصنفات، كموطأ مالك، ومسند أحمد، والصحيحين، وكتب السنن. فكيف يصح ما ادعاه حسن حنفي، وهذه هي أقدم المصنفات؟!.

رابعاً: وأما كون الترتيب والتبويب في مسائل النبوات قد تطور؛ فهذا أمر لا ينكر، ولكنه لا يدل على أن الأقدمين لم يهتموا بما يتعلق بشأن النبوة، بل لعل بعضهم كان أشد اهتماماً وعناية بها ممن جاء بعدهم.

خامساً: وأما المعتزلة فإنهم وإن لم يجعلوا النبوة أحد الأسس الخمسة؛ فإن بعضهم قد جعلها إحدى الواجبات على الله جل شأنه بناءً على تلك الأسس(١).

سادساً: ودعوى أن المكان الطبعي للنبوات في العلم هو بعد انتهاء العقليات، وكأول موضوع للسمعيات؛ هي دعوى ليس فيها إلا تكرار الزعم بأن مسائل النبوة لا مدخل للعقل فيها، وإنما هي سمعية خبرية فقط، وهذا أمر باطل.

أ- فتحقق النبوة له حِكَم كثيرة، يستطيع العقل استنباطها، ولا يمكن لأحد إبطالها جميعاً(٢).

ب- وكذلك فإن لإثبات صدق النبي عليه السلام، وصدق ما جاء به من الأخبار؛ أدلة عقلية متعددة(٣).

جـ- وإذا كان القرآن الكريم هو كتاب الرسالة الخاتمة؛ فإن الكلام عن كثير من المسائل المتعلقة به؛ كلام عقلي نقلي، كالكلام حول ثبوته، وحول إثبات إعجازه، وما فيه من العلوم، والآيات الدالة على صدق كونه من عند الله عز وجل، والمستلزمة لوجوب الإيمان به واتباعه.

د- ثم إن كثيراً من مسائل النبوة للعقل فيها مع السمع نصيب، كالكلام عن عصمة الأنبياء عليهم السلام، وصفاتهم التي لها علاقة بأداء مهمتهم العظمى، على الوجه المطلوب منهم. والكلام عن التغيير في الأحكام الشرعية من رسالة إلى أخرى، والكلام عن مميزات الرسالة الخاتمة، ونحو هذا.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة؛ القاضي عبد الجبار بن أحمد: ٥٦٣. فإن القاضي قد أدخل النبوة ضمن الكلام عن الأساس الثاني من الأسس الخمسة عند المعتزلة، وهو: العدل، وذكر أن وجه اتصال النبوة بباب العدل هو: أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات، فلابد من أن يعرفناها، لكي لا يكون مخلاً بما هو واجب عليه. ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه. ا.هـ. وفي هذا إيجاب -من المعتزلة- للنبوة على الله جل شأنه!. فهل يبقى بعد هذا أي كلام عن مدى أهمية الكلام عن النبوة عند المعتزلة؟!. والعجيب أن حسن حنفي قد نقل كلام القاضي في أحد هوامش كتابه النبوة: ص:٨، هـ: ٧. وذكر في متن الصفحة نفسها أن النبوة تظهر في المصنفات الاعتزالية في آخر العدل. أقول: وهذا كاف في الدلالة على أن النبوة عند المعتزلة -أو عند هذا الفريق منهم- من الواجبات العقلية، وأن الكلام عنها في الأساس كلام عقلي.

(٢) انظر ما سبق: ٧٠، وما بعدها.

(٣) انظر ما سبق: ١٥١، وما بعدها.

سابعاً: ثم إنه يمكن القول: إن كثيراً من العلماء عندما قسموا العلم، فتكلموا عن الإلهيات، ثم عن النبوات؛ قد كان هذا من باب تسهيل دراسة مسائل العلوم الشرعية، فيذكرون جميع المسائل المتعلقة بالرب جل شأنه، ويجمعونها على حدة، وكذا مسائل النبوة، ومسائل المعاد، وغير هذا من مسائل العقائد. دون أن يقصد هذا الفريق اختصاص العقل بالمسائل الإلهية، دون مسائل النبوات. ولكن الشأن في هذا قريب الشبه بما حدث في علم الفقه عندما قُسّم إلى عبادات ومعاملات، على الرغم من أن الإنسان يعبد الله عز وجل -كما يؤمن بذلك كل مسلم- من خلال معاملاته مع كل فرد، بل ومع كل شيء، وإنما كان ذلك التقسيم تسهيلاً للدراسة والتصنيف.

ثامناً: ومَن الذي يغيب عن باله -من المؤمنين حقاً- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بالدين كله، بالدعوة إلى الله جل جلاله وحده أولاً، إيماناً وعبادة، والدعوة إلى الإيمان بسائر الأركان، والدعوة إلى التزام شرع الله تعالى؟!.

تاسعاً: وبعد، فإنه ما المانع من أن تُجعل النبوة داخلة في باب العقليات، بناء على أن إثبات النبوة أمر يمكن أن يُعلَم بالعقل، وبناء على أن عدداً من مسائل النبوة يمكن أن يتناولها العقل بالدراسة والتحليل، مع بيان شاهدٍ على ذلك من النقل؟!. وأما من جعل النبوة من باب السمعيات المحضة؛ فهو المخطئ حقيقة.

القضية الرابعة: شبهات وأباطيل حول الفرق بين النبي والرسول عليهما السلام:

زعم (العلماني) أن:

(الفرق بين النبي والرسول هو الفرق بين التصور والنظام، بين العقيدة والشريعة، بين النظر والعمل، يأتي النبي بالنظر وبالعقيدة وبالتصور. ولا يأتي بالضرورة بنظام أو شريعة، أو يبني مجتمعاً ويؤسس دولة، فالنظر لم ينعقد بعد. في حين أن الرسول هو الذي يولد النظام من التصور، ويحقق الشريعة من العقيدة، ويحول النظر إلى عمل.

كما يشير النبي إلى البعد الرأسي فقط، الصلة بينه وبين الله. في حين أن الرسول يشير إلى البعد الأفقي أيضاً، أي الصلة بينه وبين الناس، في التبليغ وحمل الرسالة وأداء الأمانة.

الأول لا يشير بالضرورة إلى كل الأطراف، في حين يشير الثاني ضرورة إلى الأطراف الأربعة: المرسِل، والمرسَل إليه، والمرسَل إليهم، والرسالة.

يطالب النبي بالتصديق فحسب، بينما يطالب الرسول بالتصديق والعمل. الإيمان عند الأول مجرد إقرار وتصديق، في حين أنه عند الثاني: إقرار وتصديق ونظر وعمل.

قد لا ينجح النبي في النبوة، ويصيبه من الأذى الكثير، فدوره هو الشهادة على العصر. في حين أن الرسول مطالب بالنجاح؛ بناء المجتمع وتأسيس الدولة. لذلك كان بالنبوة تعظيم واستحقاق، نظراً للشهادة، أما الرسالة فجزاؤها قدر الأعمال.

وإن كان كلاهما مؤيداً بالمعجزات، فإن تأييد النبي بها أقوى من تأييد الرسول، الذي يكفيه يقين الرسالة الداخلي، والقدرة على تكوين الأفراد، وتجنيد المؤمنين، والدفاع عن النفس بالفعل، ومقابلة العنف بالعنف، والأخذ بأسباب القوة، بغية الانتصار)[1].

ومن الرد على تلك الافتراءات:

إن المقالة السابقة يظهر فيها بوضوح العديد من الأباطيل والأخطاء:

أولاً:

أ- إن الفرق المذكور بين النبي والرسول -عليهما السلام-، وأن النبي عليه السلام يأتي بالنظر والعقيدة والتصور، ولا يأتي بنظام أو شريعة أو يؤسس دولة، أما الرسول عليه السلام فهو الذي يولد النظام، ويحقق الشريعة، ويحول النظر إلى عمل؛ فهذا كله فرق لا دليل عليه، ولا يمكن من ثم اعتماده بحال.

---

(١) النبوة؛ حسن حنفي: ٢٦-٢٧.

ب- إن مدعي تجديد الدين وتطويره من الدارسين المحدثين؛ ينعون على بعض الأقدمين ذكرهم للمسائل من غير دليل، أو تقليداً لبعضهم البعض، من غير نقد علمي سليم وتمحيص للأقوال، ولكن أولئك الأدعياء يقعون -في الوقت ذاته- فيما عابوا به الآخرين، فإما أن يأخذوا ما شاؤوا من كلام الأقدمين ويدعوا ما شاؤوا دون أساس علمي، وإما أن يخترعوا أموراً لا دليل عليها، ويقررونها كحقائق مسلمة غير قابلة للنقاش!. وهم الثائرون الذين لا يقبلون من الأقدمين حتى كثيراً من الحقائق الواضحة وضوح الشمس، إذ لابد عند أولئك الأدعياء من إعادة النظر في كل ما قاله الأقدمون، ولابد من مناقشتهم في كل فكرة ذكروها، فهل ذلك الفعل من أولئك المحدثين يتفق مع المنهج العلمي السليم؟!.

جـ- إن الفرق المذكور في المقالة الافترائية السابقة إن كان قد بُني على كلام بعض الأقدمين - ولم أطلع حتى الآن على ما يفيد ذلك الفرق المزعوم ولو من وجهٍ بعيد-؛ فإنه في هذه الحال قد بُني على أساس لم يناقش مناقشة علمية صحيحة، لمعرفة فيما إذا كان صواباً أم خطأً. وإن كان ذلك الفرق رأياً لصاحب تلك المقالة، فهو رأي غير صحيح، ولم يأت صاحبه بما يدل على صحة ما زعمه، ولو بشبهة دليل.

د- لقد تبين فيما سبق الفرق بين النبي والرسول -عليهما السلام-، وأن الفرق يكاد ينحصر -من خلال ما أمكن استنباطه من الأدلة- في: أن الرسول عليه السلام يُكَلَّف بتبليغ رسالة جديدة، أو لها حكم كونها جديدة. أما النبي عليه السلام، فلا يكلف بذلك، وإنما يكلف بتحكيم شريعة رسول آخر، وذلك كما كان الحال بالنسبة إلى أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وكما هو الحال في علماء هذه الأمة.

هـ- من خلال ما سبق يمكن القول: إن الرسول عليه السلام ليس هو وحده الذي يولد النظام من التصور، ويحقق الشريعة من العقيدة، ويحول النظر إلى عمل، بل قد يفعل جميع هذه الأمور النبي عليه السلام، وقد يبني مجتمعاً، وقد يؤسس دولة، وبنو إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة إلا بعد موسى عليه السلام، وعلى يد نبي من أنبيائهم عليهم السلام، قال صلى الله عليه وسلم.

"إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع؛ ليالي سار إلى بيت المقدس"(١).

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: المسند: ٢/٢٣٥. وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري: ٦/٢٢١: أن هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد من طريق مرفوعة صحيحة، وذكر أن رجال إسناده محتج بهم في الصحيح. وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٣٠١-٣٠٢؛ عن الحديث: إنه على شرط البخاري.

وقد جاء في الصحيح أن هذا الرجل الذي حبست له الشمس هو نبي من الأنبياء[١]، وهذا هو الذي ذكره المؤرخون[٢]، فيوشع عليه السلام -وهو نبي من الأنبياء عليهم السلام- قد أقام دولة الإسلام في عهد ما بعد موسى عليه السلام، وكانت عاصمته بيت المقدس.

وعلى مدد متعاقبة كان يسوس بني إسرائيل أنبياء منهم، فكانوا يديرون شؤون مجتمع ودولة على أساس المنهاج الرباني المنزل، والموجود في شريعة التوراة التي كانوا يحكّمونها عليهم السلام. قال صلى الله عليه وسلم:

"كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي؛ خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي." الحديث[٣].

و- إذا كان النبي عليه السلام في جلّ ما يأمر به أو ينهى عنه أو يدعو إليه أو يطبقه؛ معتمداً على رسالة رسول سابق؛ فكيف يصح القول بأنه عليه السلام يأتي: (بالنظر وبالعقيدة وبالتصور...، في حين أن الرسول هو الذي يولد النظام من التصور، ويحقق الشريعة من العقيدة، ويحول النظر إلى عمل.)؟!.

إن هذه الدعوى في حقيقتها قلب للأمور، فظاهرها يفيد أن النبي عليه السلام يأتي بالنظر والعقيدة أولا، ثم يأتي الرسول عليه السلام بعده مطبقاً للنظر والعقيدة...، بينما الصحيح هو بخلاف ذلك، يأتي الرسول عليه السلام بالعقيدة والشريعة، ويطبقها، ما أمكنه ذلك. ويأتي النبي عليه السلام، ويكمل مسيرة تطبيق العقيدة والشريعة والدعوة إليهما، ويقوم بتصحيح ما قد يحدث من انحرافات في المجتمع المنتمي إلى الدين الرباني.

ثانياً:

والخطأ الثاني في المقالة الافترائية السابقة هو زعم صاحبها: أن النبي عليه السلام يشير إلى البعد الرأسي فقط، بينما الرسول عليه السلام يشير إلى البعد الأفقي أيضاً، ومن الرد على هذا الزعم:

أ- قد يكون السبب في هذا الخطأ ما ذكر في تعريف النبي والرسول عليهما السلام عند بعض

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غزا نبي من الأنبياء..."، إلى أن قال "... فغزا فدنا من القرية، صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست، حتى فتح الله عليه..." الحديث. متفق عليه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ١١٣٦/٣/ ح: ٢٩٥٦. وانظر: صحيح مسلم: ١٣٦٦/٣/ح ١٧٤٧. وانظر شرح ابن حجر في فتح الباري: ٢٢١/٦-٢٢٢. و: شرح النووي على صحيح مسلم: ٥١/١٢-٥٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢٩٧/١-٣٠٣. وانظر تفسيره: ٩٨/١، ٤٠/٢.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، وانظر ما سبق: ٢٩.

الأقدمين، إذ ذكر بعضهم أن النبي عليه السلام هو من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، بينما الرسول عليه السلام هو من أوحي إليه وأمر بالبلاغ[1]. فقد يظن البعض أن مؤدى هذين التعريفين: انحصار فائدة الوحي إلى النبي عليه السلام به وحده دون الخلق، وذلك بخلاف الرسول عليه السلام، إذ الأنباء التي تأتي النبي عليه السلام مقتصرة عليه، وأما الرسول عليه السلام فهو حامل رسالة يوصلها من الله تبارك اسمه إلى الخلق.

وذلك ظن غير صحيح، فمن ذكر من الأقدمين ذلك التعريف؛ لم يقصد من تعريفه: أن الله عز وجل يوحي إلى النبي عليه السلام بأمور نافعة للخلق في عاجل أمرهم وآجله؛ ثم لا يقوم النبي عليه السلام بتبليغها، ولكنهم –والله أعلم– قصدوا من تعريفهم بيان أمرين:

الأمر الأول: أن النبي عليه السلام هو من يوحى إليه من الله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: أن النبي عليه السلام لا يؤمر بالبلاغ، ومعنى هذا عندهم –والله أعلم–: أنه لا تنزل عليه شريعة أو رسالة جديدة يؤمر بإبلاغها للخلق.

ولكن النبي عليه السلام إذا أُمِر من خلال الوحي بتطبيق شريعة سابقة، أو إصلاح فساد، أو قيام بأمر معين –كجهاد مثلاً–؛ فإنه عليه السلام يقوم بذلك قياماً حسناً بين من بعث فيهم، وعلى هذا فالنبي عليه السلام يبلغ الخلق ما يتعلق بشأنهم مما أوحي إليه، ولكنه عليه السلام لا يحمل لهم رسالة جديدة، ناسخة أو معدلة للرسالة السابقة.

ب– بناءً على ما سبق يتبين خطأ الزعم بأن (النبي) يشير إلى البعد الرأسي فقط، بينما يشير (الرسول) أيضاً إلى البعد الأفقي.

إذ (النبي) صيغة يصح أن تفهم على وجه: أنه مَن تأتيه الأنباء مِن الله جل جلاله، وعلى وجه: أنّه مَن يبلغ ما عنده من الأنباء إلى الخلق[2]، وعلى هذا فالنبي يشير إلى البعدين أيضاً...، ويشير كذلك إلى الأطراف الأربعة: المنبِئ، وهو الله جل شأنه، والنبي عليه السلام، والأنباء، ومَن تصلهم تلك الأنباء من الخلق.

ثالثاً:

ويوجد في المقالة الافترائية السابقة ادعاءٌ باطل –لم أجد من سبق إليه–، وهو: أن النبي –عليه السلام– يطالب بالتصديق، بينما يطالب الرسول –عليه السلام– بالتصديق والعمل!.

---

(١) انظر: ما سبق: ٣٤.

(٢) انظر ما سبق: ١٦–٢٠.

أ- فإذا كان النبي عليه السلام -كما سبق بيانه[1]- مقرراً لشريعة سابقة، ومحققاً لها، ومطبقا للمنهج الرباني، وآمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر، وداعيا إلى الخير ومصححا للانحرافات، أفلا يكون النبي عليه السلام بعد هذا كله يطالب الخلق بالتصديق والعمل؟!.

ب- لو أن مدعيا زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يطالب بالتصديق فقط بما جاء به من الرسالة، ثم يأتي النبي عليه السلام ويطالب بالتصديق والعمل بتلك الرسالة؛ لكان قوله هذا -مع بطلانه- أقرب من الزعم الباطل السابق. والحق أن هذا كله من باب إطلاق العنان للآراء، من غير ما ضابط أو دليل أو نور يهدي إلى الصراط المستقيم.

رابعاً:

إن إطلاق صاحب المقالة الافترائية السابقة القول: بأن النبي -عليه السلام- قد لا ينجح في النبوة؛ إطلاق باطل وغير جائز.

أ- فجميع الأنبياء -عليهم السلام- قد قاموا بما نيط بهم على الوجه المطلوب منهم، وهم بهذا قد حققوا النجاح المطلوب.

ب- إن أريد بالنجاح عدد الأتباع ومدى قلتهم أو كثرتهم؛ فهذا في الحقيقة ليس مقياساً لمدى نجاح النبي عليه السلام في مهمته، إذ كل ما على النبي -عليه السلام- هو أن يؤدي المهمة الملقاة على عاتقه، على الوجه المطلوب منه.

جـ- ومن سنن الله في عباده أن ينال النبي عليه السلام أثناء ذلك من الأذى ما يناله، وقد بيّن الله تعالى لأفضل الرسل عليهم السلام، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ أن هداية الخلق ليست عليه، وأنه لا يستطيع أن يكره الخلق حتى يكونوا مؤمنين، إذ هو ليس مصيطراً عليهم، وليس هو عليهم بوكيل.

قال تبارك اسمه:

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء... (٢٧٢)﴾ البقرة.

وقال جل ذكره:

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦)﴾ القصص.

وقال جل شأنه:

---

(١) انظر ما سبق: ٢٨-٣٠.

﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين (٣٧)﴾ النحل.

فهذه الآيات كلها –ونحوها– تنفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم إمكانية أن يحمل الخلق على الهداية، والله جل جلاله لم يشأ أن يجبر الناس على الهداية، فكيف يكون مثل هذا الإجبار والإكراه من غيره، قال تعالى:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٩٩)﴾ يونس.

وقال عز وجل:

﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٣٥)﴾ الأنعام.

وقال جل شأنه:

﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧)﴾ الأنعام.

وقال جل جلاله:

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦)﴾ الشورى.

وقال جل ذكره:

﴿فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر(٢٢)﴾ الغاشية.

وقال تبارك اسمه:

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ...(٤٨)﴾ الشورى.

وقال تبارك وتعالى:

﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين(٣٥)﴾ النحل.

فوظيفة النبي –عليه السلام– الأساسية مع قومه هي: أن يوصل إليهم دعوة الله جل جلاله، وهم من ثم مبتلون في هذه الحياة الدنيا، فمن شاء استجاب، ومن شاء أدبر وتولى.

قال تبارك اسمه:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيء مذكورا(١) إنا خلقنا الإنسان من نطفة

أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (٢) إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً(٣)﴾ الإنسان.

فإذا آمن بالنبي عليه السلام واتبعه من يُمْكِنه أن يُكَوِّن بهم نواة مجتمع مسلم، ودولة ربانية؛ فعل ذلك...، وإلا فإنه يكون قد أدى ما عليه كاملاً.

د- إن ما سبق ليس خاصاً بالأنبياء دون الرسل عليهم السلام، فالآيات السابقات جميعها موجهة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقوله عز وجل:

﴿... فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥)﴾ النحل.

نصٌّ على أنَّ وظيفة الرسل جميعا عليهم السلام الأساسية هي إبلاغ الدعوة.

هـ- ومما يدل على أن العدد ليس مقياساً للنجاح أو عدمه، أو أنه دليل على التفريق بين النبي والرسول عليهما السلام؛ أن نوحاً عليه السلام -وهو من أولي العزم من الرسل عليهم السلام- لم يتبعه بعد تلك المدة الطويلة من الدعوة، ومن التفنن في أساليبها؛ إلا القليل من قومه.

قال جل ثناؤه:

﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤٠)﴾ هود.

ولوط عليه السلام وهو من المرسلين كما قال تبارك اسمه:

﴿وإن لوطاً لمن المرسلين (١٣٣)﴾ الصافات.

ما آمن معه عليه السلام إلا أهله -ماعدا زوجه-، وهم الذين نجاهم الله تعالى من العذاب الأليم الذي أنزله على الكافرين من قومه، قال عز وجل:

﴿إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزاً في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦)﴾ الصافات.

وقال جل جلاله:

﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين(٣٦)﴾ الذاريات.

فالرسل كالأنبياء عليهم السلام، قد لا يؤمن معهم إلا القليل، وقد لا يتبع بعضهم إلا واحدٌ، كما كان حال الثلاثة المرسلين عليهم السلام الذين جاؤوا أهل القرية، التي ورد ذكرها في سورة (يس)، فلم يؤمن لهم إلا الرجل الذي جاء يسعى من أقصى المدينة، فقتله كفار قريته، فانتقم الله عز

وجل منهم، فأبادهم جميعاً[1].

و- من خلال ما سبق يتبين أنه لا معنى للقول بأن الرسول عليه السلام مطالب بالنجاح، أي: بناء المجتمع وتأسيس الدولة.

فالرسول عليه السلام بإبلاغه رسالة ربه عز وجل يكون قد أدى دوره بنجاح، وأما وجود المستجيبين، الذين يتكوَّن منهم المجتمع، وتتأسس بهم الدولة؛ فهذا مما لم يطالب به الرسول عليه السلام، إذ هو ليس مكرِها للناس حتى يكونوا مؤمنين.

ولكن إذا استجاب للرسول عليه السلام من يتكَوَّن بهم مجتمع، وتتأسس بهم دولة؛ فعندئذ يقوم بما يناط به من مهام في هذا المجال على ما طلب منه، حاله في هذا حال النبي عليهما السلام.

خامساً:

بالنسبة إلى الشهادة على العصر؛ فهي ليست مختصة بالنبي عليه السلام، بل هي ثابتة كذلك للرسول عليه السلام، بنص القرآن، قال تبارك اسمه:

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً (٤٥)﴾ الأحزاب.

وقال جل شأنه:

﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً (٨)﴾ الفتح.

وقال تبارك اسمه:

﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً (١٥)﴾ المزمل.

وقال جل جلاله:

﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً... (١٤٣)﴾ البقرة.

وقال عز وجل:

﴿ ... ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس... (٧٨)﴾ الحج.

وقال تعالى:

---

(١) انظر قصتهم في سورة (يس)، الآيات: ١٣-٢٩.

﴿وإنْ مِن أهل الكتاب إلا ليؤمنن بـه قبل موته ويـوم القيامـة يكـون عليهـم شـهيداً (١٥٩)﴾ النساء.

والمراد: عيسى عليه السلام. وقال جل ثناؤه حاكيا عنه عليه السلام:

﴿... وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم... (١١٧)﴾ المائدة.

وقال جل شأنه:

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بـك شـهيداً علـى هـؤلاء...(٨٩)﴾ النحل.

فجميع الرسل عليهم السلام سيشهدون على أقوامهم، بأنهم أبلغوهم رسالة ربهم، على الوجـه المطلوب منهم، وبهذا ينتفي أي عذر لمن بلغته الدعوة صحيحةً، في عدم اتباع الحق.

سادساً:

دعوى صاحب المقالـة الافترائيـة السـابقة، الـتي ذكرهـا في قولـه: (لذلـك كـان بـالنبوة تعظيـم واستحقاق، نظراً للشهادة. أما الرسالة فجزاؤها قدر الأعمال)؛ هي دعوى غير صحيحة:

١- فقد تبين مما سبـق أن الشهادة ليست خاصة بالأنبياء من غير الرسل عليهم السلام؛ بل هي ثابتة للرسل عليهم السلام أيضاً، وعلى هذا فلا معنى للقول بأن النبوة كان فيها التعظيـم والاسـتحقاق لأجل الشهادة، إذ الرسالة تتضمن الشهادة أيضاً. هذا من ناحية.

٢- ومن ناحية أخرى: فإن كل رسول هو نبي في الأسـاس، وهـو بهـذا قـد قـام عليـه السـلام بجميع الوظائف التي يقوم بها النبي عليه السلام خير قيام، وعلى هذا فلا معنى مطلقاً لمـا هـو ظـاهر مـن الدعوى السابقة من تخصيص النبي عليه السلام بالتعظيم والاستحقاق.

٣- وأيضاً فإنه لا معنى لجعل سبب التعظيم هـو الشـهادة فقـط، فمـا قـام بـه أنبيـاء ا لله تعـالى ورسلـه عليهم السلام من أعمال لإبلاغ دعوة ا لله عز وجل للخلق، بجميع الوسـائل الممكنـة، والمثابرة على ذلك، والجهاد في سبيله تبارك اسمه، وتكوين المجتمعات المسلمة الموقنـة، مـن خـلال مـن آمـن بهـم عليهم السلام، وتنظيم شؤونها، إلى غير ذلك من أعمال كثيرة، قد قام بها أنبياء ا لله جل جلالـه، وقـام بهـا رسله عليهم السلام قياماً حسناً؛ هي أسباب، كل واحدٍ منها يدعو إلى اسـتحقاقهم عليهـم السـلام التعظيم والثناء.

٤- وأما الزعم بأن الرسالة: جزاؤها قدر الأعمال؛ فإنـه إذا ضم إلى مـا سبق ادعـاؤه مـن أن الرسول عليه السلام مطالب بالنجاح، وتكوين المجتمع، وتأسيس الدولة؛ فإنه قـد يفهـم منـه: أن جـزاء الرسول عليه السلام منحصر بقدر ما قدمه من أعمال، في سبيل هذا النجاح المطالَب به، أو أنه منحصر

بقدر ما يتحقق من النتائج للأعمال التي قدمها الرسول عليه السلام، وقام بها في سبيل ذلك النجاح.

لا شك أن هذا الأمر الذي قد يفهم هو أمر باطل، فجزاء الرسول عليه السلام بالرفعة والثواب؛ جزاء عظيم عند ربه جل ذكره. وهذا ثابت في حق جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام، حتى وإن لم يؤمن بالواحد منهم أحد ما، أو لم يؤمن به إلا القليل، قال عز وجل:

﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم(٨٣) ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلاً فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧)﴾ الأنعام.

وقال تبارك اسمه في حق لوط عليه السلام:

﴿ولوطا آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)﴾ الأنبياء.

ومن المعلوم أن لوطا عليه السلام لم يؤمن له إلا أهل بيته ما عدا امرأته.

ويستثنى مما سبق: كون الرسول عليه السلام يعظم أجره الأخروي بقدر من تبعه، إذ هو معنى قد يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:

"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"(١).

وقد يدل عليه كذلك كونه صلى الله عليه وسلم قد رجى أن يكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم:

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن -أو: آمن- عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة"(٢).

ولكن هذا لا يدل حتما على أن كل من كان أكثر تابعاً يوم القيامة من الرسل عليهم السلام؛ كان أعلى درجة، إذ للتفاضل بينهم عليهم السلام اعتبارات عدة لا يحصيها إلا الله جلت قدرته.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح مسلم: ٤/٢٠٦٠.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: ٦/٢٦٥٤/ح: ٦٨٤٦. ورواه في ٤/١٩٠٥/ح: ٤٦٩٦. وانظر: صحيح مسلم: ١/١٣٤.

سابعاً:

إن ادعاء صاحب المقالة الافترائية السابقة أن تأييد النبي عليه السلام بالمعجزات أكثر من تأييد الرسول عليه السلام؛ ادعاء لم أجد له أي مستند نقلي:

١- إن هذه المسألة وأشباهها إنما تعتمد أسسها على النقل، لأنها أمور حدثت في الماضي، والاعتماد المجرد على التنظير العقلي في مثل هذه المسائل، وإصدار قرارات جازمة، بناءً عليه؛ هو أمر ضعيف جداً، ومخالف للمنهج العلمي، لأنه ما من نظر إلا ويقابله نظر آخر، وكلٌّ يدعي الجزم، من غير ما دليل صحيح.

٢- وفي المقابل يمكن لآخر أن يقول: إن تأييد الرسول عليه السلام بالمعجزات أكثر من تأييد النبي عليه السلام، فالرسول عليه السلام يأتي برسالة جديدة، ويحتاج إلى أمور تعينه على نشر هذه الرسالة، التي لا يوجد من يؤمن بها عند بدء دعوته عليه السلام، فلذلك يؤَيَّد عليه السلام بالمعجزات المتعددة، حتى تتكَوَّن له النواة، التي تقبل على رسالته، فتنظر وتتمعن فيها، حتى تعلم أنها الحق، فتؤمن بها، وتكون هي من ثم داعية لها، وتبدأ الرسالة الجديدة تنتشر، وتتوسع شيئاً فشيئاً. أما النبي عليه السلام المقرِّر لرسالة مَن قَبْلَه؛ فإنه يكفيه يقين الرسالة الداخلي، بالإضافة إلى من عساه يكون ملتزماً بتلك الرسالة، ممن أعلن إيمانه بها، بالإضافة إلى احتمال تأييده عليه السلام ببعض المعجزات.

٣- ويلاحظ أن هذا نظر عقلي يقابل النظر السابق، ولعله أن يكون أكثر قربا إلى المعقول منه، ولكنه مع هذا قول لا مستند له من الدليل الخبري، أو الدليل المشاهد، ولذلك فإنه كسابقه؛ لا يقبل في مثل هذه المسائل، التي لابد فيها من دليل نقلي، يكون فاصلاً. فقد يقول شخص ثالث إن النبي كالرسول عليهما السلام، يحتاج مثله إلى معجزات، فلعل المؤمنين بالرسالة قد نقص عددهم، أو ضعف إيمانهم، أو قست قلوبهم تجاه الرسالة، فيحتاجون -والحالة هذه- إلى ما يوقظ قلوبهم من غفلتها، بطوارق غير معتادة، ليتنبهوا من تلك الغفلة، ويراجعوا أمرهم، ويعودوا إلى ما كانوا عليه. وهذا كله من باب النظر العقلي القائم على احتمالات متعددة، لا يوجد لأي منها أي مرجح صحيح.

٤- مما سبق يتبين: أن إطلاق القول في مثل هذه المسائل العقدية اعتماداً على مجرد النظر العقلي؛ هو إطلاق خاطئ، ولا ينبغي أن يصدر عمن لا يريد إلا الحق الواضح.

٥- ثم إن الدارس للأدلة الشرعية التي جاء فيها ذكر الأنبياء والرسل عليهم السلام ومعجزاتهم؛ يجد أن للرسل عليهم السلام المعجزات الكثيرة والكبيرة، بل وما من رسول جاء قومه إلا طلبوا منه بينة تدل على صدقه، من خلال معجزة تكون خارقة لمجرى عاداتهم، فكانت تلك المعجزات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. وذلك مثل: ناقة صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وتليين الحديد لداود عليه السلام، وتسخير الريح والجان لسليمان عليه السلام، وتكليم عيسى عليه السلام الناس في المهد، وإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله عز وجل، وانشقاق القمر لمحمد صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من معجزات كثيرة، جاء ذكرها وإثباتها في آيات الكتاب العزيز، وهي معجزات عظيمات باهرات قد أيد الله عز وجل بها رسله عليهم السلام. فكيف يزعم بعد هذا من يدعي الإيمان بذلك الكتاب: أن تأييد الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات أكثر من تأييد الرسل عليهم السلام؟!.

ثامناً:

وبعد؛ فما سبق إنما هو بعض الأغاليط والأباطيل الواردة في تلك المقالة الافترائية السابقة، والتي زعم صاحبها أنه يريد بها بيان الفرق بين النبي والرسول عليهما السلام.

وقد كان يجب عليه -لو كان يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم حقا- أن يعتمد في بيانه ذلك على أدلة مستمدة من كلام مَن بَعَثَ الأنبياء والرسل عليهم السلام، إذ هو عز وجل أعلم بهم. وأن يعتمد كذلك الاعتماد الصحيح على الدلالات اللغوية لهاتين الكلمتين، بكل ما يمكن أن تحمله من معان تلائم حالهم عليهم السلام.

والقارئ لمجمل كلام صاحب تلك المقالة؛ يتبين له من خلال مزاعمه؛ أنه يريد أن يأتي بجديد، ولكن الجديد لا يأتي من فراغ، إذا كان هنالك مجال صحيح لجديد لم يُسبَق إليه. ولا يأتي من خلال مجرد دعاوى وأكاذيب لا دليل عليها، فإن مثل هذا الباب لو فتح في شتى العلوم الدينية أو الدنيوية؛ لهذر كل إنسان بكلام وادعى أنه يبغي التجديد!، وفي هذا ضياع للعلوم والمعارف، وتخبط في الضلال.

قال جل شأنه:

﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)﴾ غافر.

وإذا لم يعتمد صاحب تلك المقالة الافترائية على الأدلة والبراهين الصحيحة في تقريراته؛ فلابد أن تصدر عنه تلك الأغاليط والأباطيل التي سبق بيانها، بل وأضعاف أضعافها مما يصعب حصره.

ومثل تلك الافتراءات والأباطيل لو صدرت -بمثل ذلك المقدار- من غير مسلم؛ لاستُغرِب منه، لأن مصادر المسلمين متوفرة، وبإمكانه الاطلاع عليها، ومعرفة الحقيقة، أو التقليل من أغاليطه، في أدنى الأحوال. فكيف وقد صدرت تلك الأباطيل ممن يدعي أنه مؤمن با لله تعالى، وأنه يريد التجديد، وبعث الأمة من جديد؟!!.

وبإمكاننا أن نتخيل إلى أي مدى يمكن أن تصل المدنية البشرية لو أنها اعتمدت في علومها الكونية على مجرد الآراء الفكرية، دون الاستناد إلى تجربة أو برهان يدل عليها. وهذا كان أحد عيوب التراث الفكري اليوناني القديم في العلوم الكونية -بصفة عامة-، الذي صححه المسلمون باعتمادهم التجربة والبرهان في كل قضية، واقتبس ذلك منهم الغرب، فكانت هذه المدنية المنظورة. فهل يسير الفكر بمقترحاته إلى الأمام أم أنه يرجع القهقرى[1]؟!.

(١) هذا من مجالات التقدم المطلوبة، لا تقدم التوريين وأشباههم الذي هو في حقيقة أمره سقوط إلى الهاوية.

القضية الخامسة: شبهات وأباطيل حول كون النبوة اصطفاءً ربانياً:

الشبهة الأولى:

ادعى بعض العلمانيين أن النبوة تأتي من الداخل لا من الخارج، ومن ثم فلا احتياج إلى أمر خارجي، بل إلى ظروف الاضطهاد والظلم، التي تفجر طاقات النبي الدفينة!. وأما ما قاله القدماء من أن النبوة هبة من الله –عز وجل–؛ فهذا عود إلى المحور الرأسي في النبوة، وإلى إرجاع النبوة إلى المرسِل، وليس إلى المرسَل إليهم، ثم إلى الرسالة، (النبوة فطرية، لأنها تمثل استعدادات خاصة في النبي، وفي نفس الوقت مكتسبة، لأنها تنشأ في ظروف القهر والاضطهاد، ويأتي النبي محرراً للأمة من التسلط والطغيان)[1].ا.هـ.

إن (العلماني) يريد أن يزعم من خلال دعواه السابقة: أن النبي –عليه السلام– شخص عاش وسط ظروف من القهر والتخلف والطغيان، فأثر هذا في نفسه، فقام ليصلح الحال، وهذا وحده كافٍ في جعله نبياً، دونما حاجة إلى القول بأن الله جل ثناؤه اصطفاه وجعله نبياً، وقد أكد هذا المعنى الباطل عندما ادعى أن للاكتساب نصيباً في النبوة:

١– إن من الواضح أن هذا المفهوم الباطل لا يؤدي إلا إلى إبطال النبوة الحقيقية، وجعل حال الأنبياء عليهم السلام كحال المصلحين العاديين، الذين يثورون عندما يشتد الظلم، ويبلغ الطغيان مداه الأقصى، ومَن زعم أن هذا هو حال الأنبياء عليهم السلام، فهو كافر بالنبوة حقاً، فأهم ركن في النبوة هو: أنها تكون باختيار الله عز وجل لمن يجعله نبياً، ليقوم بما يؤمر به من قبل الله جل وعلا، وهذا على الوجه الذي يرضيه تعالى. فإذا قطعت النبوة عن مصدرها الأصلي، وهو الله عز وجل؛ لم يبق منها شيء.

٢– إن من يؤمن بالنبوة حقاً؛ لابد أن يؤمن بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما بَلَّغه عليه السلام إلى قومه، وأخبرهم أنه رسالة من الله جل جلاله إليهم، لا يستطيع أن يزيد فيها شيئاً، أو ينقص منها شيئاً، كما قال جل ذكره:

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)﴾ الحاقة.

فإذا كان عليه السلام صادقاً؛ فليس هو إلا مرسلاً من الله عز وجل إلى البشر. وهو قد جاء بكتاب أخبر أنه مُنَزَّل إليه من عند الله عز وجل، وقد جاء فيه قوله جل شأنه:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)﴾ الحج.

---

(١) انظر: النبوة: ٢٣٣.

فهل النبي صلى ا الله عليه وسلم صادق في هذا الذي نَقَلَه؛ أم أن (العلماني) لا يؤمن بشيء من هذا؟!.

٣- لقد كان من أعظم الأمور التي دعت الكافرين الجاحدين إلى إنكار نبوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ دعواهم أنهم مرسلون من ا الله عز وجل إليهم، ولولا هذا لهان الخطب على كثير منهم. قال ا الله عز وجل حاكياً عن الكافرين زمن الرسالة الخاتمة:

﴿ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾ ص.

وكذا قال أسلافهم من قوم ثمود، كما حكى ا الله تعالى عنهم:

﴿ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥)﴾ القمر.

فادعاء (العلماني) أن النبوة لا تحتاج إلى أمر خارجي، ولا إلى القول بأنها هبة من ا الله عز وجل؛ فيه تثبيت لدعوى الكافرين السابقين، واقتفاء أثرهم فيها، ولكن مع تلطيف العبارة، لاستدراج السذّج وأهل الغفلة.

وبناء على دعوى (العلماني) الكاذبة هذه؛ فلو قام في الأمة -في أيامنا هذه- مصلح يقودها، ليحررها من طغيان أعدائها عليها؛ فهو نبي من الأنبياء، وكفى بهذا الباطل كفراً. إذ أين الإيمان بختم النبوة عندئذ؟!.

٤- وزَعْم (العلماني) بأن القدماء هم الذين قالوا: إن النبوة هبة من ا الله تعالى؛ فيه قصور وتلبيس؛ فالمسلمون جميعاً من عصر خاتم الأنبياء والمرسلين، إلى أن يرث ا الله تعالى الأرض ومن عليها؛ يوقنون بأن النبوة ليست إلا هبة من ا الله عز وجل، ولا يمكن أن تكون بالاكتساب، وأن القول بأنها مكتسبة كفر بها. وكل هذا من أركان الإيمان الأساسية؛ التي دلت عليها النصوص القطعية للرسالة الخاتمة.

الشبهة الثانية:

يؤكد بعض العلمانيين كفرهم بالنبوة الحقة بعبارات مختلفات، مع إصرارهم على التظاهر بالإيمان بالرسالة الخاتمة، ومن هذا ادعاء أحدهم: وجودَ نبوات إلهية، ونبوات إنسانية صرفة، كالبراهمة والصابئة[1]. ا.هـ.

ويقال لهذا المفتري:

١- إن ادعاء وجود نبوات إنسانية صرفة؛ لا يعني إلا أنه يوجد من يطلق عليهم اسم أنبياء؛ دون أن يكون مَن بَعَثَهم هو الله عز وجل، بل هم قاموا بالدعوة إلى أفكار ومبادئ، وضعوها من قبل أنفسهم. فإذا كان يعتقد هذا؛ فهو كفر بالنبوة الحقة، لا شك فيه، لأنها مختصة بمن يختاره الله تعالى ليكون نبياً. وإن كان يريد أن يقول إن هنالك من تَنَبَّأَ ولم يكن المرسِل هو الله عز وجل؛ فهذا يسمى مُتَنَبِّأً كذاباً، ولا يطلق عليه أنه نبي إنساني لا رباني، إذ في هذا الإطلاق تلبيس للحق بالباطل.

٢- إنه حتى في التنبؤات الكاذبة؛ فإن أصحابها كانوا يدعون أن الله تعالى قد أرسلهم، أو أن لهم صلة بالله عز وجل، وهذا يدل على أن عقيدة ارتباط النبوة بالله عز وجل؛ عقيدة راسخة في نفوس البشر، حتى عند غير المؤمنين بها.

٣- وأما بالنسبة إلى تفريق العلماء بين ما يسمى بالأديان السماوية والأديان الوضعية؛ فهو قائم على أساس أن ما يطلق عليه لفظ الأديان الوضعية، لم يأت ما يدل على أنه له أصلاً سماوياً، وقد بلغ الانحراف فيه حداً؛ جعل نسبته إلى البشر هي النسبة الأقرب. ولكن ولا سيما بالنسبة إلى الأديان القديمة العهد؛ فإن الاحتمال قائم بأن يكون لها أصل رباني، إلا أن انحرافها قد زاد بشكل أكبر مما حصل للأديان الأقرب منها عهداً، والتي تأكد بالدليل القطعي أنها منزلة في الأصل من عند الله حقاً، إلا أنها انحرفت، كرسالة موسى وعيسى عليهما السلام، عندما تحولتا إلى ديانتين بعيدتين كل البعد عن الدين الرباني الواحد.

ومع هذا فإنه توجد أديان قريبة العهد، ووضعها مؤكد، ولكن أصحابها لا يطلق عليهم اسم أنبياء أبداً، ولو افتروا هذا، أو افتراه أتباعهم. فهذا اللفظ قد اختاره الله عز وجل لمن بَعَث، وعلى البشر أن يختاروا غير هذا اللفظ الرباني، لمن نصب نفسه إماماً وداعية، دون أن يكون مبعوثاً، مختاراً من قبل الله عز وجل بالاصطفاء المباشر.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٠٤-١٠٥.

القضية السادسة: شبهات وأباطيل حول مسألة التفضيل:

الشبهة الأولى:

تبلغ شهوة بعض العلمانيين المسعورة لنقض كل حقيقة جاء بها الكتاب أو السنة -مع إصرارهم على التظاهر بالإيمان بالدين-؛ إلى درجة نقض ما اتفق العقلاء جميعاً على قبولهم له، وإن اختلفت بهم الأهواء. فهذا (علماني) يرفض مسألة تفضيل الأنبياء عليهم السلام على غيرهم، وتفضيل الصالحين ونحوهم، واعتبر هذا التفضيل خطأً، يقوم على أساس تصور الناس على درجات رأسية، يتفاضلون فيما بينهم علواً وسفلاً، مع أن البشر جميعاً متساوون، لا يتفاضلون إلا أفقياً، أماماً وخلفاً!. وذلك كله إحساس بالتعويض والعجز، فالمحاصر في الواقع يفك حصاره إلى أعلى، فيتقدم نحو الوهم. ثم يتشخص ذلك كله في موضوع التفاضل بين الملائكة والرسل -عليهم السلام-، وداخل عناصر كل مجموعة فيما بينها[1]. ا.هـ.

و(العلماني) في شبهته السابقة يتبع أسلوب المغالطة والتلاعب بالألفاظ، للتلبيس والتضليل:

أولاً: إن التفضيل مستمد أساساً من الكتاب العزيز، وليس هو في الأصل مجرد رأي تفتقت عنه أذهان الباحثين في عصور الترف العلمي.

قال جل شأنه:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ البقرة.

ونحو هذا تفضيل الصالحين، قال جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ الحجرات.

فأساس التفضيل ثابت بالنص القطعي. ثم إن مثل هذا التفضيل أمر يقره العقلاء جميعاً، وإن كانوا يختلفون في موازين ذلك التفضيل، فلا يجوز من باحث أياً كان أن ينكر التفضيل، أو أن يعتبره من الأخطاء لأي سبب، ولكن قد يجوز أن ينكر بعض الموازين أو المعايير، التي يتم على أساسها التفضيل.

---

(١) انظر: النبوة: ٢٢٧.

ثانياً: و(العلماني) كما يدل عليه كلامه؛ لا يغفل عن تلك الحقيقة، ولكنه أراد أن يغالط في الحق، ويلبسه ثوب الباطل، ولو كان ثوباً ممزقاً، إنما يكشف سوء قصده، دون أن يؤثر في الحق شيئاً.

فإذا كان هو نفسه قد اعترف بوجود التفضيل؛ فما معنى إثبات التفضيل الأفقي؛ دون الرأسي؟!، وهل التفضيل الأفقي له أساس أم لا؟!.

إن (العلماني) لا يمكن أن يدعي أن التفضيل الأفقي لا أساس له، لأنه بهذا سيكون قد أتى بما يثير عليه سخرية العقلاء جميعاً!.

فإذا كان للتفضيل عنده أساس؛ فهو لا يمكن أن يخرج عن حدود العلم والعمل، وهذا من الأسس الرئيسة التي ذكرها العلماء لأي تفضيل بين البشر، وعلى هذا فلا اختلاف بين التفضيل الذي أثبته؛ وبين التفضيل الذي نفاه كلية، إلا في مسألة التلاعب بالألفاظ بين الرأسي والأفقي!!.

فالرسل والأنبياء عليهم السلام هم في مقدمة البشر علماً نافعاً وعملاً صالحاً، ثم الصالحون يتلونهم، الأفضل فالأقل منه، وهكذا تراجعاً، إلى أن يصل الحال إلى السيء فالأسوأ.

وكذلك: الرسل والأنبياء عليهم السلام هم في أعلى المراتب عند الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، ثم الصالحون الأفضل فالأفضل، نزولاً في الدرجات بالنسبة إلى الصالحين، ثم تأتي مراتب الضالين والظالمين نزولاً في الدركات، السيء فالأشد سوءاً.

فإثبات تفضيل أفقي دون تفضيل رأسي أو العكس، مع كون الأساس في كليهما واحداً بصفة عامة؛ ليس هو إلا من باب التلاعب بالألفاظ.

ثالثاً: والحق أن (العلماني) أراد أن ينفي أمرين أساسيين في مسألة التفضيل، فلم يجد له من سبيل إلا سبيل التلاعب والتمويه، وهذان الأمران هما:

الأمر الأول: رفض تفضيل الرسل عليهم السلام على غيرهم من الناس، المبني على أساس اصطفاء الله لهم برسالاته. فهذا الاصطفاء هو ما يشمله استخدام (العلماني) لعبارة: الرأسي دون الأفقي.

الأمر الثاني: رفض التفضيل الذي يقوم على أساس علو المنزلة عند الله عز وجل، وهو لا يكون إلا بالعمل الصالح الذي يرضيه تعالى، وقد بينه في رسالاته المنزلات، وهو تفضيل رأسي بحسب تعبير (العلماني).

فلا وجود عند (العلماني) لإنسان يصطفيه الله تعالى لمرتبة عالية دون سائر الخلق، ولا وجود أيضاً لتفاضل بين البشر على أساس علو المنزلة وقربها من الله عز وجل، أو دنو المنزلة وبعدها عن الله تعالى.

فكل ما يتعلق بالله سبحانه هو مرفوض عنده، واستخدامه لعبارة: الرأسي، إنما كان ليستر بها كفره وإلحاده بالخالق جل وعلا. فهو لا يؤمن إلا بالدنيا، وهي المقياس الوحيد عنده للتفاضل بين البشر.

وبعد؛ فإنه يقال (للعلماني) هل تفضيل العالم على الجاهل، والذكي على الغبي، وذي الخلق الفاضل الحسن على ذي الخلق السيىء القبيح، والقوي على الضعيف، من قبيل التفضيل الرأسي أم الأفقي؟!. إن عقلاء الناس جميعاً يفهمون أن هذا تفضيل رأسي، فماذا يقول (العلماني)؟!.

الشبهة الثانية:

يفتري (العلماني) في مسألة التفضيل افتراء كبيراً، وهذا عندما يدعي:

أن الإنسان العادي قد يكون أفضل من الأنبياء -عليهم السلام-، فكلاهما مرسل إليه رسالة، أي: إن كلاً منهما صاحب رسالة وأمانة، إلا أن الإنسان العادي ليس معصوماً، مؤيداً من الله تعالى، مثل الأنبياء عليهم السلام. فهو موجود في العالم، يعتمد على إرادته الحرة، وعقله المستقل. وبالتالي كان امتحانه أعظم، وكان جزاؤه ربما أكبر[١]. ا.هـ.

إن مما لا شك فيه عند المؤمنين با لله ورسله عليهم السلام حقاً؛ أن دعوى تفضيل أحد من البشر العاديين على الأنبياء والمرسلين؛ لا تصدر من مؤمن با لله ورسله عليهم السلام مطلقاً، فلا شك أن مرتبة النبوة أعلى من أية مرتبة يصل إليها الإنسان، مهما عمل. ولكن على الرغم من هذا؛ فإن (العلماني) يصر على أن يضم إلى كفره با لله تعالى ورسله عليهم السلام؛ تجاهله وتعاميه عن الحقائق الظاهرة القطعية، فهو يتجاهل في فريته السابقة:

أولاً: أن النبي عليه السلام مكلف قبل غيره بأداء حقوق رسالته في نفسه وأهله على أكمل وجه، بل إنه يطالب بتكاليف أعظم وأكبر مما يطلب به جميع أمته، فتكليفه في نفسه؛ أشد من تكليف أي مؤمن من أمته. وهذا يدل عليه حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عباداته، وفي قيامه بواجب الدعوة إلى الحق والجهاد في سبيله.

ثانياً: أن النبي عليه السلام يبتلى في الدنيا بأشد مما يبتلى به أي إنسان عادي. قال صلى الله عليه وسلم عندما سئل: [أي الناس أشد بلاء؟]:

"الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً؛ اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة؛ ابتلي على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد؛ حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"[٢].

ثالثاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل هَمَّ الأمة كلها، حتى من بعده. أما الإنسان العادي من غير الأنبياء عليهم السلام؛ فإنْ حَمَل فلا يحمل إلا همّ عصره، على أقصى تقدير.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٢٤.

(٢) رواه الترمذي وغيره عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، واللفظ للترمذي. وقد سبق تخريج الحديث، انظر: ٣٦٠.

رابعاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قام بجميع وظائف القيادة والدعوة والجهاد والتربية والتعليم...، بل إنه قام بجميع ما يمكن أن يقوم به المرء تجاه الأسرة والمجتمع، كالإصلاح بين الناس، والسعي في حاجاتهم، حتى الضعفاء منهم...، بالإضافة إلى القيام بعبادة الله عز وجل...، كل هذا على أكمل وجه. بينما الإنسان العادي لا يطالب إلا ببعض تلك الوظائف، بل ولا يمكنه إلا هذا.

خامساً: أن النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين به؛ مأمورون بأن يلتزموا بما جاء به الوحي، فيؤمنوا بما جاء به من معتقدات، ويستقيموا على المنهج الذي بينه، في جميع شؤون حياتهم، فالمؤمن حقاً ليس عنده اعتماد على عقله المستقل، بل هو مأمور بالاتباع والتطبيق.

سادساً: أن تأييد الله جل جلاله نبيَّه عليه السلام لا يعني أنه مجبر على الطاعة، فهو مثل سائر المكلفين له حرية الاختيار، بل إنه من أشد المكلفين صبراً على الطاعة، وصبراً عن المعصية، والتأييد الرباني الزائد الذي يناله؛ إنما هو لإعانته على أداء المسؤولية العظمى التي نيطت به على أكمل وجه مستطاع له، ولكونه إماماً يقتدى به وجوباً، في أقواله وأفعاله التشريعية[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أعظم المؤمنين تكليفاً، وأحسنهم أداء للعمل على أكمل وجه، فهل يُظن بعد هذا أنه يوجد من الناس العاديين مَن امتحانُه أعظم، وجزاؤه أكبر؟!.

---

(١) انظر الكلام عن العصمة: ١٦٨-١٦٩. ولا شك أن كل مؤمن ينال نصيبه من المعونة والتأييد الرباني، إلا أن العصمة التي لها أسبابها وحكمتها إنما يختص بها الأنبياء عليهم السلام.

الشبهة الثالثة:

تساءل أحد العلمانيين المفترين على النبوة عن معنى تفاضل الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم، فهُم -بزعمه الكاذب- مجرد وسائل لتبليغ الوحي، وليس لهم أي فضل بأشخاصهم على غيرهم، وليس بينهم تفاضل، إذ إن كل نبي يمثل مرحلة من مراحل تطور الوحي، ولا تفاضل بين المراحل، بل تكامل بينها. فالمرحلة الأخيرة برقيّها، التي يتم فيها اكتمال الوحي؛ ليست بأفضل من المراحل السابقة، التي لولاها لما اكتمل الوحي. بل ربما كان الأمر أكثر صعوبة في المراحل السابقة، عنه في المرحلة الأخيرة، بعد أن تعودت البشرية على الوحي وارتقت بفضله. وكم لاقى الأنبياء السابقون من العذاب والهوان والقتل، ما لم يلقه آخر الأنبياء -عليهم السلام-، وكم عوقبت أمم الأنبياء السابقين -عليهم السلام- بالطوفان، أو الغرق في البحر، أو بالرياح أو بالجراد والقمل، ما لم تعاقب به آخر الأمم[1]. ا.هـ.

إن افتراءات (العلماني) وزيوفه في دعواه السابقة؛ عديدة:

أولاً: (فالعلماني) لا يرى في الأنبياء عليهم السلام إلا كونهم وسائل لتبليغ الوحي، وكأنهم كتب يقرأ ما فيها ثم تُرْكن.

ومعلوم أن المصلحين والقادة العاديين لا ينظر إليهم بهذه الصورة، التي لا تدل إلا على استكبار صاحبها عن الاعتراف بالفضل لأهله، بل وإلى ضغينة الحقد والحسد لما أولاه الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام من الفضل العظيم.

فهل يظن أحد -ولو كان غير مؤمن- أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مجرد آلات توصل إلى البشر رسالاتٍ، دون وعي منها؟!.

بل هل يظن أحد من الناس أن داعياً إلى فكرة -أياً كانت- إنما قام بمجرد الترديد لدعوته، دون أن يعيها، أو يتمثلها، ويقوم هو بمحاولة تطبيقها؟!.

إن جهل الداعي إلى قضية بمضمونها، أو عدم وعيه لها، أو عدم قيامه بمحاولة تمثلها وتطبيقها، كل هذا إما أن يقدح فيه، أو يقدح في أساس دعوته، أو في كليهما. وتصور شيء من هذا في حق أي داع إلى فكرة، ومقاتل من أجلها، من غير دليل؛ هو ظلم له، فَهَل جَهِل (العلماني) ذلك، أم أن ضغائن النفوس تعمي أصحابها عن الحقائق مهما كانت ظاهرة جلية؟!.

إن مما لا شك فيه أن تصور مثل ذلك الظلم في حق أحد من الأنبياء عليهم السلام هو كفر، مخرج لصاحبه من الملة بالكلية، إذ يتضمن قدحا يتناولهم، ويتناول ما قاموا به تجاه الرسالة المنزلة.

---

(١) انظر: النبوة: ٢٢٥.

ثانياً: وادعاء (العلماني) أنه ليس للأنبياء عليهم السلام أي فضل في أشخاصهم على غيرهم؛ هو ادعاء باطل أيضاً.

فمن الذي يجهل أن الناس يتفاضلون في صفاتهم الذاتية، فهناك القوي والأقوى منه، ويوجد العاقل والأكثر عقلاً منه، ومن الناس صابر، ومنهم من هو أعظم صبراً، وهكذا، وسواء كان هذا في الصفات النفسية أم الجسدية؟!.

ولا شك بأن الله تعالى الحكيم العليم لا يختار أنبياءَ ورسلاً له؛ إلا وهم صفوة البشر في جميع الصفات، التي تعينهم على أداء رسالتهم على أحسن الوجوه.

ثالثاً: وأما دعوى (العلماني) أنه لا تفاضل بين الأنبياء عليهم السلام، لأنه لا تفاضل بين المراحل، فهي دعوى تتناقض مناقضة تامة مع ما جاء إثباته في الكتاب العزيز، من إقرار حقيقة التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام[1]، ولا أحد من المؤمنين يجهل الحكم على صاحبها.

ولكن لا يوجد من قال بأن كل أمة تالية هي حتماً أفضل من الأمة السابقة، لمجرد أنها جاءت بعدها. وكذا لا يوجد من قال بأن نبي كل دعوة تالية هو أفضل حتماً من أنبياء المراحل السابقة، لمجرد كونه تالياً لهم. إلا أننا نعلم بالدليل النصي أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم هو سيد الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه عليه[2]، وأن أمته هي خير الأمم، كما قال عز وجل:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ آل عمران.

رابعاً: وأما ما ذكره (العلماني) من أن الأمر ربما كان أكثر صعوبة في المراحل السابقة، عنه في المرحلة الأخيرة، التي تعود فيها الناس على الوحي!!؛ فإنه بدعواه هذه يريد أن يثبت جهله، أو تجاهله وإنكاره لحقيقة أن البشرية قد بدأت من آدم عليه السلام، وقد كان معه وحي من ربه تعالى، وكلما كان الانحراف يطغى في البشرية؛ كان الله عز وجل يرسل إليهم رسولاً، يدعوهم إلى الحق، فيصدقه مَن كان عنده استعداد للإيمان، ويكذّبه من أصرّ على الاستكبار، أو اتباع الهوى والتقليد. وهذا حال متكرر في البشرية على الدوام، إلى أن ختمت دعوات الرسل، بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لاقى من التكذيب والإعراض، وما نسب إليه من الجنون، والافتراء على الله سبحانه في دعوى الوحي...؛ ما لاقاه الرسل عليهم السلام من قبله، من عهد نوح عليه السلام. وما زال حتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله جل شأنه الأرض ومن عليها؛ يوجد من يكذّب بالوحي والنبوة، بل إن المكذبين بهما قد يكونون أكثر من المصدقين.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٥-٦٧.

(٢) انظر ما سبق: الموضع السابق.

فمن عنده استعداد للاعتراف بالحق فسيصدق بالأنبياء عليهم السلام، ولو وجد في عهد نوح عليه السلام، ومن لم يكن عنده ذلك الاستعداد فسيكذب بهم، ولو جاؤوه جميعاً.

فليست المسألة مسألة تعود، بل قد يأتي نبي ويؤمن به قوم كثيرون، كموسى عليه السلام، ويأتي بعده نبي ولا يؤمن به إلا القليل، والله أعلم.

خامساً: وأما عن العذاب والهوان من قبل المكذّبين المعاندين؛ فكل نبي قد أخذ نصيبه منه، والله تعالى وحده أعلم بمدى التفاوت بين الأنبياء عليهم السلام؛ في درجة ما لاقوه من الشدائد. وإن كان هذا ليس هو المقياس الوحيد للتفاضل بين الأنبياء عليهم السلام، فالمقاييس عديدة، والله تعالى من وراء ذلك هو العليم بالفاضل، والأفضل منه.

سادساً: وأما كون كثير من أمم الأنبياء السابقين قد أهلكوا بأنواع العذاب العامة، دون الأمة الخاتمة؛ فهذا يدل على أن الأمة الخاتمة فيها استجابة أكثر من الأمم السابقة، وهذا مما يدل على فضلها. فَذِكْر مثل هذا الأمر في هذا المقام يدلّ على مدى جهل (العلماني) حتى في مسألة اختيار الشبهات، التي يوردها لإبطال الحق!!.

القضية السابعة: شبهات وأباطيل حول حقيقة الوحي الرباني:

الشبهة الأولى:

يوجد في كلام كثير من العلمانيين عند حديثهم عن الوحي؛ ما يدل على عدم إيمانهم بحقيقته، وهذا عندما يَدَّعون أن الوحي أمر طارئ على البشرية. وهذا الفريق من العلمانيين لو لم يَدَّعوا الإقرار بالقرآن الكريم، وبما جاء فيه؛ لكانوا أصدق مع أنفسهم، وأبعد لافتراءاتهم عن التناقض، ولكن غايتهم استدراج السذج من أبناء المسلمين، بإظهار خلاف ما يبطنون حقيقة؛ لإيقاعهم في كثير من التناقضات والاضطرابات.

فمن صور تناقضهم التي تفضح كذب ادعائهم الإيمان بالقرآن المجيد والنبوات؛ ما زعمه (علماني) منهم أن: (اللغة موجودة قبل ظاهرة الوحي)[١].

فكيف يجمع (العلماني) بين دعواه الكاذبة هذه؛ وبين أنه مؤمن بما جاء في القرآن الكريم من أن ا لله جل جلاله قد خلق آدم عليه السلام –أبا البشر–، وعلمه الأسماء كلها، وقال له ما جاء ذكره في القرآن[٢]، وأن آدم عليه السلام تلقى –بعد معصيته– من ربه تعالى كلمات، كانت سبباً في توبته جل شأنه عليه، وهذا كله من الوحي لأبي البشرية منذ اللحظة الأولى لخلقه عليه السلام، وقبل أن تكون له أية ذرية؟![٣].

ثم إن كل مؤمن إيماناً صحيحاً صادقاً بالرسالة الربانية الخاتمة؛ يعلم يقيناً بأنه كلما كانت البشرية –بعد آدم عليه السلام– تنحرف عن منهج الصواب، وينتشر فيها الشرك والكفر؛ كان ا لله عز وجل يرسل إليهم رسله عليهم السلام، ليهدوهم إلى منهج الحق والصواب والهداية.

وعلى هذا فإن دعوى (العلماني): أن اللغة موجودة قبل ظاهرة الوحي؛ لا تدل فقط على عدم إيمانه بالوحي حقيقة؛ بل هو غير مؤمن أيضاً بأن ا لله تبارك اسمه قد خلق آدم عليه السلام، وعلمه الأسماء، وأمره بما أمره.

---

(١) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية؛ نصر أبو زيد: ٤٤.

(٢) ولا يهم هنا ما قد يدعيه نصر وأمثاله حول الكيفية التي تمت فيها تلك الأقوال لآدم عليه السلام، إذ المهم أن هذا من الوحي الرباني لآدم عليه السلام.

(٣) ليس المقصود هنا الحديث عن اللغات التي انتشرت بين ذرية آدم عليه السلام، وهل هي موحى بها أم لا، وإنما المقصود بيان بطلان إطلاق الدعوى بأن اللغة موجودة قبل ظاهرة الوحي.

قال تبارك اسمه:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣١)﴾ البقرة.

وقال جل ذكره:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)﴾ البقرة.

وعلى أية كيفية تم بها هذا القول لآدم عليه السلام فهو من الوحي الرباني له.

وقال جل شأنه:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ البقرة.

الشبهة الثانية:

ادعى بعض العلمانيين المعاصرين: أن ما كان موجوداً في الثقافة العربية قبل الإسلام، من إمكان اتصال بشر بجن، يأخذ عنه أخباراً، كما في حالة الكهان، أو يساعده في قول الشعر؛ فإن هذا الاتصال كان هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها، ولو لم يكن العربي يؤمن بذلك الاتصال، لاستحال عليه الإيمان بنزول ملك من السماء إلى بشر.

وادعى (العلماني) أن العرب المعاصرين لنزول القرآن ما كانوا يعترضون على ظاهرة الوحي ذاتها، وإنما انصب الاعتراض على مضمون كلام الوحي، أو على شخص الموحى إليه. وأن عرب مكة حرصوا على أن يردوا القرآن إلى آفاق النصوص المألوفة في الثقافة، سواء كانت شعراً أم نثراً[١].

ومن ثم زعم (العلماني) أن العلاقة بين النبوة والكهانة -في التصور العربي- أن كليهما وحي، أي: اتصال بين إنسان وبين كائن آخر ينتمي إلى مرتبة وجودية أخرى، مَلَك في حالة النبي، وشيطان في حالة الكاهن[٢].

ومن الرد على افتراءات (العلماني) السابقة:

أولاً: ادعاء أن العرب بما أنهم كانوا يعتقدون إمكان اتصال الجني بالإنسي؛ فإنهم -استنتاجاً دون دليل- لا يرون مانعاً من اتصال المَلَك بالإنسي، على الوجه الذي أعلنه النبي صلى ا لله عليه وسلم.

ولكن المتأمل في حال العرب قبل الإسلام؛ لا يمكنه أن يجزم بأنهم ما داموا يعتقدون باتصال الجني بالإنسي؛ فلن يرفضوا اتصال الملك بالإنسي، وذلك:

١- لأن الجن -في معتقدات العرب- معايشون لنا، ويشاركوننا الحياة على هذه الأرض، فالاتصال بهم أمر ممكن. بل إن العربي كثيراً ما كان يسيطر عليه شعور بمرافقتهم له، أو إحاطتهم به، ولهذا كان كثيراً ما يستعيذ بهم، وإن لم يرهم، كما بين القرآن الكريم ذلك:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (٦)﴾ الجن.

٢- وأما الملائكة -عليهم السلام- فلا يوجد ما يدل على أنهم في تصورات العرب قبل الإسلام؛ كانوا قريبين من البشر، أو أنه من الممكن الاتصال بهم. بل إن القرآن يدل على أن كفار قريش قد تعجبوا واستنكروا ظاهرة الوحي التي أخبرهم بها الرسول صلى ا لله عليه وسلم، كما قال

---

(١) انظر: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن؛ نصر أبو زيد: ٣٨-٣٩، ١٥٩-١٦٠.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤٤.

جل شأنه:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢)﴾ يونس.

ومما يؤكد استبعادهم إمكان الاتصال بالملائكة -عليهم السلام- ومفارقته للاتصال بالجن عندهم؛ نظرتهم إلى الملائكة على أنهم بنات الله سبحانه وتعالى، كما دل عليه قوله تبارك اسمه:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧)﴾ النحل.

وقوله جل شأنه:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا المَلائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (١٥٥)﴾ الصافات.

وقوله جل ذكره:

﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ الزخرف.

وإذا انضم إلى هذا كون البنت -حتى عند العرب في جاهليتهم- مقصورة محصورة، وهذا في بنات البشر، فكيف الحال في بنات الله جل شأنه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً؟!.

ثانياً: ومما يؤكد رفض العرب أو معظمهم في جاهليتهم لإمكان الاتصال بالملائكة عليهم السلام: أن كفار قريش لم يجدوا تفسيراً لهذا الذي يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن يكون كذباً أو جنوناً أو من باب الاتصال بالجن، وهذا يدل على استبعادهم الكلي لإمكانية الاتصال بالملائكة عليهم السلام، فضلاً عن سماع كلام الرب جل شأنه الذي هو أحد طرق الوحي.

ثالثاً: وأما ما ذكره (العلماني) من أن الاعتراض كان على شخص الموحى إليه -صلى الله عليه وسلم-؛ فالحق أن اعتراض المشركين هذا؛ كان اعتراضاً مضافاً للاعتراض السابق، لا أنه مستقل بنفسه. أو هو من باب تنزلهم في المناقشة -بزعمهم الكاذب-.

فمع استحالة إرسال الله سبحانه مَلَكاً إلى بشر يخبره برسالة، كما يتصورون في خيالهم السقيم؛ فإنه تنزلاً منهم في المناقشة، وعلى فرض تحقق مثل ذلك الأمر؛ لا يمكن أن يختار الرب تعالى -في تصورهم القاصر- إلا شخصاً له مكانته الكبرى، من غنى وجاه وسلطان.

ومثل هذا ما جاء في سورة الكهف عن صاحب الجنتين، الذي ظن أن الساعة لن تقوم، ولكنه

من باب التنزل؛ فقد زعم أنه ولو قامت الساعة فإن له عند ربه الحسنى:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً (٣٦)﴾ الكهف.

رابعاً: وكذلك الاعتراض على الأمور الموحى بها؛ فهو مضاف إلى ما سبق.

خامساً: وقد تبيّن أن إرجاع كفار قريش القرآن إلى كونه متلقى من عند الجن؛ إنما هو أحد الصور التي زعموا أنها ممكنة. فإما أن يكون هذا القرآن مفترى من عند الرسول -حاشاه صلى الله عليه وسلم-، أو هو على أقصى تقدير قد تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الجن، وما عدا هذا فمستحيل، وغير وارد أصلاً، حسب ادعائهم الباطل.

سادساً: وبذلك يتبيّن أن زعم (العلماني) كون الوحي -عن طريق إرسال مَلَك- يستمد أساسه الثقافي من الاتصال بالجن، بجامع الاتصال بكائن غيبي، وأنه بهذا يصبح مقبولاً، ولو من الناحية النظرية لدى العرب؛ هو زعم باطل. فالفارق بين الملائكة عليهم السلام والجن -حتى عند العرب- كان كبيراً، وقد ظهر هذا من خلال ما سبق بيانه، ولا يوجد أية إشارة تدل على إمكان اتصال البشر بالملائكة عند العرب الجاهليين، بخلاف الاتصال بالجن.

سابعاً: وعلى الرغم من أن (العلماني) حاول في بداية كلامه أن يكون حذراً من نسبة أمر للعرب لا دليل عليه مطلقاً؛ فإنه بعد ذلك أتى بعبارة وكأن ما زعمه قد أصبح حقيقة مسلماً بها، فقال: (إن العلاقة بين النبوة والكهانة، في التصور العربي: أن كليهما وحي)[١].

ولكن من الذي زعم أن العرب قد سلّموا بإمكان النبوة ولو نظرياً؛ حتى يفتري عليهم ما ادعاه من كون العلاقة بين النبوة والكهانة في تصورهم: أن كليهما وحي؟!.

ومعلوم أن الحديث كله عن العرب غير المؤمنين بالنبوة، وقد كان إيمانهم بالكهانة وتسليمهم لها؛ من أسباب ابتعادهم عن الإيمان بالنبوة الحقة، ومن أسباب إنكارهم لها بالكلية.

ثامناً: إن من يريد حقاً أن يستنبط الأسس الثقافية التي لها دور في إيمان مَن آمن مِن الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم- بالنبي صلى الله عليه وسلم، فسيجدها:

- في إيمانهم بوجود الرب الخالق الأعلى عز وجل -مع إشراكهم به-.
- وفي إيمانهم بقدرته عز وجل.
- وفي إيمانهم بوجود الملائكة عليهم السلام، وإن اختلط إيمانهم هذا بكثير من الشوائب،

---

(١) انظر ما سبق ص: ٥٨٤.

والأساطير التي اخترعتها عقول البشر، المبتعدين عن هدي النبوة الربانية.

- وفي ما كان موجوداً عندهم من بقايا الإيمان بنبوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أي من بقايا نبوة سابقة.

فمن كان من أولى الألباب في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن متبعاً لهواه، متعصباً لما كان عليه من الجهل والضلال؛ فإنه عندما يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن أن مرسَل من عند ربه عز وجل، وأنه يأتيه ملك بالوحي من عند ربه جل ثناؤه، مقيماً على ذلك الأدلة والحجج والبراهين المتنوعة؛ فإنه يقوم بتصفية تلك الأسس الموجودة في نفسه مما علق بها من شوائب وخرافات وأساطير، مستعيناً على هذا بالهدي الرباني المنزل، إلى أن يصل إلى الإيمان الصحيح الكامل.

تاسعاً: ثم إن من صور الوحي التي جاء الخبر عنها: تكليم الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه صورة لا يمكن أن يقول عاقل: إنها يمكن أن تصدق؛ لمجرد الاعتقاد بإمكان الاتصال بالجن.

إذ حتى العرب يدركون عظم الفارق بين الخالق والمخلوق، ولهذا فإن بعض من لم يتمكن الإيمان في قلبه افتتن عندما سمع حادثة الإسراء والمعراج، وما فيها من كلام الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الثالثة:

يصرّ فريق من العلمانيين على افتراء مفاهيم باطلة، وإلصاقها بالنصوص الصحيحة الواردة في بيان بعض حقائق الوحي، لإبطال معاني هذه النصوص الواضحة الصريحة، تمهيداً لإبطال حقيقة الوحي بالكلية فيما بعد.

ومن هذا ما ادعاه (علماني) من ذلك الفريق حول الحديثين الصحيحين اللذين بيّن فيهما الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية مجيء الوحي إليه، وهما:

- حديث: [أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح]، إلى أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، مجئ جبريل عليه السلام إليه في غار حراء، وقال له: ["اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني[1]، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ"، إلى أن قال له في الثالثة:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾[2]..الحديث"][3].

- وحديث: "كل ذلك يأتي الملك، أحياناً: مثل صلصلة الجرس، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وهو أشدّه علي. ويتمثل لي الملك أحياناً رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول"[4].

فيتساءل (العلماني) عما أسماه المرحلة الأولى من مراحل الوحي، وهي مرحلة الشدة والغطّ!، وهل يمكن اعتبار تلك المرحلة (أشبه بالرؤيا حيث تتلقى نفس النبي –بناء على هذا التصور– من المَلَك رسالة ذات شفرة خاصةٍ، يحوّلها النبي بعد ذلك إلى رسالة لغوية؟. وهل يمكن أن نقول إن التعود والألفة –مع توالي عملية الاتصال– جعلت الوحي ممكنا في حالة اليقظة، بالكلام اللغوي العادي؟.

تتضافر الحقائق لتجيب بالإيجاب عن هذا السؤال، والحقائق التي نشير إليها هي الحقائق كما عرفتها الثقافة...، ومن هذه الحقائق ما ترويه السيدة عائشة)، وذكر حديث بدء الوحي السابق، ثم ذكر ما ورد في النص القرآني عن بعض الوحي الذي جاء إلى الأنبياء عليهم السلام عن طريق المنام،

---

(١) الغط: حبس النفس، ومنه غطّه في الماء، أو أراد غمّني، ومنه الخنق. والغط: أن يتنفس الإنسان تنفساً متردداً من شدة ثقل عليه. انظر: فتح الباري: ١/ ٢٤٠، ٣/ ٣٩٥. و: المعجم الوسيط: مادة: (غطط)/ ٢/٦٥٦.

(٢) سورة العلق: الآيات من ١–٣.

(٣) رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سبق تخريجه، انظر: ٥٣، وبقيته أنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها فزعاً، فهدأت روعه، وقالت: [كلا والله ما يخزيك الله أبداً...] الحديث.

(٤) رواه البخاري عن الحارث بن هشام رضي الله عنه أنه سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سبق تخريجه، انظر: ١١٧.

كحادثة إبراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام، وقال: (في الحالة الأولى كان تحقق الحلم بالموازاة الرمزية بين "الكبش" "والابن"، إذ رأى إبراهيم أنه يذبح ابنه، وإيماناً بأن الأحلام تعبر عن حقائق، أَوْشَكَ على تحقيق الحلم حرفياً، ثم حدث التأويل)[١].

ويرد على باطل (العلماني) السابق:

أولاً: أول ما يلاحظ في تحليل (العلماني) السابق هو: الخلط بين الحقائق الواردة في النصوص الشرعية، على وجه يشوّهها. وهو يعود إما إلى أنّ صاحبه غير قادر على فهم تلك النصوص، أو أنه يتعمد ذلك الخلط والتشويه، وهو الظاهر، إذ معناها أوضح من أن يحتاج إلى بيان، وكتب شروح الحديث لا تخفى على أحد.

ثانياً: إنه بحسب ما ورد في نص بدء الوحي -السابق-، فإن أول ما بدئ به الرسول صلى ا لله عليه وسلم من الوحي هو: أن يرى الرؤيا في المنام، فتتحقق في اليقظة، كما رآها صلى ا لله عليه وسلم تماماً، وصار يتكرر هذا الأمر معه صلى ا لله عليه وسلم.

ثالثاً: وبحسب حديث بدء الوحي السابق كذلك؛ فإن أول موقف وحي مباشر لآيات من القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم؛ كان في غار حراء، وفي هذا الموقف أخذ جبريل عليه السلام النبي صلى ا لله عليه وسلم فَغَطَّه حتى بلغ منه الجهد، ثم بعد هذا أوحى إليه.

ورغم أن هذا كان في الوحي المباشر الأول، إلا أن الإحساس بالشِّدّة، وكون الرسول صلى ا لله عليه وسلم كان يَغِطُّ -أي يتنفس تنفساً متردداً من شدة ثقل الوحي[٢]- عندما كان يوحى إليه؛ هما أمران استمرا مع الرسول صلى ا لله عليه وسلم، طوال حياته، ولاسيما مع الوحي الذي كان يأتيه كصلصلة الجرس. وهذا ما يدل عليه الحديث الذي بيّن فيه صلى ا لله عليه وسلم صور الوحي إليه، وغيره، كحديث عبادة بن الصامت رضي ا لله عنه[٣]، الذي قال فيه:

[كان نبي ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك، وتربّد وجهه][٤].

---

(١) انظر: مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن؛ نصر أبو زيد: ٥٧-٥٨.

(٢) انظر ما سبق: ٥٨٨، هـ: (١).

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم في فهر بن ثعلبة الخزرجي أبو وليد الأنصاري، رضي ا لله عنه، أحد النقباء ليلة العقبة الأولى. وقد شهد المشاهد كلها مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وكان ممن جمع القرآن في زمن النبي صلى ا لله عليه وسلم، فأرسلوه إلى الشام لتعليمهم القرآن. وكان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً. مات بالرملة سنة ٣٤هـ، وهو ابن ٧٢ سنة. انظر: طبقات ابن سعد: ٥٤٦/٣ - ٦٢١. و: سير أعلام النبلاء: ٥/٢-١١/ تر: ١. و: التاريخ الكبير: ٩٢/٦. و: أسد الغابة: ٦٠/٣. و: الإصابة: ٣٢٢/٥. و: شذرات الذهب: ٤٠/١، ٦٢. و: تهذيب التهذيب: ١١١/٥.

(٤) هذا الحديث رواه مسلم: ١٨١٧/٤/ ح: ٢٣٣٤.

ومعنى: تربد وجهه: احمر حمرة فيها سواد عند الغضب. انظر: المعجم الوسيط: مادة: (ربد): ٣٢٢/١.

وكذلك ما ورد في الحديث الذي قال فيه يعلى[١] لعمر رضي الله عنهما[٢]: [أرني النبي صلى الله عليه وسلم حين يوحى إليه. قال: فبينما النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، ومعه نفر من أصحابه؛ جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة، وهو متضمخ بطيب؟. فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر رضي الله تعالى عنه إلى يعلى، فجاءه يعلى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أُظِلّ به، فأدخل رأسه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْمَرّ الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: "أين الذي سأل عن العمرة؟"، فأتي برجل، فقال: "اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك"[٣].

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٤] في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾[٥]، قال: [كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة][٦].

رابعاً: وقد دل حديث بدء الوحي السابق وغيره على أن أول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي هو الرؤيا الصادقة، التي يطابق ما يراه فيها ما يحصل في الواقع، والتي كانت متكررة. ثم بعد هذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي المباشر، الذي هو أشد أنواع الوحي عليه، صلى الله عليه

---

(١) يعلى بن أمية بن أبيّ بن عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر التميمي المكي، حليف بني نوفل بن عبد مناف، وهو يعلى بن منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان. أسلم وأبوه رضي الله عنهما يوم الفتح، وشهد الطائف وتبوك. له نحواً من ٢٠ حديثاً. ولي نجران لعمر، واليمن لعثمان. خرج مع عائشة في وقعة الجمل، فلما هزموا هرب إلى مكة. وكان أول من أرخ الكتب. بقي إلى قريب الستين. انظر طبقات ابن سعد: ٥/ ٤٥٦. و: التاريخ الكبير: ٤١٤/٨. و: الإصابة: ٦٦٨/٣. و: أسد الغابة: ١٢٨/٥. و: العقد الثمين: ٤٧٨/٧. و: الجرح والتعديل: ٣٠١/٩.

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح القرشي العدوي، أبو حفص، ولد رضي الله عنه بعد الفجار الأعظم قبل البعثة بثلاث سنين، وقيل دون ذلك. كان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحاً للمسلمين، لذا سماه صلى الله عليه وسلم الفاروق، وهو من المهاجرين الأولين إلى المدينة، شهد المشاهد كلها، وتولى الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما، ففتح الله له الشام والعراق ومصر. وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، استشهد سنة: ٢٣ هـ، وعمره: ٦٣ سنة.
انظر: الإصابة: ٥١٨/٢-٥١٩/ تر: ٥٧٣٦. و: الاستيعاب: ٤٥٨/٢-٤٧٤. و: أسد الغابة: ١٤٥/٤-١٨١/ تر: ٣٨٢٤. و: البداية والنهاية: ١٣٧/٧-١٤٥. و: العقد الثمين: ٢٩١/٦-٣٠٥. و: تهذيب الأسماء واللغات: ٣/٢-٥. و: الأعلام: ٤٥/٥-٤٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري: ٥٥٧/٢/ح: ١٤٦٣، ١٥٧٣/٤/ ح: ٤٠٧٤، ١٩٠٦/٤/ ح: ٤٧٠٠. و: صحيح مسلم: ٨٣٧/٢/ ح: ١١٨٠.
ومعنى: متضمخ بالطيب، الضمخ: لطخ الجسد بالطيب حتى كأنما يقطر. انظر: مادة (ضمخ) في: لسان العرب: ٥/٤.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المكي، أبو العباس، حبر الأمة وفقيه العصر، وإمام التفسير. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وصحب النبي نحو ثلاثين شهراً، وحدث عنه، ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكمة. توفي سنة ٦٨، أو ٦٧هـ، بالطائف، عن ٧١ سنة. رضي الله عنه.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣١/٣-٣٥٩/ تر: ٥١. و: البداية والنهاية: ٢٩٨/٨ - ٣١٠. و: العقد الثمين: ١٩٠/٥- ١٩٢. و: تاريخ بغداد: ١٧٢/١-١٧٥. و: تذكرة الحفاظ: ٤٠/١-٤١/ تر ١٨٠. و: العبر: ٧٦/١. و: وفيات الأعيان: ٦٢/٣-٦٤، ٣٣٨. و: طبقات الفقهاء: ٣٠-٣١.

(٥) سورة: القيامة، من الآية: ١٦.

(٦) رواه البخاري انظر: ٦/١/ح: ٥، ٢٧٣٦/٦/ ح: ٧٠٨٦.

وسلم. ثم بعد ذلك جاءه صلى الله عليه وسلم بقية أنواع الوحي، من مجيء الملك عليه السلام إليه بصورة شخص بشري، ومن النفث في الروع، ومن التكليم الرباني(١).

خامساً: ثم إن أنواع الوحي تلك قد استمرت مع الرسول صلى الله عليه وسلم طوال حياته، سواء منها ما كان عن طريق الرؤيا، أو مجئ الملك عليه السلام والوحي إليه بصورة تشبه صلصلة الجرس، أو مجيئه على هيئة رجل.

ويلاحظ هنا أن حالة مجيء الوحي على هيئة صلصلة جرس؛ هي أشد حالات الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق، وهو الذي –في الحقيقة– يحتاج إلى تهيئة وإعداد من نوع خاص، وأما الوحي عن طريق إرسال الملك عليه السلام، وتمثله على شكل رجل من الناس، وتكليمه الرسول صلى الله عليه وسلم، بكلام البشر المعتاد؛ فهذا لا يحتاج إلى مثل تلك التهيئة. فلا يقال إن توالي عملية الاتصال –مجيء الوحي على هيئة صلصلة الجرس– قد جعلت الوحي ممكنا في حالة اليقظة بالكلام اللغوي العادي. فمثل هذا النوع قد يحصل لبشر من غير الأنبياء عليهم السلام، دون الحاجة إلى مثل ذلك الإعداد الخاص، ومريم بنت عمران رضي الله عنها قد أرسل الله إليها الروح جبريل عليه السلام، فتمثل لها بشراً سوياً، وكلمها وبشرها بعيسى عليه السلام.

سادساً: ومما سبق يتبين أن النصوص التي يستمد منها (العلماني) حقائقه المزعومة؛ هي نفسها التي تكذبه فيما ادعاه.

فمرحلة الوحي التي تقارنها الشدة والغطّ، المتمثلة في وحي المَلَك عليه السلام كصلصلة الجرس؛ هي في حقيقة الأمر ليست أولى مراحل الوحي، بل هي صورة من صوره. أما أولى مراحل الوحي؛ فهي الرؤيا الصادقة، وبدهي أن الرؤيا شيء، والوحي المقترن بالشدة والغطّ شيء آخر.

إن الرؤيا الصادقة المطابقة للواقع والتي هي أولى مراحل الوحي، قد كانت تتكرر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا توجد عند البشر من غير الأنبياء عليهم السلام، على هذا النحو من التكرر والصدق والمطابقة. فلم يحصل انقطاع لهذه المرحلة، بل إنها استمرت كغيرها من الصور.

ويلاحظ هنا أن (العلماني) قد ذكر ضمن مزاعمه: أن توالي عملية الاتصال قد جعلت الوحي ممكنا في حالة اليقظة بالكلام النبوي العادي، فإن أراد بقوله: (في حالة اليقظة): أن الوحي المقارَن بالشدّة والغطّ قد كان مناميا؛ فهو الذي سبق بيان بطلانه. وكذا إن أراد أن الوحي المقارَن بالشدّة لم يكن يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن يكون غائباً عن الوعي، بأي نوع من أنواع الغيبوبة. بل وكذلك إن أراد أن حالة الغياب عن الوعي؛ كانت تقارن هذه المرحلة من الوحي، لأن مثل هذا الادعاء يحتاج إلى دليل صريح من النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر ما سبق: ١١٤-١١٧.

سابعاً: وكذلك فإنه لا يوجد في الأدلة ما يثبت زعمه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حالة الوحي المقارَن بالشدّة والغطّ؛ يتلقى الرسالة من المَلَك عليه السلام بشفرة خاصة، يحولها هو بعد ذلك إلى رسالةٍ لغوية. إن مثل هذا الادعاء لا يقوم إلا على مجرد تخيلات وافتراضات، لا يسندها دليل ما.

والموقف الأول للوحي بالقرآن، الذي نقله لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدث، يدل على أنّ ما كان يوصله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سائر البشر؛ هو ما كان يسمعه. فالرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر ما حدث له في هذا الموقف إلى خديجة رضي الله تعالى عنها، ثم إلى ورقة بن نوفل، وهو بعد لم يتيقن من أنه قد أصبح نبياً مرسلاً، فضلاً عن أن تكون هنالك شفرة يقوم هو بفك رموزها، وتحويلها إلى لغة البشر!.

وكذلك فإن قول الله عز وجل:

﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)﴾ القيامة.

يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤدي عين ما يسمعه إلى البشر[1].

---

(١) من عجائب (نصر أبو زيد) أنه قبل دعواه هذه بصفحات قليلات نقل قول من زعموا: أن جبريل عليه السلام إنما أنزل المعنى على محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وذكر أيضاً قول من زعموا أن الذي صاغ القرآن بلغة العرب إنما هو جبريل عليه السلام، ثم ذكر بعد هذا أن كلا القولين يتصور أن القرآن لم يكن نصاً لغوياً في المستوى الرأسي من الله جل جلاله إلى جبريل عليه السلام، ولكنه أصبح نصاً لغوياً في المستوى الأفقي (جبريل عليه السلام- محمد صلى الله عليه وسلم)، سواء كان هذا التحويل من قِبَل جبريل عليه السلام؛ أم من قِبَل محمد صلى الله عليه وسلم، وعقّب على هذا؛ بأن مثل ذلك التصور يتناقض مع مفهوم النص ذاته، من أنه قول، وقرآن -بالاشتقاق من القراءة-، وأنه رسالة لغوية لا يجوز المساس بمنطوقها، أو تحريفها. وذكر عدة آيات، منها قوله تعالى:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣)﴾ الإسراء.

وقوله تبارك اسمه:

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً (٨٦)﴾ الإسراء.

وقوله جل شأنه:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٧)﴾ الكهف.

وآيات سورة القيامة المذكورة سابقاً، واعتبرها أشد دلالة على ما هو بصدده، أي على كون القرآن منزلاً من عند الله تعالى بلفظه ومعناه، لأنه انتقد بكلامه هذا قول الفريقين السابقين. وهذا الكلام في كتابه: مفهوم النص: ٥١-٥٢.

فكيف يكون النص في هذا الموضع يعارض القولين السابقين باعترافه هو، ثم بعد هذا يدعي أن الحقائق -أي الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي لا دلالة فيها على ما زعمه وافتراه- تتضافر لتؤيد دعاويه الكاذبة السابقة، والمتضمنة لزعمه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى من الملك عليه السلام رسالة ذات شفرة خاصة، يحولها النبي صلى الله عليه وسلم بعدما يتلقاها إلى رسالة لغوية!؟. فهل هو قد رجع إلى تأييد ما سبق أن ذكر أن النص يرفضه؟!، أم أنه التناقض الذي يتميز به العلمانيون وأضرابهم؟!.

وأما تشبيه ما كان يسمعه صلى الله عليه وسلم بصلصلة الجرس، فلا يدل على أنه لم يكن يسمع كلاماً ككلام البشر المعتاد، ولكنه إنما يدل:

إما على شدة الكلام الذي كان يسمعه، وأنه كمثل صلصلة الجرس.

وإما أن صوت صلصلة الجرس قد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمعه عند مجيء الوحي إليه، إعداداً له لتلقي الوحي[١].

وإما أنه كان سريع التتابع كتتابع صلصلة الجرس.

ثامناً: ثم إن مضمون الدعوى السابقة أن جبريل عليه السلام لم يتلق هذه الألفاظ من لدن الله عز وجل، والنصوص الدالة على كون هذا القرآن هو من كلام الله جل ذكره يبطل ذلك المفهوم[٢].

تاسعاً: وأما ما ذكره (العلماني) بعد ذلك عن قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهم السلام، وما يشير إليه كلامه من أن المقصود من ذبح الابن في المنام إنما هو ذبح الكبش؛ ولكن إبراهيم عليه السلام قد ذهب إلى تحقيق المنام حرفياً إيماناً منه بأن الأحلام تعبر عن حقائق؛ فإنه يكفي في بيان صواب ما فعله إبراهيم عليه السلام والرد على (العلماني)؛ مدحه عليه السلام في القرآن الكريم لتصديقه الرؤيا، وأنه عليه السلام قد اجتاز امتحاناً هو من أصعب أنواع الامتحانات، وأن الله عز وجل قد أكرم خليله عليه السلام بأن فدى ابنه، فأرسل له الكبش ليذبحه عوضاً عن ابنه، ولم يقل إنه قد بيّن لإبراهيم عليه السلام أن رؤيته لابنه وهو يذبحه؛ قد كان تأويلها في الحقيقة أن يذبح كبشاً، لا أن يذبح ولده، إذ لو كان هذا المراد؛ لما قال عز وجل لإبراهيم عليه السلام: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾، بل لقال على سبيل المثال: وفهمناه تأويل الرؤيا، أو علمناه تأويل الرؤيا، كما ذكر نحو هذا في حق يوسف عليه السلام، ونحوه في حق سليمان عليه السلام عندما حكم حكماً فهمه الله تعالى له، في مجلس أبيه عليه السلام.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ يدل على أن هذا الذي حصل لإبراهيم عليه السلام إنما كان امتحاناً مقصوداً.

قال تبارك اسمه:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ

(١) انظر: فتح الباري: ١/٢٠.

(٢) انظر ما سبق في إثبات كون القرآن كلام الله عز وجل: ١١٨-١١٩.

حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١١١)﴾ الصافات.

ولكن ليس معنى هذا أن الأنبياء عليهم السلام لا يرون الرؤى التي هي من قبيل الرموز، والتي تحتاج إلى تأويل، بل هم يرون هذا وهذا، ولا شك أن الله جل ذكره قد أعطاهم المقدرة ليفرقوا بين ما هو من قبيل الرمز؛ وما هو من قبيل الحقيقة، التي يجب أن تنفذ كما رآها النبي عليه السلام.

وواضح أن إيراد (العلماني) قصة إبراهيم عليه السلام[1]؛ قد كان المراد بها مسألة الرمزية في الوحي، والتي تحتاج إلى تأويل، وكأنه يريد من هذا؛ دعم ما زعمه بالنسبة إلى الوحي المقارَن بالشدّة، وأنه كان بشفرة يحوّلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كلام البشر المعتاد. وهذا خلط ظاهر بين قضيتين منفصلتين، للوصول إلى قطع صلة القرآن الكريم بالله عز وجل. ولا يلزم من كون بعض المنامات تحتاج إلى تأويل رموزها؛ أن يكون الوحي المقارَن بالشدّة مثلها. وقريب من هذا الخلط والتلبيس؛ كلام من يهذي ويقول: إن العين حتى ترى وتدرك تحتاج إلى الإضاءة المادية، فالأذن مثلها حتى تسمع وتدرك تحتاج إلى الإضاءة المادية!!.

فإنْ زَعَمَ (العلماني) أن الوحي المقارَن بالشدّة هو وحي منامي؛ فيكون قد رجع إلى ما هو أشد بطلاناً، كما سبق بيانه.

(١) وأورد كذلك رؤيا يوسف عليه السلام للشمس والقمر والأحد عشر كوكباً.

الشبهة الرابعة: بعض أباطيل العلمانيين حول حقيقتي الوحي الرباني والنبوة:

قال (العلماني):

(الحديث عن كيفية حصول إعلام الله للأنبياء، وذلك إما بكتاب، أو برسالة ملك، أو بمنام، أو بإلهام، وقد يزاد كذلك معاني أخرى: كالحديث عن كيفية حدوث الوحي لدى الرسول عليه السلام، بأن يخلق الله حالة في النبي يسمع بها مثل صلصلة الجرس، وهذه المعاني الزائدة يصعب تأصيلها عقلاً، وتبقى سمعية خالصة، وحتى الفلاسفة الإسلاميين قد ركزوا على تلك المعاني الزائدة، وإن كان حديثهم عنها قد جاء بمصطلحاتهم.

والحقيقة أن ما ذكره الفلاسفة تجسيد للمعاني الزائدة في النبوة وتصوير لها، (فالنبوة ليست غيبية بل حسية، تؤكد على رعاية مصالح العباد، والغيبيات اغتراب عنها!. والمعارف النبوية دنيوية حسية، تتعلق بشؤون الناس وصلاح معاشهم!. كما أنها إخراج للنبي عن حدود الطاقة البشرية، وجعل صدق النبوة خارجياً وليس داخلياً، وضد قوانين العقل والطبيعة، وليس معها. كما أن هذه المعاني الزائدة المشخصة؛ وقوع في الغيبيات، وإخراج للنبوة من محورها الأفقي، النبوة في العالم ومسارها في التاريخ؛ إلى محورها الرأسي، النبوة كطريق بين النبي والله، طريقة للوصول خارج الزمان وخارج التاريخ. ولا يهمنا في النبوة طريقة الإيصال، الوحي أو الرسول أو من وراء حجاب. ولا يهمنا أيضاً في النبوة الملك وأنواعه، وطريقة قدومه، وجرسه وصوته وشكله. ولا يهمنا ثالثاً: خيال النبي، وكيف كان يأتيه الوحي نائماً أم يقظاً. لا شأن لنا بالصلة بين الله والرسول...، فذلك لا يمكن معرفته حساً أو عقلاً، ولا شأن لنا بالنبوة بين... الجهد والشياطين...!، فهي كلها موضوعات مفارقة، لا تسمح بها نظرية العلم. ما يهمنا هو الرسالة ذاتها، التي بها صلاح العباد، والنبوة للبشر وحدهم. فطريق النبوة جزء زائد على تعريفها، وخارج عن حقيقتها)[(١)].

ومن الرد على افتراءات (العلماني) العديدة:

إن كلام (العلماني) يتناول عدة مزاعم باطلة:

أ- أنه لا يهم الدارس للنبوة كل ما يتعلق بطريق حصول النبوة، لأنه خارج عن حدود تعريفها، ولأنه لا يمكن إدراكه بالحس، أو بالعقل المجرد، ولأنه لا فائدة للبشر تعود عليهم في حياتهم الدنيا من معرفة ذلك.

ب- وللأسباب السابقة نفسها، فإنه لا يهمنا معرفة إن كانت النبوة تشمل مخلوقات أخر أم لا.

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٢-٢٤.

جـ- أنه ينبغي أن نتجنب عند دراسة النبوة مسائل الغيبيات، حتى تلك المتعلقة بالعلاقة بين ا لله تعالى والنبي عليه السلام، كي لا تخرج النبوة من محورها الأفقي إلى محورها الرأسي.

وتأتي الاجابة على هذه المزاعم الباطلة من وجوه:

الوجه الأول:

هذه المزاعم لو كانت خارجة عن ملحد كافر بالنبوات؛ فإن النقاش معه لابد أن يعود إلى الأساس الذي تقوم عليه بقية أركان الإيمان، وهو الإيمان با لله تعالى وصفاته. فإن أي خلل في أي ركن من أركان الإيمان؛ هو منبثق ومترتب على الخلل في الإيمان بالركن الأساس لها جميعا.

ولكن النقاش هنا مع من يدعي أنه مؤمن بالنبوة وبما جاءت به.

ومع الاعتقاد بأن هذه المزاعم باطلة لا صحة لها بوجهٍ من الوجوه، وبأن مفتريها غير مؤمن با لله تعالى أصلاً(١)، فإنه وبسبب تستره بالنفاق؛ يقال له ولمن يتأثر به، وإن لم يصل إلى دركته:

١- إن كنت تزعم أنك مؤمن بالنبوة وبماجاءت به؛ فإن هذه الأمور التي رفضتها، أو التي تريد إسقاط دراستها والبحث عنها؛ قد جاء إثباتها والحديث عنها بالطريق الصحيح الواضح والصريح، من خلال الأخبار اليقينية، التي جاءت بها النبوة. فإن كنت مؤمناً بها فيلزمك إثباتها، وإلا فعليك أن توضح حقيقة أمرك، ولا تدعي أنك مؤمن بشيء، مقتضى الإيمان به؛ تصديق الخبر الثابت عنه؛ ثم تقبل منه ما تريد، وترفض ما تريد، بزعم أن عقلك لم يقبله، أو لم يتوصل إليه بنفسه، أو عن طريق حواسك.

٢- ثم إن كنت لا تقبل من النبي عليه السلام إلا ما يمكنك أن تعرفه بعقلك(٢)، أو بحسك، فما فائدة الادعاء بأنك مؤمن به؟!. إن كان النبي عليه السلام لا يأتي إلا بما يعرفه البشر بعقولهم، أو بحواسهم؛ فإن مهمته تصبح عندئذ ليست أكثر من مهمة أي مصلح يريد أن يعيد الناس إلى جادة الصواب، وهؤلاء المصلحون كثيرون في التاريخ، ولكنهم ليسوا أنبياء، وليسوا من الذين يجب الإيمان بهم. وإن وجد من زعم بأن مهمة النبي عليه السلام تنحصر في هذا الأمر؛ فإن أحداً لا يشك في انتقاض إيمانه بالركن الخاص بالأنبياء عليهم السلام، بل وينسحب هذا إلى سائر أركان الإيمان.

فالكثير من الأخبار عن ا لله تعالى مما لا يمكن للعقل أو للحس المجرد الوصول إليه، والملائكة

---

(١) يلاحظ عند كلام حسن حنفي عن الذات الإلهية أو ما أسماه بالوعي الخالص؛ أنه تجاوز في حقه ما كتبه الفلاسفة الأقدمون، المنتسبون إلى الإسلام، من كفر وتخريف. مجلد: (التوحيد)، المجلد الثاني: ٥-٧٥.

(٢) يلاحظ ما كتبه: حسن حنفي من أنه يحاول إكمال الطريق، ليصبح علم أصول الدين علماً عقلياً خالصاً لاحقاً بمجموعة العلوم العقلية. انظر: المجلد الرابع، النبوة: ٦.

عليهم السلام ركن أساسي، لا يمكن للعقل المجرد أو لِحِسّ أي بشر عادي الوصول إليه أيضاً[١].
والكتب فيها الكثير من تلك الأخبار، واليوم الآخر فيه تفصيلات كثيرات من هذا الباب[٢].

٣- والمعرفة ليست منحصرة فيما يكون الوصول إليه بالحِسّ أو بالعقل، بل المعرفة كذلك تكون عن طريق الخبر الصادق[٣]، وهذا لا ينكره أحدٌ، وإلا فإن الناس لا يصدق بعضهم بعضاً في الأخبار التي يمكن عادةً أن تحدث أو لا تحدث، بدعوى أن عقل من يَتَلَقى الخبر لا يحتم حصول ذلك الأمر، وهو لم يحسّه بأي من حواسه الظاهرة. وماذا يقال فيمن أُخبِر بأن بيته قد بدأت النار تشتعل فيه، وأن عليه أن يسرع لينقذ أهله، فقال إنني قد اتخذت احتياطات كثيرة لئلا يحترق منزلي، وإن عقلي لا يمكنه أن يقبل بأن بيتي يحترق. وهو بعيد عن بيته لا يرى النار ولا يشعر بها، أفلا يقول الناس عنه إنه مصاب في عقله الذي يعتد به؟!. هذا وفي الأخبار العادية مظنّة أن يكون المخبر بها كاذباً، فكيف بالخبر الصريح ممن لا يحتمل قوله كذباً، ولم يأت بما تحيله العقول؟!!.

الوجه الثاني:

وأما الزعم بأنه لا يهمّ الدارس معرفة ما يتعلق بطريق حصول النبوة؛ لأنه خارج عن حدود تعريفها، وكذلك لا يهمّه إن كانت تشمل غير البشر أم لا، فهو زعم باطل:

١- فادعاء أن تعريف النبوة يقف عند حد أنها أخبار ومعارف لصالح الناس، هو ادعاء غير صحيح، وإلا لكان كل من أتى بخبر ومعرفة يستفيد منه الناس؛ نبياً، ولكان أرباب العلوم الكونية أنبياء، وهذا لا يقوله مؤمن با لله تعالى ورسله عليهم السلام الإيمان الحق، فالنبوة وإن كان فيها علوم وأخبار؛ فهي علوم وأخبار مخصوصة، قد أتت بطريق مخصوص، من قبل ا لله تعالى، إلى من اختاره ليكون نبياً له، وهو مِن ثمَّ يخبر بها البشر. فهذه أركان لابد منها للتفريق بين مَن يطلق عليه إنه نبي؛ وبين من لا يطلق عليه ذلك.

٢- ثم -وعلى سبيل المثال- لو حدث انفجار في مكان ما؛ فهل يتوقف عمل الدراسين على معرفة ما حدث بعد الانفجار والتأثيرات التي نتجت بسببه، أم إنهم يتعمقون في دراسته، ليعرفوا أسباب حدوثه، وكيفيته، والطريقة التي تم بها، بل ويتعمقون أكثر، ليعرفوا مدى إمكانية الاستفادة من هذه الظاهرة، أو مدى المخاطر التي يمكن أن تحدث فيما لو حدث مثل هذا الانفجار في ظروف أخر. إن العقلاء يتسلسلون في بحثهم للأمور والظواهر للوصول إلى مسبباتها، وإلى ما يمكن أن ينتج عنها، ولو

---

(١) وهذا ما يعترف به: حسن حنفي، فهو ينكر وجودها. انظر: المجلد الأول: المقدمات النظرية؛ له: ٦٢٢-٦٢٣.

(٢) وهو ينكر وجوده أساساً، انظر المجلد الرابع: المعاد: ٥٩٩، وما بعدها.

(٣) انظر في وسائل المعرفة: كتاب مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي؛ عبد الرحمن بن زيد الزنيدي: ٩٩-٢٢٦. و: العقيدة الإسلامية وأسسها؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٣١-٤٩.

في المستقبل. ولا يقول أحد إن هذه أمور خارجة عن حدود دراستنا لهذه الظاهرة، ولا ينبغي أن ندرسها.

وكذلك شأن النبوة، فلابد أن تتساءل العقول عن كيفية حدوثها، وعن أركانها، وخصائصها، وعن مدى شمولها، وهل هي خاصة بالبشر، أم لا؟.

٣- ثم إن كثيراً من الناس يتساءلون عن كيفية تلقي هذا الذي يقول عن نفسه إنه رسول من عند الله؛ للمعلومات عن ربه عز وجل، وذلك بدافع حب المعرفة والاطلاع، ولو كان هذا على وجه العموم. وقد سأل أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية مجيء الوحي إليه فأخبره[1]. ومن لا يرى لمثل ذلك أهمية في نظره؛ فعليه أن لا ينكر على من يحب معرفة شيء عن ذلك. وكذلك الحال فيما يتعلق بشمول النبوة للجن.

٤- وبالنسبة إلى من كان في عصر نبي، وهو على علم بكيفية نزول الوحي من خلال رسالة سابقة؛ فإنه بمعرفة كيفية مجيء الوحي لهذا النبي من خلال سؤاله له؛ قد يستدل به على صدقه، إن كان مطابقاً للحق السابق الذي عنده[2].

٥- ثم إن الفائدة لا يجب أن تكون دنيوية عاجلة، فهذه القضية (قضية كيفية نزول الوحي وشمول النبوة الجن) قضية قد وردت وثبتت في نصوص الشرع، فهي من القضايا التي يجب الإيمان بها، فمن لم يؤمن بها كان من الكافرين، فهو بالإيمان يحمي نفسه من العذاب على الكفر، وينال به الثواب العظيم في جنات النعيم[3]، مع ما يهبه الله من سعادة وطمأنينة نفسية في الدنيا.

٦- ولا يقال هنا إن هذا الإيمان إيمان تسليمي من غير إعمال للعقل، فإن العقل قد دل على صدق هذا النبي بأدلة متعددة، وأكثر ما جاء به قد اقترن بأدلة عقلية، وإن وجد فيه أمر خبري سمعي؛ فإنه يكون مما لا يحيله العقل.

٧- ثم إنه لا يوجد تعارض بين هذه الأمور التي ثبتت في نصوص الشرع وبين ما يعود على البشر بالمصلحة والفائدة في حياتهم الدنيا، فهذا ثابت وذلك ثابت، وكم هي نسبة مثل هذه الأمور الغيبية الخبرية السمعية؛ لما جاء في الشرع من نصوص تتعلق بتنظيم شؤون الناس في حياتهم الدنيا؟!، لا شك أن هذه النصوص الأخيرة أكثر من سابقتها. على أن الإيمان بالغيب الذي جاء به الرسول عن طريق الوحي من عناصر القاعدة الإيمانية في الإسلام.

---

(١) انظر ما سبق: ١١٧.

(٢) كما استدل ورقة بن نوفل على أن الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء هو الناموس الأكبر (جبريل عليه السلام)، من خلال إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه في الغار. انظر: ما سبق: ١٥٢.

(٣) وهذا الجانب يهمله حسن حنفي تماماً، إذ مبلغ علمه منحصر في الحياة الدنيا. انظر ما كتبه عن المعاد في الجزء الرابع من سلسلته.

الوجه الثالث:

وادعاء أن الغيبيات -بإطلاق- غريبة على النبوة، وأن في إثباتها إخراجاً للنبوة من محورها الأفقي إلى الرأسي، وأن المعارف النبوية دنيوية حسية؛ فهو ادعاء مخرج من الملة الإسلامية حتماً.

١- إذ إن الإيمان بالغيب هو الأساس الأول الذي يفرق بين المؤمن والكافر، والميزة الأولى التي وصف الله تعالى بها عباده المتقين في سورة البقرة هي أنهم:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ... (٣)﴾ البقرة.

وهل الإيمان بالله تعالى وبقضائه وقدره واليوم الآخر والملائكة والكتب السابقة والأنبياء السابقين عليهم السلام إلا إيماناً بالغيب. إن العقائد الإسلامية قائمة على أساس الإيمان بالغيب، إذ لا ينكر الأمر المشاهد إلا من لا عقل له. فكيف يزعم من يدعي الإيمان بالنبوة؛ أن الغيبيات غريبة عنها؟!، وهي الأساس فيما جاءت به النبوة من عقائد.

٢- وأما كون النبوة تشمل معارف حسية دنيوية؛ فيمكن قبوله محمولاً على ما جاءت به النبوة من تنظيمات وتشريعات للبشر في حياتهم الدنيا، ولكن هذا ليس الجانب الوحيد الذي جاءت به النبوة، فالنبوة جاءت بعقائد مقرونة بأدلتها العقلية، وطالبت من الناس الإيمان بها، لتكون طريقاً للسعادة الأخروية. وجاءت بتشريعات لو طبقها البشر في حياتهم الدنيا -مع استكمالهم لحقيقة الإيمان- نالوا سعادة الدارين.

٣- وأما زعم أن الغيبيات تجعل صدق النبوة خارجياً وليس داخلياً، وضد قوانين الطبيعة والعقل وليس معها؛ فلا معنى له هنا مادام الكلام منحصراً في الوحي وكيفية حصوله، إلا إن أريد بالغيبيات التعميم، بحيث يشمل -على سبيل المثال- ما يمكن أن يستدل به على صدق الرسول، كالإخبار بالمغيبات المستقبلية[1]، ومنكر هذا بإطلاق؛ منكر لثابت في الدين ضرورة.

وأما قضية صدق النبوة؛ فلا يمتنع أن يجتمع الصدق الداخلي والخارجي، ولا تعارض، ولا تنافي بينهما.

الوجه الرابع:

وأخيراً فإن دعاء أن النبوة للبشر وحدهم هو ادعاء لا يشك مسلم في بطلانه:

١- وإلا فما معنى ما ورد في سورتي الأحقاف والجن عن الجن؟!.

---

(١) ينكر حسن حنفي أن يكون من وظيفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: الإخبار بالمغيبات المستقبلية، كما سيأتي بيانه والرد عليه، انظر ص: ٦٠٧-٦١٠.

٢- وإذا امتد ذلك إلى انكار وجود الجن أساساً؛ فيكون هذا كفراً على كفر[١].

٣- وادعاء أن الكلام عن الجن ونحوهم كلام عن موضوعات مفارقة لا تسمح بها نظرية العلم؛ كلام غير صحيح. فإن أراد بالعلم ونظريته ما هو متعارف لدى جماهير الناس؛ فأكثر الناس من غير المسلمين قد تكلموا قديما عن الجن، وأثبته الكثير منهم، والكثير من الناس قد كانت لهم خبرات معهم. وإذا لم يكن للبعض خبرة معهم، ولم يستطع أن تكون له مثل تلك الخبرة؛ فإنه لا يجوز له عقلاً أن ينكر ما شاهده وأحسه الآخرون، كما لو أن إنساناً لم يعط المقدرة على تعلم علم من الكونيات الحديثة، فإنه لا يصح منه أن ينكر ما توصل إليه القادرون على تعلم ذلك العلم.

وإن أراد (العلماني) نظرية للعلم هو قد وضعها؛ فلا يصح منه إلزام الآخرين بما لم يسلّموا له به، وما لم يقبلوه منه.

---

(١) انظر ما سبق: ٢٠١-٢٠٣.

القضية الثامنة: شبهات وأباطيل حول موضوعات الرسالة والوحي:

الشبهة الأولى: حول أن علوم النبوة سمعية لا عقلية:

يزعم (العلماني) أن: النبوة موضوع في السمعيات، وتبدأ النبوة باب السمعيات، لأنها الطريق إلى معرفة الأخبار المتعلقة بالمعاد والأسماء والأحكام والإمامة.

والنبوة أبعد الموضوعات عن التجريدات العقلية، والمقولات الفلسفية، وأقربها إلى اللغة الشائعة. وكذلك الأمر في سائر الموضوعات السمعية، مادام العقل قد غاب، ومفاهيمه قد اختفت، ولم يعد هناك إلا الشواهد السمعية، دون تأويل أوتعقيل أو تنظير. وهي أكثر الموضوعات اعتماداً على النص والأخبار تواتراً وآحاداً، لذلك كان موضوع الأخبار جزءاً منها. ومع ذلك يظهر الطابع الجدلي للدفاع والرد على الخصوم، وكأن مهمة العقل هي الدفاع عن مسلمات الإيمان، وأخبار السمع. وكذلك الحال في باقي الموضوعات السمعية، خاصة المعاد، وكأن القدماء قد اكتفوا بإعمال العقل في الإلهيات وحولوها إلى عقليات، وتركوا السمعيات لأجيال أخرى، تقطع النصف الثاني من الشوط، فيتحول العلم كله إلى عقليات. فإذا كان السلف قد قطعوا النصف الأول من الشوط؛ تكون مهمة الخلف قطع النصف الثاني منه، وبالتالي يتحول علم أصول الدين من علم عقلي نقلي؛ إلى علم عقلي خالص، لاحقاً بمجموعة العلوم العقلية)[1].

ومن الرد على الافتراءات السابقة:

إن المقالة الافترائية السابقة لا تصدر في حقيقة حالها -لمن تدبرها- إلا ممن ينكر النبوة أساساً، وممن لم يعرف قدر ما جاءت به الأنبياء على الحقيقة:

أولاً: إن أول ما في تلك المقالة الافترائية: إطلاقها حكماً عاماً على جميع ما جاءت به النبوات؛ أنه من باب الأخبار المحضة التي لا دخل للعقل فيها.

وهذا الافتراء يدحضه أن النبوات قد جاءت بإقرار حقائق ومبادئ الإيمان، وأركانه وأسسه، التي هي في غالبها أمور عقلية. ولم تأت بمجرد إقرارها، بل قرنت هذا بالأدلة العقلية والبراهين المؤيدة لتلك الحقائق.

ثم إن جاءت النبوات بعد ذلك بأمور هي من باب الأخبار المحضة؛ فهذا قد يكون تفصيلات لأمور أساسها عقلي، وتفصيلاتها هي من باب الأخبار، وهي مع ذلك لا تناقض العقل، بل هي مما تجيزه العقول حتما، وذلك كتفصيلات المعاد والجزاء الأخروي، وإن كانت الأدلة النصية قد جاءت بإقرار حصول المعاد بأسلوب الاستدلال العقلي، وكذلك أثبتت إمكانية حصول الصورة التي اختارها الله جل شأنه له، باستدلالات عقلية متعددة.

---

(١) انظر: من العقيدة إلى الثورة: المجلد الرابع: النبوات؛ حسن حنفي: ٥-٦.

وقد تأتي النبوات بأمور تحتار العقول في شأنها، فتدلها على الحق، وتهديها إليه. ففي النبوات إثبات وجود الرب سبحانه، وإثبات وحدانيته في الخلق والتدبير، ووجوب إفراده بالعبادة، كل ذلك بأدلة عقلية كثيرة. وقد جاء فيها أيضاً بيان لصفات الرب تبارك اسمه. فما احتارت في شأنه العقول إثباتاً أو نفيا؛ فإن النبوات تبين لها الحق في ذلك.

ثانياً: ثم إن تلك المقالة الافترائية تتضمن اتهاما كاذباً وعاماً لما جاءت به النبوات بأنه يعتمد على غياب العقل ومفاهيمه، وأنه من أقرب الموضوعات إلى اللغة الشائعة. وذلك الاتهام إنما يصدق على ما حدث بالنسبة إلى الرسالات السابقة، وذلك بسبب تدخل البشر بعقولهم القاصرة، وتحريفهم لما جاء فيها، وإدخالهم في ضمنها؛ ما أملته عليهم أهواؤهم وعقولهم السخيفة، من خرافات وأساطير ما أنزل الله سبحانه بها من سلطان، وربما قد استقوها من أمم ضالة سابقة، ابتعدت عن الاهتداء بأية هداية ربانية، واخترعت لنفسها ديانات وضعية، اعتمدت في وضعها على الأفكار والآراء، والأهواء والشهوات البشرية الساقطة.

وبسبب تلك الخرافات والأساطير المعتمدة على عقول البشر الضالة؛ فإن أرباب تلك الديانات -سواء منها الوضعية أو المحرفة عن أصل رباني منزل- قد اضطروا إلى أن يطلبوا من أتباعهم أن يعتقدوا بتلك الخرافات اعتقاداً أعمى، وحظروا على الأتباع أن يعملوا عقولهم.

ولكن ذلك الاتهام لا يمكن أن يصدق بحال على الرسالة الربانية الخاتمة، التي قد تكفل الله تبارك اسمه بحفظ أصولها، عن التبديل والتحريف والتغيير.

وإنما قد يصدق ذلك الاتهام في حق بعض المنتسبين إلى الرسالة الخاتمة، وهذا على حسب مقدار ما يدخلونه من التحريفات والتخريفات البشرية، المعتمدة على الأهواء والعقول الضالة.

أما الدين الحق كما أنزله الله عز وجل؛ فهو بريء من اتهامات (العلماني)، وكذلك أتباعه المؤمنون والعالمون به حقا، فإنه لا سبيل لذلك الاتهام أن يمس أحداً منهم مطلقا. فالدين الرباني الحق هو الذي أقام الدليل العقلي على القضايا والأسس والأركان؛ التي طالب الإنسان بالإيمان بها، وهو الذي طالب بإعمال العقول، ونعى على الذين لا يعقلون، قال جل ثناؤه:

﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠)﴾ الأنعام.

وقال تبارك اسمه:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (٢١٩)﴾ البقرة.

وقال جل جلاله:

﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (١٨٤)﴾ الأعراف.

وقال عز وجل:

﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون (٨)﴾ الروم.

وقال جل شأنه:

﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون (٢٤٢)﴾ البقرة.

وقال تعالى:

﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (١١٨)﴾ آل عمران.

وقال جل ذكره:

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠)﴾ الأنبياء.

وقال تبارك وتعالى:

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)﴾ الحج.

وقال جل ثناؤه:

﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً (٤٤)﴾ الفرقان.

وقال تبارك اسمه:

﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣)﴾ العنكبوت.

وقال جل جلاله:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩)﴾الأعراف.

ثالثاً: ثم إن اتهام ما جاءت به النبوات بأنه من أقرب الموضوعات إلى اللغة الشائعة؛ إن لم يكن هو عين اتهام السابقين من أهل الكفر لمن بعث إليهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ بأن ما جاؤوا به إنما هو أساطير الأولين؛ فهو قريب منه، وثيق الصلة به. فهذه اللغة الشائعة ليست إلا لغة العامة، الذين يتناقلون الأخبار فيما بينهم، دون تفكير عقلي سليم، ويأخذونها كمسلمات، ومن ثم يتكَوَّن إيمان العامة(١).

وهل يتفوه بمثل هذا الافتراء مَن عنده أدنى مثقال ذرة من إيمان بالنبوات؟!.

وهل يتصور بقاء شيء من الإيمان عند من يطلق أحكاماً عامة، لا يريد منها إلا نسف الأسس التي يزعم أنه مؤمن بها؟!.

وهل يوجد عاقل يزعم أنه مصدِّق بعلم من العلوم (الكونية على سبيل المثال) ومُؤمِن به، ثم يأتي ويقول: إن هذا العلم؛ علم لا فائدة منه مطلقاً، وجميع ما فيه إنما هو أقاويل وأساطير لا تدل على صحتها العقول، بل ينبغي إبطالها، والمستلزم لإبطال ذلك العلم من جذوره؟!.

إن ذلك الإطلاق التعميمي الافترائي (بأن ما جاءت به النبوات أقرب إلى اللغة الشائعة)؛ لو صدر من ملحد لما قبل منه ذلك التعميم، ولطولب بأن يحدّد ما يظنه (أو يدعيه) أنه من قبيل الأساطير، ومن ثم يناقَش عليه أمراً فأمراً.

رابعاً: والمقالة الافترائية السابقة تزعم أن دور العقل لدى الأقدمين قد أصبح هو الدفاع الجدلي عن مسلمات الإيمان السمعية.

وقد يستند بعض من يطلق مثل هذا الزعم على ما قام به فريق من علماء العقائد الأقدمين؛ من تقسيم هذا العلم إلى عقليات وسمعيات، وأدخلوا النبوات تحت باب السمعيات، ثم صاروا يجادلون عن القضايا التي أدخلوها تحت باب السمعيات، وينافحون عنها، بالدليل العقلي تارة، وبالدليل النصي تارة أخرى.

وكان يجب على من يريد الإنصاف أن يعترض على مثل ذلك التقسيم، إذ المعظم الغالب من القضايا التي جاءت النبوات بإثباتها؛ أساسه عقلي، ثم قد يوجد في بعض تلك القضايا تفصيلات، لا تثبت إلا بالنصوص السمعية الخبرية.

ثم إن كون تلك التفصيلات تعتمد على النص الخبري هو كذلك أمر يقره العقل المنصف

---

(١) انظر: استخدام حسن حنفي لهذه العبارة في كتابه: النبوات: ٥.

ويلاحظ أن حسن حنفي وأضرابه إنما يمجدون العقول المنكرة للنبوات وما جاءت به من الحق، وأما العقول المؤمنة بما جاءت به النبوات؛ فإنهم يكيلون عليها وعلى أصحابها شتى صنوف الاتهامات والتحقير، وتختفي فجأة لغة تمجيد العقول، ليحل بدلها لغة الاستهزاء والسخرية، دون الاعتماد في ذلك على أي معيار عقلي وعلمي سليم.

السليم، فأية قضية -ولو كان أساسها يثبته العقل السليم- إذا كانت تحتمل وجوها عدة لتحققها؛ فإن العقل نفسه يقضي: بأن معرفة الوجه المختار لتحققها؛ لا يعلم إلا بالنص الخبري.

ولا يبقى بعد ذلك إلا القليل من الأسس، والتي لاتثبت إلا بالنص الخبري، وهذا كالإيمان بوجود الملائكة عليهم السلام، أو الجن.

ولكن حتى مثل هذه القضايا تعتمد على أسس إيمانية؛ أدلتها عقلية ونقلية، ومنها: الإيمان بالله العظيم وبقدرته، وأنه جل جلاله يخلق ما يشاء من المُمْكِنات، ولا شك أن الملائكة عليهم السلام، والجن كذلك؛ من الأمور الممكنة، وكم من مخلوق لله عز وجل لم يحط به البشر علماً؟!.

ومن تلك الأسس أيضاً: الإيمان بصدق المخبِر عن الله جل شأنه، الذي هو النبي عليه السلام، وأَدِلّةُ صِدْقِهِ عقليةٌ. فإذا أخبر النبي عليه السلام بوجود مخلوق لله تبارك اسمه على هيئة معينة؛ فإنه لا يصح عقلا -لمن قامت عليه الحجة وصدق بها- أن ينكر وجود ذلك المخلوق، لأنه لم يدركه بوسائل معرفته الحسية، لأنه عندئذ إما أن يكون غير مؤمن بالله تعالى وبصفاته الكاملة، حق الإيمان، وإما هو غير مؤمن بالنبي عليه السلام وصدقه فيما أخبر به عن ربه عز وجل.

ثم ما هو الأمر العجيب في شأن الملائكة عليهم السلام أو الجن، وما يراه الإنسان من عظيم قدرة الرب تبارك اسمه لا حدود له. بل إن العقل لا يستبعد وجود الكثير جداً من المخلوقات لله تبارك اسمه، مما لم يطلع عليه البشر.

فتلك المخلوقات هي في حقيقة أمرها مخلوقات عادية، مثلها مثل سائر المخلوقات، من حيث كونها ممكِنة ومخلوقة لله عز وجل، وإن كانت تختلف من حيث مادة خلقها. وإنّ إنكار وجود مثل تلك المخلوقات؛ هو كإنكار وجود بعض الحقائق التاريخية، التي مضى عليها زمن بعيد، ولم يعد لها من الأدلة؛ إلا الأخبار الصادقة، كهجوم التتر على بلاد المسلمين، ونحو هذه الأخبار، والتي لا يقام لكلام منكِرِها أي وزن، في ميزان المنهج العلمي السليم.

خامساً: وصاحب المقالة الافترائية السابقة الذي زعم أن دور العقل لدى الأقدمين قد أصبح هو الدفاع الجدلي عن مسلمات الإيمان السمعية؛ إن قصد بزعمه هذا: النبوة من حيث ذاتها؛ فكلامه باطل كذلك.

فالنبوة من أسس الإيمان التي يستطيع العقل أن يستنبط لها حِكَماً كثيرة تتعلق بالبشر، وما كانت لتتحقق من دونها، وتلك الحكم في حقيقة أمرها؛ أدلة عقلية على تحقق النبوة، ووقوعها بالفعل[1].

---

(١) انظر ما سبق: ١٠٦-١٠٨.

سادساً: ثم إن ادعاء (العلماني) بأن السلف قد قطعوا نصف الشوط، بتحويلهم علم الإلهيات إلى علم عقلي؛ فيه تعميم باطل:

أ- فمن هم السلف الذين قاموا بمثل هذا العمل(١)؟!.

ب- ثم إنه ما من فرقة من فرق المسلمين إلا اعتمدت على بعض النصوص، في تأييد رأيها. فلا توجد فرقة مسلمة قد ادعت أن علم الإلهيات هو علم عقلي خالص، لا مدخل للنقل فيه أبداً.

إلا أن ما قام به بعضهم هو: أنه كان ينظر إلى القضية من قضايا باب الإلهيات بنظر عقلي، دون أن تغيب عن ذهنه النصوص الدينية. ولهذا فإنه ما من فرقة من فرق المسلمين إلا قد استشهدت بالنصوص الدينية في قضايا باب الإلهيات، وهذا يدل دلالة واضحة على أن النصوص كانت حاضرة في أذهانهم، ولكن خطأهم -عندما يوجد- يرجع إما إلى أنهم كانوا يقررون المسألة عقليا دون الاهتداء بالنص، ثم يحاولون أن يطوّعوا النص له، إذا كان ثابتاً ثبوتا لا يمكنهم رده بحال، وإما أن يرجع خطؤهم إلى أنهم لم يجمعوا كل النصوص الواردة في قضية معينة، ليفهموا الحق كاملاً(٢).

سابعاً: وكذلك فإن ادعاء أنه لم يوجد في الأقدمين من حوّل باب السمعيات إلى عقليات، أي إنه لم يوجد من أَوَّل جميع السمعيات؛ ادعاء غير صحيح.

فإن كان يقصد صاحب الفرية السابقة بعبارته (السلف) أيّةَ جماعة وجدت ضمن المسلمين في عصورهم السابقة؛ فقد وُجِد فيهم مِن الفرق الباطنية؛ مَن لم يدع أمراً مِن أمور الدين إلا أوّله على حسب أهوائه، وما يدّعيه أنه مقتضى العقل!، فهؤلاء قد أكملوا الطريق لمن أراد الوصول إلى الدرك الأسفل.

---

(١) يلاحظ أن صاحب تلك المقالة الافترائية: حسن حنفي قد انتقد عند كلامه في باب الإلهيات جميع كلام الفرق الإسلامية، والمنتسبة إلى الإسلام من المثبتين لوجود الله جل شأنه؛ والدائر حول إثبات وجوده جل ذكره بالأدلة والبراهين. فهو قد تجاوز جميع من أسماهم السلف، وهذا في أهم مواضيع باب الإلهيات، وليس له في هذا الموضوع من سلف، غير الملحدين المنكرين لوجود الخالق سبحانه، الذين لم يكن لهم إلا وجود نادر ضمن المجتمع المسلم، وأكثرهم كان ينتهي به الحال إلى تأليه البشر، أو أي مخلوق آخر. فإن كان: حسن حنفي يقصدهم؛ حينما ذكر كلمة (السلف)؛ فهم ليسوا إلا سلفا وقادة لأشباههم وأتباعهم، وكان ينبغي عليه أن يحدّدهم.

ثم إن أمثال هؤلاء قد أكملوا الطريق المزعوم، الذي يطالب حسن حنفي بإكماله، إذ هم منكرون أصلاً للنبوات، والجزاء الأخروي، وليس عندهم إلا الحياة الدنيا، فهي بداية المطاف ونهايته، وهو المآل الذي يطالب حسن حنفي باعتقاده ويرى فيه تجديداً للدين...!، انظر من ص: ٥٩٩، من: المجلد الرابع:(النبوة والمعاد) له.

ومخالفته وكفرياته في باب الإلهيات لا تنتهي، وليس له من سلف فيها إلا شذاذ الفرق المنتسبة إلى الإسلام، والإسلام والمسلمون منهم براء.

(٢) كما هو الحال لدى الجبرية والقدرية، فالأولى لم تنظر إلا إلى نصوص عموم خلق الله تبارك اسمه لكل شيء، والأخرى لم تنظر إلا إلى نصوص عدل الله جل جلاله، وكون الإنسان يكسب ويعمل ويجازى على عمله وكسبه.

الشبهة الثانية: حول إبطال بعض العلمانيين مضموناً ثابتاً من مضامين الرسالة (وهو الإخبار بالأمور المستقبلة):

زعم (العلماني): (أن وظيفة النبي في الرسالة الخاتمة لا تتضمن الإخبار بالمستقبل، فتلك كانت وظيفة الأنبياء السابقين، كدليل على الصدق، وطبقاً للمعنى الاشتقاقي للفظ في اللغة العبرية. أما المعنى في ختم النبوة؛ فهو تحليل الحاضر، وليس الإخبار بالمستقبل. وقد يستفيد من قصص الماضي، لأخذ الدروس والعبر منه. أما المستقبل فمرهون بفعل الحاضر، ومشروط باستمرارية الماضي في الحاضر. وقد ظن القدماء أن النبوة تنبؤ بالمستقبل وقراءة له، ويظن المعاصرون أن النبوة رجوع إلى الماضي، والنبوة في حقيقة الأمر هي تحليل للحاضر، في ضوء معرفة ما كان في الماضي، وفي ذلك استبصار للمستقبل، وما الحاضر إلا لحظة التقاء بينهما، يتم فيها كشف القوانين، ورؤية حركة التاريخ)[١].

وفيما يلي الرد على افتراءات (العلماني):

أولاً: إن زعم أن وظيفة النبي صلى ا لله عليه وسلم في الرسالة الخاتمة لا تتضمن الإخبار بالمستقبل؛ زعم ساقط:

١- فمِن أعظمِ ما أُمِرَ النبي صلى ا لله عليه وسلم بالإخبار عنه؛ أَمْر المعاد والجزاء الأخروي، وهو أحد أركان الإيمان، التي لا يعتبر الإنسان مسلماً حقيقة؛ إلا بالإيمان بها، وهو أمرٌ مستقبلي.

٢- هذا بالإضافة إلى ما أخبر عنه صلى ا لله عليه وسلم من أمور مستقبلية كثيرة، تحدث في هذه الحياة الدنيا، منها: ما حدث في حياته، ومنها: ما سيحدث، كأشراط الساعة، وقد ورد شيء من ذلك في الكتاب العزيز، كالإخبار عن فتح يأجوج ومأجوج والدابة، والإخبار عن غلب الروم للفرس، بعد أن غُلِبوا منهم، وغير ذلك.

قال جل شأنه:

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦)﴾ الأنبياء.

وقال تبارك اسمه:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ(٨٢)﴾ النمل.

وقال تعالى:

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٤-٢٥.

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾ الروم.

وقد حدث هذا فعلاً في حياته صلى ا لله عليه وسلم:

وأي قانون أو دراسة للماضي أو تحليل للحاضر يعطي المستبصر للمستقبل فكرة عن الآيات التي ستحدث في آخر الزمان، من خروج الدجال وإعطائه آيات كونية، والخسف في المشرق والمغرب وجزيرة العرب، والنار التي تخرج من عدن، والدخان، ونحو هذا؟!.

٣- ثم إن لفظ النبوة المشتق من النبأ، أي الخبر، وهو يشمل الأخبار الماضية والمستقبلية على حدٍ سواء، وليس هذا مقتصراً على لغة دون لغة، وليس هناك من داعٍ لتخصيص الخبر بالماضي أو الحاضر أو المستقبل. بل الواجب تعميمه، لأن هذا هو ما ثبت في النصوص الصحيحة، للرسالة الخاتمة.

ثانياً: وأما فوائد الإخبار بالأمور المستقبلية فكثيرة منها:

١- أنها أحد الأدلة -من ضمن الرسالة- لصدق الرسول صلى ا لله عليه وسلم، فكلما حدث أمر كان صلى ا لله عليه وسلم قد أخبر به؛ كان دليلاً جديداً على صدقه، يقوي ويجدد إيمان المؤمنين به، الذين قد اعتاد أكثرهم على ما بين أيديهم من البينات والبراهين، حتى أصابهم شيء من الغفلة عما فيها من الحق، الذي لا يمكن أن يأتي إلا من عند ا لله تعالى. وحجةً على غير المؤمن، إذا علم بأن الأمر الذي حدث؛ قد أخبر عنه المصطفى -صلى ا لله عليه وسلم-، وهو إما أن يستفيد ويؤمن، أو يكون حجة عليه يوم الدين، فلا تقبل منه المعاذير التي قد يتذرع بها.

٢- وفي الأخبار عن أشراط الساعة وعن قرب مجيئها؛ تحذير للمستمعين ليبادروا بالأعمال الصالحة، وكذلك هي تحذير قوي لمن يراها بأنه إن لم يتدارك نفسه؛ فقد تفوته الفرصة في أن يكون من عباد ا لله المؤمنين الصالحين، إذ قد تظهر بعدها الآيات التي لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً.

٣- وفي الأخبار عن الفتن المستقبلة؛ إرشاد لمن يسمعها إلى كيفية الهروب والنجاة منها، أو كيفية التعامل معها، التعامل الذي ينجيه من عاقبتها السيئة، ويكون من الذين لا تزيدهم تلك الفتن إلا إيماناً، ورفعة عند ا لله تعالى. وذلك كما أرشد الرسول صلى ا لله عليه وسلم الصحابة فمن بعدهم إلى

كيفية التعامل أثناء فتن الحروب من المسلمين(١)، أو أثناء فتنة الدجال(٢)، ونحو هذا.

٤- وفي الأخبار عن أمور مستقبلة تتعلق بصفات الفئة الناجية أو بصفات قائد يكتب ا لله على يديه نصرة للمسلمين؛ بيان واضح لمن يتبلغ ذلك الخبر؛ ليكون من أهل تلك الفرقة، أو مع ذلك القائد، كما في الخبر عن المهدي(٣).

---

(١) وذلك كحديث خالد بن عرفطة رضي لله عنه، الذي رواه أحمد والحاكم والطبراني، والذي قال فيه الرسول صلى ا لله عليه وسلم: "يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبد ا لله المقتول لا القاتل؛ فافعل"، وهذا لفظ أحمد. مسند أحمد: ٢٩٢/٥. وانظر: المستدرك على الصحيحين: ٣١٦/٣/ ح: ٥٢٢٣، ٥٦٢/٤/ ح: ٨٥٧٨. و: المعجم الكبير: ١٨٩/٤/ ح: ٤٠٩٩. و: الآحاد والمثاني: ٤٦٦/١/ ح: ٦٤٦.

وكذا ما رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد وابن حبان والحاكم والطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي ا لله عنه، واللفظ لأبي داود.والحديث هو: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة لفتنة كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً. القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي. كَسِّروا قسيّكم، وقَطِّعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحد بيته فليكن كخير ابني آدم".

سنن أبي داود: ١٠٠/٤/ ح ٤٢٥٩، ١٠١/٤/ ح: ٤٢٦٢، وصححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود. وانظر: سنن ابن ماجة: ١٣١٠/٢/ح: ٣٩٦١، وصححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجه. و: مسند أحمد: ٤١٦/٤. و: صحيح ابن حبان: ٢٩٧/١٣/ ح: ٥٩٦٢، وصححه الأرناؤوط. و: المستدرك على الصحيحين: ٤٨٧/٤/ ح: ٨٣٦٠، وقال الحاكم عن: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. و: المعجم الكبير: ١٧٧/٢/ ح: ١٧٢٤.

(٢) وذلك كما في الحديث الذي رواه النواس بن سمعان الكلابي رضي ا لله عنه، والذي فيه أوصاف الدجال وما يفعله، فقد أرشد الرسول صلى ا لله عليه وسلم من أدركه؛ أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إذ قال: "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف". وهو طرف من حديث طويل رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم والنسائي والطبراني، واللفظ لمسلم. صحيح مسلم: ٢٢٥٠/٤/ ح: ٢٩٣٧. وانظر: سنن أبي داود: ١١٧/٤/ ح: ٤٣٢١. و: سنن الترمذي: ٥١٠/٤/ ح: ٢٢٤٠. و: سنن ابن ماجة: ١٣٥٦/٢/ ح: ٤٠٧٥. و: مسند أحمد: ١٨١/٤، ٥٣٧. و: السنن الكبرى: ٢٣٥/٦/ ح: ١٠٧٨٣. و: مسند الشاميين: ٣٥٤/١/ ح: ٦١٤.

(٣) الذي قال فيه الرسول صلى ا لله عليه وسلم: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث ا لله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ".

رواه أبو داود وأحمد عن علي رضي ا لله عنه، واللفظ لأبي داود. وصحح الألباني الحديث في صحيح سنن أبي داود. وروى نحوه ابن ماجة عن علي رضي ا لله عنه أيضاً، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة. وروي نحو من هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه، رواه عنه أبو داود وأحمد وابن حبان، والحاكم وقال: هو على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في أحد رواياته، وأبو يعلى وقال عنه محقق الكتاب: حسين أسد: رجاله رجال الصحيح، والطبراني في الأوسط. وروي أيضاً نحو هذا الحديث عن عبد ا لله بن مسعود رضي ا لله عنه، رواه أبو داود، وقال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح، وابن حبان والطبراني في الصغير والأوسط والكبير. وروي أيضاً نحوه عن أبي هريرة رضي ا لله عنه، رواه الترمذي. وقال عنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: حسن صحيح.

سنن أبي داود: ١٠٧/٤/ ح: ٤٢٨٣، وانظر: ٤/ ١٠٦/ ح: ٤٢٨٢، ١٠٧/٤/ ح: ٤٢٨٥. و: سنن الترمذي: ٥٠٥/٤/ ح: ٢٢٣١. و: سنن ابن ماجه: ١٣٦٧/٢/ ح: ٤٠٨٥. و: مسند أحمد: ٩٩/١، ٣٧٧، ١٧/٣، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٥٢، وفي هذه المواضع روايات متعددة لأحمد عن عدد من الصحابة رضي ا لله عنهم. و: صحيح ابن حبان: ٢٣٦/١٥/ح: ٦٨٢٣، ٦٨٢٤، ٦٨٢٥. و: المستدرك على الصحيحين: ٦٠٠/٤-٦٠١/ ح: ٨٦٦٩، ٨٦٧٠، ٨٦٧٣، ٨٦٧٤. و: مسند أبي يعلى: ٢٧٤/٢/ ح: ٩٨٧. و: المعجم الصغير: ٢٨٩/٢/ ح: ١١٨١. و: المعجم الأوسط: ١٣٥/٢/ح: ١٢٥٥، ٤٧/٢/ح: ١٠٧٩. و: المعجم الكبير: ١٣٥/١٠/ ح: ١٠٢٢٤، ١٠/ ١٣٣/ ح: ١٠٢١٤، ١٣٤/١٠/ ح: ١٠٢١٩، ١٠٢٢٠.

٥- وبعد فإن الرسالة الخاتمة؛ رسالة تمتاز بالشمول من جميع جوانبها، ومن هذا أخبارها. فهي تخبر عن قصص الماضين، لتكون عبرة وعظة لمن يسمعها. وتخبر عن الأخبار المستقبلة، ليُؤْمن من يريد الهداية، ويزداد الذين آمنوا إيماناً. وتخبر عن الحاضر وتحلله، فتحق الحق، وتصحح ما فيه من خطأ، وتبين جوانب فيه، لم يعلمها من عايشوا هذا الحاضر، ليكون في هذا أثر كبير لتصحيح مسيرة الأمة، وجعلها على السبيل الأقوم.

الشبهة الثالثة: حول دعوى بعض العلمانيين عدم أهمية البحث في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما يتعلق به:

زعم (العلماني): (أن النبوة كالرسالة، تتضمن أطرافاً أربعة: المرسِل، وهو الله -جل شأنه-، وهذا موضوع علم التوحيد، ولا يدرس هنا. ومرسَل إليه، وهو: النبي. ومرسَل إليهم، وهم: العباد. ومرسَل، وهو: الشيء. وأهم طرف من هذه الأطراف الأربعة: المرسَل إليهم، والرسالة. أما المرسِل؛ فقد دُرِس. وأما المرسَل إليه، أي: شخص النبي؛ فهو ليس أحد موضوعات النبوة، ومعنى زائد في تعريفها، فهو مجرد واسطة، لإيصال الرسالة، من المرسِل إلى المرسَل إليهم، وليس جزأً من النبوة بشخصه، ويكفيه أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ولو اختفى بعد ذلك، فالمهم وجود الرسالة، والمرسَل إليهم، الذين يحققون تلك الرسالة في التاريخ، (فالنبوة لا ترجع إلى جسم النبي، أو إلى عَرَض من أعراضه، أو حتى إلى علمه بربه، فذاك يقع من غير نبوة. أو علم النبي بكونه نبياً، فالمعلوم غير معلوم بعد...)[(١)].

ومن الرد على الافتراءات السابقات:

كثيراً ما يدندن العلمانيون حول مسألة عدم أهمية شخص النبي عليه السلام؛ عند دراسة النبوة وما يتعلق بها، وهم في هذا كاذبون:

أولاً: إن هذا الزعم الباطل يعارض ما ورد صريحاً في القرآن الكريم؛ من تكريم الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام، والإشارة إلى فضلهم، وإلى وجوب الإيمان بهم جميعاً دون تفريق، وإلى إيجاب وجود الاحترام والتبجيل في نفوس البشر تجاههم، من أجل ذلك كان التسليم عليهم ثابتاً كلما ذكروا، ويتأكد هذا في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[(٢)]، وقد قال جل شأنه:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)﴾ الفتح.

ففي هذه الآية إيجاب ظاهر من الله تعالى للمؤمنين بأن يعزروا رسولَه صلى الله عليه وسلم، ويوقروه، وكلاهما يدور حول معاني النصرة له صلى الله عليه وسلم، وطاعته وتعظيمه وإجلاله واحترامه وتفخيم منزلته عليه السلام[(٣)]، فمن ادعى أنه مؤمن بالقرآن الكريم؛ فهذا هو ما أمر الله جل جلاله به المؤمنين، أمراً واضحاً صريحاً مباشراً.

---

(١) انظر: النبوة: حسن حنفي: ٢٥-٢٦.

(٢) انظر ما سيأتي: ٦١٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٧٤-٧٥. و: تفسير ابن كثير: ٤/١٨٦.

ثانياً: هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن علم التاريخ قد قام على دراسة الأشخاص، وما قاموا به من أعمال، ويشمل هذا كل ما يتعلق بأدق صفاتهم وأحوالهم، ومنها: الصفات الخَلقية. وإن دخل شيء من ذلك بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام في بعض كتب العقائد؛ فهذا لأنهم أحد الأركان الرئيسية التي لا يتم إيمان المؤمن إلا بها. إلا أن أكثر كتب العقائد إنما تهتم بالصفات التي لها تعلق ظاهر بالعقيدة. وأما سيرة حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وما يتعلق بجميع صفاته، فقد أفردت لها كتب خاصة، تعرف بكتب السيرة النبوية، أو الشمائل أو نحو هذا، أو في كتب الحديث الجامعة.

ثالثاً: وإذا كان الناس يحبون أن يعرفوا سِير عظمائهم، وكل ما يتعلق بأحوالهم، حتى تلك المتعلقة بصفاتهم الجسدية، وطريقة معيشتهم، أفلا يكون ذلك ثابتاً للنبي عليه السلام؟!. ومن أراد الدليل على ذلك فليذهب إلى متاحف الآثار التي تعرض الأدوات، التي كان يستخدمها الأقدمون لمعيشة حياتهم، أو التي تعرض شيئاً من لباس بعض العظماء، أو شيئاً من خصوصياتهم، وسيرى الناظر أعداداً جمة تهتم بمثل هذه الأمور، ولو كان أولئك الأشخاص ليسوا من سَلَفِهم الذين يعتزون بهم.

رابعاً: ثم كيف لا يكون شخص النبي عليه السلام أحد موضوعات النبوة؛ وهو ركن أساس فيها؛ كما صرح (العلماني)، فالرسالة كما قال: لها أطراف أربعة، أحدها الرسول عليه السلام، ويُسقِط هذا الطرف فجأة من الاعتبار، بدعوى أنه لا أهمية لدراسته.

خامساً: والنبي عليه السلام هو أول من قام بحمل أعباء إبلاغ الدعوة، وعمل وبذل وتصرف في أساليب الإبلاغ، وجابه أنواع التحديات. وعمل على إصلاح الناس وهدايتهم. وكان له مع كل موقف يواجهه؛ نوع من التعامل، خاص به وملائم له. ومنهم عليهم السلام من أقام دولة، قائمة في جميع شؤونها على منهج الله تبارك اسمه، وكان له في جميع ذلك الجهاد العظيم. أفلا يستحق مثل ذلك كله أن يُسَجَّلَ، وأن يهتمّ الأتباع بدراسته دواماً، ليكون نبراساً يضيء المسلك الذي يحقق لهم السعادة الدنيوية والأخروية، وليتأسوا ويقتدوا به في مسيرة حياتهم؟!.

وهذا كله يستدعي دراسة الصفات النفسية للنبي عليه السلام، التي ساعدته على القيام بما كلف به خير قيام، وكثير من تلك الصفات يجب على البشر أن يتحلوا بها.

وإذا شمل ذلك بعض الصفات الخَلقية، فقد يدلنا هذا على ما وهبه الله جل ثناؤه للنبي عليه السلام في هذا الجانب من الأمور التي ساعدته على إتمام مهمته، على أحسن وجه. وقد يستفاد من ذلك عند اختيار الشخص المناسب للقيام بعمل دعوي، أو جهادي معين. فلربما كان أحد الشخصين أكثر ملاءمة للقيام بذلك العمل، من آخر يوازيه في سائر الصفات، إلا فيما يتعلق ببعض الصفات الخَلقية، التي وجد أنها في أحدهما أكثر ملاءمة لهذا العمل من الآخر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾ البقرة.

فزيادة البسطة في الجسم كانت أحد المرجحات لاختيار طالوت؛ من سائر بني إسرائيل، ملكاً عليهم.

سادساً: ثم إن النبي عليه السلام هو بشر من البشر وهو أول مكلَّف بتأدية رسالته. قال تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)﴾ الأنعام.

وقال جل ثناؤه:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ(١٢)﴾ الزمر.

وإن خالف النبي عليه السلام رسالته فهو معرض للمؤاخذة، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ الزمر.

فالنبي عليه السلام هو أحرص أمته على اتباع رسالته، قال صلى الله عليه وسلم:

"أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له"[١].

وعلى ذلك فإن النبي عليه السلام إذا لم يُدْرَس على أنه مبعوث من عند الله تعالى؛ أفلا يُدْرَس على أنه من المرسَل إليهم، كسائر أتباعه؟!. قد قام بتطبيق الدعوة عملياً، في حياته الخاصة والعامة، فأثبت بالدليل العملي؛ إمكانية تطبيق الدعوة الربانية، في واقع البشر، في هذه الحياة.

سابعاً: وبعد؛ فإن صاحب هذه الشبهة إن كان يقصد بشبهته مجرد صفات النبي عليه السلام الخَلقية، وأنه لا تنبغي دراستها؛ فقد تبين خطؤه مما سبق. وإن كان يقصد ألا تدرس في كتب العقائد؛ فلكل مؤلف منهجه، ومنهم من يحب الاستيعاب، أو الدلالة على أن الله تعالى لم يختر للنبوة إلا أفضل الخلق خَلْقاً وخُلُقاً، ومن ثم يكون في بيان شيء من الصفات الخَلْقية والخُلُقية؛ إيضاح لما اختصهم الله

(١) رواه مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: ٧٧٩/٢/ح: ١١٠٨.

جل ذكره به من أمور كانت من الأسباب التي حققت لهم تلك الأفضلية. ولا شك أن التنصيص على أنهم أفضل الخلق، هو جزء أساس من أجزاء الإيمان بهم. ولو كان صاحب الشبهة يقصد أنه لا حاجة لدراسة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، فبطلانه أظهر من أن يُنَبّه عليه[1]، وافتراؤه هذا يدل على عدم إيمانه بهم أصلا، وأن غايته الحقيقية هي: إبعاد المؤمنين عن دراسة سيرة نبيهم عليه السلام، لئلا يؤدي هذا إلى تعلقهم به، ومن ثم اهتدائهم بهديه دواما. وفي دركة تالية يتم إبعاد المؤمنين عن الرسالة نفسها، التي لم يوجد من طبقها التطبيق الكامل!!. وهذا من أبين خطوات الشياطين، الموصلة للهاوية .

---

(١) وهذا ما يشير إليه كلام: حسن حنفي، إذا قرئ كاملاً، وما يشير إليه كذلك في مواضع عدة، كما سيأتي الرد عليه، انظر: الشبهة التالية.

الشبهة الرابعة: بعض أباطيل العلمانيين حول: موضوع مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في الوحي:

زعم (العلماني):

(أن الوحي من المبادئ العامة في المعرفة الإنسانية، لا شخص النبي[١]، وموضوعه حياة البشر وصالح الناس، وليس شخص المرسَل أو الرسول)[٢].

ومن الرد على الافتراءات السابقات:

أولاً: إنه ليس لبشر أن يقرر ما الذي ينبغي أن يتناوله الوحي، وما الذي ينبغي ألا يتناوله، فالوحي كله من الله تبارك اسمه، وهو وحده عز وجل المتفرد في تحديد ما الذي ينبغي أن يأتي في وحيه.

والوحي الذي جاء من عند الله عز وجل قد شمل فيما شمل:

١- الإخبار عن رسل الله عليهم السلام، وعن أخبارهم وأخلاقهم، ليكونوا قدوة للمؤمنين.

قال الله عز وجل:

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...(٩٠)﴾ الأنعام.

وقال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً(٢١)﴾ الأحزاب.

وشمل أيضاً: الكلام عن مكانتهم وفضلهم ورفيع درجاتهم عند الله تعالى، وما امتن به عليهم من دون سائر الخلق؛ في الكثير من آيات الكتاب العزيز، فقال الله عز وجل:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ (٤٧)﴾ ص.

وقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياًّ (٥٧)﴾ مريم.

وقال تعالى:

---

(١) أي: لا علاقة له بشخص النبي عليه السلام.

(٢) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٢.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ (٤٨)﴾ ص.

وقال تعالى:

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)﴾ النحل.

وذلك عند الكلام عن إبراهيم عليه السلام.

وقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً (٣)﴾ الفتح.

وقال له أيضاً:

﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى(٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨)﴾ الضحى.

وقال له أيضاً:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ الشرح.

إلى غير ذلك من آيات عديدة.

٣- هذا بالإضافة إلى ما جاء في الكتاب الحكيم من وجوب الإيمان بهم جميعاً، وعدم التفريق بينهم، وأن من لم يؤمن بهم جميعاً فهو من الكافرين حقاً عند الله تعالى.

فقال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (١٥٢)﴾ النساء.

٤- ثم إن الله سبحانه قد سَلَّمَ على رسله عليهم السلام، وأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالسلام عليهم، وهو أمر يشمل أمته، وأخبر عن بعضهم أنه ترك عليهم في الآخرين، السلامَ عليهم، وهذا خبر فيه معنى الأمر لهذه الأمة. وإن الذي ثبت لبعضهم؛ ثابت لجميعهم، إذ لا فرق بينهم في ذلك. وأمر جل ذكره بالصلاة والسلام على خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأخبر أنه يصلي عليه، وملائكته عليهم السلام.

قال جل شأنه:

﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)﴾ الصافات.

وقال جل جلاله:

﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى... (٥٩)﴾ النمل.[١]

وقال جل ذكره:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ (٧٩)﴾ الصافات.

وقال جل ثناؤه:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)﴾ الصافات.

وقال عز وجل:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ (١١٩) سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠)﴾ الصافات.

وقال تبارك اسمه:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾ الصافات.

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً(٥٦)﴾ الأحزاب.

فهذا كله وغيره كثير مما يدل على أن الوحي لم يهمل شأن الرسول عليه السلام في ذاته، فهو أحد الأركان التي يجب الإيمان بها[٢].

ثانياً: ويبقى قول (العلماني) عن الوحي إنه: (هو المبادئ العامة في المعرفة الإنسانية)، وهذا القول يوضحه في مكان آخر بقوله:

---

(١) بين ابن كثير رحمه الله معنى الآية بقوله: (يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿الحمد لله﴾، وأن يُسَلِّم على عباده الذين اصطفاهم واختارهم، وهم أنبياؤه الكرام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام)، ثم بَيَّن أنه لا منافاة بين هذا؛ وبين القول بأن المراد بالمصطفين في الآية هم: صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يمكن الجمع. انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٣٦٩/٣.

(٢) سبق قبل قليل بيان الحكمة من الحديث حول ذات الرسول عليه السلام، انظر: الرد على الشبهة السابقة.

(والوحي علم مستقل بذاته، يستنبطه الإنسان، ويضع قواعده وأصوله. لا هو بعلوم الدين، ولا هو بعلوم الدنيا!. هو علم المبادئ الأولى التي تقوم عليها العلوم جميعاً، وهي مبادئ عقلية وطبيعية، شعورية ووجودية في آن واحد!!)[1].

ومما يرد به على ما ادعاه:

١- إن من المبادئ الأولية التي ينبغي لكل باحث في مجال من مجالات العلوم أن يلتزم بها؛ أن يتبع ما تواضع عليه أهل هذه العلوم من مصطلحات، على المعاني التي بيّنوها لكل مصطلح. فإن كان له بعد ذلك مناقشة، أو أراد تعديلاً؛ فإنه لابد أن يبين المصطلح بمعناه كاملاً، على ما هو لدى علماء هذا المجال، ثم يبين ما عنده من مناقشات، أو تعديل أو تصحيح، ويشرح ذلك بالدليل الواضح.

٢- وأما أن يأتي إلى مصطلح علمي فيضع له معنى من عنده من غير ما دليل ولا برهان، مخالفاً بذلك علماء هذا الشأن، فإن هذا عندئذ يعتبر مخالفة لأساس من أسس البحث العلمي، وهي وحدها كافية لإسقاط أية قيمة علمية لكلام صاحبها.

فكيف إذا كانت هذه المخالفة لمعاني دينية ثابتة وواضحة، ومعلومة لدى كل ملتزم بهذا الدين، أو باحث فيه؟!!.

٣- قد لا يستطيع الكثير من الناس ذكر عبارة علمية منهجية لتعريف الوحي، ولكن أحداً لا يجهل أن الوحي الشرعي هو: إعلام الله رسولاً من رسله، أو نبياً من أنبيائه عليهم السلام، بما يريد أن يعلمهم به، بوسيلة يختارها سبحانه.

وعن طريق الوحي تُستَقى جميع الحقائق الدينية، العقدية والعملية. وإذا اشتمل على بعض العلوم الكونية والتاريخية والخبرية وغيرها؛ فلحكمة تتعلق بإثبات الحقائق الدينية وتوضيحها، أو للتثبيت، أو للبشرى أو للتحذير، ونحو هذا مما له صلة ببيان الدين الرباني والدعوة إليه، ونصر أهله.

قال جل شأنه:

﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ... (١٩)﴾ الأنعام.

وقال تبارك اسمه:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...(١٣)﴾ الشورى.

وقال سبحانه:

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي، ص: ٣٦.

﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾ الأنعام.

وقال جل جلاله:

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨)﴾ طه.

إن هذا المعنى للوحي الشرعي عند المؤمنين به؛ هو من البدهيات التي لا يتوقف عندها الباحث، إلا من أجل استكمال أركان البحث المنهجية. ولكن يبدو أن دعاوى التطوير والتجديد والثورة[1]؛ قد دفعت ببعض أصحابها إلى مخالفة أوليّات أسس المناهج العلمية، في سبيل نسف كل قديم، وابتداع جديد، ولو أدى هذا التجديد إلى السقوط في هاوية الجهل غير المسبوق!.

٤- إن الفقيه والعالم يستنبط الحقائق والعلوم الدينية مما جاء عن طريق الوحي، ويضع من خلال نصوصه وأدلته؛ قواعد وأصولاً لفهم العقائد الإيمانية والأحكام الشرعية، ولكنه لا يقال إنه يستنبط الوحي نفسه، إذ الوحي: إعلام من عند الله لعبد من عباده المرسلين عليهم السلام، فالعبد المرسَل عليه السلام يتلقاه، ثم يبلغه، كما تلقاه نصاً، ثم يتدبره أهل التدبر لاستنباط الأحكام منه. ولا يقال إن العالم يضع قواعد وأصول الوحي، لأنه ليس هو الذي يخترع الوحي ويكتشفه. ولكنه يقال: إنه يضع قواعد وأصولاً لفهم ما جاء به الوحي.

٥- وأما كون ما يأتي به الوحي ليس بعلوم الدين؛ فهذا من الباطل الذي يشهد على مدعيه بأنه كذاب أشر، ولا يظن أنه يوجد باحث في الأمور العلمية، يرضى أن يصدر عنه مثل هذا الافتراء المفضوح. إن العلمانيين إذا لم يجدوا تجديداً تقبله العقول، فلا غضاضة عندهم من الانتقال إلى تجديد لا يدخل في دوائر المعقول!!.

ويؤكد (العلماني) زعمه: بادعائه أن الوحي هو المبادئ العامة، أو علم المبائ العامة التي تقوم عليها العلوم جميعاً، وأنها مبادئ عقلية وطبعية، شعورية ووجودية في آن واحد. فيجرد الوحي من مضمونه، ويضع له مضموناً آخر من عنده، ويجعل الوحي علماً إنسانياً وضعياً، لا أنه وسيلة للإعلام الرباني. فهو بهذا لم يخالف أهل الحق فحسب؛ بل خالف من لديه ذرة عقل، من أهل الباطل، ممن لا يجهلون معنى الوحي عند المؤمنين به.

٦- إن صاحب هذه الدعوى لم يعتمد فيها لا على استنباط من الأدلة الشرعية؛ ولا على ما أجمع عليه المؤمنون بهذا الدين، بل يحاول بجرأة -أشد من جرأة إبليس- أن يهدم الطريق الذي جاءت من خلاله الرسالة الربانية إلى البشر، بمجرد الدعاوى الكاذبة المفضوحة.

---

(١) هذه هي الأسس التي قام عليها مشروع حسن حنفي في مجال إعادة بناء علم أصول الدين!!.

٧- قد يشتمل ما جاء به الوحي على مبادئ عامة للمعرفة الإنسانية، وقد يشتمل على مبادئ تقوم عليها العلوم جميعاً، أو قد يمكن استنباط مثل هذه المبادئ من النصوص المنزلة، ولكن الوحي لا ينحصر في هذه الأمور. وإذا جاءت فيه مثل تلك المبادئ؛ فإنها تكون كسائر ما يأتي فيه من أمور، فكلها منزلة من عند الله تعالى على رسوله عليه السلام، وهو من ثم يبلغها إلى الخلق، فيؤمن بها مَن يؤمن، ويستفيد منها مَن يستفيد، بحسب ما وهبه الله جل ذكره له من فهم وعقل. ويكفر بها مَن يكفر، ويحرم نفسه مِن الاستفادة منها.

القضية التاسعة: شبهات وأباطيل ومغالطات حول آيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات):

لا شك أن آيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات) هي من أظهر الأدلة للإيمان بهم، وبما جاؤوا به. ويقصد بالآيات هنا ما كان فيه خرق للعادة، من الأمور المادية.

ونظراً إلى وضوح هذا الدليل وكونه سبباً لإيمان كثير ممن سبق، أو لتثبيت إيمان المؤمنين، والعلمانيون يحاولون جهدهم صد الناس عن أي سبيل يقودهم إلى الإيمان الحق.

ونظراً إلى أن العلمانيين -أو معظمهم- ليس عندهم -في حقيقة الحال- إلا الإنسان والطبيعة، بحيث يصح أن يُنْسَب إليهم أنهم عبّاد الإنسان أو عقله أو عباد الطبيعة، وإن تظاهروا بأنهم من المسلمين.

ونظراً إلى أن عقيدة الإيمان بوجود الآيات المعجزات هي إحدى العقائد المقررة شرعاً، وقد تبين أن العلمانيين لم يتركوا عقيدة أو شريعة جاء بإثباتها الدين إلا تناولوها بالتحريف أو الإبطال.

نظراً لذلك كله؛ فقد كان للآيات المعجزات نصيب وافر من شبه بعض العلمانيين ومغالطاتهم وأباطيلهم.

ومن أمثلة ذلك؛ ما ذكره أحدهم من شبهات عديدات، تناول فيها حقيقة تلك الآيات، من جوانب متعددة، ليصل إلى إبطالها بالكلية.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ (٨)﴾ الصف.

وسيتبين أن إنكار (العلماني) وقبيله للآيات المعجزات لا يستند إلا إلى مجرد إيهامات وزخرف من القول، لا يقوم على أدنى شبهة، فضلاً عن برهان أو حجة.

وقبل إيراد بعض شبه (العلماني) ودحضها؛ فإنه لابد من إيضاح: أن أي منكر للآيات المعجزات المادية؛ هو منكر بالضرورة لأمر قد تواتر وروده في القرآن الكريم، على وجه يستحيل معه تأويل تلك الآيات بأمور معنوية. ولهذا فإن منكر تلك الآيات كافر بالدين خارج من الملة بالكلية.

ثم: أي حظ من الإيمان بالخالق جل وعلا وقدرته؛ لدى من لا يؤمن بأنه تعالى قد يخلق أمراً، يؤيد فيه عبداً من عبيده؟!. فهل يستحيل على خالق الكون بهذا النظام المتكامل؛ أن يخلق في وقت ما؛ أمراً يؤيد فيه نبياً أو رسولاً؟!. وما وجه الاستحالة أو الغرابة في هذا؟!، إلا عند من لم يؤمن بالرب الخالق تبارك اسمه أصلاً. وهو في حقيقته لا يؤمن إلا بِكَوْنٍ قد خُلِق بالمصادفة، ووضع قوانيه بنفسه!. ومثل هذا بدل أن يرتقي بفكره ونفسه إلى الإيمان بالخالق العليم الحكيم الخبير القدير جل وعلا؛ تَسَفَّل إلى أن نسب الخلق إلىطبيعة جاهلة جامدة لا تعي شيئاً، ولا تقصد خيراً ولا شراً...

ومن شبهات هذا (العلماني) التي تناول فيها الآيات (المعجزات) وحقائقها ما يلي:

الشبهة الأولى:

وجه (العلماني) انتقاده الشديد إلى المعنى اللغوي لكلمة (المعجزة)، والمأخوذة من العجز، الذي هو نقيض القدرة، فقال:

إنه يقصد من هذا إثبات عجز الإنسان، ونفي قدرته. وإثبات قدرة الله -تعالى-، ونفي عجزه. وهو -جل جلاله- فاعل المعجز في غيره. وكأن هدف المعجزة ليس هو الدلالة على صدق النبي -عليه السلام-؛ وإنما هو إقامة الدليل على قدرة الله -جل ثناؤه-، وعلى ألوهيته، وكأنه -سبحانه- في حاجة إلى صدق ألوهيته، وتصديق الناس له!.

ولماذا يكون تعظيم الله -تبارك اسمه- على حساب الإنسان؟!، وهل تثبت قدرة الله -تعالى- بإثبات عجز الإنسان؟!، وهل عجز الإنسان شرط لإثبات قدرة الله -عز وجل-؟!، وهل نحتاج لإثبات قدرة الفيل؛ إثبات عجز النملة؟!، أو لإثبات قدرة الأسد؛ إثبات عجز الفأر؟!، ألا يمكن إثبات قدرة الإنسان وقدرة الله -جل شأنه- في نفس الوقت؟، إن إثبات قدرة الله -جل ثناؤه- ليس تعظيماً له؛ مادامت على حساب قدرة الإنسان. وإن قدرة الله -تعالى- أعظم من أن تثبت بعجز الإنسان، فإذا كان هدف المعجزة إثبات قدرة مطلقة فوق قدرة الإنسان المحدودة؛ فهذا ليس غاية الوحي، بل إن غاية الوحي عكس ذلك تماماً، إثبات أن لا قدرة فوق الإنسان، وأن الإنسان قادر قدرة مطلقة. غاية الوحي رفض قوى الطبيعة والسيطرة وقوى الطغاة العاتية، وقوى البخت والمصادفة، وكل القوى غير العاقلة. إذا كانت الغاية من المعجزة إثبات قدرة مطلقة؛ فهذه لا تحتاج إلى إثبات...، كما أن ذلك موضوع قد سبق إثباته في التوحيد في الصفات، العلم والقدرة والحياة. وكيف يوضع الإنسان والله -سبحانه- متكافئين في الإثبات والنفي؟، وكيف تصور العلاقة بينهما عكسية وليست طردية؟، إن الأَوْلى عند إثبات قدرة الله -تعالى-؛ إثبات قدرة الإنسان، فالعلاقة بينهما علاقة الوعي الخالص بالوعي المتعين، علاقة الإنسان الكامل بالإنسان المتعين!!.

كما أن إثبات عجز الإنسان حطة في شأنه، وتجويز العبث والظلم على الله -سبحانه وتعالى-، فكيف يخلق الله -عز وجل- إنساناً عاجزاً ثم يطالبه بالتكليف؟، والأَوْلى أن يخلق الله القادر -تعالى-؛ الإنسانَ قادراً، ولو كان الإنسان عاجزاً؛ لكان الله -سبحانه- عاجزاً مثله[1]. ا.هـ.

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٦٥-٦٦.

إنه مهما حاول أي إنسان أن يبحث عن مثال تجتمع فيه مغالطات وتمويهات، وأباطيل وشبهات، وضلالات عديدات، وسخافات لا يمكن أن تصدر عمن لديه أدنى تقدير لمن يقرأ كلامه؛ فإنه لا يكاد يجد مثل ما سبق نقله. إذ فيه خلط عجيب بين أمور مفككة، لا يقصد منه إلا إخفاء الحق بزخرف من القول، بالإضافة إلى ما فيه من مناقضات للحق ظاهرة.

وبصفة عامة؛ فإن أظهر النقاط التي تناولها (العلماني) في شبهته السابقة؛ هي:

أولاً: هل يمكن أن تكون الآيات المعجزات دليلاً على وجود الله تبارك اسمه، وعلى قدرته، وتفرده بالخلق والتدبير، مع دلالتها على صدق الأنبياء عليهم السلام؟.

ثانياً: هل الله تعالى في حاجة إلى إقامة الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفاته الحسنى؟!.

ثالثاً: هل يوجد وجه للمقارنة بين الله -سبحانه- وبين خلقه؟!.

رابعاً: هل الوحي إنما جاء لبيان عجز الإنسان وأنه لا قدرة له، أم أنه له غاية أخرى؟!.

خامساً: وهل العلاقة بين الخالق جل وعلا والمخلوق -الإنسان- علاقة طردية أم عكسية؟، بحسب ما ذكره (العلماني) في فريته السابقة.

ومن الرد على الافتراءات السابقة (للعلماني) المصر على التظاهر بالانتماء إلى الدين وأهله:

أولاً: إن قضية أن الله جل ثناؤه له القدرة الكاملة وكذا بالنسبة إلى سائر الصفات، وأن صفات الإنسان أو أي مخلوق -كائناً من كان- من القدرة أو الحياة أو العلم أو غير هذا من الصفات؛ هي صفات محدودة من كل وجه، وهي هبة من لدن خالقه جل وعلا، وأنه لا مجال أصلاً؛ لإجراء أدنى مقارنة بين أية صفة ربانية؛ وبين أية صفة من صفات المخلوق المتوافقة معه؛ فهذا كله أمر بدهي عند كل من لديه إيمان ما بالخالق جل وعلا، وكل مَظاهِر الوجود أدلة على تلك الحقائق.

ثانياً: إنه لا ريب أن الآيات المعجزات هي أدلة على صدق الأنبياء عليهم السلام، إلا أن هذا في حق من عنده إيمان بوجود الخالق الحكيم العليم جلا وعلا. ولكن ما هو حال من وصل في انتكاسته إلى دركة أنكر معها وجود خالق عليم خبير لهذا الكون، وأصبح يزعم أن هذا الكون قد أوجد نفسه مصادفة، وهو من وضع لنفسه قوانينه وسننه، المنظمة والبالغة الدقة، والمحكمة غاية الإحكام، والتي لا يمكن أن تصدر مطلقاً إلا ممن له كمال الحكمة والعلم والقدرة؟!.

إن دلالة هذا الكون المخلوق وما فيه من قوانين وسنن ربانية؛ على عظم قدرة الرب جل وعلا، وعلمه وحكمته، وكمال هذه الصفات وسائر صفاته تبارك اسمه، من جهة؛ وعلى مدى مكانة

الإنسان الحقيقية في هذا الكون؛ أعظم من دلالة المعجزات المادية. ولكن الإنسان كثيراً ما يتبلد حسه أمام الأمور المتكررة، مهما كانت دلالتها على الحق ظاهرة، بينما تأتي أمور قد لا تكون في مثل دلالتها، ولكنها توقظه من غفلته، بسبب ما فيها من مخالفة للأمور المعتادة. وهذا ما تفعله الآية المعجزة المادية في نفوس فريق من البشر، فتجعلهم يتنبهون إلى أن هذه السنن التي يرونها؛ ليست أبدية أزلية، بل إنها مخلوقة، قد أوجدها بإرادته؛ حكيمٌ عليمٌ قديرٌ جل وعلا، وهو قادر إن شاء الله على تغييرها.

وذلك لا يعني أنه لن يبقى من البشر من وصل في انطماس بصيرته إلى دركة لا يتيقظ معها من غفلته؛ إلا بعد أن يصير في العذاب الأليم.

ثالثاً: إن إقامة البراهين المتنوعة الدالة على الحق؛ ليس لأن الله جل جلاله في حاجة إلى أن يؤمن به أحد أو يصدقه أحد، فإن خلقه كلهم لو اجتمعوا فلن يبلغوا نفعه أو ضره بأي شيء، سبحانه وتعالى، ولو كانوا على أتقى قلب رجل واحد مازاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، جل شأنه.

وعلى هذا فإن الحكمة من تلك البراهين المتنوعة هي: لإقامة الحجة على العباد، فتنقطع معاذير المكلفين، إذا وقفوا لحساب يوم الدين. وهي إحدى الحكم المقصودة من إرسال الرسل، وبعث الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى:

﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٦٥)﴾ النساء.

رابعاً: إن المقارنة بين الخالق جل شأنه، ذي الأسماء الحسنى والصفات الكاملة؛ وبين المخلوق ذي الصفات الملائمة له؛ ليست واردة أصلاً، إذ لا مجال للمقارنة ولا وجه للشبه.

ولكن البعض قد يضطر إلى شيء منها، إما في مجال إفهام المبتدئين في تحصيل العلم؛ وإما في مجال مجادلة من وصل إلى غاية ونهاية الإصرار على الجهل والمكابرة والعناد، وأصبح يظن أن المخلوق قد يقوم مقام الخالق، سبحانه وتعالى، أو أنه قد يصل في شيء من صفاته وأفعاله؛ إلى مستوى صفات وأفعال الرب جل شأنه.

فيبين لمثل هذا الجاهل المعاند حقيقة قدرة الإنسان المخلوق، ويبين له عجزه عما لا يحصى من أيسر الأمور وأبسطها، وأن ما يغتر به من القوى ليست شيئاً له قيمته واعتباره الحقيقي؛ في جنب ما في هذا الكون من القوى المخلوقة لله جل شأنه. بل إن وصل الإنسان إلى شيء؛ فإنما هو بفضل الله تعالى ونعمته، ولو جحد هذا المعاندون. ومثل هذا: مجادلة إبراهيم عليه السلام للجبار الذي حاجه في

ربه سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ البقرة.

ويدل عليه المثل الذي ضربه عز وجل في كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾ الحج.

خامساً: بالنسبة إلى التساؤل حول الوحي، وهل جاء لبيان عجز الإنسان؛ أم لبيان أن له قدرة يكلف على أساسها؟. فالحق أنه يوجد هنا مقامان:

المقام الأول: مقام الحديث عن استطاعة الإنسان القيام بما كلفه الله به، وعن استطاعته الاستفادة مما سخره الله تبارك اسمه له. وفي هذا المقام يبين للإنسان ما وهبه الله تعالى له من قدرات وقوى منحه إياها، تمكنه من أداء التكليف، والاستفادة مما سخر له، لتكون من أسباب سعادته، إذا استخدمها على الوجه الصحيح.

المقام الثاني: مقام مجادلة مع جاهل مستكبر معاند للحق، يظن أن ما يملكه من قدرة يسيرة قد أبلغته إلى مقام الربوبية، ومثل هذا -ومن كان على شاكلته أو قريباً منه- يبين له مدى ضعف الإنسان وعجزه، وأن ما عند من قوة إنما تكفيه لآداء ما كلفه الله إياه، ولكنها ليست شيئاً إذا قيست بالنسبة إلى القوى المختلفة المبثوثة في الكون، فكيف بالنسبة إلى قدرة الخالق وعظمته، جل شأنه؟!.

ومثل ذلك يوجد بين البشر بعضهم مع بعض، وهذا إذا تطاول مَن عندهم تفكير محدود؛ على من بلغوا في الذكاء والعقل درجات عاليات. وإذا تطاول مَن عندهم شيء يسير من العلم؛ على العلماء الراسخين، فصاروا يقلبون الحقائق. فإنه يبين لمحدودي الفكر والعلم حقيقة حالهم، ليثوبوا إلى رشدهم، ولئلا يكونوا سبباً في هلاك أنفسهم، ومن كان سائراً في دربهم. فذلك موجود بين البشر على الرغم من أن الخطر المتوقع من الاستمرار على الحال السيئة؛ لا يداني خطر استمرار الكافر والجاحد على كفره وجحوده، بعناد وإصرار مع ظهور الحق.

سادساً: وبالنسبة إلى التساؤل عن العلاقة بين الخالق جل وعلا والمخلوق؛ فإن المؤمن به تعالى حقاً يعلم عظم منّة وفضل الرب جل شأنه على خلقه جميعاً، وكبير رحمته بهم، وتكريمه لهم على سائر

المخلوقات، بما وهبهم ويهبهم دواماً عن نعمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ لا تحصى، ولا يقدر أحد أن يشكره تعالى حق شكره عليها.

ثم إن المؤمن يوقن بأن الله جل ذكره مع عباده المؤمنين صدقاً، يمدهم بمعونته ونصرته، ويؤيدهم دواماً، وييسر لهم أسباب الخير والفلاح والقوة والسعادة، ولهذا فالمؤمن يستمد قوته وثباته من ربه عز وجل، فلا توجد قوة ظالمة طاغية تقارب قوته، ولو انفرد في مواجهة طغاة الأرض جميعاً، إذ أقصى ما يمكن أن ينالوه منه هو أذى مادي دنيوي، سرعان ما يزول عند ملاقاته لربه جلت قدرته، ويكون سبباً للمنزلة الرفيعة عنده تبارك اسمه.

ونظراً إلى ذلك الإيمان المستقر في نفس المؤمن تجاه ربه عز وجل؛ فإن محبته له لا تدانيها محبة أخرى، مهما بلغت، قال ذكره:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ (١٦٥)﴾ البقرة.

فهذه هي العلاقة الحقيقية بين الخالق والمخلوق المؤمن به تعالى، فكلما ازداد عبوديةً وخضوعاً له، وتوكلاً عليه؛ زاد العطاء الرباني له، المادي والمعنوي، فيزداد المؤمن ثباتاً ورسوخاً على الحق. وكلما ضعف الإيمان واليقين والتوكل؛ ضعفت قوة الإنسان، وضعف ثباته أمام الشدائد.

وعندما يكون مجموع الأمة على ذلك الإيمان الراسخ؛ فإن الله تبارك اسمه يمدهم بالقوى المادية والنصر والتمكين، على الوجه الذي ينصرهم به على عدوه وعدوهم، زيادة على ما يمدهم به من القوى المعنوية النفسية.

وأما غير المؤمن فموكول إلى نفسه، ومهما بلغ من قوة مادية مطغية، فإن قوته النفسية والمعنوية لا تداني قوة المؤمن. وأما في حال صلاح الأمة الإسلامية بصفة عامة؛ فإن عدوهم أضعف منهم من الناحيتين المادية والمعنوية.

سابعاً: وما افتراه (العلماني) من أن غاية الوحي هي إثبات ألا قدرة فوق الإنسان!، وأن الإنسان قادر قدرة مطلقة!، وأن غايته أيضاً رفض قوى الطبيعة والسيطرة وقوى الطغاة العاتية، وقوى البخت والمصادفة، وكل القوى غير العاقلة، وأنه ليست غاية الوحي إثبات قدرةٍ مطلقة، فوق قدرة الإنسان المحدودة!.

فهذه الدعاوى تعتمد على أسلوب المغالطة، وتلبيس الحق بالباطل، والخلط بين الأمور. فمَن الذي يجهل أن الرسالة الربانية المنزلة؛ قد بينت أنه عز وجل هو المتفرد بالقدرة المطلقة، وأنه هو القوي

المتين، وأن السموات والأرض وجميع المخلوقات في قبضته، وأن بقاء جميع المخلوقات إنما هو بإمساك الله جل شأنه لها، ولئن ترك ذلك الإمساك؛ لزالت المخلوقات وذهبت إلى العدم؟!. ومن الذي يجهل بيان الرسالة لكون الإنسان وجميع المخلوقات؛ إنما يستمدون حياتهم وقدراتهم وجميع احتياجاتهم من الله جل جلاله؟!، وأن الإنسان لا حول له ولا قوة إلا بربه العلي العظيم؟!، وغير ذلك من أمور لا تحصى، وهي تبين حقيقة انفراد الرب جل جلاله بالقدرة الكاملة، وأن المخلوقات ليس لديها إلا قدرات قليلات محدودات، مستمدات من الخالق جل وعلا، ولا غنى لأي مخلوق عن دوام إمداد الله تعالى له بنعمه لحظة من الزمن.

فهذا فيما يتعلق بالنسبة إلى الخالق جل وعلا وافتقاد الإنسان إليه دواماً، وأما ما يتعلق بالنسبة إلى المخلوقات المتنوعة، فإنه لا يَظن أن الإنسان له القدرة الكاملة على جميع المخلوقات؛ إلا من أعماه جهله واستكباره، فَحَسِبَ أن قوة الإنسان وقدرته القليلة -التي لا تعتبر شيئاً بالنسبة إلى القوى والقدرات المبثوثة في الكون- قد قدر بها على المخلوقات كلها، فأصبح يسيّر الكون كما يريد!!.

وها هي الجراثيم وهي من أصغر الكائنات وأضعفها تفتك بالإنسان دواماً، ومهما استحدث لها من أدوية وعلاجات؛ استجد منها أصناف أشد فتكاً وأعظم خطراً. وليس معنى هذا أن يتوقف الإنسان عن علاجها، ولكن عليه ألا يصيبه الكِبَر، فيظن نفسه قد أخضع الكون كله لمشيئته، وأحقر الكائنات تفتك به وتذله!!. فأين هذه القوة والقدرة المطلقة التي زعمها (العلماني) للإنسان، والتي لا قدرة فوقها؟!، وهل يصدر مثل التجديف في الكلام إلا ممن لا يعي شيئاً مما يقوله؟!.

ولم يكتف (العلماني) بتجديف من لا عقل له؛ بل قرنه بأمر لا علاقة له به، بعبارة تهويلية، يلبس فيها الحق بالباطل. فضم إلى باطله السابق عبارة أن غاية الوحي: رفض قوى البغي والطغيان.

والرفض شيء؛ وإلغاء الوجود شيء آخر. فقوى البغي والطغيان موجودة، ولا ينكر وجودها إلا جاهل، ولكنها مرفوضة، وهذا حق. ولكن ما علاقة هذا بنفي وإلغاء وجود قدرة مطلقة فوق الإنسان، وادعاء أن تلك القدرة إنما هي للإنسان؟!. وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يقضي تماماً على قوى البغي والطغيان، فهل يستطيع أن ينكر وجود القوى والطاقات المبثوثة في الكون، والتي لا تعتبر قدرته وقوته شيئاً بالنسبة إليها؟!، وهل يستطيع بعد هذا أن ينكر وجود خالق تلك القدرات والقوى، جل جلاله؟!. إنه لا يمكن أن يطلق عبارة أن الإنسان له القدرة المطلقة إلا من بلغ في الجهل والإلحاد مبلغاً كبيراً.

وإذا كان (العلماني) قد أدرك أنه لا يمكن أن يلغي تماماً قوى البغي والطغيان، ولهذا قال

برفضها؛ فلماذا لم يلاحظ مثل هذا عندما زعم نفي وجود قدرة فوق الإنسان؟!. وهو حتى لو ادعى أنه إنما يقصد قدرة مخلوقه فوق قدرة الإنسان؛ فهي دعوى باطلة، إذ المبتدِئ في طلب العلم الكوني؛ يدرك أن فيه من القوى المخلوقة؛ ما يعجز البشر عن استيعاب مداها وعظمها. ولا يزال العلم يكشف كل يوم عن شيء من تلك القوى والقدرات، مما يبهر العقول السليمة، ويجعلها تزداد إيماناً بالخالق الحكيم القدير جل شأنه.

إن (العلماني) يثبت من خلال إيهاماته؛ جهله البالغ بالعلوم الكونية، بالإضافة إلى كفره وإلحاده في حقائق الدين.

ثامناً: وبالنسبة إلى محاربة قوى البغي والطغيان؛ فإن المؤمن با لله حقاً يستطيع بإيمانه أن يحارب تلك القوى. إذ مَن آمن با لله تعالى صدقاً، وعلم أنه الخالق المالك، وأنه لن يصيبه إلا أمر قد قضاه ا لله جل ذكر له، وأنه القدير القوي المتين تعالى، وأن كل ما عداه فإنما هو مخلوق له، واقع تحت سلطانه، وأنه بإيمانه بربه تعالى واتباعه منهجه فإنه سيكون من أوليائه الذين سينصرهم إن عاجلاً أو آجلاً، وأما أهل البغي والطغيان فإنهم وإن مَكَّن لهم جل ذكره مدة من الزمن، وأعطاهم شيئاً من القوى؛ فإنما هذا من باب الابتلاء والاختبار لهم وللمؤمنين، ولكنهم في حقيقة أمرهم هم من أهل الهوان والذلة والصغار، إن لم يتوبوا وينيبوا إلى ربهم جل ثناؤه.

فمن آمن بذلك كله وغيره من حقائق الدين؛ فإنه بإيمانه هذا يجابه أية قوة من قوى الطغيان، والشر والفساد، مهما عظمت في قوتها المادية، ومهما نال أهلها من جسد المؤمن وماله، فإن قلبه معلق بربه عز وجل، يستمد منه العزة والثبات على الحق. ولهذا فإن كثيراً من أهل الطغيان؛ يشعرون في قرارة أنفسهم بالذل والهوان؛ أمام المؤمن الراسخ الثابت، ولو كان يصيبه منهم أشد العذاب.

وهذا في حالة المؤمن الفرد، ولكن المؤمنين إن كان لهم عدد، وكانوا مستقيمين على صراط ربهم عز وجل؛ فلا شك أنه سيكون لهم التمكين في الأرض، والغلبة على أهل الشر والطغيان. إذ ليس عند المؤمنين ما يبخلون به على ربهم سبحانه، لا نفس ولا مال، وهم واثقون من تحقيق ا لله جل وعلا وعده لهم بالنصر والتأييد.

تاسعاً: ثم يأتي (العلماني) بالدليل القاطع على إلحاده الكامل با لله عز وجل، وكفره به سبحانه، وهذا عندما يدعي: أن العلاقة بين ا لله سبحانه وتعالى والإنسان؛ علاقة الوعي الخالص بالوعي المتعين، علاقة الإنسان الكامل بالإنسان المتعين[1].

---

(١) انظر ما سبق: ٦٢٢.

فهذه العبارة تدل دلالة قاطعة على إلحاد هذا (العلماني) ومن كان على شاكلته؛ با لله تعالى، وأنهم منكرون لوجوده -سبحانه- أصلاً، وأن الأسماء الحسنى والصفات العلى ليست في حقيقتها؛ إلا أماني توجد في نفوس البشر للوصول إلى الكمال -الإنسان الكامل-، ولكنها لا تقدر على تحقيقها، فتخترع وجود ربّ تنسب إليه صفات الكمال تلك، تعويضاً عن عدم مقدرتها على تحقيق أمانيها، وإن لم يكن هنالك في الحقيقة ربّ متصف بتلك الصفات[١]. تعالى ا لله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومن وصل في كفره وإلحاده إلى هذه الدركة فإنه إما أن يناقش من بداية الأمر، لإثبات وجود الحق سبحانه وصفاته؛ وإما أن يكون من الذين ختم ا لله تعالى على قلوبهم وسمعهم، وأعمى أبصارهم، فلا سبيل لهدايتهم، حتى يروا العذاب الأليم. والحق أن مثل هذه العبارات تدل على مدى نفاق (العلماني)، عندما يتحدث عن عدم تجويز العبث عليه تعالى، وعن العلاقة بين الخالق والمخلوق، وغير هذا من القضايا المتعلقة بالرب جل شأنه، وهو غير مؤمن به، ولا بوجوده أصلاً.

عاشراً: ومن مغالطات (العلماني) وتلبيساته الواضحات؛ ادعاؤه أن الكلام عن عجز الإنسان عن الإتيان بمثل الآيات المعجزات؛ يؤدي إلى إثبات العجز بصفة عامة للإنسان، ومن ثم عدم مقدرته على القيام بالتكليف، وهذا يعني تجويز العبث والظلم على ا لله سبحانه وتعالى، إذ كيف يخلق إنساناً عاجزاً ثم يكلفه[٢]؟!.

ومثل هذه المغالطة؛ كمثل من ادعى مقدرته على تحطيم جبل عظيم يعيق مسيرة الناس؛ بيديه المجردتين، دون أية آلة أو مساعدة، فقال له قائل: إنك ستعجز حتماً عن القيام بما تدعيه، ولكن بدلاً من هذا نَظِّف الطريق العام من الغبار والأوساخ، فانتفض المغالِط وقال: بما أنك أثبت أني عاجز؛ فكيف تكلفني؟!. وهل يتصور وجود من له أدنى عقل؛ يقول مثل هذا الكلام وهو جادٌ في قوله؟!.

---

(١) انظر بيان حسن حنفي لهذه المسألة في: المجلد الثاني من سلسلته من العقيدة إلى الثورة: التوحيد: ٦٠٠-٦١٤. فهو يقول في: ٦٠٦: (ولفظ "ا لله " ليس إلا لفظاً عرفياً، استعمله الناس للدلالة على معنى عام، ويمكن استعماله مبدئياً، نظراً لسهولة استخدامه في إيصال المعاني، ولكنه ليس اسماً بمعنى أنه يدل على جوهر.) ا.هـ. ولا يحتاج مثل هذا الباطل إلى أي تعليق لكشف حقيقة إلحاد حسن حنفي. ويقول ايضاً في: ٦٠٤-٦٠٥: (إن ما وصفه القدماء على أنه "الذات والصفات والأفعال"؛ هو في حقيقة الأمر " الإنسان الكامل"، فكل المادة التي وضعها القدماء تحت هذا الاسم؛ لا تشير إلى موضوع فعلي، بل تعبر عن موقف إنساني خالص، تجاه موضوع مثالي. فما ظنه القدماء على أنه وصف موضوعي لحقيقة واقعة في الخارج، هو في الحقيقة وصف ذاتي لشعور المتكلم، أسقطه في الخارج، ثم قفز من الشعور إلى العالم الخارجي، بلا أدنى مبرر عقلي، إلا عجزه عن تحقيق هذا الموضوع المثالي بالفعل، كمشروع له في العالم الخارجي، كنظام مثالي للعالم. ما ظنه القدماء إذن على أنه وصف لله بالفعل؛ هو في الحقيقة وصف للإنسان، ولما كان ا لله هو الكامل؛ جاء وصفه وصفاً للإنسان الكامل.) ا.هـ. ولا إلحاد با لله عز وجل بعد هذا الإلحاد والفجور، نعوذ با لله من الخذلان.

(٢) انظر ما سبق: ٦٢٢.

وهكذا فإن عجز الإنسان عن معارضة آيات الله عز وجل المعجزة عجزاً دائماً مستمراً شيء؛ وقدرته على أداء ما كلفه الله أن يفعله أو يتركه شيء آخر. فلا يلزم من عجز الإنسان عن الإتيان بمثل آيات الله تعالى؛ عجزه عن القيام بما كلفه الله أن يفعله أو أن يتركه، من تكاليف الدين الاعتقادية والعملية.

والناظر في العلوم الكونية المادية يجد أن الإنسان لا يمر عليه يوم يتقدم فيه علماً ومعرفة، ويقدر على شيء ما؛ إلا يكتشف معه أموراً لا حصر لها، هو عاجز عن فعلها، ولم يكن يعلم عنها، ولا عن عجزه عن فعلها أو فعل نظيرها شيئاً.

ثم إن بيان عجز الإنسان عن الإتيان بمثل الآية المعجزة لم يكن لمجرد البيان، أو لمجرد إثبات عجزه؛ بل إن الهدف الأساس هو دفعه للتدبر في هذه الآية، ليتأكد من كونها لا يمكن أن تصدر إلا من خالق هذا الكون، العليم القدير جل وعلا. مَثَلها كمَثَل ما لا يحصى من الأمور المبثوثة في الكون، ولكن ظهورها على يد من يذكر أنه نبي، يجعلها بمثابة تصديق من الله عز وجل له، في دعواه تلك.

الشبهة الثانية:

ويستمر (العلماني) في الخلط والتلبيس والمغالطة، وهذا عندما يتناول ما في الآية المعجزة مما هو خلاف العادة، أي: خرق قوانين الطبيعة -بلغة العصر-، وما قد يوجد فيها من تحدي الرسول عليه السلام لمن أرسل إليهم، بأن يأتوا بمثل آيته. فمن تلبيسات (العلماني) ومغالطاته قوله:

(هل يمكن خرق قوانين الطبيعة؟، أليست سنن الكون دائمة وثابتة، حتى يمكن للإنسان إدراكها وتسخيرها؟!. وما فائدة التحدي مقروناً مع عدم المعارضة؟!. إن التحدي لا يكون صحيحاً قائماً على تكافؤ الفرص؛ إلا إذا كان مقروناً بالقدرة على المعارضة!!. وهل عدم المعارضة فضيلة؟، وهل النموذج الأسمى لفعل الإنسان هو التسليم بالعجز والإذعان؟، أليست مأساة المسلمين اليوم في الإذعان لقوى القهر، والاستسلام للطغيان، وعجزهم عن المعارضة؟!!)[1].

والمغالطات والتلبيسات فيما افتراه (العلماني) ظاهرة واضحة:

أولاً: فما العلاقة بين تغيير الله تبارك اسمه لسنة من سننه للنظام الكوني، في حالة جزئية، لحكمة عظمى تعود على البشر، من جهة؛ وبين دراسة الإنسان للكون وسننه من جهة أخرى؟!.

إن المتدبر في الآيات المعجزات يجد أنها لا تتعارض أبداً مع السنن الربانية، التي أخضع الله عز وجل لها كونه، بل إن تلك الآيات يمكن اعتبارها سنة من تلك السنن الربانية، لها شروطها، ولها أحكامها، ولها غاياتها، ويمكن استنباط ذلك كله. وسنن الخالق جل وعلا لا تتعارض. ومن ثم فإن دراسة الإنسان للكون وتسخيره له؛ لا توقفها آية معجزة أجراها جل وعلا لنبي من أنبيائه عليهم السلام، لحكمة بالغة.

بل إن العالم الحقيقي هو أكثر مَن يدرك عِظَم الآية المعجزة، وأنها لا يمكن أن تكون صادرة إلا من خالق الكون وسننه، القدير على كل شيء، جل شأنه.

فالآية المعجزة تعمق الإيمان بالله الحكيم القدير العليم جل جلاله، والإيمان بحكمته، بالإضافة إلى كونها دليلاً على صدق النبي عليه السلام في دعواه.

ثانياً: وأما التساؤل عن فائدة التحدي مقروناً بعدم المعارضة؛ فهو لا يصدر حتى عن جاهل، مهما بلغ شأنه في الجهل، ولا يمكن أن يصدر إلا عن مضلل مغالط ملبس.

إن (العلماني) يريد أن يوهم قارئه -الذي يظنه من أجهل الخلق- أن معنى التحدي بالنسبة إلى الآيات المعجزة؛ هو معنى التحدي نفسه الذي قد يوجد بين فردين من البشر -على سبيل المثال-

(١) انظر: النبوة: ٦٧.

للوصول إلى غاية معينة، ولهذا فلابد من تكافؤ الفرص بينهما!.

ولكن مَن الذي يجهل أن هذا المعنى غير مقصود هنا مطلقاً؟!. والحق أن مثل هذه الشبهات والمغالطات تفضح مدى ما يصل إليه العلمانيون من احتقارهم للعلم، الذي يتكلمون فيه بالباطل، من جهة؛ ومدى احتقارهم لقارئ ترّهاتهم، وظنهم به أنه على دركة من الغباء، لا تمكنه من كشف مغالطاتهم، ولو كانت أظهر من الشمس وسط النهار الصحو!.

إن كثيراً من الآيات والبراهين المعجزة التي جاءت بها الأنبياء عليهم السلام؛ قد كانت بطلب من أقوامهم:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)﴾ الرعد.

أي: إن الأقوام أنفسهم كانوا يطلبون من أنبيائهم عليهم السلام الإتيان بما لا يقدر بشر على الإتيان به. فهم كانوا يرون أنه ما دام الأنبياء والرسل عليهم السلام صادقين في دعواهم، أنهم مبعوثون من عند الله تبارك اسمه؛ فلابد أن يمدهم تعالى بأمر يصدّقهم به في دعواهم، ولا يقدر عليه غيره عز وجل. أي إنهم كانوا يطلبون من الأنبياء عليهم السلام أمراً يقطع كل عاقل بأنه لا يمكن أن يصدر عن بشر، ولا حتى عن الأنبياء عليهم السلام من قِبَلِهم هم، وإنما هو من لدن العليم الخبير القدير جل ذكره، فإذا أمدهم تعالى بذلك، فهم صادقون في دعواهم[1].

وهل كان أولئك الأقوام الكافرون أصلاً يفهمون ويدركون تلك الحقيقة الظاهرة؛ أكثر من أدعياء مناصرة العقل والعلم من العلمانيين المعاصرين؟!.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى: فإن آيات الأنبياء عليهم السلام ليست في أساسها مجالاً للمنافسة والتحدي، لأنها كالعلامات التي تدل المسافر على الطريق الموصلة إلى غايته. وآيات الأنبياء عليهم السلام تعطي البشر الدليل الظاهر والبرهان الواضح؛ على صحة الطريق والمنهج والسبيل الذي جاؤوا به. وإنما يهتدي بهم من كان له قلب، وكان مستعداً لقبول الحق، ولو خالف هواه.

ثم إن من سار على الطريق فمجال المنافسة له مفتوح، بدرجة متساوية بينه وبين غيره، للوصول إلى أعلى المقامات، وأسمى الغايات.

ثالثاً: ومن مغالطات (العلماني) وتلبيساته التضليلية الواضحة: ربطه بين اعتراف الإنسان

---

(١) ولكن أكثر الأقوام كانوا يصرون على الكفر حتى بعد رؤية الآيات، لأن طلبهم لها لم يكن إلا تعنتاً وتعجيزاً، إذ ليس لديهم أدنى استعداد للإيمان بالحق مهما جاءهم من الدليل عليه.

بعجزه عن الإتيان بمثل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من الآيات والبراهين المعجزة؛ وبين عجز المقهورين لقوى البغي والطغيان!.

إن أحداً لا يتصور كيف أن إنساناً لديه شيء ما من احترام العقل والعلم والمعرفة؛ ثم تصدر منه مثل هذه المغالطة السخيفة الساقطة.

إن إعلان العاقل تسليمه بأن ما جاء به الأنبياء عليهم السلام مما لا يقدر عليه بشر؛ لن يؤدي به إلا إلى سلوك سبيل الهدى الذي جاؤوا به، والوصول من ثم إلى السعادة الدنيوية والأخروية، فهو تسليم للحق وإذعان له. كمن يسلّم بصدق القوانين الكونية، ومن ثم يمكنه الاستفادة من القوى التي سخرها الله تبارك اسمه للإنسان في هذا الكون. فهل تسليم الإنسان لمثل تلك الحقائق وإذعانه لها، واستفادته منها، يماثل استسلامه لقوى الشر والطغيان؟!، وهل توجد أدنى مقارنة بين الإيمان بالحق، والتخاذل أمام الباطل وأهله؟!.

الشبهة الثالثة:

ادعى (العلماني) أن ما جاء به الأنبياء عليهم السلام مما أطلق عليه اسم: المعجزات؛ إنما هو في النهاية: (حديث بلغة العصر، وتحد لمستواه العلمي، وتجاوزه إلى مستوى آخر، يجمع بين العلم والفاعلية في الطبيعة، مثل: موسى -عليه السلام- والسحر، وعيسى -عليه السلام- والطب، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- والبلاغة. وبالتالي فهي ليست ضد العقل أو العلم، بل هي تقدم للعقل، وتطوير للعلم!!)[1].

يحاول (العلماني) في شبهته هذه أن يوهم القارئ الساذج أنه مؤمن بما جاء به الأنبياء عليهم السلام؛ من البينات والبراهين والآيات المعجزات، ولكنه في حقيقة حاله -كما يدل عليه كلامه- بخلاف ذلك.

أولاً: (فالعلماني) يرى أن آيات الأنبياء عليهم السلام المعجزات؛ إنما هي لإعطاء البشر مجالاً معرفياً أوسع حول الكون وقوانينه، وليست أموراً خارجة عن نطاق قدراتهم بالكلية، بل إنها درجة في سلم المعرفة، أتى بها الأنبياء عليهم السلام ليرفعوا البشر إليها، ثم ينطلقوا هم منها إلى ما هو أرفع وأرحب!!.

وهذا القول لا يقوله عاقل علم أخبار معجزات الأنبياء عليهم السلام، وإن لم يؤمن بها، فضلاً عمن آمن بها، وبما دلت عليه.

فما الذي أفادته عصى موسى عليه السلام، التي انقلبت حية تسعى، ولَقَفَت ما أفكته أيدي السحرة الدجالين؟!.

إن الأمر الذي أفادته عند من آمن با لله تعالى وبأنبيائه عليهم السلام؛ أن هذه الآية التي جاء بها موسى عليه السلام لا يمكن أن تكون من صنع البشر، ولا يمكن أن يقدر عليها إلا خالق هذا الوجود، القدير على كل شيء، وإذا كان موسى عليه السلام قد ذكر أنه سيأتي بآية يدل بها على صدقه في دعواه الرسالة، فإن في تحقيق مجيء هذه الآية؛ إثبات ذلك الصدق، ومن ثم إثبات صدقه في كل ما ذكره وبلّغه عليه السلام.

ولهذا آمن السحرة الذين كانوا أعلم الناس بالفرق بين ما جاؤوا به من الشعوذة؛ والحق الذي جاء به موسى عليه السلام.

وخلاف ذلك لا توجد أية فائدة علمية أخرى استفادها أو يستفيدها البشر من انقلاب العصا إلى حية.

---

(١) انظر: النبوة: ٧٥.

ثانياً: إن المعجزات تَقَدُّم للعقل؛ لأنها تهديه السبيل الأقوم الذي يجب عليه أن يسير فيه. وهي تطوير للعلم؛ لأنها وسيلة يؤمن بسببها محبُّو الحق المذعنون له؛ بالنبي عليه السلام، الذي يعطيهم الشريعة المنزلة، الهادية لكل خير وسعادة في العاجل والآجل.

فالآيات المعجزات وسيلة، وليست غاية في العلم يحاول النبي -عليه السلام- أن يوصل إليها البشر، ليعقلوها لذاتها، ومن ثم ليأتوا بما هو أعظم منها.

هذا بالنسبة إلى الآيات المادية؛ وأما الآيات المعنوية ولا سيما آية النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم العظمى، وهي القرآن الكريم، التي هي آية معنوية علمية؛ فعلى البشر -ولا سيما المؤمنون- أن يحاولوا دواماً الوصول إلى ما في تلك الآية من العلوم، التي تحقق لهم السعادة العظمى.

ولكن ليس معنى هذا أن البشر سيقدرون على أن يتجاوزوا هذه الآية، ويأتوا بما هو قريب منها، فضلاً عن أن يأتوا بمثلها، أو بما هو أعظم منها. فإعجاز هذه الآية يجمع بين كونها تحمل الهداية الواضحة الكاملة؛ وبين كونها لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها أبداً. إذ وجوه إعجازها عديدة، وليست منحصرة في الإعجاز البلاغي أو البياني أو نحوهما. وكل واحدة من تلك الوجوه؛ كافٍ في بيان صدق كون هذه الآية من عند الله عز وجل، لأنه لا يقدر عليها إلا هو جل شأنه، فكيف إذا اجتمعت تلك الوجوه كلها؟!. وإلى قيام الساعة سيظل البشر يكتشفون من وجوه إعجاز تلك الآية وصورها؛ ما لا يحصيه إلا منزلها تبارك اسمه.

الشبهة الرابعة: حول سبل العلمانيين الضالة لإبطال حقيقة المعجزة:

سبق بيان أن الآية المعجزة هي تصديق من الله جل شأنه لمن بعثه نبياً ورسولاً، ولكنها ليست هي الدليل الوحيد على صدق النبي عليه السلام، فالآيات والبراهين متعددة، ولا يعني وجود بعضها انتفاء بعضها الآخر.

ولكن غير المؤمنين بالله تعالى حقاً، وبقدرته التامة الكاملة، وبكونه الخالق، المتفرد بالخلق والتدبير؛ غرته ظاهرات خلقه في الحياة الدنيا، فظن أن قوانينها الكونية المادية أمور لا يمكن أن تخرق، حتى مَن قِبَل خالقها سبحانه؛ ومثل هذا من الطبعي أن يرفض كل ما ورد في شأن الآيات المعجزات للأنبياء عليهم السلام، تلك الآيات التي فيها خرق لقوانين الكون المادية، وكأن هذه القوانين قد كانت بالرغم عن الخالق، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً!!.

ولأن العلمانيين من أولئك المغرورين، فإنه توجد لهم شبهات يحاولون بها التشكيك في صحة المعجزات. وعلى الرغم من تظاهر بعضهم بالإيمان بالقرآن الكريم وبما جاء به، وتظاهره بأنه من المسلمين؛ فقد وصل به الأمر إلى الإعلان صراحة عن رفضه التصديق بصحة المعجزات، التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام. وقد سلك سبلاً عديدة للتشكيك في الآيات المعجزات، وإبطال حقيقتها. ومن هذه السبل:

أولاً: اعتبار دلالة المعجزة على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام دلالة خارجية، عن طريق القدرة، وليس داخلياً، عن طريق اتفاق رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- مع العقل، أو تطابقها مع الواقع. ولا يمكن أن تؤدي المعجزة إلى الطاعة والانقياد؛ دون إعمال للعقل، للتحقق من مضمون الخبر، غاية ومصلحة وواقعاً.

ثانياً: إن التصديق بأمر لا يكون إلا من خلال وسائل المعرفة، وطرق العلم المعروفة لدى البشر، وهذا لا يتحقق في شأن التصديق بالمعجزات.

ثالثاً: إن الأخبار قد جاءت بوقوع معجزات كثيرات، ولكنها مع ذلك لم تجعل الناس يصدقون بالأنبياء عليهم السلام، بل ازداد بعضهم كفراً وعصياناً، ولكنها عندما توقفت المعجزات -بمعنى: خرق القوانين-، وأصبح الدليل على صدق النبوة داخلياً -أي عقلاً وواقعاً، نظراً وعملاً، فكراً ومصلحة-؛ آمن الناس، وأسسوا مجتمعات، وأقاموا دولاً، وفتحوا العالم القديم. وعموماً فإن من صدق بالأنبياء -عليهم السلام- عن طريق المعجزات؛ أقل من الذين صدقوا بهم عقلاً وواقعاً، ومصلحة وتشريعاً، ولم يصدق بها إلا البسطاء!.

رابعاً: إن ما يظنه الناس معجزة قد يكون ناشئاً من جهلهم المرحلي بقوانين الطبيعة، ومن ثم يؤدي هذا إلى عدم معارضتهم لها، بسبب ذلك الجهل المؤقت.

والمعجزة -في حقيقة أمرها- ضد العقل وضد الطبيعة. وقد تكون خادعة بالسحر. وهي تُشْعِر الإنسانَ بضآلته وجهله أمام الطبيعة، وتجعل الكون سراً مغلقاً لا يمكن الدخول فيه، ولا تسخيره لمصلحة الإنسان.

خامساً: وإذا كان الله -تعالى- هو الذي أوقع المعجزة، ومن ثم أحدث العلم دونما نظر أو استدلال؛ فما فائدة المعجزة؟!. وهو -جل شأنه- قادر على خلق العلم مباشرة، دونما حاجة إلى وساطة المعجزة.

سادساً: ثم إن صدق النبوة أصل، وصحة المعجزة فرع عنه؛ فكيف يقاس صدق النبوة، وهو الأصل؛ على صحة المعجزة، وهي الفرع؟!.

وأيضاً فإن ههنا دوراً: فالعلم بصحة المعجزة من صدق النبوة، والعلم بصدق النبوة من صحة المعجزة[1].

ومن الرد على سبل (العلماني) التشكيكية، التلبيسية الإبليسية:

أولاً: إن ادعاء أن المعجزة دليل خارجي على صدق النبوة، وليس داخلياً؛ ادعاء باطل. إذ يقال: ما هو الحد الفاصل بين الدليل الخارجي والدليل الداخلي؟، فإن قيل: إن الدليل الداخلي هو الذي يبرهن على صدق النبي -عليه السلام- من خلال تطابق ما جاء به من الشرع؛ مع واقع البشر ومتطلباتهم واحتياجاتهم، وأما الدليل الخارجي فهو الذي يدل على صدق النبي -عليه السلام- نتيجة أمر منفصل عن جوهر الشريعة، التي جاء بها عليه السلام، وطلب من الناس الالتزام بها؛ فالحق أن هذا التفريق غير مُسَلَّم به.

فالرسول عليه السلام قد جاء -من ضمن ماجاء به- بقضايا إيمانية طلب من البشر الإيمان بها، وقد يكون الإيمان ببعضها إيماناً خبرياً سمعياً، فهل إذا لم يشعر بعض البشر بأثر عاجل لإيمانهم بتلك القضايا، ولم يكن لها أدلة عقلية تدل عليها بمجردها؛ هل يقال: إن تلك القضايا أمور خارجية!!.

إن جميع ما جاء به النبي عليه السلام من العقائد والشرائع، والأدلة على صدقه، هو من عموم الرسالة، ومن ثم يصعب -في الحقيقة- التفريق الدقيق بين ما هو داخلي وخارجي.

---

(١) انظر النبوة: ٧٢-٧٥، ١٨٢.

فإذا نظر العقل السليم إلى آية معجزة من تلك الآيات، وأدرك استحالة أن تكون تلك الآية من عند البشر، وكان صاحبه مؤمناً بالخالق الحكيم، الخبير العليم القدير، جل جلاله؛ توصل من خلال ذلك إلى أن موجد تلك الآية المعجزة هو ذلك الخالق جل وعلا. فتطابق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات المعجزات؛ مع الموازين الفطرية السليمة لدى ذلك العقل.

وكلما كان صاحب ذلك العقل أكثر إدراكاً ومعرفة وعلماً؛ أدرك عظم الآية المعجزة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وإن قيل: إن التفريق مرجعه إلى أن من دلالة الآيات المعجزات على صدق الرسول عليه السلام؛ أنها لا يقدر عليها النبي عليه السلام، ولا أحد من المكلفين، وإنما يقدر عليها الله عز وجل، فدلالتها خارجية؛ لأن القادر عليها هو الله تعالى، لا نبيه عليه السلام.

ويجاب عن هذا التفريق الباطل: بأن كل ماجاء به النبي عليه السلام من الرسالة؛ من قِبَل الله جل وعلا، لا من قِبَله هو.

على أنه يمكن القول: إن كلاً من الدليلين لا يلغي أحدهما الآخر، وكلاهما يدل على صدق النبي عليه السلام بدليل عقلي، وليس ثبوت أحدهما يعني وجوب انتفاء الآخر. وافتعال التضاد فيما بينهما أمر ساقط. بل إن العقل السليم ليعجب ممن يظن أن ثبوت دليل آيات المعجزات؛ يتعارض مع ثبوت دليل توافق الرسالة مع الحق والواقع والمصلحة، فإن تعاضد الدليلين أمر لا يحتاج إلى إيضاح وتبيان.

ثانياً: ويشارك الدعوى السابقة في البطلان زعم (العلماني): أن إثبات صحة الآية المعجزة؛ لا يمكن من خلال وسائل المعرفة وطرق العلم المعروفة لدى البشر، ولذلك فلا يمكن التصديق بها[1].

وبطلان هذا الزعم يتضح من خلال بيان: أن الآيات المعجزات نوعان:

النوع الأول: آيات معجزات تمت وانقضى زمانها، وقد رآها أهل وقتها، وآمن بها وصدّق من رجّح عقله على هواه واستكباره، وعلم يقينا استحالة كونها إلا من قبل الخالق جل وعلا. وقد بيّن العلماء حكمة الله عز وجل في جعل الآيات المعجزات لكل قوم تتلاءم مع أوضاعهم الثقافية والمعرفية والعلمية، حتى يكونوا أكثر إدراكاً لاستحالة صدورها من المخلوقين، وليتيقنوا من كونها من فعل الحكيم الخبير القدير جل ذكره، تصديقاً لنبيه عليه السلام.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٣٦.

ولا شك بأن أولئك الأقوام قد أدركوا الآيات المعجزات المادية بأبصارهم، وبعض حواسهم الأخرى، وهذا من وسائل المعرفة البشرية. وبالتأكيد فإنه قد تفحصها منهم كثيرون، وتأكدوا -في قرارة أنفسهم- من استحالة كونها من باب الشعوذات والدجل، وإلا لكانوا عارضوها، ولاسيما من الذين ما كان لهم همّ إلا تكذيب الأنبياء عليهم السلام، فلا ريب أنهم حاولوا كثيراً إيجاد ما يبطل دعوى الأنبياء عليهم السلام؛ بأن الله قد أيّدهم بآيات تصدّقهم.

النوع الثاني: وهي الآيات المعجزات الباقيات إلى يوم الدين، وهذه تقيم الحجة والبرهان على من كذب أصلاً بوقوع أصل الآيات المعجزات، واعتبرها من أساطير الأولين.

والآية المعجزة العظمى التي أبقاها الله عز وجل إلى يوم الدين هي: القرآن الكريم، وهي الآية التي قال في شأنها الرسول صلى الله عليه وسلم:

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن -أو: آمن- عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[1].

ولا يستطيع أحد مهما بلغت به المكابرة؛ أن يدعي أن مجمل ما ورد في الكتاب العزيز هو مما لا يمكن العلم به من خلال وسائل المعرفة وطرقها، بل إن في القرآن الكريم آيات عديدات تطلب من الناس تدبرها، وتدبر القرآن الكريم كاملاً، ليوقنوا أنه من عند العزيز الحكيم تعالى، وأنه لا يمكن أن يكون من عند غيره سبحانه، وقد نعى جل وعلا على من عموا عن تدبر آيات كتابه:

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ محمد - صلى الله عليه وسلم-.

وقال تبارك اسمه في الحث على تدبر آيات كتابه:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩)﴾ ص.

وقد بين العلماء قديماً وحديثاً كثيراً من وجوه إعجاز القرآن الحكيم، والتي ما تزال تتجدد على الدوام، ليتجدد للبشر في كل وقت وجه يلائم ما وصلوا إليه من علم ومعرفة، ويكون أثره في إقامة الحجة؛ أكبر وأعظم.

ثالثاً: وأما دعوى أن أكثر الناس لم يؤمنوا مع وجود الآيات المعجزات -الخارقة للقوانين-، ولكن عندما توقفت هذه الآيات، واستُبدِل بها الآيات الدالة على صدق النبوة من داخلها، وُجِد من آمن، وأسس الدول وفتح العالم؛ فهذه دعوى كاذبة. ويتضح هذا من خلال ما يلي:

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري. وقد سبق تخريجه، انظر: ص: ١٧٨.

١- فالآيات المعجزات المادية لم تختف عند خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، بل كان له منها ما لا يكاد يحصى من كثرته، وقد اعتنى العديد من العلماء بتتبع تلك الآيات والبراهين، فجمعوا منها العدد الوفير.

٢- ثم إن الدليل الداخلي-كما يسميه (العلماني)- قد كان موجوداً أيضاً في جميع دعوات الأنبياء السابقين عليهم السلام، فما من دعوة ربانية أنزلها تبارك اسمه على نبي من أنبيائه عليهم السلام؛ إلا كانت على أكمل وجه، يلائم حال القوم الذين أنزلت عليهم تلك الشريعة. ولكن مثل هذا الأمر لا يتبين إلا لمن آمن بِمَن أرسل بها، وطبقها في واقع حياته. وأما من أصرّ على الرفض والإنكار؛ فأنّى له أن يدرك شيئاً من الخير، الذي أنزله جل ذكره في شرائعه؟!!.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ المائدة.

٣- وقد آمن بنو إسرائيل بموسى عليه السلام، ومعلوم أنه في بداية دعوته جاء بالآيات المعجزات المادية، مقرونة بدعوة التوحيد، ثم أنزلت عليه الشريعة، التي تعطي ما يسميه (العلماني) بالدليل الداخلي.

وكانت لهم بعده عليه السلام دولة أسسوها على شرع الله تبارك اسمه، ولاسيما أيام داود وسليمان عليهما السلام، المؤيدَين بالكثير من المعجزات.

ثم ازداد انحراف بني إسرائيل، وكان أنبياؤهم عليهم السلام المتتابعون يحاولون إعادتهم إلى صراط الله تعالى، إلى أن بلغوا في الانحراف حدا استحقوا به لعنة الله عز وجل، وغضبه إلى يوم الدين، ما لم يؤمنوا بالدين الخاتم.

ففي الرسالات السابقات وُجد من أسّس الدول على منهاجِ الله تبارك اسمه وشَرْعِه، ولم تَخْلُ من آيات معجزات مادية ظاهرة، قد كانت سبباً لإيمان الكثير بالحق، وعملهم بعد هذا على نشره في الأرض.

ومما لا ريب فيه أن تأسيس الدولة قد تحقق على أحسن صورة، في الدولة التي أقامها خاتم الأنبياء وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، واستمرت بعده، وستستمر بوجه عام إلى ما شاء الله تبارك اسمه.

فالآيات المعجزات المادية لم تتوقف حتى الرسول الخاتم صلى ا لله عليه وسلم، والدليل الداخلي موجود في جميع الرسالات.

٤- وبعد، فالآيات المعجزات ليست وسيلة لإجبار الناس على الإيمان بالحق، وإنما هي دليل يقطع أية معذرة يمكن أن يعتذر بها كافر يوم الجزاء الأكبر، ما دام أنه اطلع عليها، وأدرك استحالة كونها من عند غير ا لله جل ثناؤه، ومع هذا تمسك بباطله، مستكبراً عن اتباع الحق وأهله، ومصراً على اتباع أهوائه وشهواته، وما كان عليه سلفه السوء.

٥- ولا شك أن الآيات المعجزات المادية حالها حال الرسالة التي جاء بها النبي عليه السلام، فيمكن أن تُثار حولها الكثير من الشبهات، التي يحاول بها أصحابها طمس الحق، للاستمرار على ما هم فيه من البغي والفجور.

قال تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)﴾ الحجر.

فوجود كثير من الناس لم يؤمنوا رغم رؤيتهم الآيات المعجزات المادية؛ هو كوجود الكثير منهم ممن يصرون على الباطل، رغم ظهور الحق الذي جاء به الرسول صلى ا لله عليه وسلم. وقد قال جل شأنه:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ يوسف -عليه السلام-.

ولكن المؤمنين بالدين حقاً؛ آمنوا بما ثبت من تلك الآيات، وهم الأمة الإسلامية بأكملها. فهل كلهم كانوا بسطاء؟!، وهل كلهم لم يدركوا أن قوانين الطبيعة لا يمكن لأحد أن يخرقها، ولو كان الرب عز وجل، كما زعم (العلماني) افتراء على الحق؟!. وهل أسلوب السب والشتم العام هو أحد مظاهر المنهج العلماني الثوري؟!.

رابعاً: وأما دعوى أن ما يظنه الناس معجزة قد يكون ناشئاً من جهلهم بقوانين الطبيعة، فلا يعارضونها، وأنها في حقيقية أمرها ضد العقل وضد الطبيعة، وقد تكون خادعة بالسحر، وأنها تشعر الإنسان بضآلته وجهله أمام الطبيعة، وتجعل الكون سراً مغلقاً لا يمكن الدخول فيه، ولا تسخيره لمصلحة الإنسان!!. ا.هـ.

فهذه كلها ثرثرات غوغائية لا قيمة لها، أو مجرد افتراءات على الحق، وعلى دين ا لله تبارك اسمه المنزل، وهذا باب لا نهاية له، ما دام أن صاحبه قد تخلى حتى عن أدنى درجات الحياء، والمنطق العقلي. ومما يقال لهذا المفتري:

١- إن معجزات الأنبياء عليهم السلام التي جاء بيانها في الكتاب العزيز في آيات عديدات، وفي الأخبار المتواترات؛ إن قيل إنما عجز البشر عنها بسبب جهلهم بقوانين الطبيعة؛ فهذا لا معنى له إلا أن الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أكثرَ من دجالين -حاشاهم عليهم السلام-، قد استغلوا معرفتهم ببعض حقائق الكون، وزعموا للناس أن ما وصلوا إليه هو مما لا يقدر عليه بشر، وإنما الخالق جل شأنه هو وحده القادر عليه، وهذا ليخدعوا البشر ويجعلوهم أتباعاً لهم. كما حصل هذا بالفعل عند كثير من المتنبئين الكذابين!.

ومن وصل في اعتقاده بالأنبياء عليهم السلام، وفي أخبار الكتاب الحكيم إلى هذا الحد؛ فإنه لا يكون قد خرج من دائرة المؤمنين بالحق فحسب؛ بل إنه يكون ممن تسفّل إلى الدركات الدنيا في الكفر، ولابد في نقاشه من الرجوع إلى الجذور الإيمانية الأولى، بدءاً من الإيمان با لله عز وجل، وصفاته، هذا إن كان يفيد معه أي نقاش.

٢- ثم إنه أي تضاد يجده عقل بينه، إن كان سليماً مؤمناً با لله الخالق الحكيم جل شأنه؛ وبين الآيات المعجزات، التي هي من إيجاد ذلك الخالق القدير على كل شيء، ليؤكّد له صدق هذا النبي عليه السلام؟!.

وإذا كانت الطبيعة وقوانينها إنما هي من خلق ا لله جل ثناؤه عند المؤمن حقاً؛ فهل يقال: إن خلق مجرة أخرى غير المجرات المعروفة هو ضد الطبيعة؟!، وهل إذا خلق جل ذكره قوانين أخرى مخالفة لهذه القوانين التي تحكم مجموعتنا الشمسية، لمجموعات أخرى، يكون في هذا تضاد في الطبيعة؟!، وهل من عاقل يظن هذا؟!، وماذا لو حدثت مثل تلك المخالفة أحياناً؛ حتى ضمن القوانين التي تسير علينا حياتنا على هذه الأرض، لحكمة يريدها جل شأنه؟!.

إن ادعاء مثل ذلك التضاد يشبه إلى حدٍ كبير ادعاء إنسان بدائي لم يطلع على شيء من المدنيّة، وقيل له: إنه يوجد من الناس مَن يطيرون في الهواء على مراكب؛ فضحك على مَن أخبره هذا الخبر، واتهمه في عقله. ولكن الحق لا يضيره أن يكذّب به مثل هذا الإنسان البدائي الساذج.

٣- والمؤمنون با لله تعالى حقاً وبأنبيائه عليهم السلام وبما جاؤوا به؛ لم يصدّهم إيمانهم بآيات الأنبياء عليهم السلام المعجزات عن دراسة الكون ومعرفة قوانينه، وقد ثبت هذا في عصور ازدهار العلم عند المسلمين. وأما الضعف الذي أصابهم بعد ذلك؛ فإنه لم يكن بسبب إيمانهم بالآيات المعجزات، أو بغيرها من الحقائق، وإنما هو ضعف أصاب أولاً إيمانهم بالحق، وتمسكهم به، ثم طال جميع مناحي الحياة والعلوم.

فالمؤمنون حقاً قد أدركوا أن الآيات المعجزات حالات استثنائية لها حكمة ربانية، وأما الكون

فهم مطالبون شرعاً بدراسة ما فيه من الآيات، للاستفادة منه، وليزداد إيمانهم بالخالق الحكيم، القدير العليم جل شأنه.

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ فصلت.

وقال تبارك اسمه:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ الملك.

خامساً: ومما سبق يتبين بطلان أن الله جل جلاله إذا كان هو الذي أوقع المعجزة، ومن ثم أحدث العلم دونما نظر أو استدلال؛ فإن بإمكانه أن يحدث مثل هذا العلم؛ دونما حاجة إلى وساطة المعجزة[1]. ا.هـ.

١- فالآية المعجزة -كما سبق- إحدى الأدلة على صدق الرسول عليه السلام، وليست وسيلة تجبر الناس على الإيمان، بل هم مطالبون بأن يتفكروا في هذه الآيات المعجزات، حتى يدركوا صدق كونها من عند الله جل شأنه وحده، ولئلا يختلط ما يجئ به الأنبياء عليهم السلام؛ بما يأتي به المشعوذون والدجالون.

فمَن مِن المؤمنين حقاً مَن يدعي أن الإيمان عن طريق الآيات المعجزات إيمان من غير نظر ولا استدلال، ومَن مِنهم الذي يدعي أن دليل الآية المعجزة دليل يجبر الناس على الإيمان؟!.

إن الذي يتميز به جمهور العلمانيين أنهم وصلوا في الافتراء على الحق دركة لا يستحيون معها؛ من إطلاق أية فرية على الحق أو على أهله، مهما كانت ظاهرة البطلان.

٢- إن الآيات المعجزات لا يقدر عليها إلا الخالق جل وعلا، والمنصف والمحب للحق والمذعن له؛ يعلن هذا ويقر به، عندما يتضح له الحق صريحاً، ولكن ليس معنى هذا أنه لن يوجد كثير ممن يلبسون الحق بالباطل، ويحاولون قدر جهدهم إبطال هذا الدليل بظاهر من القول، وبافتراءات هم أول من يعلم كذبها وتهافتها. وذلك كالذي كان من فرعون وقومه عندما نسبوا ما جاءهم به موسى عليه السلام من الآيات إلى كونها سحراً، قال جل شأنه:

---

(١) انظر ما سبق: ٦٣٧.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ(٤٩)﴾ الزخرف.

وقال تبارك اسمه:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(١٣٢)﴾ الأعراف.

وقال جل وعلا:

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾ النمل.

سادساً: وأما دعوى أن صدق النبوة أصل وصحة المعجزة فرع عنه، وكيف يقاس صدق الأصل على صحة الفرع؟![1]. ا.هـ.

فيقال لصاحبها ولمن قد يتأثر بتلبيساته:

١- إن ترتيب المواضيع في المصنفات العقدية والكلامية؛ إن اتبع منهج اعتبار مبحث الآيات المعجزات داخلاً ضمن الكلام عن النبوات؛ فهذا لا يعني أنه لا يصح الإيمان بالآية المعجزة؛ حتى يؤمن الإنسان بالنبوة. فإن ذلك الترتيب هو من أجل تسهيل البحث والدراسة.

٢- إن الآيات المعجزات في حقيقة أمرها داخلة في موضوع: أفعال الله تبارك اسمه، وكل ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل وصفاته وأفعاله؛ أصل مقدم على سائر الأركان.

فإذا آمن الإنسان حقاً بالله الخالق الحكيم، وأنه القدير على كل شيء، العليم الخبير جل وعلا، وأنه قادر على أن يوجد أموراً أخرى غير التي نراها، متى ما أراد هذا، لأن مَن قدر على خلق ذلك الكون الكبير؛ فهو قادر على خلق غيره؛ فإذا آمن الإنسان بذلك أدرك أنه جل ذكره قادر على أن يغيّر ما شاء من قوانين هذا الكون، أو أن يخلق فيه أمراً بالخلق المباشر، من غير طريق الأسباب التي

---

(١) انظر ما سبق: ٦٣٧.

جعلها في الكون، وهو تعالى إذا فعل هذا فإنه يفعله لحكمة بالغةٍ.

وكذلك، فإن إرسال الرسل وبعث الأنبياء عليهم السلام هو من أمر الرب جل وعلا، الذي يؤمن العقل السليم المنصف بإمكانه، بل وبأن له حكماً كثيرة.

فإذا جاء النبي عليه السلام وأخبر بأنه مؤيد من الله تعالى بآية معجزة يُصَدّقه بها؛ فإن العقل السليم المنصف يدرك إمكان هذا الأمر، بل إنه قد يرجحه.

فكلاً من النبوات والآيات المعجزات تابعان لأصل واحد، وليس أحدهما أصلاً للآخر.

٣- هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن كثيراً من قضايا الإيمان وأركانه يمكن أن ينطلق منها الإنسان إلى الإيمان بسائر القضايا والأركان، ولو كان الأمر المنْطَلَق منه فرعاً، والمنطلق إليه أصلاً له.

فقد يتبلد حس كثير من الناس تجاه الآيات التي بثها الله تعالى في الكون، حتى يصل بهم الحال إلى اعتقاد أن الطبيعة الجامدة هي التي صنعت جميع هذه المظاهر والقوانين الكونية، أو أنها أبدية لا تتغير.

وهؤلاء إن جاءهم نبي وأراهم آية معجزة، وأدركوا استحالة كونها من البشر، واستحالة تفسيرها من خلال القوانين الكونية العادية، حتى بعد تقدم العلم، أو وصلتهم آية نبي تحققت فيها جميع تلك الأمور؛ فقد يوقظ مثل هذا الإدراكِ الإيمانَ لدى بعض القلوب الغافلة، فيعيد أصحابها النظر والتفكير في معتقداتهم، ويرجعوا إلى فطرة الإيمان بالله الخالق الحكيم جل وعلا.

هذا والمعجزات فرع، والإيمان بالله تعالى هو الأصل لكل ما سواه.

سابعاً: ومن خلال ما سبق يتبين سقوط دعوى الدور بين النبوة والمعجزة[1]، فالإيمان بوقوع آية معجزة لا يقدر عليها إلا الخالق جل جلاله؛ لا يتوقف على الإيمان بالنبوة، بل يتوقف على الإيمان بالخالق وبصفاته، تعالى جده وتبارك اسمه.

وأما الأنبياء عليهم السلام فإنهم يأتون بالحقائق التي يطلبون من الناس الإيمان بها، وتطبيق المنهج النابع منها، ومن تلك الحقائق: الإيمان بالله وبصفاته عز وجل، والذي هو أصل لكل أركان وقضايا الإيمان، ومنها: الآيات المعجزات، وغير ذلك.

وفي المقابل: فإن الآيات المعجزات هي من الأدلة على صدق دعوتهم، عند من يتدبرها حقاً. وليس في هذا دور.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٣٧.

ومثل هذا مثل العلماء الذين يبينون لغيرهم القوانين التي تحكم نظام الكون، ليستفيدوا مما سخره الله جل ذكره لهم، وفي المقابل: فإن مدى حسن بيان تلك القوانين وصحته؛ يُفَرِّق بين العالم المتمكن وغيره، وبين العالم الحق والمدعي الكاذب، ولا أحد يتصور وجود دور في مثل هذا[1].

(١) من عجائب حسن حنفي متبني فرية الدور هذه -وعجائبه لا تنتهي-؛ إنه عندما تناول بالنقد أدلة المؤمنين العقلية لإثبات وجود الخالق الحكيم جل وعلا، والمخالِف بصفاته للطبيعة والكون، انتقد عليه إبطالهم للدور والتسلسل إلى ما لا نهاية له من العلل، بل إنه نسب للتفكير العلمي -افتراء عليه- أن إثبات الدور هو من هذا التفكير، (أي تبادل الأثر بين العلة والمعلول، فقد يكون الشيء علة نفسه، علة ومعلولاً في آن واحد، السحاب علة الماء، والماء علة السحاب. وهو المثل المشهور مثل (الدجاجة والبيضة)، فلا وجود لدجاجة أولى، أو لبيضة أولى...)!. وانتقد الفكر الديني الذي يُفَكِّر بالرجوع إلى الوراء، ليقف عند علة مخالِفة في الطبيعة والكمال لكل العلل، وقال: (وحتى على فرض أن هناك تسلسلاً إلى ما لا نهاية، فلماذا يكون التسلسل دائماً طولياً في خط مستقيم، وليس دائرياً؟!. فتكون العلة اللاحقة علة للسابقة، والعلة السابقة علة للاحقة، دون أن يكون هناك سبق مطلق أو لحوق مطلق؟!، يبدو أن الفكر الديني فكر طولي تراجعي، في حين أن الفكر العلمي فكر دائري تقدمي!). انظر: سلسلة من العقيدة إلى الثورة، المجلد الثاني: التوحيد: ٥٤-٥٥.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأول: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". رواه البخاري عن أبي مسعود البدري الأنصاري رضي الله عنه، صحيح البخاري:٥/٢٢٦٨/ح: ٥٧٦٩، وانظر: ٣/١٢٨٤/ ح: ٣٢٩٦.

فلم يكتف حسن حنفي بالافتراء على الدين وحقائقه وأهله؛ بل وسع الدائرة لتشمل افتراءاته منهج التفكير العلمي عند العقلاء جميعاً، ونسبة الأحكام إليهم، دون حاجة إلى أي إثبات، فمجرد دعواه كاف في إثبات ما يريده من بهتان.

والمقصود من إيراد ما سبق في هذا لموضع: أنه نسب للتفكير العلمي أنه دائري تقدمي، إذ يقول بالدور. فلماذا وإذ زعم أنه يوجد دور بين الإيمان بالنبوة؛ وصحة المعجزة؛ لم يعتبر أن هذه المسألة المزعومة تحسب لصالح التفكير الديني، فهو بدعواه قد اتبع الأسلوب العلمي التقدمي المزعوم!!.

إن الكثير من الذين يعملون على تلبيس الحق بالباطل؛ يحاولون جهدهم أن يستروا معايبهم على قرائهم، ولكن حسن حنفي لعله ظن أنه إنما يوجه أساطيره لأطفال لم يبلغوا سن التمييز، وليست عندهم المقدرة على ربط كلامه، بعضه ببعض، ولعل هذا من الأسلوب العلمي التقدمي الذي ينشده!، ويريد أن يهوي إليه، هو ومن اتبعه على ضلالاته وافتراءاته.

الشبهة الخامسة:

يعرض أحد كبار كهنة العلمانيين المعاصرين مسألة حكم المعجزة على اعتبار أنها مستحيلة أصلاً، دون الحاجة إلى دراسة إمكانها: فالحكم عنده قاطع لا نقاش عليه[(١)].

ومن الدعاوى التي أطلقها في هذا المجال:

أولاً: أن المعجزة (مستحيلة نظراً وعملاً، إمكاناً ووقوعاً، فالبناء العقلي الذي تقوم عليه المعجزة بناء هاوٍ، لا أساس له. وتقوم استحالة المعجزة على إنكار وقوعها، أو إنكار دلالتها، أو إنكار العلم بها.

فلا يكفي القول بأن الله -تعالى- خالق ومالك كل شيء، لبيان إمكان المعجزة ووقوعها، فهذا تصور المجبرة، يفعل في الطبيعة ما يشاء. فلو كان ذلك صحيحاً؛ لما احتاج إلى رسول ومعجزة، وتصديق وحساب وعقاب، فباستطاعته أن يخلق علماً وتصديقاً، وإيماناً وثواباً للجميع)[(٢)].

ثانياً: أن المعجزات عند (العلماني) قدْح في العقل، وإنكار لبدهيات العقول، ورجوع بالتطور البشري إلى الوراء قبل ختم النبوة، حيث كان العقل يقف عاجزاً عن فهم قوانين الطبيعة، فيلجأ إلى السحر والعبادة، درءاً للخوف واتقاء للمخاطر!. كما أنها إنكار لقوانين الطبيعة. فالمعجزة قدح في العقل، وقدح في الطبيعة[(٣)]!، وليست المعجزة أكثر من استبدال خرافة بخرافة[(٤)].

---

(١) من أجل أن يثبت حسن حنفي دعوى استحالة النبوة؛ فقد سرد ما أورده علماء العقائد من شبهات، يمكن أن توجه إلى المعجزات وإمكانها ودلالتها، دون أن يذكر بالطبع ردودهم، وإبطالهم لتلك الشبهات. ومعلوم أن أكثرها شبهات افتراضية، أي إنه لا يوجد من قالها بالفعل، ولكن علماء العقائد وفي مرحلة التصنيف والتوسع والتعمق في البحث والدراسة؛ قد بذلوا جهدهم لإبطال الشبهات التي يمكن أن توجه إلى العقائد الثابتة، وإن لم يكن يوجد مَن ذَكَرَها، وإنما قدّروها بأذهانهم، وأبطلوها.

فَسَرْد (العلماني): حسن حنفي للشبهات، ثم تَرْك ردود العلماء عليها، ولو بمناقشة الردود بعد إيرادها؛ عمل لا يقوم به باحث علمي جاد، ولو كان غير مؤمن بالدين أصلاً، ومعلن لكفره به. فكيف الحال بالنسبة إلى من يزعم أنه مؤمن مجدد؟!.

انظر: سرد حسن حنفي تلك الشبهات في: النبوة: ٧٥-٨٦.

وملاحظة أخرى بالنسبة إلى كثير من تلك الشبهات وهي: أنها إنما توجه على بعض الفرق دون البعض، لما لهم من أصول باطلة التزموها، فأمكن توجيه تلك الشبه إليهم، بناء على أصولهم. وهذا بخلاف من لم يلتزم بأصولهم تلك. وبالطبع فإن حسن حنفي لم يبيّن شيئاً من هذا، وسَرَدَ جميع الشبهات، وهو يريد من هذا أن يوهم قارئه الساذج؛ أن المعجزات أمر لا مجال للتصديق به مطلقاً. وهذا الأسلوب لا يخفى فساده عند المبتدئين، فضلاً عن المتمكنين أو المجددين!!.

(٢) انظر: النبوة: ٧٥-٧٦.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٧٦.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٨٣، ومما قاله حسن حنفي عن النبوة: إنها دليل غير عقلي، يعتمد على خلب اللب، واستيلاء الدهشة، وليس على المنطق والبرهان، انظر: المرجع نفسه: ٨٨.

ثالثاً: إذا كانت المعجزات تتكرر فإن هذا يدل على أنها ليست خوارق للعادات، وإنما هي حوادث تتكرر على مدى العصور، في كل زمان ومكان، وتكرر حادثة ينفي عنها وصف المعجزة. وما يهم هنا هو رصد حوادث التاريخ، ومعرفة تاريخ سير الأبطال وحياة القادة العظام، ومن ثم يمكن وضع قانون لهذه الحوادث -التي يظنها البعض معجزات-، ومن ثم تصبح حوادث طبعية، تتم طبقاً لقانون طبعي.

وأية حادثة فريدة تخرق قانوناً طبعياً عاماً، فإن ذلك يتم وفقاً لقانون آخر، وليس ضد القانون الأول. ويساعد تكرارها على اكتشافه، ومن ثم تنتظم قوانين الطبيعة فيما بينها، من حيث العموم والخصوص[(١)].

رابعاً: قد تكون المعجزات في النهاية من فعل الأجسام بطبائعها، وليس خرقاً لقوانينها، وتحدث طبقاً للطبائع، وليس قَلْباً لها. فقوانين الطبيعة ثابتة لا تخرق بفعل أحد!. وإنّ خَرْقَها لأَدَلّ على النفي منه على التصديق!، وأَدْعَى إلى زعزعة الثقة بالعقل وبالعلم، منه إلى إعطاء معرفة أو تصديق بديل!.

هناك إذن قوانين الطبيعة وخواص الأشياء، التي تمنع من التصديق بالمعجزة، بمعنى مناقضتها لها، وجريانها على غيرها[(٢)].

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٧٨. وقد نقل حسن حنفي دعوى: أن الله تعالى خلق الأجسام، والأجسام خلقت أعراضها، فقال: (المعجزات إذن ليس شيء منها من فعل الله -سبحانه-، فالله قد خلق الأجسام، ثم خلقت الأجسامُ الأعراضَ بأنفسها. وليست المعجزة حدوث أجسام، وإنما حدوث أعراض في الأجسام، على وجه لم تألفه العادة). ا.هـ. المرجع نفسه: ٧٨-٧٩. وهذا الإيراد من حسن حنفي لهذا الادعاء الساقط، مع نقله لدعوى نفاة حدوث أية معجزة بالكلية، على أيّ وجه؛ يدل على أنه لا يقصد إلا الإبطال للحق كيفما اتفق، ولو كان هذا بحشر ما أمكنه من الخرافات والتفسيرات الباطلات للمعجزات، ولو مع عدم تحرير نسبتها إلى أصحابها. بالإضافة إلى إيراده جميع ما ذُكِر من شبهات أُورِدَت على المعجزات وثبوتها، وحتى إن كانت مجرد تقدير من موردها، لا أنه قد وُجِد بالفعل من ذكرها، وقد تكون مثل هذه الدعاوي الباطلة قائمة على أسس متناقضة، ولكن هذا كله لا قيمة له عند حسن حنفي، ما دام أن هدفه هو إبطال الحق ولو بالدجل والتلبيس.
وواضح أن مثل هذا الأسلوب لا علاقة له مطلقاً بالمنهج العلمي في البحث، فحتى لو كان الباحث كافراً ومنكراً، فإنه إن كان لديه شيء من الالتزام بمبادئ المنهج العلمي في البحث؛ فلابد إن أنكر أمراً ما؛ أن يحدد أسباباً معينة لإنكاره، متلائمة مع منهجه الفكري العام، ومع معتقداته وآرائه. لا أن يلملم كل ما ذكر من رفض وإنكار، أو تفسير فاسد ويحشره ويعرضه في مجال الرد، وحتى لو كان بين الذي حشره ولملمه؛ المنافرة والتعارض والتناقض!، بل قد يكون فيما يحشره ما هو مخالف لأسسه ومبادئه الفكرية أصلاً. فهل ذلك الصنيع من مميزات البحث العلمي عند العلماني: حسن حنفي، وأضرابه؟!!.

خامساً: أن المعجزات لها زمانها الذي تنقضي فيه، فما على الأجيال اللاحقة إلا الإيمان بمجرد أخبار وصلتها. وإذا كان الإيمان سيتم بمجرد خبر؛ فيكتفى بالإيمان بكتاب النبوة الذي يصل إلى الأجيال اللاحقة، من غير تبديل أو تحريف. وإلا فهل تستمر المعجزات؟، وإن استمرت لم تعد معجزات(١).

سادساً: وفي آخر مرحلة من مراحل النبوة، وعندما يكتمل الوحي وتتحقق غايته، وهي استقلال العقل وحرية الإرادة؛ فإن المعجزات الخارقات للقوانين الطبعية مستحيلة من حيث المبدأ. إذ هي ارتداد للماضي، وعود إلى التبعية، وحاجة الإنسان إلى وصايا خارجية، وذلك إنكار للتقدم، وقدرة الوحي على تربية الإنسان، وكمالها ورقيها!.

والمعجزة في مرحلة اكتمال الوحي مناقضة للعقل والإرادة، فخرق قوانين الطبيعة هدم لقوانين العقل، وجعل الفعل تابعاً لقدرة خارجية، وليس لقدرة الإنسان(٢).

سابعاً: أنه لا يمكن التصديق بالمعجزة إلا إذا نقلت بالتواتر، ولا يمكن أن تنقل بالتواتر، لأنه في مقدمة شروط الخبر المتواتر: الاتفاق مع الحس والعقل!. والمعجزة تعارض شهادة الحس، وبداهات العقل، ومجرى العادات.

بل إن كثيراً من روايات المعجزة كانت في أصلها آحاداً ثم أصبحت متواترة، ولو كانت حقيقية لتوافرت الدواعي إلى نقلها متواترة، ولكنها ظلت آحاداً، فلعل سبب ذلك نظرة معجب تضخم عند الأمر، أو خطأ حواس عند مخدوع، بل ربما كانت بداية تلك الآحاد وضعاً(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٦١-١٦٢، ١٦٥.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٦٢-١٦٣. وبعد أن ذكر حسن حنفي: إمكان أن تكون بداية الآحاد وضعاً، أعلن هذا صراحة بصيغة الجزم فقال: (لقد وضعت الأحاديث التي تروي المعجزات في فترة متأخرة، ثم نُسبت إلى مبلِّغ الوحي، ثم اختُلقت الشواهد الحسية، والوقائع المعينة، والتحديدات الزمانية والمكانية، للإيحاء بأن الراوي إنما قد روى عن مشاهدة مباشرة، ومعاينة للوقائع، ومعاصرة للأزمان...). ثم قارن هذا بما حدث في الأناجيل المحرفة. ثم ذكر أنه توجد روايات أخرى لا تذكر المعجزات وتسكت عن تكذيبها!، والسكوت ليس دليلاً على التصديق، وإن لم يكن دليلاً قاطعاً على التكذيب!. وهذا السكوت يدل على أن الأحاديث الراوية للمعجزات قد وضعت في عصر متأخر!، ولو كانت موضوعة في عصر متقدم لأمكن تكذيبها، ووضعها في عصر متأخر كان نتيجة حاجة لتعظيم الأشخاص!.
وقد كان في كل عصر من يكذّب هذه الأحاديث، إما بالنقد الخارجي للسند، وإما بالنقد الداخلي للمتن، القائم على العقل، وإن كان هذا قد حصل في عصر متأخر. وربما يأتي عصر تصبح فيه المعجزات أخطر على الأمة من أي أمر آخر!، وذلك عندما يستدعي الأمر تأكيد سلطان العقل، ودور العلم، والاعتماد على الحرية والتخطيط، وليس على إجراء المعجزات. ا.هـ.
انظر: المرجع نفسه: ١٦٣-١٦٤.
وكل الذي ذكره حسن حنفي هنا من الكذب الذي لم يأت بشيء يسنده ولو من باب التلبيس، وإنما هو مجرد تقريرات ادعاها افتراء على الحق، وأَوْهَم أنها حقائق لا مجال لمناقشتها، كدعواه الافترائية أن المعجزات -بعد أن كان يدعي أن الكثير منها- قد وضعت في عصر متأخر، وأن هذا كان نتيجة حاجة اجتماعية. ودعواه وجود من كان يكذّب بهذه المعجزات بإطلاق، وهو من داخل الأمة، سواء عن طريق السند أم المتن، وهذا كذب، فلم يوجد من يكذب بجميع أخبار المعجزات، من المنتسبين إلى الإسلام حقيقة، ولكنه وجد من كذّب بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في شأنها، كما وجد من ضعّف الأحاديث الضعيفة والموضوعة في شتى المسائل والعقائد والشرائع. وإن قصد حسن حنفي الشبهات التي تُذكر في الكتب؛ فهي إما افتراضية؛ وإما أن الذين يوردونها لإبطال المعجزات بالكلية هم من الكافرين بالدين كلية. ولن يستطيع أن يجد أحداً من المؤمنين بالحق المنزل الأقدمين قد أنكر المعجزات، وثبت عنه هذا بالدليل. =

= وإذا كان يدعي الإيمان بالقرآن الكريم وتواتره؛ فهل المعجزات المادية التي ورد ذكرها فيه موضوعة أيضاً؟!. وهل يصح إلقاء التهم جزافاً؟!، وهل قام بدراسة جَمَع فيها أحاديث المعجزات الثابتة الكثيرة، والتي بلغت في مجموعها حد التواتر قطعاً، فهل قام بدراستها دراسة علمية -سنداً ومتناً- وبيّن متى انتقلت تلك الأحاديث من درجة الآحاد إلى التواتر؟!. إنه لو قام بهذه الدراسة لوجد طائفة من أحاديث المعجزات قد بلغت درجة التواتر في جميع مراحل سندها، ومنها طائفة كبيرة قد انتقلت إلى درجة التواتر في طبقة الرواة عن الصحابة، فهل قَصَدَ الصحابةَ؛ عندما زعم أن أحاديث المعجزات قد وضعت في عصر متأخر؟!. إن الذي يريد أن ينقض ويتهم لابد أن يكون هذا قد صدر عنه؛ من خلال أدلة، يتوصل إليها بالدراسة والتنقيب، وأما إطلاق الدعاوى الخيالية، فهذا مما لا يعجز عنه حتى مَن سلبوا نعمة القدرة على التفكير السليم!.

وأما نقد متن أحاديث المعجزات الذي جاء به حسن حنفي؛ فهو لا يقوم إلا على أساسه الباطل بأن المعجزات تعارض العقل والإرادة، وقد سبق في الشبه الماضية الإشارة إلى بطلان هذا الأساس، وسيأتي أيضاً في هذه الشبهة. وعلى هذا الأساس الباطل بنى حسن حنفي تأويلاته الزائفة لنصوص المعجزات، انظر: المرجع نفسه: ١٦٧، وما بعدها.

ومن سقطات حسن حنفي الشنيعة: اعتباره للروايات التي سكتت عن المعجزات؛ أنها تحمل الدليل على بطلان المعجزات، وإن لم يكن دليلاً قاطعاً، ولكنها تدل على أن المعجزات وضعت في عصر متأخر..!!.

فما الذي يقصده بهذه الروايات؟!، أم أنه يريد القول: بأن المعجزات لو كانت حقيقة؛ لكان ينبغي أن توجد في كل رواية حديثية!، فكلما أراد صحابي أن يذكر حُكْماً بيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم، أو قضية جرت معه صلى الله عليه وسلم؛ فإنه ينبغي -لو كانت المعجزات حقاً واقعاً- أن يحشر بمناسبة أو بدون مناسبة معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم!.

إن مثل هذا السخف لا يمكن تصور حدوثه عند من بلغوا في الفصاحة حداً كبيراً، بل إن مثل هذا لو وجد؛ لكان قدحاً في الروايات من حيث متنها، إذ يجد الدارس حشراً مفتعلاً لإيراد معجزة، من غير أية مناسبة يستدعيها السياق!. فهل مثل هذا الأسلوب هو الذي يطالب به حسن حنفي في جميع الروايات، حتى لا تكون هناك رواية ساكتة!!. إن السكوت عن مثل هذا الهراء أستر لصاحبه، لو كان يدري ما يقول!.

وأما نظرته إلى المعجزات وخطرها على الأمة؛ فهي نظرة من لم يفقه الحكمة منها، وأنها أحد الأدلة على صدق النبي عليه السلام، ضمن أدلة كثيرة، حتى لا يبقى مجال للاعتذار في موقف الحساب. وأما بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقد انقطعت المعجزات. وأما الكرامات فإنها وإن كانت ثابتة؛ فإن هذا لا يعني التواكل عليها. وإذا وجدت طائفة قد انحرفت في مدى تعلقها بالكرامات، حتى أصبحت عندها من الغايات؛ فإن هذا لا يعني عدم صحة الكرامات أو المعجزات، كما لا يعني أن هذه الطائفة هي مجمل الأمة، فكما توجد هذه الطائفة؛ يوجد في مقابلها الكثير ممن فقه النصوص الشرعية حق فقهها، وأدرك ما تأمر به من السعي وراء تحصيل العلم النافع، والأخذ بأسباب القوى، والتزام المنهج السليم، ثم الله تبارك اسمه يتفضل بالمزيد، وإن كان لا يعلم أحد متى أو كيف يكون ذاك.

ولتأكيد رفض حسن حنفي للمعجزات؛ اختلق للتواتر شرطاً وهو: أن تكون الروايات متطابقة تطابقاً حرفيا فيما بينها، بلا زيادة ولا نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إظهار أو إضمار!!. انظر: المرجع نفسه: ١٦٤.

ومن الذي ادعى وجوب هذا الشرط على هذا النحو؛ الذي لم يثبت لكتاب على وجه الأرض إلا للكتاب العزيز، الذي تكفل الله جل جلاله بحفظه؟!.

وهل يقبل من عاقل أن يقول: أنا لا أقبل من الأخبار إلا ما كان متواتراً، وليس هذا فحسب: بل يجب أن تكون الروايات متطابقة على ذلك النحو؟!.

إن ثبوت مثل ذلك التواتر للقرآن الكريم هو أحد معجزاته، إذ لا يوجد كتاب كتب في مثل ذلك الزمان، وكانت له نسخ، أو حتى رواية نقلت بالتواتر الشفهي عبر عصور مديدة؛ مع التطابق الحرفي التام بين جميع طرق الرواية، أو نسخ نصوص الكتاب، فهل تلغى جميع تلك الروايات والكتب، وإن كانت موثقة النسبة إلى أصحابها، بدعوى أن طرقها ونسخها ليست متطابقة تطابقاً كلياً؟!.

===

هذه هي أقصى ما وجه إلى الآيات المعجزات من قوادح لا ترقى حتى إلى مستوى الشبهات. ومما يبطلها، ويبين سقوطها:

أولاً: إن رفض إمكان المعجزة بناء على أن فاعلها هو الله تبارك اسمه، وهو الخالق القدير على كل شيء، وادعاء أن هذا تصور المجبرة، وأنه لو كان صحيحاً لما احتاج -سبحانه وتعالى عن الاحتياج- أساساً إلى رسول ومعجزة، وحساب وعقاب؛ كل هذه الدعوى في حقيقتها بناء متهالك، على جرف هار، سرعان ما يهوي بصاحبه إلى الحضيض.

== إن من المؤكد أن حسن حنفي ليس له أي اطلاع على جهود علماء الحديث في نقد رجاله، ومدى قبولهم للزيادة التي تأتي من بعضهم، أو: ردهم لها، وهذا ليس بغريب عليه وعلى أمثاله ممن ليس عندهم إلا أسلوب إلقاء التهم جزافاً، والتهكم بالحقائق مهما كانت واضحة صريحة. بل إنه يزيد في افترائه على رجال الحديث إذ يصوِّر المحدّثين -بصفة عامة- بصورة القُصّاص، الذين يزيدون في القصص على الدوام؛ ما يعظّم من إثارتها، دون رقيب أو عتيد!. انظر: هذا الأسلوب العلمي عند حسن حنفي في: النبوة: ١٦٤-١٦٥.

بل لو كان عنده أو عند أمثاله والمتأثرين بهم اطلاع يسير على التاريخ؛ لوجد أن معظم كبار المحدّثين قد كان يوجد جفاء بينهم وبين السلاطين، وإلى حد مطاردة بعض السلاطين لفريق من أولئك المحدثين. وحتى إن بعض علماء الجرح ليغمز في الراوي الثقة إن وجده ممن يدخل على السلطان!، ولو لم يثبت عنه أية مداهنة له. ولكن حتى هذا الأمر البدهي يجهله أو يتجاهله أمثال هؤلاء، فيصورون المحدّثين وقد جلسوا بين أيدي السلاطين؛ يخدرون الشعوب الأمية المقهورة عن الثورة على السلاطين، بتلك الأحاديث التي يمدحون بها سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- مرة، ويمدحون بها أمير المؤمنين مرة أخرى!. انظر: الموضع السابق من كتاب النبوة لحنفي. وبالطبع فإنه لا يسأل عما يفتريه، فيكفي أنه ادعاه ليصبح حقيقة لا تقبل النقاش!!.

بل إن جهل حسن حنفي -وأضرابه- قد وصل إلى درجة تغافَل معها؛ عن أن هذا العصر الذي ينسب إليه الوضع والأمية والقهر؛ هو عصر قوة الدولة الإسلامية وانتشارها، وعصر العلماء المحققين المبدعين، والذين يتظاهر بمدحهم في مواضع عديدة، ولكنه هنا يصوّر عصرهم على أنه عصر الأمية والقهر. فهل هذا من التناقض؟!، أم أنه شخص لا يهمه إلا الإبطال، ولو كان إبطاله يتناول حقائق ووقائع لا يجهلها أحد.

ولا تنتهي الأمور التي يثبت فيها حسن حنفي مدى جهله، أو تجاهله المتعمد لإخفاء الحق، والتي منها جهله بطبائع النفوس، ولا سيما عند أهل الجاهلية الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كان يوجد فيهم مَن هم مِن أشد الناس بعداً عن تقدير الأمور حق قدرها، عن طريق التفكير العقلي السليم، وعن الوصول إلى الحقائق بالأدلة العقلية. وكانت أبسط الدلائل المادية الغريبة؛ أقوى تأثيراً في نفوسهم وعقولهم؛ من أقوى الأدلة العقلية، فيسارع بعضهم إلى الإيمان بالحق، إن رأى آية مادية، مع أنه هو نفسه لو ظل داعي الحق معه دهراً بأكمله يقيم له الدلائل العقلية؛ لما فهمها ولما استوعبها، ولظل على حاله من الجهل والضلال.

فإذا انتقل إلى الإيمان بالحق وبالدين المنزل، انتقل به درجة فدرجة نحو الكمال والرقي في سبيل العلم والمعرفة والتفكير الصحيح، وينتقل عندئذ من إنسان إلى إنسان آخر تماماً.

كل هذا جَهِلَه حسن حنفي، وصار يتساءل عن شهادة الإبل بالحق، وهل تقارن بالأدلة العقلية على ذلك؟!. وإن كنت لم أجد حديثاً صحيحاً حول شهادة جمل أو ناقة بالحق، وبالطبع فإن العلمانيين لا يفرّقون بين ما يصححه علماء الحديث أو يضعفونه، أو يحكمون عليه بالوضع، فكل هذا لا قيمة له عندهم.

ولم يكتف حسن حنفي بما سبق، بل إنه أطلق حكمه السلطاني: بأن جانب المعجزات مع أمور المعاد هو أضعف أجزاء علم أصول الدين!، وقد كان في سبيله إلى الالتحاق بالعلوم العقلية، كما كان الشأن في الذات والصفات والأفعال، لولا توقف الحضارة في القرون السبعة!. وواضح أن حسن حنفي بهذا الحكم الجائر يعطي دليلاً جديداً على عدم إيمانه بالحق مطلقاً، وأنه إنْ أظهر شيئاً من هذا الإيمان فإنما هو من باب النفاق والخداع.

١- فالجبر الممتنع هو جبر المكلَّف على عمل من غير ما إرادة منه مطلقاً ثم معاقبته عليه، وأما الأمور الكونية وقوانيها التي تسير عليها، والتي تشمل كذلك كل ما يتعلق بجسم المكلَّف، مما لا يحاسَب على ما يجري فيه، لأنه لا اختيار له فيه؛ فهذه الأمور والقوانين كلها بخلق من الله عز وجل، دون أية إرادة للمخلوق، فهي قوانين جبرية شاء المخلوق أم أبى، ومن ثم فلا وجه مطلقاً لرفض أن يغيّر الخالق بعض سننه وقوانينه في الكون لحكمة بالغة؟!.

٢- إن (العلماني) الذي يتظاهر برفض الجبر من قِبَل الخالق جل وعلا؛ هو -في حقيقة أمره- ينفيه عن الرب الحكيم العليم الخبير جل شأنه؛ ليثبته إلى طبيعة غافلة لا عقل لها ولا علم ولا إرادة. فالطبيعة هي التي وضعت قوانينها، وقوانينها جبرية لا يمكن تغييرها.

ولكن ما هذه الطبيعة التي فعلت هذه الأشياء وكيف فعلتها؟!، والجواب عند الملحدين هو أن ذلك كله قد تم بالمصادفة!. ومَثَل هذا مَثَل العطشان الذي يرفض الماء العذب الزلال، ويجري بقية عمره لاهثاً خلف سراب!.

٣- وأما ادعاء أن الرب جل جلاله لو كان يفعل المعجزات بناء على كونه الخالق القادر على التصرف في الكون كما يشاء؛ لكان في الأساس مستغنياً عن إرسال الرسل، وإعطائهم المعجزات، بل كان يجبر الخلق فطرياً على الإيمان والتسليم؛ فهذه الدعوى الباطلة قائمة على أساس تصور أن المعجزات دليل يجبر الناس على الإيمان بالحق، وقد سبق بطلان هذا التصور[1]، وبيان أن المعجزة لابد لها من نظر واستدلال، حتى يفرق المرء بينها وبين أنواع السحر والشعوذة. كما أن مثلها مثل سائر الأدلة؛ قد يصر البعض على إنكارها مهما بلغ ظهورها ووضوحها، فمِن البشر مَن لا يستحيي أن يدعي غياب الشمس الساطعة في وسط النهار!!.

٤- ثم إنه لا يلزم من خضوع الكون المادي -غير المكلف- للقوانين الجبرية؛ أن يكون المكلَّف والمحاسَب والمجازَى مجبراً على ما سوف يحاسَب ويجازَى عليه. وما من عاقل يجهل حقيقة خضوع الكون للقوانين الجبرية، ولكن المؤمن ينسب الخلق لله تبارك اسمه، والذي إن شاء غيَّره لحكمة. والملحد ينسبه إلى الطبيعة، والتي تفعل بلا علم ولا غاية ولا حكمة.

فالمؤمن بالله تعالى الإيمان الصحيح الكامل؛ يعلم أنه عز وجل خَلَقَه وكَلَّفَه، وأبان له الحجج والبراهين والآيات المتنوعات، من معجزات وغيرها، ثم أعطاه الخيار إن شاء آمن، وإن شاء كفر، ولكن الإنسان سيُسْأَل عن اختياره، وسيجازى عليه الجزاء الأوفى.

ثانياً: ودعوى أن المعجزة قدح في العقل وإنكار لبدهيات العقول، وأنها رجوع بالتطور

---

(١) انظر ما سبق: ٦٤٣.

البشري إلى ما قبل ختم النبوة، حيث كان يقف العقل عاجزاً عن فهم قوانين الطبيعة، فيلجأ إلى السحر والعبادة، درءاً للخوف واتقاء للمخاطر. ثم هي إنكار لقوانين الطبيعة. فالمعجزة قدح في العقل، وقدح في الطبيعة[1]؛ فإنه يقال لصاحب هذه الدعوى الباطلة:

١- ما وجه القدح في العقل، الذي تزعمه؟!!. إنه ليس عنده إلا أن يقول: إن العقل قد استنبط قوانين الطبيعة، وهذه القوانين لا يمكن أن تتغير، ومن ثم فإنّ دعوى خرقها قدح في العقل، كما أنه قدح في الطبيعة، إذ جوَّزْنا إمْكان خرْق قوانينها.

ومن الظاهر البيّن أن هذا الباطل لا يصدر إلا ممن لم يؤمن بـا لله تعالى، فهو إما ملحد كافر بوجوده سبحانه أصلاً، فليس عنده إلا الطبيعة العمياء صاحبة الجبر الذي لا حكمة فيه، وإما هو ملحد كافر بصفاته وأسمائه الحسنى، فيدعي أنه يثبت وجود إله لا صفة له ولا عمل، فليس هو -تعالى عن ذلك- مَن وَضَعَ القوانين، وليس -سبحانه- قادراً على تغييرها إن شاء، وإنما الطبيعة -التي لا تتصف بشيء من العلم والحكمة- هي التي خلقت وقدرت الكون، ووضعت قوانينه، فالطبيعة هي الفاعلة على كل حال، وهي رب ذلك الملحد في الحقيقة، وإن لم يعلن هذا.

وأما المؤمن با لله تعالى وبصفاته حقاً، فإنه لا يرى أيّ مانع يمنع من أن يغير جل شأنه القوانين التي يسيّر بها كونه، كلها أو بعضها، لحكمة، فإنه هو العليم الحكيم الخبير القدير جل شأنه.

٢- إنّ مَن يضع مُسَلَّمات من عنده ويَسِير بحسبها، ثم يلاقي ما ينقض مُسَلَّماته؛ فلا يجوز أن يزعم أن ما ينقض مُسَلَّماته؛ هو مناقض للعقل، وإنما عليه أن يعترف بأنه مناقض لما ادعى أنه من المُسَلَّمات، سواء كان منهجه له دليل أو شبهة دليل؛ أم كان ساقطاً لا قيمة له في ميزان النقد الصحيح، كما هو حال (العلماني) وزيوفه الباطلات. فهذا هو ما ينبغي عند من عنده أدنى التزام بالمنهج العلمي في المناقشة، وظاهر أن (العلماني) وقبيله ليس عندهم أي منهج علمي، بل غاية ما عندهم المنهج الإبليسي التضليلي.

٣- وأما ما ذكره (العلماني) من أن العقل عندما كان يقف عاجزاً عن فهم قوانين الطبيعة؛ فإنه كان يلجأ إلى السحر والعبادة؛ فهذا إنما يصح عند من لم يؤمنوا با لله تعالى حقاً، وأنه خالق هذا الكون، وواضع سننه، وأنه القدير على كل شيء، بل كانوا يشركون معه أو من دونه، فيعبدون قوى الطبيعة، ويتخذون أساليب السحر والشعوذة، للدجل على البسطاء والسذج.

وأما المؤمنون با لله تعالى وأنبيائه عليهم السلام حقاً؛ فإنهم يعلمون من خلال فِطَرِهم السليمة، ومن خلال ما جاءهم به الأنبياء عليهم السلام من الحق؛ أن ا لله جل شأنه قد خلق الكون وجعل له

(١) انظر ما سبق: ٦٤٧.

سنناً يجري على مقاديرها، وطلب من عباده أن يسيروا في كونه، ويدرسوا سننه، ليزداد إيمانهم به جل شأنه، وليشكروه جل ثناؤه على ما أَوْلاهم من النعم الظاهرة والباطنة، حق شكره، وليستفيدوا من هذا الكون المسخر لهم. ومثل هذا المؤمن كلما ازدادت معرفته بقوانين الكون؛ ازداد عمق إيمانه بربه تعالى، ورسوخه في قلبه، إذ يعظم يقينه بأن تلك القوانين البديعة لا يمكن أن تكون إلا من إيجاد خالق حكيم عليم، تبارك اسمه. وهذا كله يدفعه إلى المزيد من الخشوع له، جل شأنه، والخضوع له بالعبودية، التي هو لها أهل، فإنه وحده المستحق للعبادة.

فذلك حال المؤمنين، وأما غيرهم فإنهم لا يَنْفَكُّون عن الشرك بالله سبحانه، سواء أَقَرّوا بهذا أم لم يقروا، وادعوا أنهم من الملحدين. لأن ربهم في هذه الحالة -كما سبق- هو الطبيعة العمياء، وبئس للظالمين بدلا.

ثالثاً: وأما ما ذكره (العلماني) من أن تكرّر المعجزات يدل على أنها ليست خوارق للعادات، وإنما لها قانون طبعي، يمكن اكتشافه، إذا أمكن دراسة هذه الظواهر المتكررة، ومعرفة العلاقة التي تجمعها[1]؛ فإنه يقال له:

١- للآيات المعجزات سنة لله تعالى، كحال سائر مخلوقاته، وهي سنة قد بيّن العلماء حدودها وصفاتها وأسبابها، وأنها على وجه العموم مما يجريه الله جل وعلا على يد أنبيائه عليهم السلام، ليكون أحد البراهين الدالة على صدقهم.

فليس ثمة شيء في هذا الوجود إلا قد وضع الله -جل جلاله الحكيم العليم- له سنة يسير بحسبها، وضمن حدودها، والسنن والقوانين كلها مخلوقة له تبارك اسمه.

٢- وأما دعوى أن قانون المعجزات إن اكتشف فسيكون أحد القوانين الطبعية؛ فهذه دعوى يرفضها المؤمنون بالله تعالى حقاً، فجميع القوانين والسنن الكونية عندهم هي: ربانية، قد وُضِعَت من لدن حكيم عليم قدير، وليست طبعية، أي أن الطبيعة هي التي وضعتها، إذ فاقد الشيء لا يعطيه.

٣- ثم إن الدارس للمعجزات يجد: أن كل نبي من الأنبياء عليهم السلام قد اختص بآية، أو أكثر من الآيات المعجزات. ثم إن تكررت؛ فإنها لا تتكرر إلا على يد نبي، وقد ختموا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. فكيف سيمكن دراستها لاستنباط قوانينها، والآيات المادية الكبرى منها قد انقضت، ولم تبق إلا آية القرآن العظمى، والتي تتحدى البشر دواماً، وتطلب منهم أن يتدبروها حقاً.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٤٨.

رابعاً: وأما ادعاء أن المعجزات قد تكون من فعل الأجسام بطبائعها، وليس خرقاً لقوانينها، فهي تحدث طبقاً للطبائع لا خرقاً لها، لأن قوانين الطبيعة ثابتة لا تخرق بفعل أحد[1]؛ فهي دعوى تؤكد حقيقة (العلماني) ومن كان على شاكلته:

١- فهم ليس عندهم أدنى إيمان بالخالق جل وعلا، إذ ليس هو سبحانه موجِداً لشيء من القوانين الكونية، بل الأجسام -بالمصادفة العمياء، وهذا هو التفكير العلمي عند العلمانيين- هي التي توجد قوانينها، وليس هذا فحسب، بل إنه -جل وعلا- لا يملك مجرد القدرة على التدخل لتغيير شيء من هذه القوانين. ومن يصل في اعتقاده إلى هذه الدركة من الإلحاد؛ فإنه يكون قد وصل إلى دركة الإلحاد الكلي، إذ ما الذي يعنيه إثبات إله لا فعل له ولا قدرة ولا إرادة ولا تصرف...؟!.

٢- ولو لم يكن الأمر قد وصل عند أولئك العلمانيين إلى ذلك الحد من الكفر والإلحاد؛ فما الذي يدفع مَن يَدّعي أنه مؤمن بوجود الإله الرب الخالق الحكيم، جل وعلا؛ إلى أن يرفض أن يكون تعالى هو الذي وضع تلك القوانين التي يسير الكون بحسبها، وأنه تبارك اسمه عنده القدرة على تغييرها، إن شاء ذلك لحكمة؟!.

وهل يوجد عاقل يجد آلة دقيقة الصنع؛ فيفضل القول أنها قد تجمعت أجزاؤها بالمصادفة المحضة، ووضعت قانونها العجيب بمصادفة أخرى!، على القول بوجود إنسان عاقل مفكر عالم قد أوجدها، ووضع لها قانونها، وأنه قادر على تغييره إن شاء؟!!.

إن الإنكار النابع من: الهوى أو الاستكبار عن اتباع الحق، أو لمجرد الإنكار، إذا استحكم في النفوس؛ أصمّ أصحابها، وأعماهم عن الحقائق، مهما كانت ظاهرة وبدهية.

٣- إن القوانين والسنن الربانية التي نظّم الله تعالى بها كونه؛ لا تمنع من التصديق بإمكان انخراقها -كما ادعى (العلماني)-، بل وتحوّلها بالكليّة. فمن قدر على إيجاد الشيء؛ قدر على تغييره وتبديله، وهو جل جلاله حكيم عليم قدير. بل إن انخراق تلك السنن في حالات استثنائية -كما في حالات الآيات المعجزات- يزيد من إيمان المؤمن با لله عز وجل، إذ يزداد إدراكه لعظيم حكمة الرب جل جلاله، وعظيم قدرته وعلمه، فحتى الحالات الاستثنائية لها سنتها، ولها حكمتها البالغة.

٤- ثم إن حالات الآيات المعجزات الاستثنائية لا تمنع من استمرار طلب العلم وتقدمه، لمعرفة المزيد عن السنن الربانية الكونية، فإن تلك السنن ما تزال جارية، ولم تنقطع الاستفادة منها بعد، وانخراقها في حالة جزئية؛ لا يؤثر شيئاً بالنسبة إلى التقدم العلمي. وهو يشبه إلى حد ما؛ الإجازة التي

---

(١) انظر ما سبق: ٦٤٨.

يأخذها الإنسان من العمل، ليعود إليه سريعاً، بنشاط وهمّة، وهذا لا يُعدّ شيئاً بالنسبة إلى الفائدة التي يجنيها مَن يتدبر الآيات المعجزات بحق.

فهل يصح بعد هذا أن يدعي مفتر أن انخراق السنن والقوانين الكونية؛ يؤدي إلى زعزعة الثقة بالعلم والعقل؟!، أم إن الأمر على النقيض من هذا؟!.

خامساً: وأما مسألة أن الآيات المعجزات لها زمانها الذي تنقضي فيه، فكيف تؤمن الأجيال اللاحقة؟![1]. ا.هـ.

فهذا التساؤل لا يصدر إلا عمن يصر ألا يفهم حقيقة الحكمة من وراء تلك الآيات، وأنها أدلة، ضمن أدلة متعددة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يخلقها الله جل شأنه عندما تقتضي حكمته ذلك.

ففي بداية دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الحاجة شديدة إلى المزيد من الأدلة –ولا سيما المادية–، وهذا لمجتمع قد بلغ من الجهل أقصاه، والدعاة إما فرد وهو النبي صلى الله عليه وسلم في البداية، أو أفراد قليلون بالنسبة إلى المجتمع من حولهم.

ولكن ليس معنى هذا أن تلك الحاجة ستستمر، فبعد أن توجد أمة مؤمنة بالحق، وقد ترقت في مدارج الرقي العلمي والفكري؛ فإنها تكون قادرة بمجموعها على العمل لإقناع الآخرين بالحق، عن طريق الاكتفاء بالبراهين العقلية، التي أنزلها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا سيما إذا رافق هذا؛ تقدم عام في مجالات الاستفادة من المناهج العقلية في التفكير.

ولكن ومع هذا كله؛ فإن في الرسالة الخاتمة آية معجزة كبرى خالدة إلى يوم الدين، لا تنقضي عجائبها، وكل يوم يكتشف الباحثون وجهاً إعجازياً جديداً لها، وهي آية القرآن الكريم، التي تجد فيها المجتمعات على الدوام؛ ما يجعلها توقن بعجزها أمام هذه الآية الباهرة، وهذا مهما بلغت في الرقي والتقدم المادي.

سادساً: وأما دعوى أن الآيات المعجزات تعارض معارضة خاصة آخر مرحلة من مراحل النبوة...، إلخ[2]؛ فهي لا تختلف عن الدعاوى السابقة من حيث السقوط والبطلان:

١ – فما معنى دعوى (العلماني): أن الآية المعجزة لو كانت ثابتة؛ لكان في هذا عود للتبعية، وإثبات لحاجة الإنسان إلى وصاية خارجية؟!.

إذا كان الله جل شأنه –عند المؤمنين به حقاً– هو الخالق المدبر؛ فالآيات المعجزات لم تدل على شيء جديد، بالنسبة إلى مسألة احتياج الإنسان إلى ربه عز وجل دواماً.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٤٩.

(٢) انظر ما سبق: الموضع نفسه.

فكل مؤمن با لله حقاً، وكل متدبر في حال الإنسان والمخلوقات بأسرها بإنصاف؛ يعلم يقيناً أنها جميعها لا غنى لها عن ربها جل شأنه لحظة واحدة، مهما صغر مقدارها.

فما هي التبعية التي يريد أن ينفيها (العلماني)؟!.

إذا كان يريد نفي احتياج الإنسان الدائم لربه عز وجل؛ فمثل هذه الدعوى تخرج الإنسان من دائرة المؤمنين با لله عز وجل[1]، والمسألة لديه عندئذ ليست مقتصرة على المعجزات، بل هي شاملة لجميع مظاهر الحياة وقوانينها. وهذا يدل على كِبْر في نفس قائِله، ولكنه كِبْر لن يُضِير ويُهْلِك إلا صاحبه. فهل الإنسان هو الذي يتحكم في وظائفه الحيوية، أم إنها تسير وفق السنن الربانية الدقيقة؟!. وهل الإنسان خلق نفسه أو شيئاً مما في الكون؟!!، أم أن (العلماني) لا يؤمن أصلاً بخلق ا لله عز وجل للكون، أو بوجوده سبحانه أصلاً؟!.

فالإنسان في شأنه كله لا غنى له عن ربه جل شأنه، وهو تبارك اسمه يمدّه ويعطيه في كل لحظة، ولولا هذا لانتهى الإنسان وزال، بل إن الكون كله معرض للزوال إذا انقطع عنه العطاء الرباني لحظة واحدة. وسواء أقر الإنسان بهذا أم جحد وأنكر، فللحساب والجزاء يوم لا نهاية له.

٢- وإن كان (العلماني) يريد نفي احتياج الإنسان لربه عز وجل في مسائل الهداية الشرعية؛ فنَفْيه عندئذ لا يختص بالآيات المعجزات، التي هي دليل كسائر الأدلة؛ بل يشمل أيضاً النبوات بأسرها، وعندئذ فهو غير مؤمن بالنبوات أصلاً، ويرى أنها تؤدي إلى التبعية والوصاية، وهذه مسألة قد سبقت مناقشتها والرد عليها[2].

٣- وسبق قريباً إبطال دعوى أن المعجزة فيها هدم لقوانين العقل، ولكن العجيب الذي أضافه (العلماني) أن: الآية المعجزة تناقض الإرادة؛ وتجعل الفعل تابعاً لقدرة خارجية، وليس لقدرة الإنسان!!.

فهل الإنسان في نظر (العلماني) هو خالق الكون وواضع سننه وقوانينه، حتى يزعم أن الآية المعجزة تجعل الفعل تابعاً لقدرة غير قدرته؟!، وهل يوجد مَن يظن هذا ممن عنده أدنى مثقال ذرة من

---

(١) بالنسبة إلى حسن حنفي فالأدلة التي تشير إلى إلحاده الكامل لا تحصى، (انظر على سبيل المثال: ٦٢٩ هـ: ١)، ولكنني عندما أرد على هذه الشبهات أرد عليها باعتبارها شبهات مستقلات، قد ينخدع بها الكثيرون ممن قد لا يقولون بجميع أقوال حسن حنفي، وإنما يتأثرون ببعض أقواله التي يزخرفها ويزينها بباطل من القول، فتتشرّبها بعض قلوب ضعاف الإيمان، دون أن يدركوا أنهم لو قالوا بها لأخرجتهم من الملة بالكلية. وعلى هذا المنهج رددت على الكثير من شبهاته، باعتبارها شبهات مستقلات. فليس المقصد من هذا البحث دراسة شخصية معينة، وإنما المقصد هو دراسة شبهات والرد عليها، مهما كان قائلها، ما دام أنه من العلمانيين الذين يدعون انتسابهم إلى الإسلام زوراً وبهتاناً.

(٢) انظر ما سبق: ٢٦٤-٢٧٣، ٢٨٣-٢٨٤، ٣٨٦-٣٨٨.

عقل؟!.

إن الأمور التي تخضع لإرادة الإنسان -حتى مع تقدمه العلمي- لا تعد شيئاً بالنسبة إلى ما لا يخضع لقدرته، مما لا يعدّ ولا يحصى في هذا الكون الرحيب، فصاحب هذه الدعوى لا يعبّر بها عن كفره وإلحاده بقدرة الله عز وجل، المهيمنة على كل شيء؛ بل هو يعبّر بها أيضاً عن بدائية وسذاجة في التفكير، يترفع عنها حتى من وصل إلى سن التمييز، فكيف بمن يدعي بأنه ثوري مجدد؟!!.

سابعاً: ويبقى بعد ذلك كله اشتراط (العلماني) نقل المعجزة بالتواتر حتى يتم التصديق بها، وليس هذا فحسب، بل إن من شرط هذا التواتر أن يتفق مع الحسّ والعقل[1]. وكان ينبغي له أن يحدّد تحديداً دقيقاً أكثر فيزعم: أن المعجزة يجب أن تتفق مع حسه وعقله المريضين، ولو خالفه في ذلك مَن خالفه، فلا اعتبار إلا لما يَحْكُم به عقله وحسّه!!. وبهذا يستطيع الناس أن يضعوه في المكان الملائم له!. ومما يرد به عليه:

١- إن كون العديد من الآيات المعجزات قد نقلت بالتواتر هو: أمر ثابت ظاهر قطعي، لا ينكره إلا كافر معاند، ويكفي في ذلك الآيات المعجزات الواردات في الكتاب العزيز. فإذا أصر (العلماني) على التظاهر بالإيمان بالقرآن الكريم؛ فإنه يجب عليه -ولو ظاهرياً- أن يؤمن بما ورد فيه من آيات معجزات، قد نقلت بالتواتر حتماً. ومن المعلوم أن تواتر ذلك الكتاب قد كان باللفظ والمعنى، دون أي تغيير. فليس عند (العلماني) أي مجال للتشكيك في خبر الآيات المعجزات الواردات في القرآن الكريم، ما دام مُصِرّاً على التظاهر بالإيمان به. فإن أعلن عدم إيمانه به، وأنه كافر أساساً به، وبما جاء فيه، وكانت عنده الشجاعة لإظهار ما يضمره؛ فإن النقاش يعود معه إلى نقطة البداية، لا من نقطة لها أصولها وجذورها.

٢- ودعوى (العلماني) التقريرية: أن الآية المعجزة مخالفة للحس والعقل؛ فما سبق بيانه كاف في إبطالها. وقد تبين أنه لا يمكن أن تصدر مثل هذه الدعوى عن مؤمن بالله تعالى وصفاته حقاً، فمن آمن بالله تعالى، وبأنه حكيم عليم قدير؛ أيقن أنه جل شأنه قادر على تغيير سنن الكون، أو بعضها، إن شاء هذا، لحكمة بالغة.

وأما من كان في إيمانه خلل، أو كان كافراً بالله سبحانه وبوجوده أصلاً؛ فإنه عندئذ لا يستغرب أن تصدر عنه تصوّرات باطلات، وأوهام وخيالات لا حقيقة لها. كأن يدعي أن الكون هو الذي وضع قوانينه!، وأنه لا يمكن لأحد -أياً كان- أن يغيّر شيئاً منها، وغير هذا من الادعاءات التي لا سند لها من دليل أو شبهة. والنقاش المفصّل حولها يتطلب العود إلى مسألة إثبات وجود الرب جل جلاله، وإثبات كونه المتفرد بالخلق، والتدبير، وأنه الحكيم العليم القدير تبارك اسمه.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٤٩.

٣- وبالنسبة إلى مسألة: الاستدلال في أيامنا هـذه لكافر أصلي بالآيات المعجـزات، الـتي ورد ذكرها في الأحاديث الشريفة:

فالظاهر أن مثل هذا الكافر يسلك معـه أكثر من طريق لدعوته إلى الإيمـان الحق، ومـن هـذا: دعوته إلى الإيمان بالرب الخالق جل شأنه، وبصفاته الحسنى، على مـا يليـق بـه تعـالى، بـالدليل العقلـي البرهاني. ومثل هذا الإيمان إذا رسخ في القلب؛ أمكن بعده الانتقال إلى سائر أركان الإيمان.

ومن ذلك أيضاً: عرض أعظم آيات النـبي صلـى الله عليـه وسـلم المعجـزة، والباقيـة إلى يـوم الدين، وبيان ما ورد فيها مما يستحيل صدوره من بشر. ومن هذا ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكونية، التي يستحيل على البشر معرفتها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، مـن قِبَـل أنفسـهم، وإن كانوا قد توصلوا إليها بعد مئات السنين، وبعد أن تقدم العلم، وتقدمت أدوات الكشف والمعرفة.

ومن ذلك أيضاً: عرض محاسن الدين الإسلامي في عقائده وشرائعه، وبيان ما في الملل الأخـرى من السخافات والضلالات، مما لا يقبله عقل سليم، ولا فطرة نقية. وغير ذلك من سبل عديدة.

والحق أن من كان عنده إنصاف؛ فإنه لو درس حقيقـة التواتر، واستحالة اجتمـا ع أهلـه علـى الكذب، وعلم حقيقة نقل الكتاب العزيز متواتراً، وحقيقة نقل العديد من الأحاديث الشريفة بـالتواتر، ومما نُقِل متواتراً عدد من الآيات الماديات المعجزات؛ فإنه لو كان عنده استعداد للإقرار بـالحق؛ فلابـد أن تدفعه تلك الآيات إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.

بل إن من درس بِحَقّ جهود علماء الحديث في نقله من الأجيال السابقة؛ إلى الأجيال اللاحقـة صحيحاً، دقيقاً إلى درجة كبيرة؛ فلابد أن يدفعه هذا أيضاً إلى الإقرار بالآيات الماديات المعجزات، ولـو لم تثبت إلا بطريق الآحاد.

ولا شك بأن الطرق السابقة أقصر من هذا الطريق، لأن مجالات الإنكار فيه أوسع، والإنصاف عند غير المؤمنين يكاد أن ينعدم، ولا سيما في أيامنا هذه.

ولكن لا ريب أن مثل تلك الآيات ستقوي إيمان المؤمن، وستزيد من يقينه بالحق.

القضية العاشرة: شبهات وأباطيل حول عصمة الأنبياء عليهم السلام:

الشبهة الأولى:

ادعى أحد العلمانيين الحاقدين على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: أن الحديث عن العصمة والاهتمام بها؛ هو من مظاهر ما أسماه: تشخيص النبوة[1]. ا.هـ.

إن صاحب هذه الدعوى الباطلة:

أولاً: يريد أن يغفل الحديث عن العصمة، إذ إثباتها يؤكد حقيقة الاقتداء بالنبي صلى ا لله عليه وسلم في أقواله وأفعاله بصفة عامة، والتي أمر ا لله بها عز وجل في كتابه الكريم، إذ قال:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١)﴾ الأحزاب.

و (العلماني) وقبيله يريدون الوصول إلى نبذ الأحكام الربانية المنزلة كاملة، ولا شك أن في الدعوة إلى إغفال الحديث عن حقيقة العصمة، ومن ثم إنكارها في خطوة تالية؛ استدراج من العلمانيين للسمّاعين لهم، لكي يتحللوا من كثير من الأحكام الثابتة في سنة الرسول صلى ا لله عليه وسلم، القولية والفعلية. فعندما لا يكون النبي عليه السلام معصوماً في أقواله وأفعاله؛ فمثله كمثل أي إنسان عادي، لا يمكن أن يكون قدوة في كل ما يصدر عنه، مما لم يبين للأمة أنه لا ينبغي لهم أن يقتدوا به فيه، ومن ثم يسقط أي احتجاج عليهم بأن الرسول صلى ا لله عليه وسلم فعل كذا، أو قال كذا، فهو بشر يخطئ ويذنب!.

والحق أن ذلك أيضاً سيقود في مرحلة قادمة إلى التشكيك في صحة ما نقله النبي عليه السلام عن ا لله عز وجل، فما الذي يؤمّننا من أنه لم يكذب فيه –حاشاه عليه السلام–، ما دام أن الذنب –ومنه الكذب– جائز عليه، وفي هذا تحلل من الدين كلية، وبيان لخطورة الدعوة إلى نبذ الحديث عن العصمة أو إغفالها كلية.

ثانياً: ومما سبق يتبين أن المقصد الأساسي من الحديث عن العصمة ليس هو الكلام عن شخص النبي عليه السلام، وإنما هو لإثبات أنه صلى ا لله عليه وسلم قدوة للأمة، يجب عليهم أن يتأسّوا بها، فجزء أساسي من الرسالة الربانية المنزلة؛ قد بلغه صلى ا لله عليه وسلم من خلال أفعاله وتقريراته وأقواله، زيادة على ما بيّن أنه من كتاب ا لله عز وجل، أو ما صرّح أنه وحي منه تعالى.

---

(١) انظر: النبوة: ١١.

ثالثاً: ثم إنه يوجد دافع دفين في نفوس كثير من العلمانيين، وهو: حقدهم وحسدهم للأنبياء عليهم السلام، على ما أولاهم الله عز وجل إياه من الفضل والكرامة، إذ اختارهم ليقوموا بأعظم مهمة يقوم بها بشر، وقد أدوها على أكمل وجه. وهذا دأب الكافرين دواماً.

قال جل شأنه:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)﴾ الأنعام.

وكذلك حقدهم وحسدهم للأنبياء عليهم السلام على ما أقرّ به المؤمنون لهم من المنزلة والمكانة الرفيعة، اعترافاً بالفضل لأهله، وأداءً للشكر الواجب عليهم للأنبياء عليهم السلام، وتحقيقاً للإيمان الواجب المطلوب منهم، وهذا هو المقصود الثاني من بيان المؤمنين لحقيقة العصمة.

ونظراً إلى ذلك الحقد والحسد؛ فإنه لا تأتي مناسبة يستطيع بها العلمانيون أن ينفثوا بواسطتها من صدورهم شيئاً من الغل والكِبر إلا استغلوها، بعبارات مزخرفة، لا تخدع إلا السذج، ومن ليس لهم في الإيمان قدم راسخة.

الشبهة الثانية:

يزعم بعض كهنة العلمانيين أن العصمة إنْ كانت تعني: عدم استطاعة النبي عليه السلام المعصية أصلاً، أي أنه مجبور على الطاعة؛ ففي هذا إبطال للثواب والعقاب(١).

وإذا كانت على معنى مزيد من اللطف والفضل الربانيين للنبي عليه السلام، حتى لا يقع في المعصية؛ فإن هذا برأي (العلماني): عود إلى القول بالجبر.

وإذا كان الله -عز وجل- قد أعان النبي -صلى الله عليه وسلم- على شيطانه، فأسلم، فلا يأمره إلا بخير(٢)، فهذا -بزعم (العلماني)-: قضاء على حرية الفعل الإنساني أصلاً، وبالتالي يضيع الاستحقاق. ووضع النبي -عليه السلام- في مرتبة أعلى من سائر البشر، وبهذا يستحيل التكليف، ومن ثم الثواب والعقاب. ولا يرجع الفضل في العصمة حينئذ إلى الرسول -عليه السلام-، بل إلى الله -جل ثناؤه-، وتكون هذه ميزة له وحده، دون سائر الأنبياء، مثل داود وسليمان -عليهما السلام-.

وإذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد تم شق قلبه لاستنزاع الشيطان؛ فكيف يعود إليه من جديد، كي يخطئ النبي -صلى الله عليه وسلم- فيعينه الله -تعالى- عليه، ويعصمه منه(٣)؟!.

أما إن كانت العصمة أفعالاً مكتسبة للإنسان بجهده، وبناء على حرية إرادته؛ استحق الثواب عندئذ. ولكنها تكون حينئذ معرضة للخطأ، ومن ثم تبطل العصمة، التي تعني عدم الوقوع في الخطأ، عمداً أو غير عمد(٤). ا.هـ.

فهذا مما افتراه (العلماني) على حقيقة العصمة الثابتة لأنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام، ومن الرد على شبهاته وافتراءاته:

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٢١٢.

(٢) يَقْصِد بهذا: الحديث الصحيح الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذي قال فيه: ["ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة"، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: "وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"]. رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقد سبق تخريجه: ٨٤.

(٣) جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه: [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: "هذا حظ الشيطان منك". ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه، يعني: ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون]. قال أنس: [وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره]. رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه. صحيح مسلم: ١/١٤٧/ح: ١٦٢.

(٤) انظر: النبوة: ٢١٢-٢١٣.

أولاً: أما بالنسبة إلى الجبر، فالراجح أن العصمة لا تصل إلى حد سلب الإرادة[1].

ثانياً: وأما رفض الفضل واللطف الرباني، وادعاء أن القول بالعون من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم عود إلى الجبر؛ فهذا باطل. فإن المؤمن العادي يتلقى معونة من ربه عز وجل ليستديم السير على النهج المستقيم، فكيف الحال بالنسبة إلى النبي عليه السلام؟!.

قال جل وعلا:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وقال جل جلاله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ الليل.

فلا يوجد أي مانع مِن معونة زائدة يعطيها الله عز وجل مَن يرى مِنه توجّهاً نحو الخير، وتمسّكاً به، ولا سيما إذا ترتب على هذا مصالح عظمى، كما في حال الأنبياء عليهم السلام.

ومثل ذلك اللطف في العصمة لم ترفضه حتى المعتزلة، الذين ادعوا خلق الإنسان أفعاله، حتى لا يكون بزعمهم مجبوراً على شيء منها[2].

وهل يرفض العون الرباني مَن يعلم فضله جل شأنه في كونه هو الذي بعث الرسل عليهم السلام، وأنزل الشرائع التي تحقق للبشر سعادتهم الدنيوية والأخروية، وهو تعالى الذي خلق الإنسان وأمدّه بصنوف النعم الباطنة والظاهرة، والتي من دونها لا يستطيع شيئاً؟!. فإذا آمن الإنسان بهذا كله، فما وجه إنكار مزيد العون والفضل الرباني للمستقيم على نهجه جل جلاله، وللداعي إلى صراطه المستقيم؟!.

والجبر إنما يكون لو بطل فعل العبد مطلقاً، وأما معونة العبد المريد للهداية، فلا مدخل للجبر فيها بوجه.

ثالثاً: وكذلك يقال بالنسبة إلى محاولة (العلماني) الضالة إبطال حديث صحيح بدعوى رفض العون، حتى لا يؤدي إلى الجبر!، وهو حديث إعانة النبي صلى الله عليه وسلم على قرينه من الجن.

---

(١) انظر ما سبق حول تعريف العصمة: ١٦٨.

(٢) يتبين ذلك من خلال ما ذكره القاضي عبد الجبار من أنه تعالى لابد من أن يجنّب رسوله عليه السلام ما ينفر عن القبول منه، ومن ذلك الكبيرة. انظر: شرح الأصول الخمسة؛ له: ٥٧٣.

فلو كانت المسألة جبراً محضاً؛ لقال النبي صلى ا لله عليه وسلم: إن ا لله تعالى هو الذي جبر القرين من الجن على الإسلام، ولَمَا ذكر لنفسه صلى ا لله عليه وسلم أي دور في هذا. ولكنه ذكر أن ا لله عز وجل قد أعانه، فهو صلى ا لله عليه وسلم كان له دور في إسلام القرين بمعونة من ا لله تعالى. سواء كان المعنى: الإسلام الحقيقي للقرين من الجن؛ أم: استسلامه، وإظهار عجزه عن التأثير في الرسول صلى ا لله عليه وسلم.

وإذا كان المؤمنون يعين بعضهم بعضاً على أداء كثير من الطاعات، ولا تبطل الطاعات بهذا، ولا تُعَدّ من باب جبر المؤمن لأخيه؛ فكيف يُظَنّ بأن معونة ا لله جل ذكره لعبده تعتبر جبراً له، يبطل ثواب طاعته؟!. إن المعونة من ا لله جل جلاله تكون مقترنة ببذل العبد جهده لتحقيق طاعته تعالى، ولا تكون سلباً للإرادة ابتداءً.

رابعاً: وأما دعوى أن تلك المعونة تجعل النبي صلى ا لله عليه وسلم فوق البشر، وتجعل التكليف مستحيلاً بدونها، وتجعل النبي صلى ا لله عليه وسلم فوق إخوانه من الأنبياء عليهم السلام؛ فهي كلها دعاوى باطلة:

١- فتلك المعونة وإن كانت خاصة بالنبي صلى ا لله عليه وسلم دون سائر أمته؛ فهذا لأنه يقوم بأداء مهمة تبليغ الرسالة، وجَعْلِها حقيقةً واقعةً، وأمراً مشهوداً، دون أن يكون معه في ابتداء أمره أيُّ معين من البشر، فهو أول مؤمن صلى ا لله عليه وسلم. ومثل هذه المهمة لا يعلم مدى عظم مشقتها إلا ا لله تبارك اسمه، ولهذا فإنه من الطبعي أن يؤيد الرسول صلى ا لله عليه وسلم بمزيد معونةٍ للقضاء على العدوّ الباطني -قرين الجن-، إذ يكفيه ما سيلاقيه من البشر جميعاً، وهو فرد واحد صلى ا لله عليه وسلم.

وبهذا يتبين أن هذه المعونة الزائدة ليست من أجل أصل التكليف، فإن القيام بأصل التكليف -الذي هو مطلوب من البشر جميعاً- ممكن بدونها، ولكن تلك المعونة من أجل التكليف الزائد الذي أُمِر به النبي صلى ا لله عليه وسلم.

وأمثال هذا في البشر كثير جداً، إذ العاقل إذا أَمَر أناساً بتكاليف متنوعة، يحتاجون معها إلى معونات متفاوتة؛ فإنه يعطي كل واحد منهم المقدار الملائم، لما كلّفه به.

٢- وأما كون تلك المعونة تجعل النبي صلى ا لله عليه وسلم فوق غيره من الأنبياء عليهم السلام؛ فإن فضله عليهم جميعاً ثابت لا شك فيه[١]. ولو ثبت أن هذه المعونة خاصة به صلى ا لله عليه وسلم دون سائرهم عليهم السلام؛ فإن سبب هذا قد يعود إلى أن المهمة التي كُلِّف بها الرسول صلى ا لله عليه وسلم أعظم مما كُلِّف به غيره من سائر الأنبياء عليهم السلام، فكل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة، وهو صلى ا لله عليه وسلم قد بعث إلى الناس كافة.

على أنه لا يمكن الجزم بأن تلك المعونة لم تنل سائر الأنبياء عليهم السلام، فإن الحديث تناول بحسب ظاهره: النبي صلى ا لله عليه وسلم، ومَن يخاطبهم من أتباعه:

"ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن..." الحديث[٢].

وأما الأنبياء الآخرون عليهم السلام، فإنه لا يمكن الجزم بأنهم يدخلون في ما يدل عليه مفهوم الحديث، من أن سائر المؤمنين غير النبي صلى ا لله عليه وسلم الذين هم من أمّته عليه السلام؛ لم تثبت لهم تلك المعونة الزائدة. وا لله أعلم.

فإن كان من سنّة ا لله عز وجل إعانة نبيه عليه السلام على قرينه من الجن ليكون هذا من أسباب تحقيق أصل العصمة؛ فقد تكون مثل هذه الإعانة ثابتةً لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام. إلا أن النفي أو الإثبات يحتاج إلى دليل قوي، وهو غير موجود فيما أعلم. وا لله أعلم.

خامساً: ويحاول (العلماني) أن يبطل حديثاً صحيحاً آخر له علاقة بمسألة العصمة، وهذا بدعوى تعارضه مع حديث المعونة السابق. ومن أجل أن يثبت باطله هذا فقد أورد الحديث بالمعنى دون إيراده بألفاظه، حتى يُوقِع من لا علم عنده في الشك من صحة الحديث، أو من صحة حديث إعانة النبي صلى ا لله عليه وسلم على قرينه من الجن، أو من كليهما.

وهذا الحديث هو حديث شق صدر النبي صلى ا لله عليه وسلم عندما كان صغيراً، وإخراج قلبه، واستخراج علقة منه، أخبر جبريل عليه السلام: أنها حظ الشيطان[٣].

---

(١) وهذا بأدلة أخرى منفصلة، انظر: ٦٥.

(٢) انظر ما سبق: ٨٤.

(٣) انظر الحديث وتخريجه: ٦٦٢، هـ: ٣.

فجاء (العلماني) المبطِل وذكر الحديث بلفظ: استنزاع الشيطان، والفرق بين اللفظين ظاهر، فإن حظ الشيطان يعني نصيبه من ابن آدم، أي: الأبواب التي يدخل منها الشيطان إلى النفس الإنسانية ليُضلّها عن سبيل الهداية، ونحو هذا، وذلك لا يعني القضاء على الشيطان نفسه، فإنه ما زال موجوداً، ولكن الباب أوصد أمامه. ثم جاءت المعونة الربانية الأخرى التي جاء ذكرها في حديث القرين، والتي أدت إلى النهاية التي بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "حتى أسلم". أي: حتى استسلم، أو حتى سَلِم منه النبي صلى الله عليه وسلم.

سادساً: وقول (العلماني) عن العصمة: إنها إنْ كانت أفعالاً مكتسبة؛ فإنها تكون معرضة للخطأ، ومن ثم يبطل معنى العصمة[1]. ا.هـ.

فدعوى (العلماني) هذه مبنية على أساس زعمه السابق وهو: إبطال المعونة الربانية المرافقة لتلك الأفعال المكتسبة، وقد تبين فساد هذا الإبطال، وأن المعونة الربانية لابد منها لجميع المؤمنين، ولكنها تنال كلاً بحسبه، وبحسب ما كلفه الله تعالى به من عمل.

وقد تبين فيما سبق أن من صور عصمة الأنبياء عليهم السلام عدم إقرارهم على الخطأ في الاجتهاد، إذ سرعان ما ينزل الوحي عليهم مصححاً ومنبّهاً، لئلا يكون ذلك الخطأ سنة متبعة عند المؤمنين[2]، فأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله تدخل جميعها تحت مفهوم السنة الواجبة الاتباع. ومثل هذه المتابعة ومثل ذلك التعديل؛ لا يمكن ممن يدعي الإيمان بالنبوة وبالوحي – حقيقة– أن يرفضهما، لأي سبب، أو أن يغفل عنهما، فهما من الأمور الظاهرة القطعية.

(١) انظر ما سبق: ٦٦٢.

(٢) انظر ما سبق: ١٦٨.

الشبهة الثالثة:

ويبلغ باطل بعض العلمانيين مداه الأقصى في حق الأنبياء عليهم السلام، عندما يكرر أحدهم خرافات وضلالات الإسرائيليين على بعض أنبيائهم عليهم السلام، بإجمال دون تفصيل، ولكنه مقرون بتفسير يزيد في فساده وبطلانه. أو عندما يقوم بتحليلٍ باطلٍ لأفعال أنبياء آخرين عليهم السلام، فيقول:

(فكان لا يعير النبي السابق أفعال العصيان اهتمامه!، لأنها مظهر من مظاهر القوة والعظمة، مثل داود وسليمان –عليهما السلام– في علاقاتهم النسائية!!. ومثل موسى–عليه السلام– في القوة والتشيع لقومه، على حساب الحق، وشمول المبادئ، وعموم القيم!!. فكل نبي يعبّر عن مرحلة نبوته، فهناك أنبياء لهم صفة الملك، دون الفضيلة!، مثل: داود وسليمان –عليهما السلام–، وأنبياء لهم صفة القوة دون الحق، مثل: موسى –عليه السلام–...)[1] ا.هـ.

فهذا من كذب وافتراء (العلماني) على داود وسليمان وموسى عليهم السلام.

ومما يوجه (للعلماني) صاحب تلك الفرى الشنيعة:

أولاً: إن أول وأظهر ما تدل عليه الفرية السابقة هو: كفر صاحبها بالأنبياء عليهم السلام، إذ يُقرّ في حقهم، ويفتري عليهم: نقائص، تتناقض مع النبوة تناقضاً تاماً.

فالأنبياء كلهم عليهم السلام إنما جاؤوا ليقيموا الحق والعدل، وليحمِلوا الناس –بالدعوة والتوجيه– على الأخلاق الفاضلة، ويجنبوهم الرذائل، ومن أجل هذا بعثهم الله جل شأنه، كما قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ الحديد.

فدعوى وجود نبي كان لا يعير أفعال العصيان اهتمامه، أو أنه لم يكن يطلب الحق ويدعو إليه؛ يبطل تلك الغايات الأساسية التي بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام من أجلها. وأي معنى للنبوة يبقى بعد ذلك الادعاء الضال الفاجر؟!. وهل هذا إلا مثل القول: بأنه يوجد من العلماء؛ من لا يفقه في العلم شيئاً، ولا يعيره أي إهتمام؟!، فأي عالم هذا؟!، وهل هذا إلا جمع بين المتناقضات؟!. إن دلالة هذه الدعوى الحقيقية تنحصر في بيان مدى كفر صاحبها بالأنبياء عليهم السلام جميعاً.

---

(١) النبوة: ٢١٨ – ٢١٩.

ثانياً: وفرية (العلماني) على داود وسليمان عليهما السلام تستند إلى ما افتراه اليهود المحرفون لكتاب الله عز وجل عليهما، ونسبوه إلى الكتاب المنزل، ليسوّغوا لأنفسهم ما آلوا إليه من الفساد. ومن المعلوم عند كل مؤمن حق ما آلت إليه كتب اليهود والنصارى من التحريف والتبديل، حتى لم يَعُد بالإمكان الاعتماد عليها في شيء مما تورده، إلا إن وافق ما في الكتاب العزيز، والاعتماد عندئذ يكون على ما ورد فيه لا على تلك الكتب المحرفة. ثم إن الدراسات المعاصرة قد أثبتت حقيقة ذلك التحريف، وأنها لا يمكن أن تكون صحيحة النسبة إلى الأنبياء المنسوبة إليهم عليهم السلام، وإنما هي قد كتبت بعدهم بزمن طويل، وبلغة وأسلوب مختلفين تماماً؛ عما كان موجوداً في عصر الأنبياء عليهم السلام[(١)].

(فالعلماني) إذ يقرر نسبة تلك الافتراءات إلى داود وسليمان عليهما السلام؛ قد أغفل ما جاء في القرآن الكريم من بيان حقيقة تحريف الكتب السابقة، وأغفل ما ذكرته الدراسات المعاصرة، واعتمد على الخرافات والأباطيل. وهذا يدل على ما يؤول إليه حال العلمانيين عندما يريدون إثبات باطلٍ لهم، فيُعْرِضون عن أي منهج علمي في البحث، مع ما يزعمونه من أنهم هم أصحاب ذلك المنهج، وقد كذبوا فيما ادعوه.

ثالثاً: وأما موسى عليه السلام فلا يجهل أحد ممن عنده أدنى معرفة -ولو محرّفة- بالرسل عليهم السلام؛ أن ما بَدَرَ منه إنما كان قبل نبوته. ولا يجهل أحد أيضاً -من المؤمنين حقاً- أنه عليه السلام لم يكن يقصد قتل الفرعوني، وأنه لم يكن يظن أن الإسرائيلي على باطل، والفرعوني على حقٍ، ورغم هذا ناصر الإسرائيلي. بل ظنه إنما كان على الضد من ذلك، فَفِعْله -في حقيقة الأمر- ليس إلا خطأً في التنفيذ، لم يكن يقصده، وقع منه في المدة السابقة لبعثه وإرساله، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

و (العلماني) إذ يتجاهل هذه الحقائق الظاهرة لينسب النقيصة إلى رسول من أولي العزم من الرسل عليهم السلام؛ لا يدل على كفره وجحوده بالنبوة فحسب؛ وإنما يدل على مدى استعداده للتلبيس والتضليل والمغالطة، ولو أدى به الأمر إلى مناقضة الحقائق القطعية التي لا يجهلها أحدٌ، فهذا هو حال العلمانيين، الذين يحاولون نفاقاً وخداعاً أن ينسبوا أنفسهم إلى العلم، وهو منهم براء.

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام؛ علي عبد الواحد وافي: ١٧-٦٢، ٩٠-١٢٠.

القضية الحادية عشرة: إنكار العلمانيين شمول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الجن:

إن حقيقة كون الجن مكلفين متعبدين بشرائع الرسالة الخاتمة، قد تبين -فيما سبق[1]- أنها ثابتة لا ريب فيها، عند مَن آمن بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حقاً، إذ نصوصهما الدالة على ذلك قطعية ظاهرة، لا مجال فيها للتشكيك أو التأويل.

إلا أن العلمانيين الذين لا يؤمنون إلا بما تدركه حواسهم المادية؛ قد أنكروا تلك الحقيقة، وحتى منهم مَن يصرّ على التظاهر بأنه مؤمن بهذا الدين وبكتابه. ومن هذا تعليق بعضهم على مسألة تكليف الجن، فادعى: أن الإنسان وحده هو المكلّف، تقتصر النبوة عليه، ثم تتوقف[2]. ا.هـ.

ويرد على (العلماني):

أولاً: إن دعوى (العلماني) السابقة تنقض حقيقة أثبتها القرآن الكريم في نصه الصريح الذي لا يقبل التأويل، ومن هذا ما ورد في سورة الجن، وكذا ما ورد في قوله عز وجل:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٢)﴾ الأحقاف.

ونقض حقيقة ثابتة في القرآن كفر به وبمن أنزله جل شأنه، إذ كيف يدعي إنسان أنه مؤمن بكتاب، ولكنه مكذب بما جاء فيه؟!.

ثانياً: والحق أن مسألة وجود مخلوقات أخرى مكلفة باتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم؛ إنما تعتمد على الخبر الصادق، فهي قضية لا يحيلها العقل أو يثبتها بمجرده، بل يتوقف عندها، إذ كلا الطرفين جائز عنده. فإذا جاءه الخبر الذي يتقين صدقه، من لدن العليم الخبير جل وعلا؛ فإنه عندئذ لا مناص له من أن يقول بموجبه، إذ لا معنى للجمع بين دعوى الإيمان بصدق ذلك المصدر، ثم التكذيب بحقيقة أخبر عنها بوضوح قاطع، فمثل هذا التناقض لا يدل إلا على مدى النفاق المستحكم في قلب هذا المدعي.

---

(١) انظر ماسبق: ١٩٩-٢٠٤.

(٢) انظر: النبوة ١٤٣.

ثالثاً: ثم إنه من الواضح البين: أن إنكار كون الجن مكلفين بشريعة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، أو بشريعة من قبله من الأنبياء عليهم السلام؛ إنما هو راجع في حقيقة الأمر إلى إنكار وجودهم أصلاً عند (العلماني)، ومن كان على شاكلته. ولا شك أن مثل هذا الإنكار إنما هو كفر على كفر، إذ الأدلة على وجودهم من الكتاب والسنة كثيرة جداً، ولا ينكر وجودهم إلا ملحد مادي، قد حصر نفسه وعقله في حدود ما تدركه حواسه، وأنكر بدون أي مبرر عقلي وجود ما لا تدركه تلك الحواس. ومن وصل إلى هذه الدركة فإن النقاش معه لابد أن يعود إلى الجذور الإيمانية الأولى[1].

---

(١) توجد لحسن حنفي عبارات أخرى في مسألة تكليف الجن، كقوله: إن التفاصيل زادت في العقائد المتأخرة إلى حد جعل الجن متعبدين بالإسلام، طعامهم الروث والعظام!. انظر: النبوة: ٢٢٠-٢٢١. وحسن حنفي يثبت من خلال تهكّمه هذا؛ مدى جهله بالمصادر التي ذكرت حقيقة كون الجن متعبدين بالإسلام، وبمدى قِدَمِها، إذ إن إثبات تلك الحقيقة قد جاء في النصوص القاطعة للكتاب والسنة، بصفة عامة. وبالنسبة إلى بعض التفصيلات؛ فقد جاء بيانها في نصوص السنة الصحيحة. فليس الأمر منسوباً إلى العقائد المتأخرة، إلا فيما يتعلق ببعض الزيادات التي لا دليل عليها. ولكن حسن حنفي أورد تشكيكاً فيما الدليل عليه صحيح وظاهر.

ثم يزيد حسن حنفي من إيضاحه لحقيقة كفره بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، إذ يزعم قائلاً عن الملائكة عليهم السلام والجن: (بأنهما معاً يعبران عن عالم واحد، وهو عالم التمني والرغبة في تجاوز الحس، وقلب العجز مقدرةً، وتحويل التناهي إلى لا تناهي)، النبوة: ٢٧٥. ولا يوجد أصرح من هذا البيان لحقيقة ما يعتقده حسن حنفي تجاه نصوص الكتاب والسنة. وفي موضع آخر من كتبه يدعي أن الحديث عن الجن والشياطين إنما يوجد عندما يغيب العقل. انظر: المقدمات النظرية، له، الجزء الأول: من العقيدة إلى الثورة: ٦٢٢-٦٢٣. والحق أنه لا يدعي نفي وجود ما لا تدركه الحواس مطلقاً؛ إلا من كان فاقد العقل والدين.

القضية الثانية عشرة: شبهات وأغاليط وأباطيل حول القرآن الكريم:

أولاً: مقالة افترائية حول القرآن الكريم وما يتضمنه:

انتهج بعض من يتظاهر بالإسلام ويبطن العلمانية ومبادئها؛ أسلوباً مخترعاً حديثاً للافتراء على كتاب الله عز وجل، المنزل على خاتم أنبيائه ورسله عليه وعليهم الصلاة والسلام، وهذا بتقسيمه ذلك الكتاب العزيز إلى أنواع وأقسام، ادعى أن كل قسم منها يختص باسم، وبعض الأسماء هو مما يطلق على الكتاب كله عند المسلمين جميعاً، كالقرآن الكريم، إلا أن (العلماني) ارتأى أن عنوان: (القرآن الكريم) إنما يطلق على بعض الكتاب لا كله.

والغاية التي يهدف إليها (العلماني) من وراء تقسيماته تلك هي: أن يُسَهِّل على نفسه ومن كان على شاكلته؛ التحلل من كثير من الأحكام الثابتة في القرآن المجيد، تمهيداً لإلغائها، وإبطال أكثر حقائقه، من خلال افتراءات وزيوف عدة.

فقد زعم (العلماني) أن القرآن هو:

(مجموعة القوانين الموضوعية الناظمة للوجود ولظواهر الطبيعة والأحداث الإنسانية)(١).

وهو: (حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني، وفَهْم هذه الحقيقة، لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، وعلى رأسها الفلسفة، وكل العلوم الموضوعية من فيزياء وكيمياء وأصل الأنواع وأصل الأكوان...)(٢).

ومحتويات القرآن تتألف من موضوعين أساسيين، هما:

(١- الجزء الثابت:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾(٣).

وهذا الجزء هو القوانين العامة الناظمة للوجود كله، ابتداء من خلق الكون، حتى الساعة ونفخة الصور والبعث والجنة والنار. وهذا الجزء لا يتغير من أجل أحد.

٢- الجزء المتغير من القرآن: وهذا الجزء عُبّر عنه بأنه مأخوذ من ﴿إمام مبين﴾ في قوله:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

---

(١) العلماني (وإن لم يعلن كونه علمانياً) الذي يُناقَش في هذا الموضع؛ هو: محمد شحرور، في كتابه: الكتاب والقرآن، انظر: ٦٢.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٠٣.

(٣) سورة البروج، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٤) سورة يس، الآية: ١٢.

فالإمام المبين يحتوي على شقين:

أ- أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية: مثل تصريف الرياح، واختلاف الألوان، وهبة الذكور والإناث، والزلازل والطوفان، وهي قابلة للتصريف، وغير مكتوبة سلفاً على أي إنسان، وغير قديمة.

ب- أفعال الإنسان الواعية، وهو ما نسميه القصص)[١].

(والقرآن هو الآيات البينات، وهو في الوقت نفسه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه كله (أنباء عن حقائق)، وهو بصائر، وهو الحق، وهو الذي قالوا عنه: إنه سحر مبين، وهو الذي يشكّل جزءاً كبيراً من آيات الكتاب.

والقرآن الكريم ليس هو الكتاب المبين!، فإذا سألت علماءنا: ما هو الكتاب المبين؟، يقولون لك مباشرة: هو القرآن، إذاً فلماذا عطف ﴿كتاب مبين﴾ على القرآن في أول سورة (النمل):

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

فالكتاب المبين هو القصص، وهي من القرآن، فعطف الكتاب المبين عل القرآن من باب عطف الخاص على العام.

وإذا نظرنا إلى أول سورة (يوسف) -عليه السلام-:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٣].

لأن محتوى السورة كلها قصص، وكذا سورتا (الشعراء) و (القصص).

وأما سورة (النمل) فقد قال:

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

لأن فيها قصصاً وكونيات معاً)[٥].

(إن مما يدل على أن القرآن هو جزء من الكتاب الكلي:

١- قوله تعالى:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾[٦].

---

(١) انظر: الكتاب والقرآن: ٧٤ - ٧٥، ٩٢ - ٩٣، ٢١٣.

(٢) سورة: النمل، الآية: ١.

(٣) سورة: يوسف، الآية: ١.

(٤) سورة: النمل، الآية: ١.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٩٥ - ٩٦.

(٦) سورة الحجر، الآية: ١.

٢- وقوله تعالى:

﴿الـمر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَالَّذِي أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

٣- وقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

٤- وقوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾[٣].

ففي الآية الأولى عطف القرآن على الكتاب، وفي اللسـان العربـي لا يعطـف إلا المتغـايرات، أو الخاص على العام، وهنا لدينا احتمالان:

أ- إما أن القرآن والكتاب متغايران، ولكنهما كلاهما من عند الله عز وجل.

ب- أن القرآن جزء من الكتاب[٤].

ولمعرفة أي الاحتمالين هو المقصود، فإن الآية الثالثة تبين أن الكتاب هدى للمتقين، فهـو هـدى لهم؛ لما فيه من الأحكام والعبادات والشرائع، التي يختص المتقون بالاهتداء بها.

وأما القرآن فقد جاء في الآية الرابعة أنه هدى للناس، سواء كانوا متقين أم غير متقين، وهـذا لا يكون إلا إن كان القرآن مختصاً بقوانين الكون وحياة الإنسان، بصفة عامة.

وقـد جاء في الآية الثالثة عطف الحق على الكتـاب، فإمـا أن يكـون الحـق شـيئاً والكتـاب شـيئاً آخر، أو يكون الحق جزءاً من الكتاب وليس كل الكتاب!. وقد جاء بيان هذا في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٥].

ففي الآية بيان لكون الحق هـو جزء من الكتاب، وليس كل الكتاب. وقد جاء الحق معرفا، أي إن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصة (الحقيقة المطلقة) موجودة في الكتـاب، ولكـن ليسـت هـي

(١) سورة: الرعد: الآية: ١.

(٢) سورة: البقرة، الآية: ٢.

(٣) سورة البقرة:، الآية: ١٨٥.

(٤) لا أدري لِمَ لَمْ يضع الاحتمال الثالث، وهو: أن الكتاب جزء من القـرآن، ولعـل هـذا لـن يفيـده كثيراً في اختراع الافتراءات والأكاذيب.

(٥) سورة: فاطر، الآية: ٣١.

كل الكتاب، لأنه توجد فيه: الآيات المحكمات (آيات الرسالة)، وهي ليست حقاً!، والآيات المتشابهات (آيات النبوة)، وآيات تفصيل الكتاب، فالقرآن هو وحده الموصوف بالحق)[١].

(ولما كان القرآن قد فرّق بين الحق والباطل، فليس له علاقة بالتقوى!، فالقرآن كتاب الوجود المادي والتاريخي، لذا فإنه لا يحتوي على الشريعة ولا العبادات ولا القانون ولا السياسة ولا التربية ولا الأخلاق ولا التقوى ولا اللياقة ولا اللباقة، فهذه الأمور لا علاقة لها بالقرآن من قريب أو من بعيد، ولهذا فالقرآن ليس مناط التكليف، ولا يوجد فيه أحكام وأوامر تكليفية، فهو حق حتمي ساحق ماحق.

وبناء على ما سبق؛ فلا تنطبق على القرآن عبارة: هكذا أجمع الفقهاء، ولا: هكذا قال الجمهور.

إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شيء قاله السلف!، إننا مقيدون فقط: بقواعد البحث العلمي، والتفكير الموضوعي، وبالأرضية العلمية في عصرنا. لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي، فَهِمْناها أو لم نَفْهَمْها، قَبِلْناها أو لم نَقْبَل.

فالقرآن حقيقة موضوعية مادية وتاريخية، لا تخضع لإجماع الأكثرية، حتى ولو كانوا كلهم تقاة، ويخضع لقواعد البحث العلمي، حتى ولو كان الناس كلهم غير تقاة. وعلينا أن نكسر هذا الحاجز الوهمي المَبْنِيّ على عبارة: هذا ما قاله الجمهور، أو: هذا ما أجمع عليه الجمهور -جمهور الفقهاء-. لذا قال عن القرآن: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾[٢]، بينما قال عن الكتاب: ﴿هُدًى للمتقين﴾[٣].

ولهذا فإن ورثة الأنبياء -عليهم السلام- ليسوا علماء الشريعة والفقه وحدهم، إن هذا غير صحيح، إن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ، وأصل الأنواع والكونيات والالكترونيات؛ هم: ورثة الأنبياء -عليهم السلام-، لذا قال:

﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[٤].

وقال:

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ...﴾[٥][٦].

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥٦ - ٥٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٧.

(٥) سورة: العنكبوت، من الآية: ٤٩.

(٦) انظر المرجع السابق: ١٠٤.

(ثم إن العبادات والمواعظ والوصايا والتعليمات لو كانت من القرآن؛ لكانت في اللوح المحفوظ، أو في إمام مبين، لأصبح من ظواهر الطبيعة، وكلام الله نافذ، وظواهر الطبيعة حقيقة موضوعية صارمة، ﴿قوله الحق﴾، ولصام الناس في رمضان، شاؤوا أم أبوا.

وهذا الموضوع يعتبر من أهم النقاط خطورة وتعقيداً في العقيدة الإسلامية!، إذ سوء فهم هذا الموضوع، وعلى رأسه عدم التفريق بين الرسالة والنبوة، وبين الكتاب[1] والقرآن؛ جعل من المسلمين أناساً متحجرين، ضيقي الأفق، وضاع العقل نهائياً، وضاع مفهوم القضاء والقدر، والحرية الإنسانية، ومفهوم الثواب والعقاب. وكل ما كُتِب عن الحرية والمسؤولية الإنسانية والقضاء والقدر، ونظرية الدولة والمجتمع، في الأدبيات الإسلامية؛ لم يكن أكثر من عبث ولف ودوران!!.

فلو كانت:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾[2].

هي من القرآن، وهم يقولون إن القرآن قديم، وهو كلام الله، فهي بالتالي حقيقة صارمة مُخَزَّنة قبل حدوث الحدث، ولَكانَت حقيقة خارج الوعي، أي: ليس لها علاقة بإدراك النبي صلى الله عليه وسلم، أو عدم إدراكه. ففي هذه الحالة: لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم أي خيار من أن يعبس أولا يعبس، وبهذا تصبح رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تمثيلية، قد كتبت مسبقاً، وقُدِّمَت للناس على أنها هداية لهم. وتصبح الحياة الإنسانية لهواً إلهياً، واللهو منفي عن الرب)[3].

(ولما كان القرآن يتحدث عن قوانين الوجود والتاريخ؛ فنستنتج بالضرورة أن له وجوداً مسبقاً عن التنزيل، ولذا فإن ليس له أسباب نزول، وقد نزل دفعة واحدة)[4].

(أما بالنسبة إلى القصص؛ فقد تم سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الكهف وذي القرنين، ولكن السؤال هنا ليس له معنى!، لأن قصة أهل الكهف وذي القرنين كانت ستأتي على كل حال، سُئِل عنها أم لم يُسْأَل، كبقية القصص)[5].

الرد على الافتراءات السابقات:

إن ما سبق كان نموذجاً مما سَطَّرته يد المتلاعبين بدين الإسلام وكتابه المجيد، بدعوى الغيرة على هذا الدين، ومحاولة إعادة قراءة كتابة ليتلاءم مع معارف العصر الحديث.

---

(١) فالكتاب على حسب رأي الشحرور هو الذي يحتوي على التشريعات، لا القرآن، فالكتاب أعم من القرآن.

(٢) سورة: عبس، الآيتان: ١-٢.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٩٢ - ٩٣.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٥٤.

﴿... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾ المنافقون.

والحق أن أصحاب تلك الافتراءات ليس عندهم أدنى إيمان بحقيقة هذا الدين وكتابه، وإنما على النقيض من هذا، فهم لا يؤمنون إلا بما يُمْليه عليهم شياطين الإنس، من أهل الكفر والإلحاد الظاهر، سواء كانوا من أهل المشرق؛ أم المغرب، وإن تظاهروا في ثنايا ما يكتبون باحترام هذا الدين، والغيرة عليه!، وتقدير نبيه صلى الله عليه وسلم، وقبول شيء من حقائقه، فإن هدفهم الحقيقي من هذا هو: التستر وراء تلك الأمور، للوصول إلى غايتهم القصوى، هذه الغاية التي تهدف إلى: القضاء على هذا الدين كلية، بأسلوب الحيلة والمكر، وهم بهذا يشبهون إخوانهم الذين قال الله عز وجل في شأنهم:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢)﴾ المنافقون.

إن من يريد أن يرد على الافتراءات السابقات يحتار من أين يبدأ، فالافتراءات كثيرة جداً، رغم أن ما سبق إنما هو نموذج يسير لمنافقي هذا العصر. وهي وإن كانت مُتَشَعّبة ومتنوعة، إلا أن هدفها الأساسي هو التلاعب بكتاب الله عز وجل، للوصول إلى إبطال حقائقه، مع التمسك الظاهري به.

وفي الفقرات التاليات بيان الرد على الافتراءات والزيوف الكثيرة، الواردة فيما سبق:

أولاً: فيما يتعلق بمصطلح القرآن الكريم؛ فقد صبَّ عليه هذا (العلماني) المفتري معظم افتراءاته، إذ مقصوده الأساس هو تفتيت هذا الكتاب وتقسيمه وجعله عِضين[١]، ليسهل بعد هذا إبطال كل جزء منه بأنواع من المكر والحيل المتعددة.

ثانياً: لقد افترى على القرآن الكريم فادعى أنه: مجموعة القوانين الموضوعية الناظمة للوجود، ولظواهر الطبيعة والأحداث الإنسانية، والموجودة خارج الوعي الإنساني[٢].

إن (العلماني) من خلال هذا التعريف المزعوم للقرآن الكريم يغفل أعظم مقصود لإنزال هذا الكتاب العزيز، وهو إقرار العقيدة الحقة المتعلقة بالله عز وجل[٣]، فضلاً عن المتعلقة بالأنبياء والرسل

---

(١) عضين: جمع عِضَة، وهي: الفرقة، والقطعة، والكذب. انظر: مادة: (عضا) في: المعجم الوسيط: ٦٠٧.

(٢) انظر ما سبق: ٦٧١.

(٣) أشار الشحرور عندما تحدث عن تعريف النبوة إلى اشتمالها على ما يتعلق بتوحيد الله -عز وجل-، ولكنها كانت إشارة سريعة، انظر ما سبق: ٥٤٩، وأيضاً عندما ذكر أن الآيات المتشابهات قد أطلق عليها الكتاب: مصطلح القرآن والسبع المثاني، وهي آيات العقيدة، دون أن يبين المراد بالعقيدة، لاسيما أنه قد غَيّر وحَرَّف المفاهيم الدينية، فلعله يريد بالعقيدة غير ما يعرفه المسلمون. انظر الكتاب والقرآن: ٣٧. وعلى أي حال؛ فإنه عند كلامه عما يشمله القرآن لم أجد أنه قد أشار -ولو مجرد إشارة- إلى اشتماله على العقيدة في الله عز وجل.

عليهم السلام، والكتب، والملائكة، والقضاء والقدر[١].

إن الأمر الأساس الذي أنزل من أجله القرآن الكريم هو: بيان الأركان التي يجب على كل إنسان أن يؤمن بها إيماناً يقينياً صحيحاً، وإقامة الأدلة والحجج والبراهين على تلك الأركان، ولم تُذْكَر آيات الكون والقصص؛ إلا لتكون سبيلاً موصلاً إلى الإيمان بتلك الأسس.

فإذا أغفل مفتر تلك الأسس عند دعواه دراسة القرآن الكريم وإعادة قراءته؛ فإنه يكون قد أوضح بالدليل القاطع حقيقة مقصده وهدفه، وهي: أنه لا يبغي من دراسته تلك سوى نقض القاعدة الإيمانية، التي لا يعتبر الإنسان مسلماً ولا مؤمناً حقاً؛ إلا إذا كان إيمانه بها على الوجه الصحيح الراسخ، وذلك لأن قطع صلة تلك القاعدة بالقرآن -ولو بمجرد إغفال ذكر الصلة- يجعلها عرضة للتلاعب بها حسب الأهواء[٢].

ثالثاً: من ذلك يتضح أن كلاً من الأمور الكونية والقصص لم تأت في القرآن الكريم على اعتبار أنه كتاب في العلوم الطبعية أو الطبية أو التاريخية، وإنما جاءت لتكون أدلة متجددة دواماً للمقصد الأساسي من نزول القرآن الكريم، وهو: تثبيت القاعدة الإيمانية، وبيان صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، سواء بالنسبة إلى تلك القاعدة؛ أم بالنسبة إلى التشريع الرباني، الذي بلغه صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على تلك الحقيقة: أن الناس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كانوا يكثرون السؤال عن بعض الظواهر الكونية؛ كان الله تبارك اسمه لا يجيبهم عن عين ما سألوه، بل يحول الإجابة إلى بيان أمر تشريعي يتعلق بتلك الظاهرة، وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الكتاب العزيز؛ لم ينزل في الأساس؛ إلا من أجل بيان العقائد والأحكام، لا من أجل أن يكون كتاباً في العلوم الكونية المادية!. وأما ما ورد فيه من هذه العلوم فللحكمة التي سبق بيانها. قال تبارك اسمه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾ البقرة.

رابعاً: إن (العلماني) قد أراد -من خلال مواضع متعددة من فريته السابقة[٣]- تثبيت أن

---

(١) الحق أنه بالنسبة إلى القضاء والقدر فقد تعرضا إلى تشويه آخر كبير على يد هذا المفتري العلماني. انظر: الكتاب والقرآن؛ محمد الشحرور: ١٣١-١٣٥. وأما الساعة فهي: من الأمور التي تستر الشحرور بإظهار الإيمان بها، وإن كان هذا لا يعني أنه لا يوجد له الكثير من الافتراءات حول حقائقها المتعددة.

(٢) إن مثل هذا الأمر يلزم الشحرور وإن صرّح باشتمال القرآن على أركان الإيمان الأساسية، إذ إن آيات القرآن عنده كلها من المتشابهات، بمعنى ثبات نصها، وحركة محتواها. أي أنها تخضع للمعرفة النسبية، ففي كل عصر يمكن أن نؤولها بما يلائم ظروف العصر، وحسب الأرضية المعرفية. انظر: الكتاب والقرآن: ٣٧، ٥٥-٦٠، ١٨٦-١٨٧.

(٣) بل في كتابه المفترى كله.

القرآن لم يأت إلا لبيان القواعد العامة الناظمة للوجود كله، ابتداء من خلق الكون إلى الساعة. ولبيان أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية كتصريف الرياح...، ولبيان القصص الإنساني. وقد صرح بأن هذا هو ما يشتمل عليه القرآن في أكثر من موضع[1].

و(العلماني) بهذا يخالف الحق الذي أجمع عليه الناس -حتى الكافرون منهم-، إذا لا يجهل أحد منهم المقصد الأساسي لهذا الكتاب.

وكذلك فإن أحداً لا يجهل أن التقدم المادي الغربي المعاصر لم يستعن -في تقدمه- على تلك الآيات مباشرة، وبهذا لا يبق للقرآن -على حسب ما ذهب إليه (العلماني)- أية فائدة!.

ولكن المؤمن با لله تعالى وبكتابه حقاً يوقن بأن كل آية وردت في الكتاب العزيز لها فائدة عظمى، وإذ لم تكن الآيات الكونية الواردة فيه سبباً للتقدم المادي البشري، فإن هذا يدل دلالة قاطعة على أن الحكمة من إيراد تلك الآيات هي ما سبق بيانه، من كونها أدلة متجددة دواماً على صدق الرسول صلى ا لله عليه وسلم، وعلى إثبات أن هذا الكتاب إنما هو من عند ا لله عز وجل. وهذا بالطبع لا يتم إلا بعد أن يصل البشر مع مرور الزمن إلى الحقيقة الكونية، وتكون من الحقائق التي جاءت في الكتاب العزيز، قبل وصول البشر إليها بزمن طويل، فيدلّهم هذا على أنها لم تأت إلا من خالق الكون، العزيز العليم الخبير، جل ذكره.

خامساً: لم يكتف (العلماني) عند ذكره محتويات القرآن بإغفاله العقائد وسكوته عنها، الذي هو -في حقيقة الأمر- مرحلة أولى لإبطالها كلية، فقد مهّد لهذه المرحلة التالية؛ بتبنّيه لدعوى: ثبات النص وحركة المحتوى، أي الحفاظ على الأسماء، والتلاعب بالمعاني[2]. ولم يكتف بذلك كله، بل ضم إليه فرية أخرى، ادعى فيها: أن الأحكام التشريعية ليست من القرآن الكريم في شيء!.

وأما الآيات الكثيرة جداً الواردة في القرآن حول الأحكام؛ فقد اخترع فرية لم يسبقه إليها أحد -فيما أعلم-، ولا يظن بأن عاقلاً يحترم عقله أدنى احترام يكرّرها، وهي فرية أن تلك الآيات ليست من الجزء المسمى بالقرآن، وإنما هي من (أم الكتاب)!!.

إنه بهذه الفرية يخالف ما أجمع عليه عقلاء البشر جميعاً -حتى من غير المؤمنين- من أن مسمى القرآن يطلق على: الكتاب المنزل من عند ا لله عز وجل كله، دون أن يكون له أي مستند صحيح لهذه

---

(١) انظر: الكتاب والقرآن: ٧٤-٧٥، وسبق بيان كلامه في هذا الموضع، وقد ابتدأ كلامه: بأن محتويات القرآن تتألف من موضعين أساسيين: الجزء الثابت، وهو: القوانين العامة الناظمة للوجود كله، ابتداء من خلق الكون إلى الساعة، والجزء المتغير، وهو: الذي يشمل أحداث الكون الجزئية، وأفعال الإنسان الواعية، وهو ما نسميه القصص. فأين أركان الإيمان في هذا؟!.

(٢) لقد تكلم على سبيل المثال عن التوحيد والشرك، فافترى على معنى كل منهما افتراء كبيراً، كقوله عن الشرك: إنه الثبات (أي: على الحق في السنة النبوية)، والتوحيد هو التطور!. انظر: الكتاب والقرآن: ٤٩٥-٤٩٧.

المخالفة. ومثل هذه المخالفة؛ لا يمكن أن تصدر إلا ممن بلغ في الافتراء والكذب، وتزوير الحقائق مبلغاً كبيراً، وضم إلى هذا: فقداناً كاملاً للحياء.

سادساً: لقد قال ا لله تبارك اسمه في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٠)﴾ الإسراء.

فهل يشك عاقل أن هداية القرآن للتي هي أقوم تشمل في المقام الأول: هداية الناس لأعظم أمرين، يحققان لهم النجاة في الدنيا والآخرة؟!. وهما: العقيدة التي يجب أن يؤمنوا بها كاملة، على الوجه الصحيح، وهي التي تنبع منها سلوكياتهم في هذه الحياة. والأمر الآخر: الشريعة التي يجب على الناس أن يطبقوها، على الوجه الصحيح، لتستقيم حياتهم الدنيوية. ومن أجل هذا ذُكر في الآية البشرى لمن آمن بالعقيدة، التي جاء بيانها في القرآن الكريم، وطبّق الشريعة -عمل الصالحات- بأن له عند ا لله أجراً كبيراً، وعلى نقيضه من لم يؤمن.

إن الذي يحاول أن يؤول مثل تلك الآيتين على خلاف ما يدل عليه ظاهرهما الواضح القطعي؛ فإنه يكون من الذين لا يجدي معهم أي كلام. إذ جرأته على الكذب؛ كجرأة من ينظر إلى الشمس المضيئة ويقول: ما أشد ظلامها!!!.

وهل عند ما جاءت الجن[1] فاستمعت إلى القرآن، واهتدت به إلى الرشد؛ هل كان ذلك الرشد إلا ما فيه من الدعوة إلى توحيد الرب تبارك اسمه، وعبادته وحده؟!. قال جل ذكره:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (٢)﴾ الجن[2].

وعندما لام جل جلاله ووبّخ من لم يتدبر القرآن؛ فهل المراد مجرد الآيات الكونية، وإن شمل هذا القصص؟!. قال جل شأنه:

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ محمد -صلى ا لله عليه وسلم-.

وهل يستطيع أحدٌ أن يقتطع هذه الآية من ضمن سياق الآيات قبلها وبعدها، التي تتحدث عن المنافقين، الذين لا يتأثرون بآيات ا لله تعالى، ويعرضون عنها، والذين لا يفقهون آياته، تبارك اسمه، وإذا سمعوها كانوا كالصم، وقالوا للذين آمنوا: ماذا قال الرسول صلى ا لله عليه وسلم آنفاً؟، فهل

---

(١) هذا عند من يؤمن بوجود الجن.

(٢) ونحو هذا ما ورد في أواخر سورة الأحقاف.

بهؤلاء المنافقين هم الذين لم يتدبروا الآيات الكونية؟!!، وهل يتصور هذا من لديه ذرة عقل؟!.

ولو استعرضنا الآيات التي ورد فيها التصريح بذكر القرآن؛ لوجدنا أن دلالتها على كون القرآن يشمل جميع ما احتواه المصحف؛ دلالة قطعية لا تحتاج إلى مناقشة. والحق أنه لا توجد مجرد شبهة تدفع إنساناً عاقلاً إلى ادعاء ما زعمه (العلماني)، إلا إذا اجتمع عنده: قدرة كبيرة على الافتراء، مع فقدان العقل، أو فقدان الحياء، فلا يستغرب أن يصدر منه مع هذا أي قول، مهما كانت مصادمته للعقل، وللأمور البدهية.

سابعاً: لقد أمر الله تبارك اسمه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو القرآن، فقال عز وجل:

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢)﴾ النمل.

فهل يظن عاقل أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يتلو القرآن في الصلاة أو خارجها؛ كان يقرأ آيات الحقيقة الموضوعية، ويتجاوز آيات الأحكام؟![1].

ثامناً: ويستسهل (العلماني) بعد فريته الكبرى السابقة أن يبني عليها ما شاء من أوهام وزيوف، ومنها: زعمه بأن الذين يفهمون القرآن إنما هم أهل الفلسفة، وأصحاب كل العلوم الموضوعية من فيزياء وأصل الأنواع والأكوان...[2].

و (العلماني) في هذه الفرية يؤكد ما سبق ذكره؛ من أنه لا يقيم أي اعتبار للأسس العقدية التي جاء القرآن بإثباتها، والتي هي المقصد الأول والأعظم من إنزاله. وإلا فهل يشك أحد في أن تلك الأسس لا يمكن أن يفهمها إلا العلماء المؤمنون بهذا الدين؟!.

أما صاحب الفرية فإنه لا يريد إلا أن يؤكد زعمه الباطل، بأن القرآن ليس إلا كتاباً في العلوم الكونية، ولهذا فقد ادعى ما ادعاه، بالنسبة إلى من هم قادرون على فهم القرآن حقيقة.

---

(١) الشحرور يجعل التلاوة هي لفظ الآيات بالتتالي، فهي إعادة لفظ نص بحرفيته، وأما القراءة فتقترن بالشرح، وله في هذ افتراء على اللغة، انظر: الكتاب والقرآن: ٩٤. والمهم أن التلاوة عنده إعادة لفظ الآيات بالتتالي، ومعلوم أنه لا يوجد فصل للآيات التي تتناول الأحكام؛ عن الآيات التي تتناول بعض حقائق الكون، بل كثيراً ما تتداخل، فهل إذا أُمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره أن يتلو القرآن؛ فمعنى هذا أنه قد أُمر بفصل الآيات عن بعضها البعض، فيتلو جزءاً من السورة، ثم يقفز إلى جزء آخر، فهل يقول هذا عاقل؟!. ولكن ركوب الهوى واتباع الباطل يعمي صاحبه عن البدهيات، فلا يستغرب أن يصدر عنه أي سخف مصادم للعقل.

(٢) انظر ما سبق: ٦٧١.

وأما ضمّه أهل الفلسفة -أي المحضة- إلى العلماء القادرين على فهم أسرار الكون؛ فهو نوع من الإغراق في الباطل، إلى دركات سحيقات. فأولئك الفلاسفة لم يصدر عنهم قديماً ولا حديثاً؛ بالنسبة إلى فلسفة الكون والوجود؛ إلا مجرد أوهام وفرضيات، سرعان ما يثبت العلم سقوطها وبطلانها. والحق أنه لا يقيم وزناً لأمثال هؤلاء الفلاسفة إلا مَن هو نظير لهم، في الاعتماد على الأوهام والخرافات، والبعد عن الحق.

تاسعاً: وقد أكد (العلماني) زعمه الباطل السابق، عندما ادعى أن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ وأصل الأنواع والكونيات والإلكترونيات؛ هم ورثة الأنبياء -عليهم السلام-.

إن (العلماني) في دعواه العريضة الكاذبة هذه:

١- يريد أن يجعل النبوة وكأنها مختصة بعلوم الكون والطبعيات، أو أن هذه الأمور من الأسس التي تشملها النبوة، ودعواه هذه مع كونها لا دليل عليها، بل الدليل الظاهر القاطع ينقضها، فإنه لا يوافقه عليها حتى أضرابه من العلمانيين.

٢- أما المؤمنون با لله عز وجل وبأنبيائه عليهم السلام حقاً؛ فإنهم يعلمون أن مهمة الأنبياء عليهم السلام هي: دعوة الناس إلى الإيمان با لله عز وجل وحده، على الوجه الصحيح، ودعوتهم إلى الإيمان الحق بسائر الأركان، ثم بيان شرع ا لله عز وجل المنزل، وتطبيقه في السلوك[1].

وأما الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وجعل مهمتهم الأساسية -باعتبار النبوة- هي: بيان السنن الكونية المادية، فهو افتراء لم يُسْبَق (العلماني) إليه. وكما سبق بالنسبة إلى افترائه حول القرآن؛ فإنه لا توجد له حتى مجرد شبهة، يَسْتَغِلّها لدعم افترائه هذا[2].

٣- ثم إن صاحب هذه الفرية يصر دواماً على أن يجعل الفلاسفة، ومَن على شاكلتهم من أصحاب الفرضيات الباطلة -كفرضية أصل الأنواع وتطور الأشياء-؛ وكأنهم امتداد للأنبياء عليهم السلام. وأن ما افتراه الفلاسفة وأضرابهم من الباطل؛ متوافق مع الحق الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام. وكل عاقل منصف يدرك مدى التناقض بين مجمل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام؛ ومجمل ما افتراه الفلاسفة وأضرابهم[3].

---

(١) انظر ما سبق: ٥٣٣-٥٣٤.

(٢) للشحرور افتراء خاص حول معنى النبوة، انظر بيانه والرد عليه: ٥٤٨-٥٥٤.

(٣) للشحرور تأويلات عجيبة لجعل ما جاء به القرآن الكريم في بيان حقيقة خلق ا لله جل شأنه لآدم عليه السلام؛ متوافقاً مع ما زعمته الدارونية زوراً وبهتاناً؛ من أن الإنسان متطور تطوراً طبعياً، من المخلوقات السابقة له. والشحرور في تأويلاته هذه يصل إلى حد السخرية بالكتاب العزيز، وبعقول قارئي كتابه، وإن كان يحاول التظاهر بالجدية في بحثه، وتحليلاته الباطلة. انظر: الكتاب والقرآن: ١٠٦-١١١.

والحق أن الشحرور في هذا المجال مسبوق مِن قِبَل كثير من الفلاسفة المنتسبين للإسلام قديماً وحديثاً، ممن حاولوا جعل النصوص الربانية الحقة متوافقة مع تخريفاتهم وسخافاتهم.

٤- إن (العلماني) يهدف من وراء هذه الفرية إلى: جعل الأجيال المسلمة مستعدة لقبول أية عقيدة، أو فلسفة كفرية، مهما كان تناقضها ظاهراً وواضحاً؛ مع ما جاءت به الرسالات الربانية المنزلة.

٥- والأعجب مما سبق استدلال (العلماني) على فريته هذه بما يدل على نقيضها، ومن هذا استدلاله بقوله تعالى:

﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ... (٧)﴾ آل عمران.

وبالطبع فهو لم يكمل الآية لأنها تنقض استدلاله، فالراسخون في العلم يقولون:

﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ(٧) رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ(٨)﴾ آل عمران.

فعلى فرض أن الراسخين في العلم يعلمون معنى المتشابه؛ فهل الفلاسفة وعلماء الكونيات والطبعيات وأصل الأنواع والإلكترونيات -من غير المؤمنين حقاً بهذا الدين، الذين يدخلهم (العلماني) ضمن ورثة الأنبياء عليهم السلام، ويستدل لهم بهذه الآية[1]- هل أولئك يقولون: ﴿آمنّا به كل من عند ربنا﴾، أي: يقرّون بأن كلاً من الآيات المحكمات والمتشابهات؛ من عند الله عز وجل؟!. وهل أولئك الفلاسفة يؤمنون بالدين أصلاً، فضلاً عن إيمانهم بآياته المحكمة أم المتشابهة؟!. وهل علماء المادة أولئك يدعون ربهم ذلك الدعاء؛ بأن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم إلى الإيمان الكامل بالحق؟!.

إن استدلال (العلماني) بتلك الآية يدل على مدى التلبيس الذي يصل إليه هو وأضرابه؛ عندما يستشهدون لباطلهم بجزء منتزع من نصٍ رباني منزل، يدعون أنه يدل على ما افتروه، ويعرضون عن بقية النص، التي تنقض باطلهم نقضاً تاماً.

٦- وكذلك استدلاله بقوله جل ذكره:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ... (٤٩)﴾ العنكبوت.

فهو ينتزع هذه الآية من سياقها، ويبترها عن بقيتها:

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ(٤٩)﴾ العنكبوت.

(١) انظر ما سبق نقله عنه عندما ذكر أن الفلاسفة هم ورثة الأنبياء عليهم السلام، وفي أصل كتابه فقد أورد أمثلة لأولئك الفلاسفة، كإنجلز وداروين ونحوهما، وبئست الأمثلة. وذكر أنه لا يشترط لفهم القرآن التقوى، فغير المتقين إن كانوا من أهل البحث العلمي المادي؛ هم قادرون على فهم القرآن، فهم مِن ثمّ مِن ورثة الأنبياء عليهم السلام!. انظر: ٦٧١، ٦٧٤.

وزاد في التلبيس عندما ادعى أن القرآن -بحسب مصطلحه الباطل- هو وحده الذي يطلق عليه: الآيات البينات، دون سائر ما في الكتاب.

ولكن تدبر سياق الآيات يدل دلالة قاطعة على أن الضمير (هو) يرجع إلى مجمل الكتاب المنزل[1]، الذي يشمل الحقائق الدينية المتعددة، وليس فقط الحقائق الكونية. ولا يوجد ما يخصّص هذا المعنى، بل إنه يوجد ما يدل على عمومه، وهو أنه السياق يتحدث أيضاً عن أهل الكتاب، وأن المؤمنين منهم حقاً بالكتاب المنزل عليهم؛ يؤمنون بهذا الكتاب، فالأسس العامة للكتب الربانية المنزلة واحدة، وإن كان كتاب الرسالة الخاتمة قد اشتمل على ما فيها من الحق، وزاد في البيان، وأكمل التشريع، فجاء مهيمناً على الكتب السابقة ومصدقاً لما جاء فيها.

قال تبارك اسمه:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)﴾ العنكبوت.

ثم إنه من المعلوم المتيقن من نصوص الشرع وبإجماع المسلمين؛ أن تهديد الظالمين والجاحدين؛ إنما يراد به تهديد الجاحدين للحق الرباني المنزل، ولاسيما ما يتعلق بالنسبة إلى العقائد والعبادات، ولا يُراد به تخصيصه بالنسبة إلى من يجحدون حقيقة كونية، جاء بها الكتاب العزيز. وهذا أمر طبعي، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً بالله تبارك اسمه وبنبيه صلى الله عليه وسلم وبالكتاب وبالعقائد المنزلة؛ ثم يأتي إلى حقيقة كونية جاء بها الكتاب المجيد فيجحدها وينكرها، إذ هو قد آمن بما هو أبعد وأعلى وأعظم شأناً!.

إن ما افتراه (العلماني) في هذا التحريف، وتخصيصه -من غير دليل- للقرآن -بحسب مصطلحه الباطل- بأنه هو الآيات البينات؛ كل هذا يدل على ما سبق بيانه؛ من أن منهج العلمانيين الغالب يعتمد على إطلاق التقريرات الافترائية، دون أن يقيموا عليها أي دليل، بل إن الدليل الواضح القاطع ينقض ما قرّروه من أصله، ويهدم ما بنوه من أساسه.

---

(١) الشحرور يقرّ أن الكتاب إذا أطلق؛ فإنه يشمل مجموع الآيات الموجودة بين دفتي المصحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. انظر: الكتاب والقرآن: ٢١٣.

عاشراً: ويستمر (العلماني) في جراءة عجيبة على الدجل والكذب والاستخفاف بقارئه، وكأنه يظنه من أجهل الجاهلين، فيستدل له على أن الكتاب غير القرآن؛ بأنه قد ورد: أن الكتاب هدى للمتقين، كما في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ البقرة.

وأما القرآن؛ فقد ورد: أنه هدىً للناس، كما في قوله جل ذكره:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ...(١٨٥)﴾ البقرة.

و(العلماني) بهذا الادعاء الكاذب يغفل آياتٍ كثيرات، كقوله جل شأنه:

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٣)﴾ إبراهيم -عليه السلام-.

فالكتاب -الذي هو القرآن- فيه هدى للناس كلهم، ولكن الذي ينتفع بهذه الهداية حقاً؛ هو من يستجيب لما جاء فيه، فيصبح من المهتدين المؤمنين.

وقد يغالط (العلماني) ويقول: إن الكتاب يشمل جميع المصحف، فيصح أن يكون هدى للمتقين باعتبار ما فيه من الأحكام، وهدى للناس باعتبار ما فيه من القوانين الكونية!.

ومغالطته هذه لا تنفعه، فواضح من سياق الآيات أن المقصود بالهداية؛ هي الهداية إلى الدين الحق، إذ بالإيمان به؛ يخرج الناس حقيقة من الظلمات إلى النور. ثم إن الدين الحق: هو صراط الله تعالى المستقيم، ثم التعقيب بتهديد الكافرين بالهداية -التي أتت في الكتاب- بالعذاب الشديد، وما جاء في صفتهم؛ يدل بوجه لا يقبل الشك على المراد بتلك الهداية.

ويؤكد المعنى السابق ما ورد في قوله تبارك اسمه:

﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٠)﴾ الإسراء.

فالقرآن فيه الهداية للتي هي أقوم، فمن اهتدى كان من المؤمنين الذين يبشرهم القرآن بالأجر الكبير، ومن عصى هداية القرآن للتي هي أقوم، فلم يؤمن بما فيه من الحق، ومن هذا الإيمان باليوم الآخر؛ فله الوعيد بالعذاب الأليم.

ويؤكده كذلك قوله عز وجل:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً (٨٢)﴾ الإسراء.

فهل توجد دلالة أوضح من دلالة هذه الآية؛ على أن هداية القرآن إنما يستفيد منها المؤمنون بالله جل جلاله وبدينه حقاً، وأما الظالمون فإنهم لن يزدادوا إلا خساراً، لإعراضهم عن القرآن المنزل.

فأين استفادة الكفار -المصرين على كفرهم وجحودهم-، التي زعمها (العلماني)؟!.

وأين استفادة هؤلاء الكفار منه؛ وقد قال تبارك اسمه:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً(٤٥)﴾الإسراء؟!.

إن من تمرس على الكذب وافتراء المعاني وإلصاقها بالآيات المنزلات، ولو خالفت المعنى الواضح القطعي لها، الذي أجمع عليه العقلاء؛ فإنه لا يستغرب أن يصدر عنه أي تأويل لآيات الكتاب العزيز، مهما كان بعدها عن الحق، ومهماكانت مناقضتها للمعنى المراد، الذي لا يخفى على عاقل.

حادي عشر: ومن عجائب (العلماني) -وعجائبه لا تنتهي- ما ذكره عن الحق، وأنه الحقيقة الموضوعية الكاملة (المطلقة)، ولهذا فالقرآن -بحسب مصطلحه- هو وحده الموصوف بالحق، أي: إنه لا يوصف بالحق؛ إلا القوانين الموضوعيّة للوجود، والقصص، لأنها أمور حتمية لا تتغير، وأما آيات الأحكام فلا علاقة لها بالحق، ولا توصف بأنها حق!![1].

والحق أنه لولا صدور مثل هذا الكلام بالفعل، وتسطيره في كتاب مطبوع بعناية[2]؛ لما كان يتصور أن يصدر مثل هذا الهراء من عاقل يدري ما يقول!، إلا أن اتباع الباطل يفعل بصاحبه؛ ما لا يفعله الجنون بصاحبه!.

لقد افترى على الحق بأن جعله مختصا بالحقيقة الموضوعية -أي الأمر الذي لابد أن يحصل-، وهذا افتراء على اللغة، وافتراءاته عليها لا تحصى!.

---

(١) انظر ما سبق نقله من كلام الشحرور: ٦٧٣-٦٧٤.

(٢) يلاحظ أن كتاب: الكتاب والقرآن؛ للشحرور؛ قد اشترك في طباعته دارا طباعة، إحداهما في دمشق، والأخرى في القاهرة!، وبئس الاشتراك.

فـ(الحق) -كما في معاجم اللغة المعتمدة-: نقيض الباطل، ويدل على إحكام الشيء، وصحته. ويطلق في اللغة على: العدل والصدق. وله فيها إطلاقات كثيرة، منها: أنه يطلق على الملك، والمال، والحزم، وواحد الحقوق، وغير هذا من إطلاقات، ويشمل هذا ما هو واقع لا محالة كالموت[1].

فتخصيص الحق ببعض معانيه، وادعاء انحصار الحق فيها؛ افتراء على اللغة. فإن زعم (العلماني) أن ما ادعاه إنما هو اصطلاح قرآني، فهو افتراء على القرآن ظاهر، فهل قوله تعالى: ﴿...وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١)﴾ الأنعام.

هل يراد بالحق في الآية: الحقيقة الموضوعية الساحقة الماحقة التي لا يمكن مخالفتها!، ولا تدخل ضمن إرادات الناس؟!. وهل قتل إنسان إلا حكم من الأحكام، يمكن أن يكون بالحق، أو بالباطل؟!.

وقوله تبارك اسمه:

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ(١٠٢)﴾ النحل.

ظاهر فيه أن الحق الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ إنما هو لتثبيت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين. فأين هذا ممن يدعي أن القرآن -الحقيقة الموضوعية التي تحكم الوجود-: هو وحده الحق، وهو هداية للناس كلهم؟!. أليس الحق في نص الآية؛ إنما هو هدى وبشرى للمسلمين؟![2].

ثم أين هذا مما ادعاه (العلماني) عن القرآن -فيما سبق- أنه كتاب هداية للناس كلهم، لأنه يحتوي على قوانين الوجود، بينما (الكتاب) هداية للمتقين فقط لأنه يحتوي على الأحكام؟!.

وقوله جل ذكره الذي بيّن فيه حال المنافقين، وأنهم يرفضون الانقياد لشرع الله تبارك اسمه إلا إنْ كان لهم الحق:

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)﴾ النور.

---

(١) انظر: ترتيب القاموس المحيط: (حقق)/ ١/ ٦٧٩. و: مقاييس اللغة؛ ابن فارس: (حقق)/ ٢/١٩-٣١، وهو المعجم الذي جعله الشحرور معتمده، ولكن صاحب المعجم قد بيّن أن للحق إطلاقات عديدة.

(٢) بالنسبة إلى المسلمين فإنهم يعلمون ويوقنون أن القرآن كتاب هداية للبشرية، بصفة عامة، وهداية للمؤمنين، بصفة خاصة، لأنهم هم الذين يستفيدون منه حقاً، وإنما يناقش الشحرور هنا فيما ادعاه سابقاً حول أن القرآن هداية للناس كلهم حتماً، لأن فيه قوانين الوجود العامة.

فهل يستطيع أحد أن يقول عن الحق في الآية: إنه الحقيقة الموضوعية المطلقة الساحقة الماحقة؟!!.

وعندما طلب الخصمان من داود عليه السلام أن يحكم بينهما:

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)﴾ ص.

فهل يفهم للحق -في هذا الموضع- معنىً؛ غير إقامة العدل بين الخصمين، مع إمكان أن يجور القاضي فلا يحكم بالحق؟!. فالحق هنا أطلق على الحكم، الذي حاول (العلماني) أن يجعله من الأمور التي لا تقبل الوصف بالحق!.

وكذلك أَمَرَ عز وجل نبيه داود عليه السلام أن يحكم بين الناس بالحق:

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(٢٦)﴾ ص.

وواضح في الآية أنه يمكن للحاكم أن يخالف الحق ويتبع الهوى. وكما هو ظاهر وواضح فإنه يتعلق بالحكم بين الناس.

ومن خلال الآيات السابقات نجد أن الحق ورد فيها معرفاً، وعلى الرغم من هذا لم يأت على معنى الحقيقة الموضوعية المطلقة الساحقة، التي لا يمكن لأحدٍ مخالفتها.

ولو استعرضنا الآيات التي ورد فيها الحق لوجدناها تعارض مزاعم هذا (العلماني) معارضة تامة، فإذا كان الحق يطلق على القوانين التي خلقها ا لله عز وجل وسيّر بها كونه؛ فلا يعني هذا انحصار الحق في هذا المعنى.

ومما سبق يتبين بطلان دعوى (العلماني) عن آيات الأحكام، وأنها لا توصف بالحق. فالحكم بين الناس قد يكون بالحق والعدل، وقد يكون بالباطل والظلم، والحكم إذا كان من عند ا لله عز وجل فهو حكم حق، وإذا كان من عند البشر فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً، وهذا ما أثبتته اللغة، وأثبته القرآن العزيز.

إن أي حكم لا يخلو عقلاً من أحد الوصفين الحق أو البطلان، وادعاء أن الأحكام مما لا تقبل الوصف بالحق أو البطلان، ادعاء باطل.

ويبدو أن محاولة (العلماني) لإزالة صفة الحق عن الأحكام؛ إنما يهدف منها إلى استدراج المسلمين ليصدقوه، ومن ثم يسهل عليهم قبول الأحكام الوضعية، وترك الأحكام الربانية، باعتبار أن الأحكام لا توصف بأنها حق أو باطل كما ذكر (العلماني) في افترائه.

ثاني عشر: ومن تلبيس هذا (العلماني) محاولته استخدام قواعد صحيحة للدلالة على باطله، ومن هذا ما ذكره في مسألة العطف؛ من أنه يقتضي التغاير، أو على الأقل يمكن أن يعطف الخاص على العام لحكمة. وبأسلوب تحايلي تضليلي حاول أن يعتمد على هذه القاعدة؛ ليثبت عدم المطابقة بين الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبين القرآن المنزل عليه، وعدم المطابقة بين القرآن والكتاب المبين[1].

وقد غفل -والحق أنه تغافل عن قصد- عما ذكره العلماء من أنه يمكن عطف الشيء على نفسه؛ إذا أردنا التنويه بصفتين أو أكثر من صفاته الهامة، فيذكر كل مرة بصفة من صفاته. كما يقال: هذا فعل السخي والجواد الكريم، والمقصود شخص واحد[2]. ومن هذا قوله جل شأنه:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٤٠)﴾ الأحزاب.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم، وخاتم النبيين هو أيضاً محمد صلى الله عليه وسلم، فالذات واحدة وهي متطابقة، ولكن صح العطف لأنه عطف بين صفتين لذات واحدة.

ومن ذلك قوله تبارك اسمه:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١)﴾ الحجر.

وقوله عز وجل:

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ القُرآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١)﴾ النمل.

فكلا الآيتين تنصان على صفتين أساسيتين لذات واحدة، وهذه الذات هي: السور التي أوحيت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الفاتحة إلى الناس، والصفتان الأساسيتان هما: القرآنية والكتابية، وقد قُدِّمَت الكتابية في الآية الأولى وأُخِّرَت القرآنية، مع تنكير لفظ القرآن للتعظيم، ووصفه بكونه

---

(١) وغير هذا من أمور عديدة بثها في ثنايا كتابه التضليلي!.

(٢) انظر: روح المعاني؛ الألوسي: ١٩ / ١٥٥.

مبينا. وعكس الأمر في الآية الثانية. فهو مبين؛ سواء كان مقروءاً أم مكتوباً[(١)].

ثالث عشر: ومن افتراءاته التقريرية؛ التي لا دليل عليها -بل ولا مجرد شبهة-؛ دعواه أن: ﴿قرآن مجيد﴾ جزء من القرآن، ويراد به الجزء الثابت من القرآن، وهو: القوانين العامة الناظمة للوجود![(٢)].

إن (القرآن) -عُرّف أم لم يُعَرّف- هو عَلَم عند جميع المسلمين وغير المسلمين؛ على كامل الكتاب العزيز المنزل من عند الله عز وجل، وما ادعاه من أن ﴿قرآن مجيد﴾ هو الجزء الثابت من القرآن...، مع كونه ادعاءاً افترائياً لا دليل عليه؛ فإن السياق يأبى تخصيص ﴿قرآن مجيد﴾ ببعض القرآن دون بعض، فالذين كفروا قد كذبوا بالقرآن كله، لا ببعضه دون بعض، فرد عليهم الله عز وجل، بإثبات حقيقة هذا الكتاب، وأنه في لوح محفوظ عنده.

قال تعالى:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ البروج.

رابع عشر: ونحو ذلك الافتراء؛ افتراؤه حول: (الإمام المبين)، فقد جعله جزءاً من القرآن، وهو الجزء المتغير، الذي يشمل أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية، وأفعال الإنسان الواعية (القصص)![(٣)].

---

(١) انظر في تفسير الآية الأولى: تفسير الطبري (جامع البيان): ١٤ / ١، وللطبري رأي في (الكتاب) الوارد في سورة الحجر، فقد ذكر: أن المراد به جنس الكتاب، الذي يشمل الكتب السابقة. وانظر: تفسير البيضاوي: ٣٦٠/٣، وقد ذكر أن الكتاب والقرآن وصفان لأمر واحد. و: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي: ١/١٠، وقد ذكر القولين. و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم؛ أبو السعود: ٦٣/٥، وذكر رأي البيضاوي. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ١٢١/٣، وذكر القولين؛ قول الطبري، وقول أنه جمع بين الوصفين أو الاسمين. و: روح المعاني: ١٤/ ٢، وذكر القولين.
وفي تفسير الآية الثانية: انظر: تفسير الطبري ١٩ / ١٣١، فقد بيّن من خلال تفسيره أنهما وصفان لأمر واحد. و: تفسير البيضاوي: ٢٥٨/٤، وذكر أنهما وصفان، وذكر احتمال أن يكون المراد بالكتاب المبين: اللوح المحفوظ. و: إرشاد العقل السليم: ٢٧١/٦، ورفض قول البيضاوي الثاني. و: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٥/١٣. و: فتح القدير: ١٢٥/٤، وذكر القولين. و: روح المعاني: ١٩/ ١٥٥.
فهؤلاء علماء في اللغة والتفسير وقد بينوا -كما هو ثابت مقرر- جواز عطف الشيء على نفسه، إذا كان العطف إنما هو بين صفات متعددة له.
والشحرور يركز أحياناً على مسألة التعريف والتنكير، وأنه إذا نُكّر الاسم فالمراد به أمر آخر، فلا أدري لِمَ لَمْ يجعل (قرآن مبين) أمر آخر غير (القرآن)، كما فعل هذا بالنسبة إلى ﴿قرآن مجيد﴾، إذ جعله -كما سيأتي الرد عليه في الفقرة التالية- جزءاً من القرآن، ولعله قد خبّأ هذا لكتاب تضليلي آخر!، أولطبعة أخرى من كتابه التضليلي هذا!، بعد أن يكون قد فكر وقدّر فيما الذي سيفتري عليه، ويجعله قرآناً مبيناً، وليس هو كتاباً مبيناً!، ويزيد في تفريق الكتاب العزيز، ظلماً وعدواناً.

(٢) انظر ما سبق: ٦٧١.

(٣) انظر ما سبق: ٦٧١-٦٧٢.

فهو مع كونه ادعاءً تقريرياً مفترى لا مستند له، فإن سياق الآية التي ورد فيها قوله: ﴿إمام مبين﴾ يأباه، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(١٢)﴾ يس.

فسياق الآيات قبلهما: يتحدث عن الكافرين، الذين وصلوا في كفرهم إلى دركة لم يَعُد ينفع معها أي إنذارٍ لهم، ويتحدث عمن يستفيد من الإنذار، وهم الذين يخشون ربهم عز وجل حقاً. والتعقيب الطبعي على ما سبق من الحديث؛ أن يُبَيَّن أنّه تبارك اسمه لن يترك أولئك جميعاً من غير محاسبة ولا جزاء، وإذا لم تتم المحاسبة والجزاء في هذه الدنيا -كما هو مشاهد معلوم-؛ فإن الله جل شأنه قادر على إتمام حكمته وعدله، وإجراء المحاسبة والجزاء الأكملين، وهذا في دار أخرى غير هذه الدار، ولذلك فإنه بعد الحديث عن كلا الفريقين في هذا الموضع من السورة؛ جاء التعقيب ببيان أمرين أساسيين لابد منهما لإتمام المحاسبة والجزاء بالصورة المثلى:

الأمر الأول: بيان أن الله عز وجل سيحيي هؤلاء المكلفين بعد أن يكونوا قد ماتوا، ليحاسبهم ويجازيهم الجزاء الأوفى على أعمالهم.

الأمر الثاني: بيان أنه جل جلاله قد سجّل على العباد أعمالهم، مهما دقّت، ويشمل هذا آثار أعمالهم الإرادية، غير المنقوضة. وبهذا يتحقق للمحاسبة -ومن ثم للجزاء- أعلى درجات العدل والدقة.

وقد بيّن جل شأنه أنه قد أحصى كل شيء من أعمال العباد، وجعله في إمام مبين.

وقد يدخل فيما هو مسجل مكتوب في: (الإمام المبين)؛ ما يتعلق بأقضية الرب تبارك اسمه ومقاديره للكون من قبل أن يخلقه.

ومعنى ﴿إمام﴾ هنا: أي كتاب يكون حجة، يُتّبَع ولا يخالَف، وهو مبين واضح، ظاهر بيّن، وموضّح لكل شيء.

وإذاكان مختصاً بأعمال العباد؛ فهو الذي بينه جل ذكره في آيات عديدات في كتابه.

كقوله عز وجل:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ القمر.

وقوله جل جلاله:

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤)﴾ الإسراء.

وقول جل ثناؤه:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ الجاثية.

وقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩)﴾ الحاقة.

وقوله تبارك اسمه:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥)﴾ الحاقة.

ويُستَنْبَط من آيات القرآن المجيد: أنه يوجد كتاب عام شامل لأعمال الخلائق من المكلفين، وهو المراد بقوله جل ذكره:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩)﴾الكهف.

وعلى هذا فهو: الإمام المبين لجميع أعمال العباد، ويؤكد هذا أنه يوجد بنص القرآن الكريم: إمام خاص لكل أمة، أي كتاب أعمال خاص بكل أمة(١)، وقد دل عليه آية سورة (الجاثية) السابقة، ودل عليه قوله تبارك اسمه:

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١)﴾ الإسراء.

فهذا كله يدل على وجود إمام مبين عام، ويوجد إمام خاص بكل مجموعة وفئة من الناس، والمراد بهذا كله كتاب الأعمال.

وقد يراد بالإمام المبين الوارد في سورة (يس): الكتاب الذي يشمل أعمال العباد، وغيرها من الأمور المتعلقة بمقادير الرب عز وجل في كونه، وبهذا يكون هو اللوح المحفوظ(٢).

---

(١) كما يوجد كتاب أعمال خاص بكل مكلف.

(٢) انظر في تفسير (الإمام المبين): جامع البيان: ٢٢/ ١٥٥. و: تفسير الرازي: ٢٦/ ٢٥٨. و: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي: ١٥/ ١٣. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥٦٧/٣. و: تفسير البيضاوي ٤٢٧/٤. و: إرشاد العقل السليم؛ أبو السعود: ١٦١/٧. و: فتح القدير: ٣٦٢/٤. و: روح المعاني: ٢٢ / ٢١٩.

ولا شك أن كلام العلماء يدل عليه أي عقل سليم يقرأ كتاب الله عز وجل، وأما من كان في عقله شيء، أو من لم يكن له هم إلا الإفساد والإضلال؛ فلا يستغرب منه أن يحمل معنى الآيات على ما يمليه عليه هواه، وإن لم يدلّ عليه الكتاب بأية دلالة.

وبهذا يتبين أن سياق الآية يبطل ادعاء أن المراد بـ (الإمام المبين) هو: الجزء المتغير من القرآن الكريم، أي الذي يتناول الأحداث الجزئية المتغيرة في الكون، ولو شمل هذا: القصص الوارد في القرآن، إذ سياق الآية يدل على عموم شمول الإمام المبين لجميع أعمال العباد. وأما أحداث الكون المتغيرة الواردة في القرآن، أو القصص الوارد فيه؛ فليست إلا نماذج يسيرة جداً، ومجرد أمثلة، قد جيء بها في القرآن؛ للدلالة على صدق كونه من عند الله عز وجل، ولتكون عبرة وعظة لأولي الألباب. وأما الآية فتتحدث عن الكتاب الذي يشمل جميع أعمال العباد، صغيرها وكبيرها: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾.

خامس عشر: ومن افتراءاته التقريرية: ما ادعاه بالنسبة إلى: الكتاب المبين، إذ جعله جزءاً من القرآن، مُعْتلاً بأنه لا يمكن أن يكون هو القرآن، لأنه عطف عليه، وقد سبق بيان تلبيسه حول هذه المسألة[1].

وهو هنا قد بنى على ذلك التلبيس: أن الكتاب المبين هو القصص القرآني، وعَطْف الكتاب المبين على القرآن؛ هو من باب عطف الخاص على العام.

وقد اعتمد في جَعْل الكتاب المبين هو: القصص؛ على ما ورد في بدايات بعض سور القرآن الكريم. فقد ذكر أن أول سورة (يوسف) –عليه السلام–؛ قد بدأ بقوله تعالى:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)﴾.

فادعى أن سورة (يوسف) –عليه السلام– قد بدأت بقوله: ﴿الكتاب المبين﴾: لأن محتويات سورة (يوسف) –عليه السلام– كلها قصص، ونحوها سورة (الشعراء):

﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾.

وكذا سورة (القصص):

﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾.

بينما جاءت الآية الأولى في سورة (النمل):

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١)﴾.

لورود بعض أحداث الكون المتغيرة فيها[2].

إن (العلماني) يصر على ألا يكتفي بادعاءاته التقريرية البهتانية، بل يضم إليها اعتباره لمن يقرأ كتابه؛ على أنه من أجهل الجاهلين، وأعظمهم سذاجة، وهذا عندما يُوهِم أنه يستدل بأدلة استقرائية

---

(١) انظر ما سبق: ٦٨٨-٦٨٩.

(٢) انظر ما سبق: ٦٧٢.

مستنبطة من الكتاب العزيز، والحق أن نظرة عابرة إليه -حتى ممن لم يقرأه مطلقا- تنقض استدلاله المزعوم.

١- فآخر سورة (يوسف) -عليه السلام- فيه إخبار للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مهما حرص على إيمان البشر؛ فإن أكثرهم لن يؤمنوا بالحق. وفيه بيان لكون نفور هؤلاء الأكثرية عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليس له أي سبب يعود إليه صلى الله عليه وسلم نفسه، فهو لا يطلب منهم أي أجر، وما جاءهم به إنما هو ذكر لهم، وكان ينبغي عليهم أن يتدبروه، بدل أن يرفضوه ابتداء، والقضية العظمى التي جاء بها صلى الله عليه وسلم هي مسألة توحيد الرب عز وجل، وهو أمر مغروز في الفطر، وكل ما في الكون من آيات سماوية وأرضية تدل عليه، ورغم هذا كله؛ فقد غفل أولئك المشركون عن هذه الفطرة السليمة، وأعرضوا عن الحق المنزل الذي يذكرهم، ويوقظ فطرتهم تلك، وأعرضوا أيضاً عن جميع الآيات الكونية التي تدل على تلك الحقيقة، ولهذا لم تؤمن هذه الأكثرية الضالة بالله عز وجل؛ إلا مع نوع من أنواع الإشراك به سبحانه.

قال تعالى:

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ يوسف -عليه السلام-.

وبعد هذا البيان لحال هؤلاء المشركين؛ جاء التهديد الرباني لهم إما بالعذاب الدنيوي؛ وإما بالساعة التي يتحقق فيها الجزاء الأوفى على الأعمال.

قال جل ذكره:

﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(١٠٧)﴾ يوسف -عليه السلام-.

وبالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فعلى الرغم مما سبق؛ طلب الله عز وجل منه الثبات على سبيل الحق الذي أُنزل إليه، وأن يستمر في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل وحده، على بصيرة وعلم، وطَلَب منه: أن يُعلِن تبرؤه من الشرك وأهله، وهذا هو المطلوب من دعاة الحق من بعده صلى الله عليه وسلم، ممن اتبعه حقاً.

قال جل ثناؤه:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ يوسف -عليه السلام-.

وهكذا تمضي السورة إلى آخرها تثبّت الرسول صلى ا لله عليه وسلم والدعاة من بعده؛ على الحق الرباني المنزل، وتطلب منهم: أن يستمروا في الدعوة إليه، وتبشرهم: بالنصر الرباني لهم، وتُهدّد المعاندين بالعذاب والخزي، الدنيوي والأخروي.

وهذه الأمور السابقة كلها؛ سواء منها ما كان دعوةً للثبات على الحق؛ أم ما كان منها مجادلة للمشركين وتهديداً لهم؛ أم ما كان بشرى لأهل الحق بالعاقبة الحسنة؛ كل هذا لا يدخل ضمن مسمى القصص، فَيَبْطُل ما ادعاه (العلماني) من أن كامل سورة (يوسف) -عليه السلام- عبارة عن قصص.

٢- وأما سورة (الشعراء) فإن بدايتها تدحض زعم (العلماني): أنها كلها قصص، ولهذا جاء في أولها: قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾. اهـ.

فإن الناظر إلى الآيات التي تلت الآية السابقة يجد أنها تبطل ذلك الزعم، فقد جاء فيها: توجيه غير مباشر للرسول صلى ا لله عليه وسلم أن لا يهلك نفسه حزناً؛ على عدم إيمان من أصرّ من قومه على الكفر والعناد، وأنه ليس مطلوباً منه صلى ا لله عليه وسلم أن يجبرهم على الإيمان، فلو شاء هذا تبارك اسمه؛ لأنزل آية تخويفية من السماء تجبرهم على الإيمان بالحق[1].

ولكن حكمته جل شأنه اقتضت أن يختبر إيمان العباد الاختياري بالحق، ولهذا فلم ينزل إليهم إلا ذكراً لهم، ليدبروه، فيؤمنوا إن شاؤوا بما فيه من الحق. وكانت النتيجة أن أكثر الخلق المكلفين قد أعرضوا عن الذكر المنزل إليهم، وكذّبوا به. وبيّن عز وجل أنهم سوف ينالون الجزاء العادل على كفرهم واستهزائهم بالحق، وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين.

وكما هو الحال في العديد من المواضع في الكتاب العزيز؛ فقد وجه جل جلاله في هذه السورة أنظار الخلق إلى الآيات المبثوثات في الكون، التي تدل على الحق الذي جاءهم به الرسول صلى ا لله عليه وسلم وتصدّقه. ومن هذه الآيات التي لا تخفى على أحد: أزواج النبات الكريم. إذ إن كيفية نموها واستوائها، ومنظرها البديع، والفوائد التي تحصل للإنسان من ورائها، وغير ذلك؛ كل هذا يدل على القدرة والعناية والعلم، والحكمة الربانية. وبيّن جل جلاله أن في هذا آية تكفي للإيمان بالحق، لمن كانت عنده إرادة صادقة لقبول الحق والإذعان له، ولكن أكثر الخلق ليس عندهم ذلك الأمر، وا لله سبحانه عزيز، قادر على عقاب من عاند وكفر، وهو جل شأنه رحيم بمن آمن واتبع الحق.

قال تبارك اسمه:

---

(١) كما حدث بالنسبة إلى بني إسرائيل عندما رفع فوقهم الطور وأخذ عليهم العهد.

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩) ﴾ الشعراء.

فالتوجيه في الآيات السابقات إلى الإيمان وإقامة الأدلة عليه، وتحذير من خالف وعاند؛ كل هذا يبطل دعوى (العلماني) عن سورة (الشعراء) بأنها كلها قصص.

ومثل بداية سورة (الشعراء)؛ نهايتها، التي تثبت كون القرآن الكريم تنزيل من عند الله، عز وجل، وتقيم الأدلة عليه، وترد شبه المخالفين، وتهددهم وتتوعدهم، وهذا كله ليس من القصص.

٣- وأما سورة (القصص)؛ فالآيات التي ليست من باب القصص فيها كثيرة، كالتي تتحدث عن الكتاب المجيد، وعن كونه من عند الله عز وجل، وتحاجج الكافرين به، وتهددهم، وتبين مآلهم، وعاقبتهم السيئة في الدنيا ويوم الدين.

بل إن فيها آيات كونية يقيم بها الله عز وجل الدليل على وحدانيته في ربوبيته وإلهيته.

وحتى خاتمة السورة فيها توجيه للنبي صلى الله عليه وسلم وللدعاة من بعده؛ بالثبات على الحق والدعوة إليه، وتوحيد الرب جل ذكره، وعبادته وحده تعالى، ومجانبة أهل الباطل، والابتعاد عن شركهم.

إن الآيات التي ليست من القصص في سورة (القصص)؛ تكاد تقارب نصف آيات السورة، ولكن الباطل يعمي أبصار أهله، فلا يرون الحق مهما كان واضحاً بيناً.

٤- وأما سورة (النمل)؛ فإن فيها من التشريع ما ليس يدخل في مسمى القرآن والكتاب المبين حسب زعم المدعي (العلماني). فقد قال تبارك اسمه:

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنذِرِينَ (٩٢) ﴾ النمل.

وهذا وحده كاف؛ في إبطال دعوى (العلماني): حول تحديده لما هو القرآن والكتاب المبين، فكيف تبدأ السورة بقوله عز وجل:

﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) ﴾ النمل.

فكيف تبدأ بهذا؛ ويكون فيها آيات من التشريع، وهو لا يدخل في مسمى القرآن والكتاب المبين حسب زعم (العلماني) الباطل؟!!.

سادس عشر: ويبلغ (العلماني) الدرك الأسفل في السفسطة والدجل، عندما يدعي أن القرآن بما أنه فرق بين الحق والباطل؛ فلا علاقة له بالتقوى!، وليس هو مناط التكليف، ولا يوجد فيه أحكام وأوامر تكليفية!، فهو كتاب الوجود المادي والتاريخي!. ولهذا فهو لا يحتوي على تشريعات ولا أخلاق ولا عبادات ولا أحكام!، ولا تنطبق عليه عبارة: هكذا أجمع الفقهاء، ولا: هكذا قال الجمهور!. فنحن في القرآن غير مقيدين بشيء مما قاله السلف!. فالقرآن حقيقة موضوعية مادية وتاريخية (ساحقة ماحقة)، لا تخضع لإجماع الأكثرية، ولو كان كلهم تقاة، ويخضع لقواعد البحث العلمي، حتى ولو كان الناس كلهم غير تقاة!. وعلينا أن نكسر الحاجز الوهمي، حاجز: هذا ما قاله جمهور الفقهاء![1].

إن هذه الضلالات والمغالطات التي افتراها (العلماني) في العبارة السابقة، قد بناها على الزيوف التي نسبها إلى القرآن الكريم، والتي مضى بيانها والرد عليها، إلا أنها أصبحت عنده وكأنها مسلمات لا تقبل النقاش، فبنى عليها افتراءاته الجديدة هذه.

أ- أما ادعاؤه أن القرآن الكريم لا علاقة له بالتقوى، فمما يبطله ما يلي:

١- إن كون القرآن الكريم لا يحتوي إلا على قوانين الوجود المادية والتاريخية، وليس فيه أحكام ولا شرائع ولا أخلاق...؛ هو أمر قد تبين بطلانه فيما سبق.

٢- ثم إن إصرار (العلماني) على جعل القرآن كتاباً لقوانين الوجود المادية والتاريخية؛ دليل قاطع على أنه لا يؤمن بأن القرآن الكريم قد جاء لإقرار حقيقة توحيد الرب عز وجل في ربوبيته وإلهيته، وسائر ما يتعلق بالعقائد[2].

٣- وإنْ رَفَضَ (العلماني) التهمة السابقة، وادعى: أنه يؤمن بأن القرآن يشتمل على إقرار العقائد، ومنها ما يتعلق بالله عز وجل واليوم الآخر، فيقال له:

إن توضيح تلك الحقائق، ودعوة الناس إلى الإيمان بها، وبيان أنه لن يقيهم من العذاب، أو من الخلود فيه، إلا الإيمان الصادق بتلك العقائد والأركان؛ سيؤدي بالمستجيب لتلك الدعوة، والمؤمِن بمضمونها؛ إلى أن يقي من العذاب الخالد يوم الدين. فكيف يستقيم هذا مع دعوى (العلماني) أن القرآن لا علاقة له بالتقوى، وأعظم أسبابها موجودة فيه، بل إنه المصدر الأساس لها؟!!.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٧٤.

(٢) وإن حاول الشحرور أن يتظاهر بأن القرآن يشمل حقيقة التوحيد في بعض إشارات كلامه، إلا أن تصريحه في هذا الموضع، بالصورة التي سبق ذكرها؛ يقضي على إشاراته.

٤- وأما سورة القصص -التي يعتبرها (العلماني) من القرآن-؛ فإنه قد ورد في القرآن الكريم آيات عديدات تبين: أن تلك القصص ما جيء بها إلا لتكون عبرة للناس، حتى يتعظوا بما حصل لمن قَبْلهم من أهل الكفر والعناد، فلا يسلكوا سبيلهم، وبما حصل لأهل الإيمان، فيثبتوا على الحق، ويزداد تمسكهم به.

قال تبارك اسمه:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)﴾ الأعراف.

وبعد كل قصة ذكرت في سورة (الشعراء) قال جل جلاله:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)﴾.

فالاعتبار بقصص السابقين؛ من الأسباب القوية التي تجعل الإنسان يتقي أسباب الهلاك، ويسلك سبيل الهداية والرشاد. فهل يصح بعد هذا أن يدعي مفترٍ ويقول: إن القرآن لا علاقة له بالتقوى؟!، هذا مع العلم بأن أساس حصره لما يشمله القرآن حصر باطل.

٥- وبالإضافة إلى ما سبق يلاحِظ كلُّ ذي فكر سويّ أن العلوم المادية البحتة إنما يتعلمها الناس ليستفيدوا من الكون المسخر لهم، وليتقوا ما قد يوجد فيه من مسبِّبات الأذى والضرر لهم.

ولا يوجد عاقل يُعَلِّم العلم أو يتعلمه؛ وهو لا يريد الاستفادة منه، وهل أُنْشِئت المعاهد والمدارس والجامعات؛ إلا ليستفيد الناس مما يتلقَّونه فيها من العلم، خلال حياتهم، ومنها استفادتهم من القوانين والسنن التي جعلها الله جل شأنه في كونه.

فدعوى (العلماني) السابقة باطلة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وهي باطلة أيضاً فيما يتعلق بالعلوم المادية أو التاريخية.

ب- وفرية أخرى ادعاها (العلماني) هي أشد في البطلان والسقوط من سابقتها، وهي: زعمه أن القرآن ليس مناط التكليف[1]، وهذا معناه: أن ما ورد في القرآن لا يدخل فيما يُكَلَّف به الإنسان؟!. ومن وجوه بطلان هذه الفرية:

١- إذا كانت العقائد (ومنها: التوحيد) تدخل في القرآن؛ فهل يقال: إن تلك العقائد ليست مما كلف الإنسان أن يؤمن به على الوجه الصحيح؟!، أم أن صاحب هذه الفرية لا يرى للعقائد مكاناً لا في القرآن؛ ولا في سائر تقسيماته المخترعة؟!.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٧٤.

٢- وهل يقال إن القصص الواردة في القرآن[1]؛ لا يراد بها أن تكون عبرة للمكلَّف ليتعظ بها، ويستفيد منها في حياته؟!، وما فائدة القصص القرآنية عندئذ، إن سلبت منها تلك الصفة؟!. إن من يؤمن با لله تعالى وبكتابه حقاً؛ يعلم يقيناً أن العظة والاعتبار هي: الحكمة الأساس من تلك القصص، ولا شك أن مثل هذا الأمر هو من التكليف البيِّن.

٣- ثم؛ أليس مطلوباً من كل مؤمن ومكلَّف أن يتدبر القرآن ويتدبر ما جاء فيه؟!، وهذا تكليف. وأية حقيقة يصل إليها الإنسان في القرآن؛ عليه أن يلتزمها أو يطبقها، وهذا من التكليف، وهو يشمل السنن الكونية.

٤- إن (العلماني) عندما يفتري على القرآن الكريم ويزعم أنه لا علاقة له بالتكليف، يريد أن يجعله كتابا عقيما لا يطبقه البشر في حياتهم، فهل يزعم هذا من عنده ذرة إيمان بالقرآن؟!!، أم أن ذلك الافتراء لا يصدر إلا من جاحد منكرٍ له، وكافرٍ به.

وهل يوجد عاقل يأتي إلى الناس ليقول لهم: إن هذا الكتاب فيه علوم جمة عظيمة عن الكون وقوانينه، والمجتمع وسننه، ولكنه كتاب ليس للتطبيق في الحياة؟!، وما الذي سيقال له عندئذ؟!!.

جـ- وبناءً على ما افتراه (العلماني) على القرآن إذ أخرج منه العقائد[2] والشرائع؛ فقد سهل عليه أن يزعم: أننا لسنا مقيدين -بالنسبة إلى القرآن الكريم- بشيء مما قاله السلف!. وأنه لا يخضع لإجماع الأكثرية ولو كانوا كلهم تقاة، ويخضع لقواعد البحث العلمي، ولو كان الباحثون كلهم غير تقاة. وبتعميم تلبيسي أعلن أنه يجب أن نكسر حاجز: هكذا قال -أو: أجمع- الفقهاء![3].

ومن وجوه الرد على هذه الافتراءات والأكاذيب:

١- إن (العلماني) إن كان يقول إن القرآن يشتمل على العقائد -ولو مجرد التوحيد واليوم الآخر[4]-؛ فإنه يكون قد هدم افتراءاته السابقات بنفسه. فهل العقيدة في ا لله عز وجل أو بالنسبة إلى اليوم الآخر؛ لا تعتمد على المؤمنين التقاة، الذين آمنوا بالنصوص المنزلة، وفهموها على الوجه الصحيح، وتعتمد -في مقابل هذا- على كافرين وضالين أشد الضلال -ولا سيما فيما يتعلق با لله عز وجل واليوم الآخر-؟!. وأية دراسة لمعتقدات الكفار في هذا المجال -مهما بلغ علمهم الدنيوي- تثبت مدى ما هم عليه من الضلال.

---

(١) والشحرور يثبت أن القصص من القرآن، على حسب ما افتراه من تقسيم لكتاب ا لله المجيد.

(٢) الشحرور لم يصرح بإخراج العقائد من مسمى القرآن، ولكن هذا مستنبط من كثير من مواضع كتابه التضليلي.

(٣) انظر ما سبق: ٦٧٤.

(٤) كما يحاول أن يتظاهر بهذا الشحرور في بعض مواضع من كتابه: الكتاب والقرآن.

٢- هل يقول مؤمن إن العقيدة في الله عز وجل، وعقيدة اليوم الآخر؛ يمكن إخضاعها لقواعد البحث العلمي، ومن ثم ينبغي إنشاء مراكز بحث بالنسبة إلى رب العزة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيراً؟!، وهل يقول مثل هذا إلا مستهزئ بالدين وحقائقه؟!.

٣- وحتى القصص في القرآن فإن الذين يفهمونها حقاً؛ هم المؤمنون المتقون، لا الذين يعتبرون أنه لم يرد في القرآن إلا أساطير وقصص رمزية، أو يؤولونها تأويلات باطلات، لا علاقة لها بالنصوص الواردة[1].

٤- وأما سنن المجتمع؛ فإن المؤمنين حقاً يفهمونها من القرآن الكريم، ومن دراسة النفس الإنسانية على وجه يخلو من الغلط والأباطيل والضلالات، التي يقع فيها دواماً دارسو النفس والمجتمع من غير المؤمنين، وأباطيلهم وضلالاتهم في هذا المجال لا تحصى. بل إن الكثير من تلك الأباطيل قد قررها شياطين علماء النفس والمجتمع، من غير المؤمنين، عن قصد سابق، لنشر الفساد الكبير في البشر.

٥- ثم إن بعض قوانين الكون وحقائقه -ولا سيما المغيَّبة منها- قد يُدْخِل فيها أهل الضلال أكاذيب وافتراءات، لإبطال بعض الحقائق الواردة في النصوص الربانية المنزّلة، كحقيقة خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام، وغير هذا.

ولا شك أن قول المؤمنين المتقين هو وحده المعتبر في هذا المجال وفي المجالات السابقة[2].

د- وتعميم (العلماني) التلبيسي الذي أطلقه؛ وهو أنه يجب أن نكسر الحاجز الوهمي: هكذا أجمع الفقهاء[3]؛ هو النتيجة الإبليسية التي يريدها في الأصل.

فهو يريد من المسلمين أن يتخلوا عن أقوال علمائهم السالفين، وعن الاعتصام بها، لتحاشي الوقوع في مزالق الضلالات الفكرية والعقدية، ليكونوا -من ثم- مهيئين لقبول أية ضلالة يطلقها أي ناعق؛ يزعم أنه باحث علمي متجرد، وليس عنده -في حقيقة الأمر- إلا مجموعة من الكفريات الفكرية، التي يلبسها شياطين الإنس ثوب العلم زوراً وبهتاناً، لينشروا الضلال والفساد، بين الناس كافة.

قد يوجد في القرآن الكريم بعض الحقائق المتعلقة بالكون وقوانينه، وقد يستطيع العلم الحديث

---

(١) ومن هؤلاء: الشحرور نفسه، في كتابه السابق، عند دراسته لقصتي نوح وهود عليهما السلام، فقد حشر في دراسته لهما عليهما السلام ما لا حصر له من الأباطيل، انظر كتابه: ٦٧٧-٧١٠. ومن اكتشافاته الافترائية في هذا المجال؛ ما ادعاه من أن هوداً وصالحاً وشعيباً عليهم السلام ليسوا من ذرية نوح ولا آدم عليهما السلام!!.

(٢) الشحرور في كتابه السابق يقرر فرضية دارون في النشوء والارتقاء، ويجعل القرآن، وقصة خلق الله تعالى لآدم عليه السلام؛ دالة على هذه الفرضية الساقطة!!، انظر: ٢٢٦-٢٣٠، ٢٩٠-٢٩١.

(٣) انظر ما سبق: ٦٧٤.

بيانها بشكل أظهر وأوضح مما سبق، ولكن هذا لا يعني أنه يصح بأي شكل أن نطلق فرية: وجوب كسر حاجز هكذا أجمع علماء المسلمين أو فقهاؤهم. ويرجع هذا إلى أمرين:

الأمر الأول: أن الفقهاء والعلماء المسلمين لم يجمعوا على ما يخالف الحقيقة العلمية الكونية، الواردة في الكتاب المجيد.

الأمر الثاني: أن الحقائق العلمية الكونية الواردة في القرآن الكريم؛ لم ترد فيه إلا لإثبات صحة كون هذا الكتاب من عند الله عز وجل، كما سبق بيانه[1]، فهي ليست من الأمور الأساسية لإنزال ذلك الكتاب، ولهذا فهي محصورة معدودة.

وبهذا يتبين لنا مدى الضلال الذي تحمله عبارة وجوب كسر حاجز: هكذا أجمع الفقهاء، إذ المراد بها -في العبث التزييفي- تعميمها لتشمل جميع حقائق الدين، لا مجرد تلك الأمور الكونية، الواردة في الكتاب العزيز.

سابع عشر: لقد افترى (العلماني) على القرآن الكريم بأن جعله منحصراً في الأمور الصارمة التي لابد من وقوعها، ثم زاد على هذا؛ بأن قرر من عند نفسه -قراراً لم يسبقه إليه أحد فيما أعلم- أن: كلام الله تعالى أمر نافذ لابد أن يتحقق، لأنه حق، فلا يتعلق بالأمور الاختيارية للبشر.

وبناء على تلك الادعاءات فقد قرر زوراً وبهتاناً أن: المواعظ والوصايا والعبادات والأحكام ليست من القرآن الكريم، أو من إمام مبين[2]، وليست مخزّنة في اللوح المحفوظ، لأنها لو كانت مخزنة فيه؛ لكانت من كلام الله تعالى. ولا يمكن أن تكون من كلام الله عز وجل، ولا من القرآن الكريم، إذ لو كانت بزعمه كذلك؛ لكانت واجبة الوقوع شاء الناس أم أبوا، ولصام الناس -على سبيل المثال- كلهم رمضان، مؤمنهم وكافرهم.

ولبيان المحذور -المبني على باطله المزعوم- فقد تخبط (العلماني)، وادعى في موضع: أن هذا الأمر يؤدي بنا إلى الجبر، وجعل الرسالة كأنها تمثيلية، والحياة الإنسانية كأنها لهو إلهي، تعالى الله عز وجل عن هذا علواً كبيراً.

فعندما يقول جل شأنه:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢)﴾ عبس.

فلو كانت هذه الآيات من القرآن؛ لكانت حقائق صارمة، ولم يكن بإمكان محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يعبس، فما معنى عتابه؟!.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٧٨.

(٢) انظر ما سبق في الرد على الشحرور على ما ادعاه حول القرآن والإمام المبين: ٦٨٩-٦٩٢.

فعدم التفريق بين الرسالة والنبوة، وبين الكتاب والقرآن؛ جعل من المسلمين أناساً متحجرين، ضيقي الأفق. وضاع العقل نهائياً عندهم، وضاع مفهوم القضاء والقدر والحرية الإنسانية، ومفهوم الثواب والعقاب، وكل ما كتب عن الحرية والمسؤولية الإنسانية والقضاء والقدر، ونظرية الدولة والمجتمع في الأدبيات الإسلامية؛ لم يكن أكثر من عبثٍ ولف ودوران!![1].

وفي موضع آخر تخبط (العلماني) وادعى أننا إن جعلنا بعض آيات أم الكتاب (الشريعة) من القرآن؛ لوقعنا في أخطاء قاتلة. ومن هذه الأخطاء المزعومة: الدعوة إلى أن كل عبادة موجودة فهي عبادة لله عز وجل!.

وهذا الخطأ سنقع فيه -بزعمه- حتماً إذا جعلنا قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣)﴾ الإسراء.

- إذا جعلناها من القرآن الكريم.

والسبب في زعمه الفاسد: أن معنى الآية سيصبح عندئذ: أن كل عبادة في الوجود هي بالضرورة عبادة لله تعالى مقبولة، وأن أي تصرف مع الوالدين ولو بالضرب هو: برّ بهما!. وهذا لأن قول الله تعالى نافذ، والقرآن حقائق صارمة لابد أن تحقق!.

ولكن هذا (العلماني) لم يذكر كيف سيصبح معنى قوله تعالى:

﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾.

وهذا إذا جعلناه قرآناً؟!، أم أنه سيقول لأهل الحق والإيمان: إذا جعلتم ذلك القول قرآناً، فسيكون من يقول لهما أفّ؛ هو في حقيقة الحال لم يقل لهما أفّ!!. وهل غفل المسلمون وجميع من عندهم عقل عن هذه الحقيقة، حتى جاء (العلماني) واكتشفها؟!.

وبالإضافة إلى هذا:

١- إن هذا (العلماني) يفتري أمراً يتعلق بحقيقة من حقائق الدين، ويتناقض مع ما جاء في بيانها شرعاً، ثم يعتبر أن ما افتراه هو الحق المقرر الذي غفل عنه المسلمون. وكثيراً ما يكون تناقض ما افتراه وقرره ليس مختصاً بأمرٍ واحد من أمور الدين، بل إنه يتناقض مع أمور وحقائق متعددة، لها علاقة بالأمر الذي خصه (العلماني) بالافتراء.

ثم بعد ذلك تثور غيرته -المصطنعة- على حقائق الدين، التي أصبحت بعدما افتراه متناقضة، والواقع أن التناقض منحصر بين ما قرره هو من الباطل، واعتبره من حقائق الدين؛ وبين ما هو من هذه الحقائق يقيناً.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٧٥. و: الكتاب والقرآن: ١٥٧-١٥٨.

وبعد فعلته هذه؛ يظهر نفسه وكأنه المنقذ للدين، وكتابه وحقائقه؛ من ذلك التناقض المزعوم، ليقرر من جديد باطلاً آخر، ينقض به حقيقة دينية أخرى!!.

فهو كمن يصطنع مشكلة، ثم يظهر نفسه أنه هو الوحيد القادر على إزالتها، فإذا به يرسّخها، ويوسع دائرتها، ويزيد فيها!!.

وتطبيق هذا على القضية السابقة يتضح من خلال: كون (العلماني) قد قرر زوراً وبهتاناً أن القرآن لا يأتي إلا بالحقائق الواجبة الوقوع دون اختيار البشر، وأن كلام الله جل شأنه كذلك لا يتعلق إلا بتلك الحقائق، ومن ثم فلا يمكن أن تكون: المواعظ والوصايا والأحكام والأوامر والنواهي...؛ من كلام الله تعالى أو من القرآن الكريم، وإلا لوقعنا في الجبر -بزعمه-!!.

ولكن مَن الذي وافقه على باطله الذي افتراه حول القرآن المجيد وكلام الله عز وجل؟!، ومَن مِن المسلمين حقاً يقول: إنهما أو أحدهما لا يتعلق إلا بالحقائق التي يجب وقوعها؟!.

إن المسلمين جميعاً يرفضون هذا الباطل، ومن ثم فلا إشكال عندهم ولا تناقض ولا اضطراب، وإنما الاضطراب والتناقض فيما يقرره أهل الباطل.

فالقرآن الكريم -عند المسلمين- عَلَم يطلق على كامل الكتاب المنزل من عند الله تبارك اسمه، على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فهو يشمل جميع الحقائق العقدية والتشريعية والأخلاقية....

وكلام الله عز وجل يتعلق بجميع الحقائق، سواء منها ماكان واجب الوقوع بلا اختيار من أحد غيره، جل ذكره؛ أم ما كان من قبيل الأوامر والنواهي ونحو هذا.

٢- وطبعي في حق من افترى على الله سبحانه وكتابه الكريم؛ أن يفتري على الأمة جميعها، فيصور المسلمين وكأنهم بمجموعهم يذهبون إلى القول بالجبر، مع أن بطلان هذه الفرية لا يخفى على أحد، إذ لا يجهل مَن عنده شيء من العلم؛ أن القائلين بالجبر من المسلمين إنما هم: فئة منهم، ولكن العلمانيين لا يستحيون من الافتراء والكذب، مهما كان بطلانه ظاهراً.

٣- وكعادة العلمانيين في الخلط بين الأمور لتقرير باطل من أباطيلهم؛ فقد خلط هذا (العلماني) خلطاً عجيباً بين كون الأوامر والنواهي من القرآن الكريم ومن كلام الله جل ثناؤه؛ وبين عقيدة القضاء والقدر، ومسألة الحرية والمسؤولية، وهو يهدف من هذا إلى تقرير باطله، الذي يدور حول تفريق كتاب الله عز وجل، وجعل بعضه قرآناً، وبعضه كتاباً مبيناً، وهكذا....

وإذا لم يوجد دليل على أن كلام الله عز وجل أو أن القرآن لا يتعلقان إلا بما هو حتمي الحصول؛ فإنه مِن ثم يَبْطل زعم (العلماني): بأننا إذا اعتبرنا الأوامر والنواهي من كلام الله عز وجل، أو من القرآن؛ فإن هذا يعني أن تلك الأمور ستقع بالجبر والضرورة.

٤- ولم يكتف (العلماني) بالمحذور السابق الذي اخترعه، وادعى أنه يلزم كل من جعل الأوامر والنواهي من القرآن الكريم، أو من كلام الله جل شأنه؛ بل حاول أن يخترع محذوراً آخر، لا يقتنع به إلا من سلبه الله جل جلاله نعمة العقل.

فبناء على افترائه بأن القرآن الكريم وكلام الله تبارك اسمه لا يتعلقان إلا بما هو واجب الوقوع بالضرورة؛ ادعى هذا (العلماني): أننا لو جعلنا مثل قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً... (٢٣)﴾ الإسراء.

من القرآن الكريم أو من كلام الله تعالى؛ فمعنى هذا أن كل عبادة في الوجود؛ هي عبادة لله تبارك اسمه، لأن كلام الله سبحانه واجب الوقوع!!. وكذا فإن كل تعامل مع الوالدين، ولو بالضرب، فهو إحسان إليهما!!.

وطرد كلامه: أن المسلمين قد غفلوا جميعاً عن أن آيات إيجاب الصلاة والصيام وغيرهما، وآيات النهي عن القتل وشرب الخمر وغيرهما؛ لو جعلناها من القرآن أو من كلام الله عز وجل؛ فإن معناها يصبح: أننا إن صلينا أو لم نصل فقد صلينا، وإن صمنا أو لم نصم فقد صمنا، ولو شربنا الخمر أو لم نشربها؛ فإننا لم نشربها، لأن الله تعالى نهى عن شربها، واعتبرنا هذا من القرآن، أو من كلام الله عز وجل. وكذا الحال بالنسبة إلى القتل!.

وأية دلالة على تخبط (العلماني) في تفكيره، وإطلاقه الادعاءات والافتراءات دون أدنى وعي لما يقوله أو يكتبه؛ أظهر من هذه الدلالة؟!.

إنه يقال لهذا (العلماني): أي المحذورين المتناقضين سيقع إذا قلنا -كما هو الحق- أن آيات الأوامر والنواهي من القرآن الكريم، ومن كلام الله جل ذكره؟!، أهو محذور الجبر الذي ادعيته، وأننا -على سبيل المثال- سنصوم شئنا أم أبينا؟!، أم هو محذور: أننا -على سبيل المثال في حالة الأمر بالصيام- إذا صمنا أو لم نصم فقد صمنا[1]؟!. وهل يحتاج الأمر إلى كثير من التفكير ليستنبط العاقل مدى التناقض والاضطراب في كلام (العلماني)، ومدى الحضيض الفكري الذي هوى إليه، وهو يلهث وراء الأهواء والأباطيل.

إن تخبط (العلماني) واضطرابه في هذا المجال؛ كاف في الدلالة على سقوط أساس ادعائه الكاذب، حول كلام الله جل جلاله، وحول كتابه الكريم، وأنهما لا يتعلقان إلا بما هو واجب الوقوع بالضرورة والجبر.

---

(١) في المحذور الثاني لم يذكر الشحرور مثال الصيام، ولكن طرد كلامه يوجب عليه اعتبار أننا إذا صمنا أم لم نصم فقد صمنا، كما ادعى مثل هذا بالنسبة إلى عبادة الله عز وجل وبر الوالدين!.

ثامن عشر: ويستمر (العلماني) في إطلاق الأكاذيب والافتراءات، على الكتاب العزيز، ولو عارضت نصوصه القطعية، مع ادعائه كذباً بأنه هو الذي ينصره ويدافع عنه؛ فيزعم: أن الجزء الذي أُطلق عليه كونه قرآنا؛ هو وحده نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، وهو وحده الذي كان له وجود قبل التنزيل، دون سائر أجزاء الكتاب العزيز، لأن القرآن يتعلق بقوانين الوجود الصارمة، ومن ثم يعقل بأن يكون له وجود سابق، ولكن لا يعقل بأن يكون له سبب نزول، حسب زعمه[1]!!.

و (العلماني) في افترائه هذا:

١- يريد أن يقول: إن الأحكام والتشريعات لا يمكن أن تكون قد نزلت -ضمن ما نزل إلى السماء الدنيا- دفعة واحدة. فهل يريد (العلماني) أن يفتري على ا لله سبحانه ويدعي: أنه -تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً- لا يقدر أن يعلم ما يصلح لعباده وما لا يصلح إلا بعد أن يجربهم؟!، سبحانه وتعالى.

إن المؤمن با لله عز وجل حقاً يوقن بأنه تبارك اسمه يعلم منذ الأزل الأحكام التي تصلح لعباده، والتي لا تصلح، وما يصلح لهم في وقت دون وقت.

وأما غير المؤمن فإنه لا يُستبعَد منه أي نقص يصف به الرب جل وعلا، ولو نافق وتستر بالدعاوى الكاذبة.

٢-ودعوى (العلماني): أنه لا يمكن أن يكون للقرآن -بحسب مفهومه- سبب نزول؛ قد ذكر هو نفسه ما ينقضها، عندما أورد قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً (٨٣)﴾ الكهف.

ويضاف إلى هذا السؤال عن أهل الكهف أيضاً. وقد تبين فيما سبق أن هذا (العلماني) يعتبر القصص من القرآن، بحسب تقسيماته الافترائية.

ولكن العجب هنا في الرد الفاجر الذي دافع به عن باطله، فقد ادعى أن السؤال لا معنى له، لأن قصة أهل الكهف وذي القرنين كانت ستأتي على كل حال، سواء سُئِل عنها أم لم يُسْأل، كبقية القصص![2].

---

(١) انظر ما سبق: ٦٧٥.

(٢) انظر ما سبق: الموضع نفسه. و: الكتاب والقرآن: ١٥٤.

وهذه الدعوى الفاجرة لا معنى لها ولا وجه لها؛ إلا أن يقال: إنه لا معنى لأن يذكر ا لله سبحانه سؤال من سأل عن ذي القرنين، أو عن أهل الكهف!!.

وظاهر أن هذا الاعتراض على الرب عز وجل هو من أظهر أنواع الكفر به سبحانه، وهو يشابه كفر إبليس -لعنه ا لله تعالى-، عندما اعترض على أمر ربه -تبارك اسمه- له بالسجود لآدم عليه السلام.

وإلا فما يريد بقوله بأن السؤال لا معنى له، وهو قد ورد في الكتاب العزيز؟!!.

وهل لا يوجد في نظره الفاجر أي معنى للسؤال عن الروح؟!!.

ثم أليست الساعة من قوانين الوجود -في نظره- وقد تم السؤال عنها، كما جاء في الكتاب المجيد؟!!.

إن (العلماني) مهما حاول أن يستتر وراء الأكاذيب؛ بأنه مناصر للدين وكتابه؛ فلابد أن تتفلت من بين يديه كلمات تفضح حقيقة حاله.

ثانياً: شبهات حول القرآن الكريم وعلاقته بالوحي الرباني:

احتار العلمانيون المعاصرون في الكيفية التي يجعلون بها القرآن الكريم نصاً بشرياً، لا علاقة له بالرب عز وجل، دون أن يعلنوا هذا صراحة. ففكروا وقدروا، وقتلوا كيف قدروا. فمما ادعاه بعضهم في هذا المجال: أن النص القرآني قد تشابه مع الشعر من حيث ماهيته، أي من حيث كونه اتصالاً، ولكنه قد خالفه من جوانب شتى، (ويتضح هذا الخلاف في تحديد أطراف عملية الاتصال وعلاقتها. لقد صارت العلاقة في الوحي الديني علاقة رأسية...، وصار النص تنزيلاً. على حين أن العلاقة في الوحي الشعري كانت علاقة أفقية، إذ تصور العرب أن الجن قبائل تعيش في مناطق خاصة من البادية. ويختلف الوحي الديني عن الوحي الشعري من جهة أخرى؛ في تعدد الوسائط بين المتكلم بالوحي: (الله –عز وجل–)، وبين المتلقين (الناس). في حين أن الاتصال في حالة الشعر يتم بلا وساطة بين الشاعر وقرينه من الجن).

ثم ذكر بعد ذلك بعض أوجه الخلاف بين الشعر والنص القرآني[1].

ومما يُرَدّ به على صاحب هذه الفرية:

أولاً: أن (العلماني) قد أطلق كلامه في فريته السابقة على صورة يشتبه معها مَن هم الذين يعتقدون في القرآن والشعر ما زعمه.

إن اعتقاد كون الشعر قد كان نتيجة اتصال بين أحد أفراد الجن والشاعر؛ اعتقاد قد يكون موجوداً عند بعض العرب، ولكن هذا لا يعني أنه موجود عند جميعهم، بل ربما كان عند أفراد قليلين منهم.

ولكن مثل هذا الاعتقاد لا يوجد ما يؤيده في النصوص الإسلامية، فهو مِن ثمّ لا يمكن نسبته إلى الدين الإسلامي.

وعلى هذا فيقال لصاحب الادعاء السابق: مَن الذي يعتقد أن القرآن قد تشابه مع الشعر من حيث ماهيته، –أي من حيث كونه اتصالاً–؟!، مع ما أثبته من مخالفته له في عناصر ذلك الاتصال.

إن كان مراده: الإسلام؛ فلا يوجد في نصوص الإسلام ما يثبت صراحة أن الشعر كان نتيجة اتصال بين الجن والشعراء.

وإن كان مراده: المشركين؛ فهم لا يؤمنون بأن القرآن الكريم قد أَوْحَى به المَلَك جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهم إما أن ينسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) انظر: مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن: نصر أبو زيد: ١٥٧.

ويزعمون أنه افتراه على ا لله عز وجل؛ وإما أن ينسبوه إلى وحي الجن، كما يوحون إلى الكهان.

فإذا كانت النصوص الإسلامية لم تثبت الزعم: بأن الشعر وحي من الجن إلى الشعراء، وإذا كان المشركون -ولاسيما مَن كان منهم يعتقد أن الشعر وحي مِن الجن- لم يؤمنوا بهذا الكتاب المنزل؛ فعلى مذهب مَن يصح القول بأن النص القرآني قد تشابه مع النص الشعري، من حيث كونه اتصالاً؟!.

ثانياً: وعلى التنزل بأن القرآن الكريم والشعر تشابها من حيث كونهما اتصالاً؛ فهل هذا الزعم يصحح القول بأن القرآن الكريم والشعر قد تشابها من جهة الماهية؟!.

وهل مجرد كون القرآن الكريم متلقى من لدن ا لله عز وجل، وكون الشعر -في معتقدات العرب، على حسب زعم (العلماني)- مُتَلقّى من الجن؛ يجعل القول بأنهما تشابها من حيث الماهية؛ جائزاً عقلاً، أي: لمجرد كونهما من مصدرٍ غير بشري؟!.

إن ماهية الشيء عُرِّفت بأنها: ما به الشيء هُوَ هُوَ[1]، ومجرد كون موحِي الكلام غائباً عنا لا نراه؛ لا يدخل في أساس ماهية كلام ما، وهذا يدل على بطلان إطلاق (العلماني) السابق، وأنه في حقيقة الأمر لا يريد به؛ إلا أن يكون دركة توصل فيما بعد إلى إبطال كون القرآن الكريم من عند ا لله عز وجل.

ونسائِله هل يشترك الفرث والدم واللبن في الماهية؛ لمجرد كونها صادرة من بطن البقرة؟، وهذا مع اتحاد المصدر. فكيف إذا كان المصدران مختلفين اختلافاً كلياً، ولا يشتركان إلا في كونهما غائبين عن شهود الناس؟!.

وأيضاً؛ فإن اشتراك الحق والباطل في كونهما داخلين في التصورات الفكرية؛ لا يجعلهما مشتركين في الماهية.

أليس هذا الذي يفتريه (العلماني)؛ ليس هو -في الحقيقة- إلا من ثرثرات المصابين بعقولهم؟!.

ثالثاً: وأما بقية فرية (العلماني)؛ فتتضمن كلاماً تقريرياً عن مسألة وحي الجن للشعراء بشعرهم، وكأنه عقيدة ثابتة عند أهل الجاهلية جميعهم، أو عند أهل الإسلام.

وقد ظهر مما سبق أن منهج التعميم الباطل، غير القائم على دليل؛ منهج أساسي عند معظم العلمانيين.

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، ماهية الشيء: ١/٢٥١.

ثالثاً: افتراءات حول أن ثبوت القرآن الكريم بالتواتر من حفظ الله تعالى له:

على الرغم من قيام الأدلة القاطعة على عدم إيمان جمهور العلمانيين بالدين كلية؛ إلا أن فريقا من هذا الجمهور يصرون على التظاهر -أحياناً- بالإيمان ببعض أركان هذا الدين، ثم تأبى عباراتهم إلا أن تفضح حقيقة ما تكنّه نفوسهم، من الكفر والجحود. ومن هؤلاء من يدعي أنه يؤمن بالكتاب العزيز، إلا أنه يعود فيدعي: أن وصول كتاب الرسالة -القرآن الكريم- بالتواتر إلى الأجيال اللاحقة؛ لا يتضمن أية معجزة ربانية خاصة بهذا الكتاب!. ثم زاد في ادعائه الفاجر إلى أن قال: (ولا حفظاً إلهيا (إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١]؛ بل هو نتيجة لعمل علمي تاريخي، من عمل المؤرخين والرواة والنقلة...)[٢].

ومن الرد على هذا الافتراء الفاجر:

أولاً: إن الأساس الذي تقوم عليه الدعوى الافترائية السابقة هو: عدم إيمان صاحبها با لله عز وجل. وقد دل عليه عدم إيمانه بأنه -جلت قدرته- هو الذي وفّق المؤمنين ويوفّقهم؛ ليقوموا بحفظ هذا الكتاب العزيز، من أي تغيير أو تبديل أو تحريف. وهذا التوفيق الزائد لا تعارضه حتى أكثر الفرق رفضاً للخلق الرباني لأعمال العباد، لأنه عمل قد تكفل به سبحانه، ولم يوكله للخلق. ولكنه جل شأنه يحقّق مقاديره من خلال الأسباب التي خلقها، وهذا ما دل عليه قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ الحجر.

وهنا يصل (العلماني) إلى دركة الفجور في الكفر؛ وهذا عندما يعارض صراحة ما دل عليه قوله عز وجل السابق من: أن حفظ ذلك الكتاب إنما هو حفظ رباني خاص به، فيرفض (العلماني) هذا المعنى، ويعارضه صراحة، ويزيد في فجوره: إذ يورد الآية التي فيها الدليل على الحفظ الرباني، ليدل على أنه غير غافل عنها، ولكنه لا يؤمن بها ولا بما ورد فيها، فليس حفظ الكتاب العزيز عنده (حفظاً إلهياً)، على الرغم من ورود الآية الدالة على هذا، وأي دليل على الكفر والجحود أظهر من هذا؟!.

ثانياً: لقد تبين فيما سبق: أن الآية المعجزة يحصل فيها أمر خارق للعادة، ولا يوجد كتاب على وجه الأرض مثل القرآن الكريم؛ في اهتمام أهله واعتنائهم بأن يتناقلوه تناقلاً متواتراً -شفوياً وكتابياً-، من لدن الرسول صلى ا لله عليه وسلم، الذي تلاه عليهم أول مرة، وإلى عصورهم المتأخرة، في مدة تقارب الخمسة عشر قرناً، وإلى أن يرث ا لله تعالى الأرض ومن عليها. ولاسيما أن اهتمام المؤمنين بنقل كتاب ا لله عز وجل قد تناول: كل حرف من حروفه، وكل حركة من حركاته، وكل أداء يتلى به ذلك الكتاب المجيد، وأين هذا كله لغيره من الكتب؟!، وأين تلك الأمة التي حافظت على

(١) هكذا ذكرها، وهو يريد قوله عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)﴾ الحجر.

(٢) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٣٨.

كتابها، أو أي نص مقدس عندها؛ بنقله نقلاً متواتراً في كل عصر من عصورهم، على وجه يحفظه من أدنى تغيير أو تحريف، مهما دق؟!.

وعلى الرغم من إيمان المؤمنين برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وشدة محبتهم له؛ فإن مستوى الدقة والضبط والحرص في رواية الحديث الشريف -على الرغم من الدرجة العليا التي وصل إليها- لا تصل إلى مستوى الدقة والضبط والحرص الذي نقل به الكتاب المجيد.

ثم إن العرب كانوا على درجة من الأمية ما كانت تسمح عادة بحفظ أي كتاب بتلك الدقة التي حفظ بها الكتاب العزيز، من عصره الأول. فمَن علم هذا كله، وآمن بعظيم قدرة ا لله تبارك اسمه، وأنه إن شاء ألقى في النفوس التوجه نحو أداء أمر معين، على الوجه الذي يريده جل ذكره؛ فلابد أن يوقن بأن حفظ المؤمنين للقرآن الكريم من عصرهم الأول؛ هو أمر خارق للعادة، لا يمكن نسبته إلا إلى الخالق المدبر الحكيم جل وعلا.

وليس من شرط الآيات المعجزات أن تكون أموراً خارجية دواماً، بل قد تكون نابعة من داخل النفوس، على وجه يعلم معه كل مؤمن أنه لا يمكن أن يكون إلا بفعل ا لله جل جلاله وحده.

ثالثاً: ثم إنه لا شك أن حفظ الكتاب العزيز قد تم عن طريق عمل علماء المسلمين، ولكن هذا لا يجعل المؤمن الحق يغفل عن ا لله تبارك اسمه، الذي هيأ أسباب حفظ كتابه، ومن هذا: إيجاد أولئك العلماء الذين قاموا بحفظ الكتاب، وتهيئة أسباب الحفظ لهم، وتيسيرها، وشحذ هممهم لذلك العمل دواماً. وإلا فلو تركوا وأنفسهم لما كان حالهم بأفضل كثيراً من حال من سبقهم من الأمم، الذين استحفظهم ا لله جل جلاله على كتابه، فضيعوا عهده سبحانه. بل جاءت خلوف قامت هي بالتحريف في الكتاب المنزل، وتبديله وتغييره.

قال جل شأنه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ البقرة.

وقال جل ثناؤه:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ﴾ آل عمران.

وقال جل جلاله عن بني إسرائيل:

﴿فخلف مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾ الأعراف.

رابعاً: شبهات وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم:

الشبهة الأولى:

لا شك أن إعجاز القرآن الكريم الباهر كان أحد أكثر الأمور التي أثارت -وتثير- ضغينة العلمانيين، غير المؤمنين به، وحتى الذين يصرون على التظاهر بالإيمان به؛ فإنهم لا يستطيعون أن يكتموا عبارات؛ تبين مدى الكفر والاستكبار المستحكم في نفوسهم، ومن هذا: السؤالات التشكيكية التي أطلقها واحد من هؤلاء العلمانيين؛ حول تحدي الله جل جلاله البشر أن يأتوا بمثل كتابه، أو بمثل سورة من سوره، فقال (العلماني):

(وكيف يكون التحدي ممكنا لو كانت نتائجه معروفة من قبل، وإعلان النتيجة مسبقاً بفشل الإنسان، والحكم عليه بذلك إلى نهاية الزمان، بحرف النفي للتأبيد ﴿لن﴾؟!.

وكيف يكون التحدي ممكناً؛ والتهديد بالعقاب قائم، سواء في حالة النجاح؛ أم في حالة الفشل؟!.

وهل جزاء قبول التحدي؛ العقاب؟!، ألا يفت ذلك في عضد المتحدَّى، إذا علم النتيجة مسبقاً بأنه خاسر، وبأنه سينال العقاب نتيجة على تجرؤه على قبول التحدي، والقيام به؟!)[1].

إن الأمر الأساس الذي تدل عليه العبارات السابقات هو: عدم إيمان صاحبها لا با لله عز وجل، ولا بكتابه العزيز، وإلا لم تصدر عنه مثل تلك الاعتراضات الإبليسية، التي هي في حقيقتها افتراضات ساقطات، لا قيمة لها، وإنما تبين مدى جهل (العلماني) بحقيقة المراد من التحدي، الوارد في الكتاب المجيد، ولهذا فإن مما يرد به عليه، زيادة على ما يتعلق بحقيقة حاله من الكفر والجحود:

أولاً: إن الدعوى السابقة تظهر بوضوح مدى جهل صاحبها -أو: تجاهله- للغاية من التحدي الوارد في الكتاب الحكيم؛ بأن يأتي البشر جميعاً ومعهم الجن بمثل هذا القرآن، أو بمثل سورة من سوره.

فالغاية من ذلك التحدي -كما هو معلوم لدى كل مؤمن- إقامة الحجة على المكلفين جميعاً بأن ذلك الكتاب لا يمكن أن يكون إلا منزلاً من لدن الحكيم الخبير، جل جلاله، ولا يمكن أن يكون من وضع المخلوقين مهما اجتمعوا وحاولوا، لأنه إذا عجز المكلفون جميعاً عن أن يأتوا بمثل سورة من سور هذا الكتاب، مع قيام الدليل على اشتمالها على أوجه متعددة من الإعجاز؛ فإن هذا يدل حتماً على أن ذلك الكتاب هو من لدن الخالق الحكيم، جل وعلا.

قال تعالى:

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ١٨٤ - ١٨٥.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)﴾ هود.

فالمراد من التحدي: إقبال الناس على دراسة هذا الكتاب من جميع جوانبه، ليصلوا إلى حقيقة استحالة أن يأتي البشر بمثله.

ثانياً: أما (العلماني) فقد أراد أن يصوّر التحدي السابق؛ وكأنه تحدّ بين طرفين متكافئين، إلا أن أحدهما قد سبق الآخر، ولعل المسبوق يستعيد قوته، ويجاري السابق، أو يسبقه!!، فكأن التحدي بين مخلوقَين!. ولا يوجد مَن عنده مثقال ذرة من إيمان؛ وهو يعتقد في التحدي الرباني المنزّل مثل ذلك الباطل، أو حتى أن المراد منه استثارة البشر لعلهم يأتون بمثل ما أنزل ا لله تبارك اسمه!.

ثالثاً: ومما سبق يتبين أنه لا معنى لتساؤلات (العلماني) السابقة، فليس المطلوب من التحدي الوارد في القرآن الكريم هو: وجود مَن يقوم فعلاً بمعارضته، وإنما المطلوب حث الناس على دراسته دواماً، ليكتشفوا جوانب إعجازه المتعددة، ومن ثم يتبين لهم صدق حقيقة استحالة معارضته.

رابعاً: ومن ثم فإن من الطبعي أن يأتي في الآيات إعلان عجز البشر عن تلك المعارضة، عجزاً أبدياً، ومثل هذا الإعلان أَدْعَى للمزيد من الدراسة، والبحث في كنوز ذلك الكتاب.

خامساً: وأما التهديد بالعقاب فإنه موجّه لأحد فريقين:

الفريق الأول: الذي يعرض عن ذلك الكتاب ابتداء، دون أن يقوم بدراسته دراسة حقيقية لمعرفة صدقه. أو أنه يعلم هذا، ولكنه يرفض الإقرار به.

قال جل ثناؤه:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ البقرة.

الفريق الثاني: الذي يزعم أنه يعارض القرآن الكريم فيأتي بسخافات يزعم أنها تماثل ماجاء في الكتاب العزيز، مع أنه لا يخفى على أحد مدى الفرق الشاسع بينها وبين ما ورد في الكتاب، المنزل من العليم الخبير جل وعلا.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غمرات المَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ(٩٣)﴾الأنعام.

سادساً: وإذا كان هذا القرآن من عند الله تبارك اسمه وحده، فإنه من الطبعي ألا يقدر عليه أحد، ومن الطبعي أن تكون أية محاولة محكوماً عليها بالفشل ابتداء، ومن الطبعي كذلك أن يكون العقاب مصير كل من يدعي أنه جاء بمثل سورة من سور ذلك الكتاب، إذ إنه كاذب في دعواه حتماً، والجزاء العادل للكاذب هو العقاب.

وبعد؛ فإن الكتاب الحكيم هو: الدليل الأول البرهان والأعظم على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة، والوجه الأول لتلك الدلالة هو: عدم استطاعة المكلفين ولو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل سورة من سور ذلك الكتاب، فمن علم هذا حقا -بعد الدراسة والبحث- أيقن أنه منزل من العليم الخبير، جل وعلا، ومن ثم فإنه يجب عليه الإيمان به، وبمن جاء به صلى الله عليه وسلم، والتحدي جاء دافعاً للمكلفين ليصلوا إلى هذه النتيجة، فيفوزوا بالسعادة الحقيقية.

سابعاً: إن (العلماني) لم يستطع أن يردّ رداً مباشرا على استدلال المؤمنين بالله تعالى حقاً وبكتابه المنزل؛ بأنه لم توجد -مع مضي المدة الطويلة على التحدي- أية محاولة حقيقية لمعارضة ما جاء في الكتاب المنزل؛ بنص بشري مماثل له، أو قريب الشبه به، مشتمل على جميع الوجوه الإعجازية التي اشتمل عليها النص القرآني المنزل. وإذ لم يستطع (العلماني) أن يرد على هذا الدليل؛ فقد أراد أن يبطل الاستدلال به بطريق غير مباشر.

ولكنه للوصول إلى سبيل الضلال ذلك لم يجد إلا أن يخالف ما اتفق عليه العقلاء؛ من أن التحدي كلما اشتدت عباراته؛ كلما كان هذا أدعى لدفع المتحدَّى إلى القيام بالأمر المتحدَّى فيه. وإذ (بالعلماني) يدّعِي كاذباً أن مثل عبارات التحدي الواردة في آيات الكتاب العزيز تفتّ في عضد المتحدَّين!!. وهل آمن أولئك المتحدَّين أصلاً بذلك الكتاب، أو بمن جاء به؛ حتى يخافوا من العقوبة الواردة فيه، أو حتى يفت في عضدهم ما جاء فيه: من أنهم لن يقدروا على الإتيان بمثله، أو بمثل سورة منه أبداً. وهل أسلوب المغالطة والسفسطة هو الأسلوب العلمي عند هؤلاء العلمانيين؟!!.

الشبهة الثانية:

تناول بعض العلمانيين المعاصرين قضية الإعجاز القرآني، وقد رفضوا ابتداء أن يكون الإخبار بالغيب أحد وجوه ذلك الإعجاز، إذ هو بزعمهم تصور للإعجاز على أنه معجزة قديمة، بالمعنى التقليدي: أي خرق قوانين الطبيعة.

وأما ما ورد في القرآن من الأخبار، فهو إما: إخبار عن أمور ماضية، أو إخبار عن أمور مستقبلة.

الأمر الأول: الإخبار عن الأمور الماضية، وقد ادعى (العلماني) في شأنه أنه: لا يعدو كونه درساً أخلاقياً، وقصصاً تعليمياً، وليس إخبارياً، يحتوي على معانٍ، ولا يشير إلى حوادث.

وأما ما ذكره العلماء من أن القصص القرآني التي يمكن إثبات صحتها عن طريق الدراسات والبحث المستفيض هي: أحد الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة، نظراً إلى أميته، وكونه لم تكن لديه مقدرة الاطلاع على ما في الكتب السابقة، فيدل هذا على أنه قد تلقى هذه القصص من العليم الخبير جل وعلا؛ فهذا الذي ذكره العلماء قد رفضه (العلماني)، بدعوى أنه تصور للإعجاز على أنه خرق للقوانين[1].

وقبل استكمال ما افتراه (العلماني) حول الأمر الثاني، إذ ما ذكره حول الأمر الأول يتضمن ما يكفي لإخراج صاحبه من الدين كلية، ويكفي للرد عليه.

أولاً: إن مؤدى دعوى (العلماني) السابقة: أن القصص القرآني هو بمثابة الأساطير التي تضعها الشعوب، وتُضَمِّن فيها معاني أخلاقية، لتكون من أساليب التوجيه غير المباشر، في نفوس الجماهير، وكذا القصص القرآني -بزعم (العلماني)-، إذ لا دليل على حوادث قد وقعت بالفعل.

ومعنى هذا: أن الذين اتهموا القرآن بأنه من أساطير الأولين، من الذين كذّبهم الله عز وجل في كتابه، وتوعدهم بالعذاب الخالد؛ قد كانوا صادقين فيما زعموه، في نظر هذا (العلماني) المفتري!. أي إنه: يُكَذِّب الردّ الوارد في القرآن عليهم، ويؤكّد صدق دعواهم. فهل يوجد كفر بالله عز وجل وكتابه أظهر وأبين من هذا الكفر؟!.

إن من الآيات الدالات على ما سبق: قوله تبارك اسمه:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ

(١) انظر: النبوة: ١٩٦-١٩٨.

يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)﴾ الأنعام.

وقوله جل ثناؤه:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (٦)﴾ الفرقان.

وقوله جل شأنه:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ يوسف -عليه السلام-.

وقوله جل ذكره:

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ هود -عليه السلام-.

فهذه الآيات وغيرها تثبت على وجه قاطع -لكل من آمن بها حقاً- أن ما أنزله جل ذكره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه من قصص وغيره؛ إنما هو حق وصدق، لا مجال فيه بوجه من الوجوه للافتراء، واختراع ما لا حقيقة له في الوجود. ثم هي تثبت أن ذلك القصص الحق قد أُورِد ليكون عبرة لأولي الألباب. وأما الذين زعموا أن ما ورد في القرآن من قصص إنما هو عبارة عن أساطير، لا تدل على وجود حقائق قد وقعت بالفعل؛ فقد توعدهم تعالى بالعذاب الشديد الخالد في النار يوم الدين.

ولا شك أن ذلك التهديد يشمل أهل الافتراء المعاصر، ممن زعموا في القصص القرآني ما زعمه السابقون لهم إلى الكفر والفجور.

ثانياً: وبالإضافة إلى ذلك الافتراء المخرج لصاحبه من الملة والدين؛ فإن الدعوى السابقة تتضمن رفضاً لا معنى له لحقيقة كون الله تبارك اسمه يؤيِّد نبيه صلى الله عليه وسلم، بأنواع من البراهين الربانية، التي تدل على صدقه في دعواه الرسالة، ومنها: إخباره بأنباء الأمم السابقة مع أنبيائهم عليهم السلام، وهي أخبار لا طريق له عليه الصلاة والسلام لمعرفتها من خلال الوسائل المتاحة له، إلا عن طريق إعلام الله تعالى له بها.

فأي مؤمن صادق في إيمانه لا يمكن أن يكون عنده أدنى شك في شمول علم الله عز وجل لجميع الحوادث التي مضت، وأيضاً فإن ذلك المؤمن: يوقن بأن الوحي يتضمن الأخبار التي ينزلها الله تبارك

اسمه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا معنى لإنكار أن يخبر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأخبار الأمم السابقة مع أنبيائهم عليهم السلام، بدعوى: أن هذا يتضمن خرقاً للقوانين!!، وأية استحالة توجد في مثل ذلك الإخبار؟!، وهل إذا أخبر إنسان غيره بخبر لا يعلمه إلا هو؛ يكون في هذا خرقاً للقوانين؟!!.

إن ادعاء استحالة إخبار الله جل ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بأخبار الأنبياء السابقين عليهم السلام، بدعوى أن فيه خرقاً للقوانين؛ هو في حقيقته رفض كامل للإيمان بالوحي الرباني، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن دعوى الاستحالة تلك لا توجد إلا عند مَن يرفض حقيقة الوحي الرباني. وفي هذا دليل جديد على عدم إيمان العلمانيين بالدين وحقائقه مطلقاً.

وحتى بالنسبة إلى خرق القوانين؛ فكل مَن آمن بالله عز وجل حقاً، وبقدرته التامة، وحكمته البالغة؛ فإنه لا يرى في مثل ذلك الخرق أية استحالة على الرب القدير الحكيم، جل وعلا. وأما مَن لم يؤمن بالله تعالى أصلاً، أو لم يؤمن بقدرته وحكمته؛ فإنه يعتقد بوجود مثل تلك الاستحالة. ومثل هذا لا نصيب له في الدين أصلاً، وإنما ينبغي أن يناقش مناقشة الكافرين الجاحدين.

الأمر الثاني: وإذا كان (العلماني) قد رفض اعتبار الإخبار عن الغيب الماضي هو أحد وجوه الإعجاز القرآني؛ فمن الطبعي والأَوْلى أن يُنْكِر اعتبار الإخبار عن الغيب المستقبل؛ أحد وجوه ذلك الإعجاز.

أما ما ورد من أخبار مستقبلية في القرآن الكريم أو على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهو ليس أكثر من مجرد مقدرة على معرفة مسار الحوادث في المستقبل، بناء على تجارب الماضي، والمعرفة بتاريخ الأمم والشعوب، وهذا أمر يقدر عليه أي قائد سياسي محنك، لديه مقدار كاف من الوعي التاريخي[1]!.

وواضح أن أساس رفض (العلماني) لهذا الوجه من الإعجاز؛ يرجع إلى الأساس الذي رفض من أجله الوجه السابق، وعليه فإنه يقال له:

أولاً: إما أن (العلماني) يشك أصلاً في شمول علم الله عز وجل لما سيحدث؛ أو أنه ينكره كلياً، وكلا الأمرين كفر بواح.

ثانياً: وإما أن (العلماني) ينكر وحي الله تبارك اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومنه وحيه إليه بما سيحدث، وهذا ايضاً كفر لا شك فيه. لما سبق في الأمر الأول.

ثالثاً: وأما المؤمن حقاً بالله جل ذكره، وبصفاته الكاملة وأسمائه الحسنى، والمؤمن بنبيه صلى

(١) انظر: النبوة: ١٩٨-٢٠٠.

ا لله عليه وسلم، وبما جاء به من الوحي من عند ربه جل وعلا؛ فإنه لا يشك مطلقاً في إمكان أن يخبر الرسول صلى ا لله عليه وسلم عن حوادث مستقبلية، إذا اقتضت حكمة الرب جل ذكره بيان شيء عنها قبل أن تقع، كأن تكون تصديقاً للنبي عليه السلام.

رابعاً: وأما ما ذكره (العلماني) عن الاستقراء التاريخي ، فإنه يقال له -على سبيل المثال-: أيّ استقراء تاريخي يجعل قائداً مهما بلغ في حنكته وذكائه يقول: بأن دابة ستخرج في آخر الزمان، وستكلم الناس، وتفرق بين مؤمنهم وكافرهم؟!.

ويقال له أيضاً: أي استقراء تاريخي يجعل مثل ذلك القائد يقول عن الشمس: إنها سيأتي عليها يوم تطلع فيه من مغربها، دلالة على انتهاء قبول الإيمان والتوبة، ودلالة على قرب انتهاء الحياة الدنيوية؟!.

وأي استقراء تاريخي يجعل أي إنسان عادي يجزم بأن عيسى بن مريم عليه السلام سيعود إلى الأرض ليقتل الدجال، ويحكم بالشريعة المنزلة على محمد صلى ا لله عليه وسلم؟!.

إن (العلماني) هو في حقيقة حاله أول مكذّب لدعواه الباطلة تلك، ولكنه لم يجد حيلة غيرها ليصد الناس عن رؤية بعض آيات النبوة، المتعلقة بالإخبار عن المغيبات المستقبلية، لئلا يكون هذا سبباً لإيمان مَن لم يؤمن، أو زيادة إيمان المؤمنين، فأراد أن يجعلها مثل أي تنبؤ، يقوله إنسان أو قائد عادي، قد يصدق فيه وقد لا يصدق. وحال (العلماني) كحال من يريد أن يمنع ضوء الشمس من أن يصل إلى الأرض بيديه المجردتين!.

خامساً: شبهات حول كون القرآن الكريم من كلام الله عز وجل:

الشبهة الأولى:

تنوعت عبارات العلمانيين لجعل هذا القرآن نتاجاً بشرياً، غير منزل من عند الله عز وجل، فمِن هذا: ما ادعاه (علماني) منهم: (أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما كان أفصح العرب، فقد أتى بعمل في مثل فصاحته)[1].

إن هذه الدعوى تخرج صاحبها -إن أدرك معناها وأصرّ عليه- من الدين كلية، لأنها لا تخرج عن أن يراد بها أحد أمرين:

الأمر الأول: إما أن يريد بها صاحبها: أن فصاحة القرآن الكريم في مستوى فصاحة أحد من البشر، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر مخرج لصاحبه -إن أدرك معناه- من الملة، لأنه يجعل كلام الله جل شأنه مماثلاً لكلام المخلوقين، أي: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قادر على أن يأتي بمثل القرآن، وهذا أمر قد نفاه جل شأنه عن كتابه المنزل.

قال تبارك اسمه:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)﴾ يونس.

ويدل على ذلك أيضاً بيانه جل شأنه: أن الإنس والجن -من غير استثناء- لو اجتمعوا لما قدروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

قال جل ثناؤه:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨)﴾ الإسراء.

والقول بأن فصاحة القرآن تماثل فصاحة أحد من المخلوقين -ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم- يناقض معنى الآية السابقة.

الأمر الثاني: وإما أن يريد (العلماني) بفريته السابقة أن هذا القرآن إنما هو في الحقيقة من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، لا من لدن العليم الخبير عز وجل، وهذا هو مراد العلمانيين في

---

(١) انظر: النبوة ١٩٠، وحسن حنفي أتى بهذه العبارة في أثناء الكلام عن أن كل نبي قد جاءت معجزته تتحدى ما برع فيه قومه، والعرب قد برعوا في الفصاحة. وقد أشار حسن حنفي إلى مراجع هذا القول، وأشار أيضاً إلى المرجع الذي ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه إنه أفصح العرب. ولكن لا يُظن بأن استنتاجه الذي ذكره في أصل الكتاب؛ قد استقاه من أحد، أي: عبارة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى بعمل -أي: بالقرآن- في مثل فصاحته.

حقيقة الأمر. ولا يشك مؤمن في بطلان هذه الفرية، وكونها تخرج صاحبها من الملة، لأنها أولاً: تُغفِل صُوَر الإعجاز العديدة المثبوتة في الكتاب العزيز، والتي تثبت استحالة أن يأتي به مخلوق، بل يستحيل أن يأتي به مجموع المكلفين، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. ثم لأنها ثانياً: تتضمن إنكاراً تاماً للنصوص القطعية الواردة في القرآن الكريم، والتي تثبت أن القرآن إنما هو موحَى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، من ربه عز وجل، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يتقوّل شيئاً من عنده على الله سبحانه. ومن تلك النصوص قوله جل ثناؤه:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾ الأنعام.

وقوله جل وعلا:

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾ النمل.

وقوله جل جلاله:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)﴾ الحاقة.

وقوله جل ذكره:

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (٧٥)﴾ الإسراء.

وقوله جل شأنه:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ التوبة.

وقوله تبارك اسمه:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ الشعراء.

والآيات الدالات على تلك الحقيقة كثيرة جداً، فلا يوجد مؤمن يقول إن القرآن من عند الرسول صلى الله عليه وسلم لا من عند الله سبحانه، ولا يعتقد مثل هذا؛ إلا مَن لم يؤمن بالدين والكتاب أصلاً.

الشبهة الثانية:

ويفتري (العلماني) فرية أصرح في الكفر والجحود من فريته السابقة، وهذا عندما تناول قضية الإعجاز القرآني، فادعى: أن القرآن كلام إنساني خالص، وليس كلاماً إلهياً، لأن الكلام الإلهي يُبطل التحدي[١].

إن (العلماني) بفريته هذه: يفصح بعبارة واضحة لا لبس فيها عن حقيقة ما يعتقده -ومن كان على شاكلته- بالنسبة إلى الكتاب العزيز، فهو عندهم كلام إنساني خالص، أي: لا علاقة له بالرب عز وجل ولو من باب الخلق[٢]، ولا يوجد دليل أصرح من هذا على عدم إيمان هذا (العلماني) ومن وافقه على دعواه تلك، لا با لله عز وجل، ولا بكتابه، ولا بدينه الحق أصلاً.

وكما سبق؛ فإنه مهما حاول العلمانيون النفاق؛ فلابد أن تضيق صدورهم بما امتلأ فيها من الكفر والإلحاد، ومن ثم تنطلق من أفواههم وأقلامهم عبارات الكفر الخالص، التي لا لبس فيها.

وعلى الرغم من ذلك كله؛ يعود (العلماني) بعد عبارته الكفرية تلك لمحاولة سترها، فهو يقولها: دفاعاً عن التحدي الوارد في القرآن الكريم، وقد تبين في الفرية السابقة أنه غير مؤمن بالتحدي، على الحقيقة.

ومع ذلك؛ فإنه بادعائه كون القرآن كلاماً إنسانياً خالصاً لئلا يبطل التحدي؛ يصر على تجاهل المراد الحقيقي من التحدي، وجعله كالذي يكون بين متماثِلَين أو متقارِبَين، وقد تبين بطلان هذا المراد، وأن الغاية الحقيقية من التحدي هي: أن يتأكد البشر أن ذلك الكلام -الوارد في الكتاب العزيز- لا يمكن أن يكون كلاماً بشرياً، لأنه مهما بلغ -إن كان بشرياً- فهم قادرون على مقاربته، على أقل تقدير. وأما إذا يئسوا بعد التحدي، وبعد دراستهم وبحثهم؛ من مجرد مقاربته ولو من بعيد، ولو اجتمعوا وكان بعضهم لبعض ظهيراً؛ فإن ذلك كله يدلهم على استحالة كون هذا الكلام كلاماً بشرياً، وإنما هو كلام رباني خالص.

ولكن المنافقين يصرون على التعامي عن هذه الحقيقة البينة، ليصدّوا الناس عن سلوك السبيل التي تؤدي إلى إيمانهم بالحق.

---

(١) انظر: النبوة: ١٩١.

(٢) على ما زعمته المعتزلة، وهو وإن كان ادعاء باطل؛ إلا أنه لا يقارَن بما ذكره هذا المفتري المعاصر.

القضية الثالثة عشرة: شبهات وأباطيل حول السنة النبوية المطهرة:

الشبهة الأولى: حول التشكيك في صحة روايات الأحاديث النبوية الشريفة:

إن من أساليب العلمانيين المتكررة: نسبة الوضع إلى الأحاديث النبوية الشريفة، دون أن يكون عندهم سوى إطلاق الحكم بالوضع، من غير أدنى دراسة حقيقية لأسانيد الروايات، أو حتى لمدى جهود علماء المسلمين، الذين قاموا بخدمة الحديث النبوي الشريف سنداً ومتناً.

وقد يعطون لأحكامهم بعض المسوّغات والذرائع، إلا أنها لا تعدو كونها مجرد إلصاق تهم بأولئك العلماء السابقين، من غير دليل ولا برهان صحيح.

وتبين فيما سبق أن أحد مظاهر المنهج العلماني هو مجرد إطلاق الأحكام الباطلة، دون تدليل، ودون أية دراسة واعية شاملة مستكملة الجوانب، ومن ثم تقريرها كأنها أصبحت أحكاماً غير قابلة للنقض[١].

وقد يُظن بأن اتهام العلمانيين للأحاديث النبوية الشريفة إنما ينحصر فيما يدعون استحالته، أو حتى فيما يعارض ما يقررونه من الباطل[٢]، ولكن الحق أنه توجد لكثير منهم العديد من العبارات؛ التي تؤكد اتهامهم للسنة كلها[٣].

فقد ادعى (علماني) من هؤلاء أن: الحديث مر بمرحلة شفاهية، ثم جُمِع بعد هذا ودُوِّن دُون معرفة بمناهج النقل وطرق الرواية، بل طبقاً لمقاييس عقائدية صرفة، العقيدة الغالبة، أو عقيدة السلطة الدينية، أو طبقاً لقرارات هذه السلطة ذاتها، حصاراً للعقائد المعارضة وتطويقاً لها[٤]. اهـ.

فهذا حكم عام أطلقه (العلماني) على السنة النبوية المشرفة، وعلى العلماء الذين قاموا بتدوين تلك السنة[٥]، ومما يميز هذه الدعوى!:

١- جهل صاحبها بأن كثيراً من الأحاديث قد دونت في العصر الإسلامي الأول، حتى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن ضاعت تلك الأصول، فقد حفظتها الأصول التي بعدها[٦].

---

(١) ولكن الويل والثبور لمن يمسهم بشيء من التهم، المبنية على أدلة لا حصر لها، والمأخوذة من كلماتهم وأفعالهم، فهو عندئذ محارب للفكر، ولحرية التعبير والرأي، وهو رجعي متخلف مساند للسلطات الغاشمة...!.
فاتهاماتهم للأمة كلها تعتبر حرية رأي مصونة، وإتهام واحدهم؛ محاربة لحرية الرأي، وتكميم للأفواه.!.

(٢) لأنهم قد يتظاهرون بقبول بعض الأحاديث، التي لا يجدون فيها ما يعارض باطلهم.

(٣) بما فيها المتواتر.

(٤) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٣٨.

(٥) ولو أن مثل هذا الحكم أعيد إلى صاحبه لقامت ثائرة العلمانيين ومَن وراءهم، بدعاوى مصادرة الرأي والحجر عليه...!.

(٦) ذكر العلماء أدلة كثيرة على ذلك من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن عصر الصحابة رضي الله عنهم بعده. انظر: السنة قبل التدوين؛ عجاج الخطيب؛ ٣٤٣، وما بعدها. وانظر ما سبق: ٢٢٥.

ولكن ذلك لا يلغي أن الاعتماد الأول كان على حفظ الصدور، الذي كان أوسع انتشاراً. وحتى الكتاب العزيز، فعلى الرغم من وجود مصاحف مكتوبة له؛ إلا أن نقله من حافظ إلى آخر كان يتم في معظم الأحيان –خلال ذلك الوقت– عن طريق التلقين الشفاهي، وتكراره.

٢– تجاهل صاحبها[١] للأعمال الضخمة التي قام بها السلف من علماء المسلمين، من عصر الصحابة، فمَن بعدهم[٢]، والتي تهدف إلى التثبت من صحة الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي أعمال أنتجت قواعد وضوابط عديدة، التزم بها العلماء المحققون –أصحاب الروايات المقبولة– منذ العصور الأولى للأمة الإسلامية.

ولا يجهل طالب علم أن هذه القواعد قد دُوِّنَت في مصنفات مستقلة، تحت عنوان عام يشملها، وهو علم مصطلح الحديث. كما لا يجهل أحد من المنصفين؛ مدى الجهود التي بذلت في هذا المجال، والتي أنتجت علماً في التحقيق والتدقيق والتثبيت، ما سبق المسلمين فيه أحد من الأمم، ولا يعلم مدى عظمته ودقته؛ إلا من تناوله بالبحث والدراسة المتأنّية المستفيضة.

وقد سبق بيان أن فروع هذا العلم كثيرة وغزيرة، وهي تتناول كل دقيقة وجليلة تتعلق بالسند ورجاله، وبالمتن وألفاظه ومعانيه[٣]، مما لا يوجد له أدنى نظير عند أمة من الأمم. حتى بعد وضع المسلمين لهذا العلم وقواعده؛ فنجد أن الباحثين من غير المسلمين من المعاصرين أو من سبقهم؛ لم يصلوا في ضبط المنقول إلى عشر معشار ما وصل إليه علماء المسلمين، فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف على وجه الخصوص.

وقد سبقت الإشارة إلى أنه لا تكاد توجد مسألة أو قاعدة في علم مصطلح الحديث إلا قد ألف فيها مصنفات خاصة متعددة، استوعب فيها واضعوها كل الأمور التي لها علاقة بتلك المسألة أو القاعدة، مهما دقت وخفيت[٤].

والمتتبع لنشأة علم مصطلح الحديث يرى أن قواعده قد أسست منذ العصور الإسلامية الأولى، بداية من عصر التابعين رحمهم الله تعالى، إذ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم كلهم عدول ثقات[٥].

---

(١) ولا يمكن أن يقال: جهل، لأنه لا يتصور أن يجهل أحد من الباحثين في علوم الدين الإسلامي؛ مدى اهتمام علماء المسلمين –من عصر الصحابة– بالتثبت من الحديث النبوي الشريف، والغاية التي بلغوها في هذا المجال، والقواعد العديدة والدقيقة التي وضعوها له، والنتاج الغزير الذي حرروا به جميع ذلك.

(٢) انظر: السنة قبل التدوين: ٩٢، وما بعدها. و: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي؛ مصطفى السباعي: ٦٢–٧٤. وما سبق: ٢٢٥–٢٢٦.

(٣) انظر: تيسير مصطلح الحديث؛ محمود الطحان: ١٤، وما سبق: ٢٢٥.

(٤) انظر ما سبق: ٢٢٦.

(٥) انظر: السنة قبل التدوين: ١٢٤–١٢٥.

فهل يصح بعد هذا كله أن يزعم مفترٍ على الحق وأهله: أن تدوين الحديث قد تم دون معرفة بمناهج النقل، وطرق الرواية؟!!.

إن الحق أن قائل تلك العبارة هو: الذي ليس عنده أدنى التزام بأية قاعدة من قواعد المنهج العلمي المنصف[1].

ثم هل يستطيع (العلماني) المفتري أن يأتي بِمُحَدِّث من عصر التابعين فمَن بعدهم، مِمَّن وُثِّق من قبل أئمة الجرح والتعديل؛ ويُثْبِت بالأدلة القاطعة التي لا خلاف عليها أنه كان من الكذّابين الوضاعين؟!، فضلاً عن أن يثبت مثل هذا الحكم الجائر لأهل عصرٍ بأكمله، دون أن يكلّف نفسه سوى إطلاق الدعاوى التي لا دليل عليها!.

٣- وقد ذكر (العلماني) أن تدوين علماء المسلمين للحديث كان طبقاً لمقاييس عقدية صرفة، العقيدة الغالبة، أو عقيدة السلطة الدينية، أو طبقاً لقرارات هذه السلطة ذاتها، حصاراً للعقائد المعارضة، وتطويقاً لها[2].

إن (العلماني) يريد أن يقول من خلال فريته السابقة: إن علماء أهل السنة قد اتفقوا من قِبَل أنفسهم، أو نتيجة لقرارات السلطة الحاكمة؛ على عقيدة معينة، ثم ذهبوا يختلِقون لها الأحاديث، وربما أملت تلك السلطة بعض هذه الأحاديث!!.

وبالطبع فإن (العلماني) لا يَسْمَح بأنْ يُسْأَل عن أدلته وبراهينه، التي استند عليها لإطلاق اتهامه التعميمي ذلك، إذ العلمانيون يثورون غاضبين حينما يُسْألون عما يفترونه، وعما يقترفونه!!

وبالإضافة إلى هذا؛ فإن (العلماني) يتجاهل أنه ما من عقيدة من العقائد الإسلامية؛ إلا وأسسها ثابتة وواضحة وصريحة في الكتاب العزيز، فهل يتجرأ (العلماني) على إعلان أن ذلك الكتاب موضوع مختلَق، أم أنه مازال مصراً على النفاق والكذب؟!!.

٤- إن المؤمنين با لله تعالى وبرسوله صلى ا لله عليه وسلم حقاً يعلمون شدة خوف علماء أهل السنة الثقات، الذين هم أصحاب الروايات المعتمدة عند أهل السنة؛ من الكذب أو الغلط على الرسول صلى ا لله عليه وسلم، فهم يعلمون يقيناً سوء المصير الذي سيؤول إليه مَن كذب على الرسول صلى ا لله عليه وسلم.

أما الذين لا خوف عندهم من ا لله عز وجل ولا من الكذب على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم؛ فمن الطبعي ألا يكون عندهم أدنى تصديق بوجود مَن عندهم مثل ذلك الخوف. ثم إنهم من

---

(١) قد توجد بعض المصنفات التي حوت أحاديث ضعافاً أو موضوعات، ولكن الذي يعلمه كل باحث منصف أنه لا يوجد حديث من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة؛ إلا قد بيّن حالَه العلماءُ المحققون الثقات، إما بالنص عليه، وإما عن طريق بيانهم لحال رواة الأحاديث.

(٢) انظر ما سبق: ٧٢٠.

أبعد الناس مقدرة على إدراك ما يفعله الإيمان الحق في نفس صاحبه، ولاسيما إذا كان مبنياً على العلم الصحيح، والفقه التام في الدين وأحكامه.

٥- إن توجيه مثل ذلك الاتهام لعقيدة واحدة، لفرقة من الفرق؛ يتطلب من صاحبه الإتيان بالأدلة على دعواه، بما لا يدع مجالاً للشك، فكيف الحال مع دعوى عريضة تشمل العقائد كلها، وتتهم مجموعة الأمة؟!.

إن مثل هذا الإطلاق والتعميم -من غير دليل- برهان واضح على ما يصل إليه العلمانيون من دركة دنيا؛ في الكذب على الحقائق القطعية الظاهرة، في سبيل إقرار باطلهم. وهذه الدركة لا يكاد يصل إليها حتى كثير من المعلنين كفرهم بالدين أصلاً، إذا كان عندهم شيء من الإنصاف في البحث العلمي، إذ هو يوجب عليهم ألا يطلقوا حكماً عاماً؛ إلا بعد دراسة وتمحيص وتدليل، فالعلمانيون قد سبقوا في هذا المجال أسيادهم الكفار الصرحاء.

٦- ويقال (للعلماني): إذا كانت العقائد من وضع السلطات الحاكمة الظالمة كما يزعم؛ فلماذا أذنوا لما لا يحصى من العلماء برواية أحاديث الأخذ على يد الظالم، ومنعه من الظلم، وثواب مَن يصاب على يد ظالم، إذا كان المُصاب مُحِقاً، ونحو هذا؟!، ولماذا لم يمنعوهم من رواية الأحاديث التي تبين صفات الحاكم العادل من الحاكم الظالم؟!!.

٧- ثم إن الدارس للفرق الأخرى من غير أهل السنة يجد أن لكل فرقة منهم كتبهم ونصوصهم، التي تناقلوها عبر التاريخ، ولم يستطع أحد منعهم من هذا. وربما كان في نصوصهم ما يوصل إلى دركة الكفر والخروج من الملة بالكلية، وفي هذا دحض لزعم (العلماني) بأن السلطة -وهي في الغالب من أهل السنة- قد فرضت عقيدتها الدينية، وحاصرت عقائد الفرق الأخرى المخالِفة!.

٨- والسبب الحقيقي من وراء مهاجمة (العلمانيين) للحديث النبوي هو إرادتهم التخلص من كمية كبرى من النصوص، التي تبطل افتراءاتهم حول الدين، وتقطع على منافقيهم سبل تطويره، تطويراً يقضي على حقائقه، ويقدم بدلاً منها أفكاراً ضالة، تُلْبَس ثوب الدين زوراً وبهتاناً.

ومن المعلوم أن الأحاديث كثيرة، والقيام بتأويلها على ما يخالف معانيها القطعية الظاهرة؛ هو أمر فيه صعوبة كبرى، ولهذا فإن أيسر سبيل عليهم هو التشكيك أصلاً في الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ثم إسقاط الاستدلال بها أصلاً.

وأما القرآن الكريم فإن الملتزمين منهم بالنفاق يتظاهرون بقبوله، إلا أنهم يحاولون جاهدين البحث عن السبل التي تبطل وتعطل معانيه الواضة القطعية، وتبقيه نصاً لغوياً أدبياً لا علاقة له بالحياة.

٩- وبعد فإن مما يبطل دعوى (العلماني) بأنه قد كان للسلطة أثر في صياغة العقيدة أو وضع الأدلة عليها: أن المتتبع لتاريخ علم الرجال يرى أن مِن علمائه مَن كان يغمز بعض المحدثين أو مَن لهم شيء من الروايات؛ بأنهم كانوا ممن يدخلون على السلاطين. وإن كان الحق -الذي عليه جمهور علماء الجرح والتعديل- أن هذا الأمر لا يعتبر بحد ذاته قادحاً، فقد يكون مَن يدخل على السلاطين؛ إنما هدفه الاصلاح ما استطاع إلى هذا سبيلاً. ولكن هذا يبيّن نظرة أولئك العلماء إلى مَن كان يتردد على السلطان، وأنهم كانوا يدققون في تتبع حاله وأمره، خشية أن يدفعه ذلك الدخول إلى مخالفة أو غلطٍ ما. ومن الظاهر أنه لم يكن يخفى على أولئك الأعلام العلماء من رجال الجرح والتعديلِ؛ الرواةُ الذين كانوا يتعمّدون الكذب، مداهنة للسلطان، بل كانوا رحمهم الله تعالى يطرحون حديث أمثال أولئك الرواة كله، من أجل كذبة واحدة صدرت منهم. ولا يكاد يفتح الباحث كتاباً من كتب الجرح والتعديل إلا يجد فيه التحذير مِن أولئك الرواة، وممن كان نحوهم.

الشبهة الثانية: افتراءات حول الحديث المتواتر والمعجزات:

في سبيل إبطال العلمانيين للحديث النبوي كليّة فقد تناول بعضهم الحديث المتواتر، وهو أعلى درجات الحديث النبوي الشريف، وادعى أن له شروطاً اخترعها، وإذا فُقِد أحدها فإنه ينتقل إلى مرتبة الآحاد، ولو كان مرويا بأكثر من واحد[1]، وهذا يعني إبطال الاستدلال به كليةً.

ومن هذه الشروط المفتراة دعوى: أنه ينبغي أن يكون الإخبار في الحديث المتواتر عن حسٍ!، فصحة النقل قائمة أولاً على شهادة الحس، وأوائل العقل، وبداهة الوجدان، ومن هنا فإن يقين التواتر خارجي وداخلي أيضاً، لأنه يتفق مع ما يُحِسّ به الإنسان من نفسه، وما يشعر بوجوده. فالتواتر يعطي حقائق بدَهِية، حِسِّية وحدسية ووجدانية، ثابتة لا تتغير، يدركها الحس، ويراها العقل، ويشعر بها الوجدان لأول وهلة بعد سماعه. فالاتفاق مع العقل شرط التواتر.

ومن هنا تأتي -بزعم هذا المفتري- استحالة المعجزات، لأن شرط نقلها هو: التواتر، وشرط التواتر: الإخبار عن حسّ، والمعجزة تناقض ضرورات الحسّ، وبداهات العقول، ولا يوجد دليل عقلي على إثبات المعجزة. ولما كانت رواياتها كلها ينقصها شروط التواتر؛ فهي كلها آحاد، لا تفيد إلا الظن. ولعل روايات المعجزات ناشئة عن خطأ في الإدارك، أو لعلها ناتجة عن عملية تفخيم وتضخيم، من أجل التأثير على النفوس، والقيام بالدعاية لنشر الدين. ولاسيما في عصر لم يكن الشعور الديني فيه محايداً، بل كان انفعالياً بالوقائع المرورية[2]!.

إن للرد على ما ذكره (العلماني) من ضلالات وشبهات وجوها متعددة، منها:

١- إن دعوى اشتراط أن يكون المتواتر يتضمّن الإخبار عن حسّ؛ لن يؤدي في حقيقته إلا إلى هدم الدين كله. فالدين الرباني المنزّل مع قيامه على أساس الأدلة العقلية النقلية؛ إلا أنه يعتمد أيضاً على أساس الإيمان بالغيب، ومعظم أركان الإيمان غائبة عن الحواس، فما مِن ركن منها إلا ويمكن لمدعٍ أن يقول -بناء على ذلك الشرط المفتَرَى-: إنه خبر عن أمر لم أحسّ به، وترفضه ضروريات الحسّ عندي!، ويشمل هذا ركن الإيمان با لله عز وجل، واليوم الآخرَ، والملائكة عليهم السلام، فالملحدين يدّعون أن هذه الأركان مخالفة لضروريات الحسّ عندهم. بل حتى الأنبياء عليهم السلام وأخبارَهم؛ فإنه على حسب هذا الشرط المفترَى يمكن لمنكِرٍ أن يزعم كَذِب هذه الأخبار، وعدم وجود من ادعوا النبوة أصلاً!، بزعم استحالة إرسال ا لله تبارك اسمه لأنبياءٍ ورسلٍ، إذ هذا يخالف الحسّ بدعواه!!.

---

(١) انظر: النبوة، حسن حنفي: ٢٤٠، ٢٤٥.

(٢) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٤٣-٢٤٤، ٢٨٧. وفي هامش رقم: ٣١٢، لـ ص: ٣٤٣: استشهد بشرط ذكره العلماء، وهو: أن يكون المخْبِرون خبراً متواتراً عالمين بما ينقلونه، علم ضرورة، واقعاً عن مشاهدة أو سماع...، فيكون خبرهم عن أمر محسوس. والفرق بين الشرطين ظاهر، فشرط العلماء يقصدون به: أن يكون مَن أخبر عن الأمر المتواتر؛ إما أنه قد شاهده، وهذا في المخبِر الأول، أو سمعه ممن شاهده، أو ممن بعده، بالسند المتصل.

٢- ثم إن شرط (العلماني) السابق غير منضبط، إذ البشر تتفاوت مستوياتهم من التفكير علواً وهبوطاً، فأصحاب المستويات الفكرية المتدنّية يظنون أن الحق متوقف عند الحدود التي يدركونها، وأنه لا يمكن أن يتجاوزه.

وماذا يقول (العلماني) لفئة من البشر ضيّقة التفكير، ولا علم عندها، فترفض كثيراً مما توصل إليه العلم، وأصبح متواتراً عند العلماء الكونيين، وهذا من الأمور التي يستنتجها هؤلاء العلماء عن طريق الحسابات، فترفض تلك الفئة مثل هذه الاستنتاجات، بدعوى أن شهادة حسّها لا يمكنها أن تقبلها، وعقولهم لا تتقبل استنتاجات العلماء، فماذا يقول (العلماني) لهم؟!، وهل لرأيهم أي وزن حقيقي؟!، أم أنه لا يقيم لهم أي اعتبار، كما هو شأن أهل الحق بالنسبة إلى دعاويه، وافتراءاته الباطلات؟!.

٣- وأما ادعاء أن المعجزات تناقض ضرورات الحس وبداهات العقول؛ فهي دعوى ساقطة، لا تصدر إلا عمن لم يؤمن با لله تبارك اسمه، إذ هي تناقض مناقضة تامة كاملة الإيمان بقدرته عز وجل، فصاحب هذه الدعوى ليس عنده أي دليل عليها، ولا يمتلك سوى حكمه التقريري الخاص به، والذي يريد فرضه على الآخرين على الرغم من ظهور بطلانه[1].

٤- ويأبى (العلماني) إلا أن يكرّر اتهام قبيله للسلف رحمهم ا لله تعالى بالكذب والوضع على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، ولكنه أراد أن يتستر بتبرير ذلك الكذب بأنه دعاية للدين، وكأنه يريد القول: إن العدد المتواتر الكبير من المسلمين الذين رووا أحاديث المعجزات، وقد تحقق تواترهم ذلك في كل طبقة من طبقات الروايات، حتى عصر الصحابة رضي ا لله عنهم؛ كل أولئك لم يدركوا - بزعمه- استحالة المعجزات، وذهبوا يخترعون رواياتها دعاية للدين!!. فإذا ما ثبت اتهامهم باختراع المستحيلات؛ فاتهامهم فيما دون هذا من باب أَوْلَى.

وعليه فما مدى الثقة التي تبقى للأخبار بعد هذه الدعوى؟!، بل وماذا يبقى من الدين بعد هذه الدعوى؟!.

٥- وعلى الرغم مما سبق؛ فإنه تنزلاً مع (العلماني) يقال له: هل ما زالت متستراً بالإيمان بالقرآن الكريم؟، فإن كنت مازلت كذلك؛ فما تقول في شأن المعجزات الواردات فيه، وهي من أعظم المعجزات وأكبرها؟!، ومَن الذي اخترعها؟!، أم أن الرب سبحانه يقوم بالدعاية لدينه، بأمور لا يقدر عليها أصلاً؟!، وهل هو سبحانه وتعالى لا يدرك مثل هذه الاستحالة؟!. تعالى ا لله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) انظر ما سبق: ٦٣٧، وما بعدها.

إن مثل هـذه الدعوى تثبت لمن يصرون على أنْ يُحَسِّـنوا ظنهـم في العلمـانيين: حقيقـة حـالهم، وأنهم لا يؤمنون بالدين ولا بكتابه أصلاً، وإنْ تَسَتَّروا ونافقوا.

٦- وأمـا مـا زعمـه (العلمـاني) بالنسـبة إلى الخطـأ في الإدراك؛ فإنـه إن ثبـت في حـق واحـد، فيستحيل تصوره في حق العدد الكبير، كما هو الشأن في روايات المعجزات المتعددات.

ثم إلى مَن سينسب (العلماني) الخطـأ في الإدراك بالنسـبة إلى المعجـزات الـواردات في الكتـاب العزيز؟!. أليس من الأفضل أن يكون صادقاً مع نفسه، ويعلن عدم إيمانه بالدين كلية؟!.

٧- وأما الاتفاق مع العقل؛ فهو حاصل في جميع الأخبار الصحيحة الثابتة، وهذا ما بيّنه علمـاء المسلمين بالأدلة، في كل قضية ناقشوها.

ومن المعلوم أنه لا يوجد عاقل يدعي: أن أدلة العقل لا تستند إلا إلى المحسوسـات، إذ إن كثـيراً من الأمور الغيبية -حتى منها الكونية- يثبتها العقل؛ وإن لم يدركهـا الإنسـان بـأي مـن حواسـه المادية الخمس.

وعلى هذا؛ فإنه لا يُضير نصوص المعجزات الصحيحة الثابتة؛ ادعاء (العلمـاني) الكـاذب: أنهـا مخالفة لما يزعم أنه أحكام عقلية ثابتة.

وبعد؛ فإن المناقشة العلمية لآراء أمثال هؤلاء العلمانيين تبيّن مـدى تهافتهـا، ولا تزيـد الحـق إلا رسوخاً. ومن أصرّ منهم بعد هذا على الباطل؛ فإن مصيرهم الحتمي يتشوق إلى لقائهم.

القضية الرابعة عشرة: شبهات وأباطيل حول مكانة الكتاب والسنة في التشريع:

من أساليب بعض العلمانيين الاستدراجية للوصول إلى نبذ الكتاب والسنة وعدم تحكيمهما؛ ادعاء بعضهم أن الترتيب المذكور في كتب أصول الفقه لمصادر الأدلة ترتيب معكوس، وأنه بناءً على أن العقل شرط أساس لمعرفة الأحكام، وفهمها وتطبيقها؛ فإن الترتيب الحقيقي يجب أن يكون: القياس -أي: العقل- ثم الإجماع ثم السنة ثم الكتاب، ترتيباً تصاعدياً،، يرتكز على القاعدة الطبعية وهي: القياس أو الاجتهاد، وهو دليل العقل.

فعلى الإنسان -عند هذا (العلماني)- أن يجتهد رأيه، فإن لم يجد: ففي إجماع الأمة، حاضراً أم ماضياً، فإن لم يجد: فعليه بالسنة، ثم بالكتاب!.

ويتستر (العلماني) نفاقاً بقوله: إن هناك اتفاقاً مبدئياً بين: الأول: الاجتهاد؛ والأصل الرابع: الكتاب، فالطرفان يلتقيان. ولا خلاف بين العقل والنقل، فالعقل أساس النقل، ومن يقدح في العقل؛ يقدح في النقل....

ثم يعود إلى التأكيد على فريته الأساسية بالنسبة إلى ترتيب الأدلة، فينتقد تصور الأقدمين للأدلة الأربعة، إذ يقوم تصورهم على مبدأ: أن النقل أساس العقل، فالقرآن والحديث نقل، والإجماع يعتمد على نقل، والقياس يعتمد أصله على نقل. ويدعي (العلماني): أن هذا التصور إنكار لدور العقل، وللصفات الموضوعية للأفعال وللأبنية الاجتماعية. وإن الترتيب التقليدي للأدلة: ابتداء من القرآن فالحديث فالإجماع فالقياس؛ يجعل الهرم قائماً على قمته، والمخروط مرتكزاً على رأسه، وكأن المعاني والأشياء كلها متضمنة في اللغة، وهذا هو منهج التقليد...[1].

إلى غير هذا من عبارات تفضح حقيقة ما تكنّه صدور العلمانيين.

ومن الرد على الافتراء السابق:

---

(١) انظر: النبوة؛ حسن حنفي: ٢٨١-٢٨٣، ٢٨٧.

أولاً: إن أول أمر تكشفه دعوى (العلماني) السابقة هو: جهله -أو: تجاهله- لحقيقة المطلوب من المؤمن تجاه الأحكام الربانية المنزلة إليه.

فمما يوقن به كل مؤمن بالله تعالى: أنه مطالب بأن تكون حياته كلها متوافقة مع الأحكام الربانية المنزلة، أي أنه يجب عليه تطبيق جميع تلك الأحكام والرضا بها إذا أراد أنْ يكون مؤمناً حقاً.

قال تبارك اسمه:

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٦٥)﴾ النساء.

فالمؤمن الحق يعلم يقيناً أنه مأمور بأن يتجه أولاً إلى المصدر الرباني المنزل، ليأخذ منه الأحكام والضوابط، التي تنظم له جميع شؤون حياته، فهذه هي الغاية الأولى من إنزال تلك الأحكام.

وقال جل شأنه:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ البقرة.

وقال جل جلاله:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ الحديد.

وهذه الآيات وغيرها تدل على أن السنة مكمّلة للكتاب، وأنها واجبة التحكيم[1].

---

(١) انظر ما سبق: ٢١٩-٢٢٤.

ثم إنـه من المعلوم أن الكتاب العزيز و السنة المطهرة يحتويان على الأحكـام الكليـة، بالإضافـة إلى ما فيهما من الأحكام التفصيلية، إلا أن بعض الصور الجزئية المستحدثة قد لا يأتي التنصيص عليهـا مباشرة فيما أُنزل؛ لهذا فقد طولب المؤمن بأن يُعْمِل عقله، ويجتهـد لإيجاد الحكـم الملائـم لكـل جزئيـة تستجد معه، في ظروف هذه الحياة، بما يوافق الشريعة الربانية المنزلة. بشـرط أن يكـون مؤهـلاً لذلـك الاجتهاد.

ثانيـاً: وواضـح أن العلمـانيين لا يؤمنـون بـأن السـعادة الحقيقيـة للإنسـان، حتـى في حياتـه الدنيوية؛ لن تتحقق إلا بتطبيق الشريعة الربانية المنزلة.

أما المؤمنون با لله تعالى ورسله عليهم السلام حقـاً؛ فإنهم يوقنون بأن التزام الأحكام الربانية لا يحقق السعـادة الأخروية فحسب؛ بل هو يحقق -أيضاً- السعادة الدنيوية على أكمل وجـه وأحسنـه. وفي قمّة ما تحققه الأحكام الربانية في الدنيا هـو: إقامة العدل بين البشر، إذ مصدره لا يُتَصَوَّر فيه أبـداً أن يميل في أحكامه تجاه فرد أوطائفة، أو أن يحيد في أحكامه لمصلحة فئة دون فئة.

ثالثـاً: إن ادعاء (العلماني) أن أوّل ما يجب على الإنسان هو: أن يجتهد رأيه، فإن لم يجد: اتجـه إلى الإجماع، ثم إلى السنة فالكتاب؛ هو في حقيقته ينقـض الإيمـان بـالدين الربـاني المـنزّل بالكليـة، لأن مؤدى هذه الدعوى أن الواجب على الإنسان -أولاً- أنْ يُطبّق الحكم الذي يخترعه ويضعه هـو، لا أنْ يُطبّق الحكم الرباني المنَزّل. ومن يصل في اعتقـاده إلى مستوى إنكـار وجـوب تحكيـم شـريعة ا لله عـز وجل؛ فإنه يكون قد وصل إلى دركة الكفر والخروج مـن الملـة الربانيـة، ولـو طبّـق أحكامهـا بـالفعل، فكيف إذا ادعى: أن الواجب الأول على الإنسان أن يطبق الحكم الذي يضعه هو؟!!.

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ المائدة.

رابعـاً: إن (العلماني) يُؤَكّد على عبارة أن الكتاب والسنة إنما همـا نقـل، وهـو يريـد بهـا أن يقول: إن ما ورد في الكتاب والسنة لا يسنده الدليل العقلي، ولكنه لم يصرح بهذا -في هذا الموضـع- وإنما ذكره بعبارة موهمة، وهو أنهما نقـل. وكأنـه يريـد أن يخـدع السـذّج، علـى اعتبـار أن الكتـاب والسنة وصلانا عن طريق النقل، ولكن هل يوجد عاقل يرفض أي علم يصل إليه على اعتبار أنه نقـل،

سواء أكان علماً دينياً أم دنيوياً؟!. وهل توجد وسيلة أخرى ليصل العلم من مَصْدَره إلى الآخرين إلا عن طريق النقل؟!. فالنقل ليس أكثر من مجرد وسيلة، ولكنه ليس يدخل فيما يُقَوَّم به العلم الذي يُوْصِله، إلا من باب صحة هذه الوسيلة، وصدقها فيما نقلته. وإلا فإنّ كل المدارس والمعاهد والجامعات يجب أن تترك الدارسين فيها يرجعون دواماً إلى البدايات ليصلوا إليها عن طريق عقولهم، ولا يأخذوها عن طريق الكتب، والدراسة لما توصل إليه السابقون، لأنه نقل!!.

ومن وصل في تفكيره إلى هذا المستوى؛ فإنه يكون ممن لا يصح أن يتحدث معه العقلاء!.

ولا شك أن (العلماني) يدرك هذا المعنى، ولكنه -كما سبق- يريد أن يتستر خلف عبارته السابقة، التي لا تخدع أو لا ينخدع بها -في الحقيقة- إلا السذج، أو ممن لا يدركون المعنى الحقيقي المراد.

وبالنسبة إلى الكتاب المجيد والسنة المطهرة؛ فإن المؤمنين حقاً يعلمون أن أدلتهما ليست تقريرية فحسب. بل هي أدلة تخاطب العقول، وتحثها على تدبرها، لتدرك ما فيها من الحق والحكمة، وما تحققه من الرحمة والمصلحة والسعادة الحقيقية؛ لمن تمسّك بمضمونهما.

خامساً: ثم إنه لو كان المطلوب من المسلم أن يجتهد أولاً، قبل النظر في الكتاب والسنة؛ فلماذا أنزل جل ثناؤه تلك الأحكام التفصيلية الكثيرة، التي شملت جميع الجوانب الأساسية لحياة المكلفين الابتلائية؟!. فهل أنزل تبارك اسمه هذه الأحكام لِيُعْرِض عنها البشر، ويجتهدوا رأيهم أولاً، ثم بعد هذا إن احتاروا في بعض الأمور؛ نظروا إلى ما جاء في الكتاب والسنة؟!!، وهل يقول هذا أو يعتقده من عنده مثقال ذرة من إيمانٍ بالحق؟!.

سادساً: ومن تلبيس (العلماني) وتضليله دعواه: أن نتيجة اجتهاد مَن لم يهتد بالكتاب والسنة؛ ستتوافق معهما -أو مع الكتاب-.

ولكن من معلوم أن جميع الذين أعرضوا عن هدي الله تبارك اسمه قد ضلوا، ولم يأتوا في معظم أحكامهم إلا بما يخالف هديه عز وجل، ولا يجهل أحد هذه الحقيقة، إن كان يعلم شيئاً من الأحكام

الربانية المنزلة، وأحكام البشر الوضعية.

سابعاً: وبالنسبة إلى العقل فإنه لا يوجد مسلم ينكر دَوْرَه، لأنه يعلم من دينه بالضرورة أن من يفقد شرط العقل؛ فإن التكليف سيرتفع عنه مباشرة، ويلتحق بمن لا عقل لهم أصلاً.

ولكن المسلم يُعْمِل عقلَه في المجال الذي يجب عليه أن يستخدمه فيه، حتى يستفيد من هذه النعمة حقاً. ومن صور هذا المجال: التفصيلات الجزئية المستحدَثة، مما لم ينزل في شأنها حكم خاص يتناولها بعينها، فَيُعْمِل المسلم عقلَه ويجتهد -بعد أن يكون استكمل مؤهلات الاجتهاد- لمعرفة أحكام هذه التفصيلات. مهتدياً بالأحكام الكلية المنزّلة، أو بما قد يشابهها من القضايا التي نَزَل في شأنها حكم رباني واضح، وهو اجتهادٌ مأمور به المسلم شرعاً، وتأثم الأمة إن أعرضت عنه.

ثامناً: وأما دعوى (العلماني) أن ترتيب الأدلة: الكتاب فالسنة فالإجماع فالقياس -دليل العقل-؛ يجعل المخروط قائماً على رأسه؛ فهي دعوى تقريرية ساقطة، وقد بُنِيَت على أساس باطل، كما سبق بيانه.

وترتيب الأدلة -كما يعتقده المؤمنون با لله تعالى حقاً- إنما راعى ترتيب الأولوية. فأولئك المؤمنون يعتقدون يقيناً بأنه يجب عليهم أولاً تطبيق الأحكام الربانية المنزلة، ولهذا فمَن أراد معرفة حكم أمر ما؛ اتجه إلى المصدر المنزّل أولاً، ليستمد منه الحكم، وهو الكتاب. فإن لم يجده فيه؛ استمده من المصدر الموحَى به إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم، والذي بَلَّغَه من خلال كلماته وأفعاله وتقريراته، صلى ا لله عليه وسلم، وهو السنة المطهرة. فإن لم يجد فيه حكماً خاصاً بمسألته؛ اجتهد رأيه، ونظر إلى آراء فقهاء الأمة، ممن سبقوه في العلم والاجتهاد، ليهتدي بها، ولا سيما إن كان لهم إجماع على حكم ما.

وأما الذي لا يطلب مرضاة ا لله عز وجل، ولا يعتقد بوجوب تحكيم شريعته، وأنها هي وحدها التي تحقق له السعادة الكاملة؛ فإنه لا يُسْتَغْرَب منه أن يُعْرِض عن الكتاب والسنة، ويَطْلُب أحكامَه من العقل المجرّد عن أيّة هداية ربانية، والمَقُود بالأهواء والشهوات الطاغية، وإنْ ادّعَى عُبَّاد

تعظيمه ما ادعوه. ومثل هؤلاء لا مخروط عندهم -في الحقيقة- ولا هرم، وليس عندهم إلا ما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم، وآراء عقولهم الضالة؛ ولا قيمة للكتاب والسنة عندهم مطلقاً.

تاسعاً: وأما النظر في أحوال المجتمع؛ فهو من الأمور التي لا بد منها للمجتهد، وهذا بالنسبة إلى ما لم يأت فيه حكم خاص. وأما ما جاء فيه حكم واضح وقاطع؛ فإنه ينبغي أن تضبط مسيرة حياة الفرد والمجتمع، بل والأمة بأكملها؛ بحسب تلك الشريعة الربانية المفصلة.

قال تبارك اسمه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ الأنعام.

عاشراً: وأما ما اعترض به (العلماني) على ترتيب الأدلة عند المؤمنين حقاً؛ بقوله: وكأن المعاني والأشياء كلها متضمنة في اللغة[١].

فهو يريد أن يقول: إن المؤمنين يزعمون أن جميع الأحكام والأحوال المستحدثة إلى آخر الزمان؛ قد جاء تفصيل حكمها في الكتاب والسنة.

ولكن المؤمنين لم يزعموا ذلك، وإنما الذي يعلمه كل طالب للحق: أنهم يقولون -بناء على ما استنبطوه من أدلة الكتاب والسنة-: أنه يوجد فيها أحكام تفصيلية لكثير من الأمور، ويمكن أن يقاس عليها ما يستجد من الأمور المشابهة لها. ويوجد فيها أحكام كليّة، تشمل ما لم يأت في شأنه حكم خاص. ثم إنه توجد صور وتطبيقات وأمور تُرِك للبشر أن يختاروا ما هو الأنسب لهم، على حسب اختلاف ظروفهم وأحوالهم، بشرط ألا يخرجوا عن حدود الأحكام الشرعية الكلية. وفرق كبير بين هذا وبين ما افتراه (العلماني).

---

(١) انظر ما سبق: ٧٢٨.

حادي عشر: وما ذكره (العلماني) عن التقليد[1]؛ فالحق أنه لا يوجد عاقل يدعي أن اتباع العالِم فيما وصل إليه من الأمور اليقينية؛ هو من التقليد المذموم!. فكيف باتباع كتاب الرب الخالق جل وعلا، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم؟!.

إنّ مَن يظن أن اتباع الكتاب والسنة هو من التقليد المذموم؛ فإنه يكون قد حكم على نفسه بأنه لا يوجد له أدنى حظّ من الإيمان بهما.

(١) انظر ما سبق: ٧٢٨.

القضية الخامسة عشرة: شبهات وأباطيل حول وجوب تحكيم شريعة الله عز وجل:

حاول بعض العلمانيين أن يجد مسوِّغاً لدعوته ودعوة قبيلِه إلى عدم تحكيم الشرع الرباني المنزل؛ وهذا من خلال الظروف المعاصرة التي تمر بها ديار المسلمين، فادعى زوراً وبهتاناً: أن مقولة كون الأحكام تثبت كلها بالشرع، ولكن بشرط وجود العقل، فالعقل يفهم الشرع، ويفسره، ويدافع عنه، دون أن يكون هو المُنَظِّر والمُشَرِّع والموجِب؛ فإن هذه المقولة -في نظر (العلماني)- تجعل دور العقل مقتصراً على التبرير، والدفاع عن شيء آخر!. والبلاد النامية -بحسب زعمه- تعاني من ذلك القَصْر لدَوْر العقل، وذلك لأن السلطتين الدينية والسياسية تملي على العقول أموراً يجب أن يسلموا بها، بل ويدافِعوا عنها، والقول: بأن الأحكام تثبت بالشرع والعقل يفهمها؛ فيه تثبيت لهذا الوضع القائم في البلاد النامية، وهو جعل العقل تابعاً لا متبوعاً، وفرعاً لا أصلاً[1].

لقد احتار العلمانيون في اختيار الأسلوب الذي يدفعون من خلاله المسلمين إلى نبذ أحكام الشريعة الربانية المنزلة، ليجروا خلف ما يلقيه إليهم أهل الضلال من المشرق أو المغرب من رجيع أحكامهم الوضعية البشرية، ومن الأساليب التي تتكرر عند كثير من العلمانيين افتراء أن سبب تخلف المسلمين هو: اعتمادهم على المنهج الرباني المنزل، وكل علماني له طريقته في تصوير هذا الافتراء، ومن هذه الصور ما ذكره (العلماني) في الشبهة السابقة، ومما يرد به عليه:

أولاً: إن الشرع الرباني الذي تُسْتَمَدّ منه الأحكام ليس من وَضْع أحد من المخلوقين، حتى يكون هناك خوف من جعل العقل تابعاً لا متبوعاً، وإنما هو مِن وَضْع ربّ البشر جميعاً تبارك اسمه، وأحكامه تعالى لا تحابي أحداً، ولا تحيف في

---

(١) انظر: من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول: المقدمات النظرية؛ حسن حنفي: ٣٤٥.

حقّ أحد. وليس فهمها حِكْراً على فئة معينة لذاتها، وإنما فهمها مطلوب من المكلفين جميعاً، وكلٌّ يصل إلى مقدار معين من الفهم، بحسب ما وهبه الله عز وجل من القدرات والقوى، وبحسب ما حصل عليه من العلوم، التي تساعده على الفهم.

ثانياً: وبناء على ذلك؛ فإنه لا توجد في الإسلام فئة خاصة تحتكر لذاتها ما يُدْعَى باسم السلطة الدينية، وإنما القيام بحق الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ واجب منوط بكل فرد مؤمن، وكلٌّ حسب مقدرته. وأقصى ما قد يوجد هو: أنّ فَهْم الأحكام الشرعية واستنباطها لا يكون إلا مِن قِبَل مَن استجمعوا الشروط العلمية لذلك، كسائر العلوم والمعارف. وإلا فهل يجوز لكل مدع أن يُطَبِّب غيره أو حتى نفسه؛ دون أن يكون مُؤَهَّلاً لهذا؟!.

ثالثاً: ثم إن المسلمين -منذ عصرهم الأول- يعلمون أنهم أمام الله جل ثناؤه -في الأصل- سواسية، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالعمل والتقوى. وكلهم يؤمنون بأنهم لا يتبعون إلاّ رباً واحداً عدلاً حكيماً عليماً...، جل جلاله. وهذا الإيمان عندما كان راسخاً ثابتاً تستحضره العقول والنفوس دواماً؛ كان هو مصدر قوة المسلمين ووحدتهم، حتى انطلقوا ففتحوا الأرض، وملؤوها عدلاً.

رابعاً: وإيمان المسلمين بالحق المنَزّل لم يكن إيماناً تسليمياً من غير تفكير، وكيف يُتَصَوَّر هذا؛ وقد عارض الدعوة منذ يومها الأول الجمهور الأكبر، ممن أعلنت الدعوة الربانية بين ظهرانيهم، وحاربوها أشد المحاربة وبمختلف الوسائل؟!. ولهذا فإنه ما كان يدخل في الإيمان إلاّ مَن وصل في تفكيره إلى حد الاقتناع الكامل بأن جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق، وصدقٌ من عند ربه عز وجل. وكَم لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون مِنْ بَعْده مِنَ الصعوبات والشدائد، حتى دخل الناس في دين الله -جل جلاله- أفواجاً، عن اقتناع وفهم كاملين؟.

خامساً: ومَن آمن بالحق عن فهم واقتناع؛ فإنّ دفاعه عنه أمر طبعي، فكل عالِم يدافع عما آمن به من الحق، وإلا فإمّا هو كاذب في دعواه الإيمان بالحق؛ أو هو جاهل لا يفقه شيئاً، وإنما هو إمَّعَة يتبع الناس على أي حال كانوا. وعلى الضد من هذا الكاذب أو الجاهل حال المؤمن بعد تفكير وتدبر واقتناع، إذ يصبح الحق جزءاً منه، فيكون دفاعه عنه دفاعاً عن ذاته. فمن يُوَجِّه للحق الذي آمَن به هجوماً واتهاماً؛ فكأنما وَجّهَه إليه هو، لأن من معاني هذا الهجوم: اتهام المؤمن بالحق بأنه ناقص العقل، ضعيف التفكير، إذ كيف يؤمن بما ليس حقاً، ويدعي أنه كذلك؟!، ومن الذي يرضَى أن يُتَّهم بهذه التهمة ويسكت؟!.

وأعظم من ذلك: فإن المؤمن حقاً قد وصل بالدليل القاطع إلى: أن سعادته الحقيقية إنما تتحقق من خلال إيمانه، وثباته عليه، وتطبيقه في واقع الحياة، ودفاعه عنه، ولهذا فإنه تَرْخُص عليه نفسه، وأهله وماله، فيُقَدّم نفسه وماله دفاعاً عن الحق، وهو في هذا يبتغي نيل ثواب مَن آمن به، جل جلاله.

سادساً: وبالنسبة إلى الحقّ في التشريع؛ فإن كل مؤمن يوقن بأنه حقٌ خالص لله عز وجل وحده، وأنه إذا قيل: إن العقل مُشَرِّع مع الله سبحانه؛ فإن هذا معناه جَعْل العقل ربّاً معه، سبحانه وتعالى.

كما قال عز وجل:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ التوبة[1].

وعبادة أهل الكتاب للأحبار والرهبان كان: بسبب طاعتهم إياهم فيما

---

(١) انظر حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه: ٤٤١-٤٤٢.

شرعوه لهم، مما يخالف ما أنزله الله جل جلاله. وعلى هذا فكيف يكون من المؤمنين بالدين -الذي يوجب أن يكون الله جل شأنه هو صاحب الحقّ الخالص في تشريع الأحكام- مَن يرفض أن يكون العقل تابعاً للشرع، ويدعي أن العقل مشرِّع أصيل؟!.

وبعد، فإن الله جل ذكره كما خلق هذا الكون وسيّره ضمن أسباب وقوانين، ولم يشاركه في هذا أحد، وجعل الكون كالكتاب المفتوح ليدرسه الناس، ويفهموا سننه وقوانينه، ومن ثم يتقيدوا بها، ليستفيدوا مما سُخّر لهم في هذا الكون؛ فكذلك هو جل ذكره أنزل شرعَه في الكتاب الذي أوحَى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي السنة الموحَى بها أيضاً، ليدرسهما المكلفون، ويفهموهما، ويطبقوا ما جاء فيهما علماً وعملاً، فينالوا السعادة الحقيقية.

سابعاً: وأما التفسير الحقيقي للتأخر الذي أصاب المسلمين؛ فيرجع إلى ابتعادهم عن التمسك بشرع الله تعالى، وعن تطبيقه في مجالات حياتهم الدنيوية المختلفة. ولن يعود إليهم مجدهم وعزهم إلا بعودتهم إلى التمسك بذلك الشرع، وتطبيقه على الوجه الصحيح، ليحققوا في أنفسهم قول الله عز وجل:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ الأنعام.

وعندئذ لن توجد قوة ظالمة -مهما بلغت- تستطيع أن تقف أمامهم، وتصدهم عن سبيل الله عز وجل، فالمؤمن يستمد قوته من ربه تبارك اسمه:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ النور.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛

فإن صراع الحق مع الباطل من السنن الاجتماعية التي لا انقضاء لها، حتى لا يبقى على الأرض من يقول: الله.

ولهذا فإنه لا يوجد باحث أو دارس - مهما بلغ - يتصور أن بإمكانه أن يستقصي جميع شبهات وضلالات وأغاليط أهل الباطل، التي يوجهونها للحق وأهله، ففي كل يوم يبرز عدد من الناعقين بالباطل، يحاولون جهدهم إثارة ما استطاعوا من زيوف وأباطيل، ليصدوا الناس عن الإيمان بالحق، وليحملوهم على السير في سبل الغواية.

أما الحق فإنه واضح صريح، وأهله على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن ثم فقد تناول البحث في هذه الرسالة بيان الحق واضحاً صريحاً، بالنسبة إلى المسائل المتعلقة بالنبوات. ثم تلا هذا اختيار شبهات وزيوف ومغالطات متنوعات، أثارها فريق من العلمانيين المعاصرين من مدعي الإسلام؛ ضد النبوة ومسائلها. ومن ثم تناول البحث إبطال تلك الشبهات، وبيان تهافتها وسقوطها، دون أن يكون المقصد استقصاءً لجميع الشبهات، أو حشد أسماء عديدة، بل كان القصد اختيار نماذج، تدل على أشباهها ونظائرها، دلالة ظاهرة.

ومن أهم النتائج التي تبينت من خلال هذا البحث -بالإضافة إلى النتيجة السابقة: حول دوام الصراع :

أولاً: أن الرسول أخص من النبي عليهما السلام، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. وأظهر فرق بينهما: أن الرسول عليه السلام يختص بحمل رسالة منزلة من عند

الله عز وجل، جديدة، أولها حكم كونها جديدة، ويقوم هو -من ثم- بإيصالها إلى من أُرسِل إليهم.

وأما ما ذكره بعض العلمانيين من ضلالات حول الفرق بينهما؛ فلا يراد به إلا أن يكون وسيلة تحمل بعض آرائهم المنحرفة. كالقول بأن النبي -عليه السلام- يأتي بالتصور، والرسول عليه السلام يأتي بالنظام، ونحو هذا من ضلالات.

ثانياً: أن النبوة والرسالة اصطفاء من الله تعالى مباشر، ولا يستطيع أحد أن يصل إلى أيٍّ منهما بالعمل والاجتهاد. وما يوجد لبعض العلمانيين من دعاوى حول إمكان أن يصل الإنسان إلى مرتبة النبوة بالعمل؛ فإنما يقصدون بهذا إبطال النبوة الحقيقية، وجعلها بشرية محضة، لا علاقة لها بالرب جل وعلا .

ثالثاً: أن التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام ثابت، وفضل خاتمهم صلى الله عليه وسلم عليهم جميعاً؛ حق لا ريب فيه. وادعاء بعض العلمانيين خلاف هذا، أو أن التفضيل هو من صُوَر العصبية؛ هو ادعاء باطل، تنقضه النصوص القطعية، التي يزعم أولئك العلمانيون إيمانهم بها. ثم إن التفضيل المقرون بالعصبية؛ قد جاء النهي عنه في النصوص الثابتة.

رابعاً: أن بعث الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام أمر تقتضيه حكمة الرب تبارك اسمه. وهو ليس أمراً مستحيلاً، ولا يتعارض مع شيء من الصفات الإنسانية، بل إن دراسة الصفات الإنسانية تؤكد حقيقة كون الإنسان مكلفاً، وأن تكليفه مستتبع بجزاء أوفى، ولهذا فهو لا غنى له عن منهج رباني، يحقق له السعادة في رحلته الابتلائية التكليفية، وفي دار جزائه.

خامساً: أن الوحي الرباني حقيقة ثابتة لا مجال للشك فيها، وليس له طرق ثابتة إلا التي وردت في النص القطعي. وأية محاولة لقطع الوحي عن مصدره الرباني -من قبل العلمانيين المتظاهرين بالإسلام-؛ لا يراد بها إلا جعل ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما هو مِن قِبَل أنفسهم، فلا فرق بينهم وبين سائر الفلاسفة والمفكّرين. وهذا من الكفر الصريح بهم عليهم السلام، وبمَن أرسَلهم، جل وعلا.

سادساً: أن الآيات (المعجزات) ثابتة لا ريب فيها، وهي من مقتضيات حكمة الرب عز وجل، لتصديق أنبيائه ورسله عليهم السلام، وهي متنوعة، مادية ومعنوية.

سابعاً: أن من رفض من العلمانيين الإيمان بالآيات (المعجزات) المادية، الخارقة للسنن الكونية المعتادة، مع إصراره على التظاهر بالإسلام؛ فإن رفضه يدل على نفاقه فيما يتظاهر به، وأنه -في حقيقته- غير مؤمن بالله تعالى، وقدرته وحكمته، وعلمه تبارك اسمه، ولا بكتابه المنزَّل، الذي ثبتت فيه تلك الآيات، ثبوتاً قاطعاً، ولا برسله عليهم السلام الذين جاؤوا بتلك الآيات، وأجراها الله جل ثناؤه على أيديهم. ودعوى العلمانيين معارضة الآيات (المعجزات) لبدهيات العقول؛ هي -في حقيقة الأمر- تعارض ما تُقِرُّ بِهِ العقول السليمة.

ثامناً: أن للآيات الدالات على صدق الأنبياء عليهم السلام صفات عدة لا بدّ منها. كالتلازم بينها وبين مدلولها، وعدم وجودها مع ما يناقض النبوة، وأن تكون خارقة للعادة، وألا تكون مكذّبة لمن أتى بها، ووجود ما يدل على ارتباطها بمن يقول: إنه نبي، ونحو هذا.

تاسعاً: أنه توجد صفات ذُكِرَت باعتبارها شرطاً في كل آية معجزة، والصواب عدم اشتراطها لكل آية. كاقترانها بدعوى النبوة، على معنى أنها لا تكون إلا بعد إعلان النبي عليه السلام نبوته، أو في زمانه، أو على يديه. وكاقترانها بالتحدي، ونحو هذا.

عاشراً: إن كرامات الأولياء ثابتة، وهي من جملة آيات الأنبياء عليهم السلام. وهذا على النقيض مما يزعمه العلمانيون وأضرابهم. ولكن لا يعني ثبوتها؛ أن تكون غاية للمرء يحاول الوصول إليها، فهي لا توجد إلا إذا اقتضتها حكمة الرب العليم جل جلاله، وقد يكون بعض مَن لم تظهر على يديه كرامة خارقة، من الأولياء؛ أفضل ممن مَنَحَه الله عز وجل بعض الكرامات.

حادي عشر: أنه توجد فوارق عدة بين الآية (المعجزة) والكرامة، وتوجد فوارق أيضاً بين الآيات (المعجزات) ومخاريق السحرة والكهان، وغيرهم من الكذبة. وادعاء العلمانيين عدم الفرق بينهما؛ ادعاء باطل. وهو يرجع إلى أنهم غير مؤمنين أصلاً بالآيات (المعجزات).

ثاني عشر: أنه توجد أدلة وآيات وبراهين موضوعية تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبصفة عامة فهي ترجع إلى: سيرة النبي عليه السلام قبل أنْ يُصْطَفَى نبياً، وبعد أن نبّئه الله تبارك وتعالى. وترجع أيضاً إلى: سيرة أتباعه، وسيرة أمته من بعده عليه السلام. وكذلك فهي ترجع إلى: صفاته عليه السلام النفسية والخَلقية والخُلُقية. وغير ذلك. ورفض بعض العلمانيين لطائفة من هذه الأدلة، ومطالبتهم بعدم دراستها؛ إنما يدل على مدى البغض المستحكم في نفوسهم تجاه الرسالة الربانية، ومَن أُرْسِل بها، صلى الله عليه وسلم.

ثالث عشر: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، فلا يقع منهم كتمان، ولا مخالفة، ولا خطأ يُقَرُّون عليه. وهم معصومون أيضاً من كبائر الذنوب والفواحش، وأمراض القلوب والنفوس، وصغائر الخِسّة. ومعصومون عن أن يُقَرُّوا على أي خطأ، أو مخالفة للأولى. وإنكار العلمانيين للعصمة يرجع إلى: عدم إيمانهم بالنبوة الحقيقية أصلاً، فلا حاجة عندهم لإثبات عصمة الرسول عليه السلام، فيما يبلغه عن ربه، جل ثناؤه.

رابع عشر: أن من أدلة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم: وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلية، على الوجه الذي أخبر به. وادعاء العلمانيين أن هذا من باب استنتاج ما سيحدث في المستقبل، من خلال الاستفادة من تجارب الماضي، ونحو هذا من الدعاوى الباطلة؛ إنما هدفهم منه: إسقاط الاستدلال بهذا البرهان الظاهر على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، لئلا يتأثّر به مَن قد يكون عنده استعداد للإيمان بالحق، إذا تبين له الدليل. ثم إن العلمانيين لا يؤمنون بوجود تقدير سابق، فكيف يخبر النبي بما سيحدث في المستقبل، وهو غير مُقَدَّر، ولا معلوم لأحد أصلاً؟!.

خامس عشر: أن إعجاز القرآن حق ثابت، وكذا التحدي الوارد فيه، وعجز البشر عن الإتيان بمثله، أو بمثل سورة من سوره. ثم إن لإعجازه وجوهاً متعددة. وللعلمانيين المتظاهرين بالإسلام أساليب متعددة لإبطال هذا الإعجاز، على الرغم من ظهوره، إلى درجة تبهت حتى الكافرين الأصليين، المصرين على كفرهم. وشُبَه العلمانيين في هذا المجال مع سقوطها؛ تدل على مدى الدركة التي ينحط إليها فكر العلمانيين، عندما يحاولون معارضة الحقائق القطعية الساطعة، بمجرد التمويهات والتلبيسات الساقطات.

سادس عشر: أن الرسالة الربانية جاءت أولاً بإرساء القاعدة الإيمانية، التي تنبثق منها جميع السلوكيات الباطنة والظاهرة، وأقامت عليها، وعلى أركانها؛ الحجج العقلية القطعية، ودعت إليها بأحسن الأساليب، وأتمها، وأشدها تأثيراً. ونظراً لإدراك العلمانيين هذه الحقيقة، ولأن غايتهم الأساسية هي: استدراج المؤمنين بالحق ليزيغوا عن الصراط المستقيم، وينزلقوا في سُبل الضلال؛ فقد وجّه العلمانيون جهوداً كبيرة لإفساد هذا المضمون وإبطاله، إما بادعاء أن العقل هو الذي يستقل بمعرفته، وإما بالتلاعب في معاني مضامين القاعدة الإيمانية، وتحريفها عن مدلولاتها القطعية؛ إلى مدلولات باطلات زائفات، لا تدل عليها بوجه، وغير هذا من أنواع التلاعب، الذي لا يخفى على أهل الحق.

سابع عشر: أن الرسالات الربانية المنزّلة جاءت بتهذيب نفس المؤمن وخُلُقه، لما لهذا من أثر كبير في تقوية القاعدة الإيمانية، من جهة، وفي صلاح أعمال الجوارح الظاهرة، من جهة أخرى. ويحاول بعض العلمانيين قطع الصلة بين الأخلاق والرسالة الربانية، لجعلها أخلاقاً تعتمد على مبدأ المصلحة، والنفع الآنِيّ، فما هو حسن الآن؛ قد يقبح غداً، وكذلك العكس، ولا يوجد خُلُق حسن ثابت، أو قبيح ثابت. وفي هذا تدمير للأخلاق الفاضلة، وهو من أهداف شياطين الإنس والجن الأساسية.

ثامن عشر: أن الرسالة الربانية قد جاءت ببيان واضح وشامل للشريعة والمنهج؛ الذي يجب على البشر أن يسيروا عليه، في جميع شؤون حياتهم، لينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. وهي شريعة كاملة تامة، ذات مميزات عديدات. ثم إن مجال الشريعة هو المجال الأكبر الذي وَجَّه إليه العلمانيون سهامهم وشبهاتهم، وزيوفهم الباطلة الضالة. وغايتهم من هذا أنْ يتخَلَّى المؤمنون عن الشريعة الربانية العادلة الكاملة، وأنْ يستبدلوا بها آراء البشر الضالة، وأهواءهم المنحرفة عن صراط الله المستقيم، لتسهيل نشر الفساد

العريض في الأرض.

تاسع عشر: أن الرسالة الخاتمة تعمّ الإنس والجن. والعلمانيون لا يؤمنون بوجود الجن أصلاً. ومَن يتظاهر منهم بالإيمان بالرسالة الخاتمة؛ فإنهم يحرِّفون معاني النصوص القطعية عن مواضعها، إلى معانٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.

عشرون: أن الشريعة الربانية الخاتمة تشمل جميع الأحكام المتعلقة بالمكلفين، وحتى ما يستجد منها؛ فقد شملته بأحكام كليّة عامة تنطبق عليها. وللعلمانيين ادعاءات باطلات يهدفون منها إبطال تحكيم تلك الشريعة. وهم بهذا يعارضون النصوص الثابتة المتواترة، التي يدعون أنهم مؤمنون بها.

واحد وعشرون: أن ختم الرسالة المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم للرسالات السابقات؛ هو أحد الحقائق القطعية، والمستنبطة من النصوص الثابتة للرسالة الخاتمة، وهذا يعني أن شريعة هذه الرسالة هي التي يجب أن يؤمن بها البشر جميعاً، ويطبقوها، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها. وكعادة العلمانيين فقد تناول بعضهم مسألة الختم، وأولوها تأويلاً تحريفياً، لا يخفى على مؤمن حقٍ. ومن هذا زعمهم أن معنى الختم: انتهاء دور الرسالات الربانية، وابتداء دور العقل المستقل!.

اثنان وعشرون: أن التطور في الأحكام بين الشرائع المختلفة جائز لا مانع منه، وأما في العقائد فلا يصح إلا على معنى الزيادة في إعطاء التفصيلات والتوضيحات.

ثلاث وعشرون: أن النسخ في الأحكام ثابت في الشريعة الخاتمة، وله حِكَم متعددة، من أظهرها: التدرج بالمؤمنين للوصول إلى الحكم الأكمل.

أربع وعشرون: أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الأول لرسالة الشريعة الخاتمة، وقد نقل إلينا بالتواتر، وهو محفوظ بحفظ الله عز وجل له، لا كما يدعي بعض العلمانيين من أن الحفظ الرباني لا علاقة له بالقرآن الكريم، لأن حفظه من عمل البشر، فالمؤمنون يعتقدون يقيناً أن الله تبارك اسمه هو الذي يوفق عباده لما فيه الخير والفلاح، وقد بين جل ثناؤه في كتابه العزيز أنه هو المتكفل بحفظه. ثم إن للعلمانيين المتظاهرين بالإسلام تحريفات عديدات في آيات الكتاب العزيز، لإبطال دلالتها على وجوب جعله هو الأساس الأول دواماً، والذي تستنبط منه العقيدة والشريعة.

خمس وعشرون: أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل على الحقيقة، بخلاف مَن حاول مِن العلمانيين التلاعب بالنصوص الدالة على هذه الحقيقة، لجعل القرآن في نهاية المطاف كتاباً بشرياً خالصاً.

ست وعشرون: أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الأساس الثاني، من مصدري الرسالة الخاتمة، اللذين تُؤْخَذ منهما العقائد، وتُسْتَنْبَط الأحكام. ووجوب تحكيمها ثابت بالكتاب العزيز.

وأما العلمانيون المنتمون نفاقاً إلى الإسلام فقد حاولوا جهدهم إبطال هذه الحقيقة، بالتلاعب والتحريف في النصوص القطعية الظاهرة.

سبع وعشرون: أن المسلمين - منذ عصورهم الأولى - اهتموا بتدوين السنة النبوية المطهرة، والتدقيق فيها، وتنقيحها من الضعيف والموضوع، ودراسة حال رجال أسانيدها، ودراسة المرويات وجمعها، وشرحها واستنباط الأحكام منها، على وجه يتأكد معه كل منصف أن أحكام علماء الحديث على الأحاديث واجبة القبول، على وجه العموم، وأنه لا يوجد جهد بشري يقارِن جهدهم في تنقيح السنة المَرْوِيَّة، وتنقيتها من

الشوائب، أو يقاربه، ولو من بعيد.

وبالطبع فإن العلمانيين لا التفات لهم إلى شيء من ذلك، بل يكفيهم أنْ يطلقوا الافتراءات بالوضع على مجمل الأحاديث، من غير أي دليل يستندون إليه.

ثمان وعشرون: أن النبوات هي التي كرَّمَت العقل، التكريم الصحيح، إذ طالبت بإِعْمالِه، ونَعَت على الذين يُعَطِّلون عقولهم عن التفكير النافع. ثم إنها وَجَّهَت العقل الوجهة الصحيحة في التفكير، ليعطي النتائج المَرْجُوَّة منه، على الوجه الحسن.

تسع وعشرون: أنه لا يمكن لمسلم أن يعتقد إِمْكان أن يَحِلّ مَحَل الشريعة الربانية – أو مَحَل حكم واحد فيها أو عبادة – أيّ رأي بشري وضعي، غير معتمد على الرسالة المنزّلة، إذ هذا الاعتقاد مخرج لصاحبه من الملة.

ثلاثون: أن شُبَه العلمانيين مهما تنوعت وكثرت؛ فهي معتمدة على الافتراء والمغالطة، والتلبيس والتضليل، وتزييف الحقائق وتحريفها، وإطلاق الدعاوى الكاذبة، واعتبارها حقائق لا تقبل المناقشة. ومن أساليبهم أيضاً –في كثير من الأحيان–: رفض الحقائق الشرعية الواردة رفضاً مجرداً، لا يستند إلى أي دليل، أو شبهة دليل.

وقد يُورِد العلمانيون المعاصرون شُبَه أسلافهم من المنافقين التاريخيين، وأشباههم، ولكن مع تغيير العبارة، بما يتلاءم مع العصر الحاضر.

واحد وثلاثون: أن بعض العلمانيين وإن تظاهروا بالإسلام؛ فإنما هدفهم أن يكيدوا الدين وأهله من الداخل، ليكمِلوا مسيرة النفاق.

اثنان وثلاثون: أن عمل العلمانيين هو جزء من عمل أعداء الإسلام الصرحاء، لهدم هذا الدين، كما يتمّنون، والله من ورائهم محيط .

ثلاث وثلاثون: أنه يجب على المسلمين دواماً أن يكونوا على يقظة تامة تجاه مكايد أعدائهم، وأعداء دينهم، الصرحاء والمنافقين. وأن يقابِلوا كل مكر وكيد بما يلائمه ويُبْطِلُه.

وبعد؛ فهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه قريب سميع مجيب.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آله محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العلمية

- فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة.
- فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة.
- فهرس المراجع الواردة في الرسالة.

أولاً: ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه.

ثانياً: ما يتعلق بالحديث الشريف وعلومه.

ثالثاً: ما يتعلق بالعقيدة وعلومها والمذاهب المختلفة.

رابعاً: ما يتعلق بالرجال وتراجم الأعلام والسيرة.

خامساً: ما يتعلق باللغة العربية وآدابها وعلومها.

سادساً: كتب متفرقة.

- فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة:

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
البقرة	١	ألم	٩٧ ، ٥١١
البقرة	٢	ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	٩٧ ، ٥١١، ٦٧٣، ٦٨٤
البقرة	٣	الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة	٩٧ ، ٢٨٧ ، ٥١١ ، ٥٩٩
البقرة	٤	والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل	٥١١
البقرة	٦	إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم	٤٠٧ (هـ)
البقرة	١٤	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا	٤٣٩
البقرة	١٥	الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم	٤٣٩
البقرة	١٦	أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	٤٣٩
البقرة	٢٣	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	١٧٧،٣٥٨(هـ) ٧١١
البقرة	٢٤	فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار	١٧٧ ، ٣٥٨(هـ) ٧١١
البقرة	٣١	وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على	٥١٢ ، ٥٨٣
البقرة	٣٥	وقلنا يا آدم اسكن أنت زوجك الجنة	٥٨٣
البقرة	٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	٥٨٣
البقرة	٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيدهم	٧٠٩
البقرة	٨٣	وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل	٣٤٤
البقرة	٩٠	بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا	٤٨
البقرة	٩٨	من كان عدواً لله وملائكته ورسله	٦٩
البقرة	١٠٦	ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها	١٦٨ ، ٥٠١
البقرة	١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا	٥٦٥
البقرة	١٥١	كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم	٢١٩
البقرة	١٥٥	ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص	١٥٧
البقرة	١٦٤	إن في خلق السموات والأرض واختلاف	٢٦٦

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
البقرة	١٦٥	ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً	٢١١، ٤٢٥ ، ٦٢٦
البقرة	١٧١	ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما	٢٦٨
البقرة	١٧٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب	٦٩ ، ٥١١
البقرة	١٨٣	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	٣٤٤
البقرة	١٨٥	شهر رمضان الذي يريد الله بكم اليسر ولا يريد	٤٢٤ ، ٦٧٣
البقرة	١٨٩	يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس	٦٧٧
البقرة	١٩٠	وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم	٣٢٦
البقرة	١٩٨	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً	٤٨٨
البقرة	٢٠٣	واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل	٤٨٨
البقرة	٢١٣	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين	٧٢٩
البقرة	٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير	٢١٤، ٦٠٢
البقرة	٢٣١	واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم	٢٢٠
البقرة	٢٤٢	كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون	٦٠٣
البقرة	٢٤٦	ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل إذ قالوا	٣٠
البقرة	٢٤٧	وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت	٣٠ ، ٦١٣
البقرة	٢٤٨	وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم	٣٠
البقرة	٢٥١	فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت	٦٢
البقرة	٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	٦٥،١١٥،٥٧٤
البقرة	٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه	٦٢٥
البقرة	٢٦١	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	٤٦٩
البقرة	٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم	٤٧٠
البقرة	٢٦٥	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء	٤٦٩
البقرة	٢٦٨	الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ...	٨٥
البقرة	٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة	٥٩ ، ٦٠
البقرة	٢٧٢	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي	٥٦٢
آل عمران	٧	هو الذي أنزل عليك ... وما يعلم تأويله إلا الله	٢١٨ ، ٦٧٤، ٦٨٢
آل عمران	٨	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا ...	٦٨٣

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
آل عمران	١٤	زين للناس حب الشهوات من النساء ...	٨٣
آل عمران	١٥	قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ...	٢٠ ، ٨٣
آل عمران	٣١	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم	٢٢٠ ، ٤٤٥
آل عمران	٣٢	قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا	٢٢٠
آل عمران	٣٣	إن الله اصطفى آدم ونوحاً	٤٨
آل عمران	٤٢	وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله	٣٣ ، ٣٥
آل عمران	٤٣	يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي	٣٣ ، ٣٥ ، ٣٤٤
آل عمران	٤٥	إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك	٣٣
آل عمران	٤٩	ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد	١٢٤
آل عمران	٥٠	ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ...	٣١٤
آل عمران	٧٢	وقالت طائفة من أهل الكتاب	١٨٤
آل عمران	٧٣	ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم	١٨٤
آل عمران	٧٤	يختص برحمته من يشاء	١٨٤
آل عمران	٧٨	وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب	٧٠٩
آل عمران	٨٣	أفغير دين الله يبغون	٢٠٩
آل عمران	٩٣	كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل ...	٧٥
آل عمران	٩٧	ولله على الناس حج البيت من استطاع	٤٤ ، ٤٨١ مرتان
آل عمران	١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا	٣٢١
آل عمران	١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١٧٠ ، ٥٨٠
آل عمران	١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة	٦٠٣
آل عمران	١٣٨	هذا بيان للناس وهدى وموعظة	٢١٧
آل عمران	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون	٤٥١
آل عمران	١٤٠	إن يمسسكم قرح فقد مس القوم	٤٥٦
آل عمران	١٤١	وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق	١٥٦
آل عمران	١٤٢	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	١٥٦
آل عمران	١٤٤	وما محمد إلا رسول	٢٤
آل عمران	١٤٥	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن	٨٦
آل عمران	١٤٦	وكأين من نبي قاتل معه ربيون	١٥٦

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
آل عمران	١٤٧	وما كان قولهم إلا أن قالوا	١٥٦
آل عمران	١٤٨	فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة	١٥٦
آل عمران	١٥٩	فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم	٣٣٥
آل عمران	١٨٠	ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم	٤٧٣
آل عمران	١٩٠	إن في خلق السموات والأرض واختلاف	٧٢ ، ٧٩ ، ١٠١، ٢٦٦ ، ٤٩٦
آل عمران	١٩١	الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً	٧٢ ، ١٠١ ، ٤٩٦
آل عمران	١٩٢	ربنا إنك من تدخل النار فقد	١٠١
النساء	٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل	٤٧٢
النساء	٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح	٤٧٢
النساء	١٣	تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله	٣٨٧
النساء	١٤	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ...	٣٨٧
النساء	٢٨	يريد الله أن يخفف عنكم وخلق	٤٢٤
النساء	٢٩	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم ...	٤٧٢
النساء	٣٠	ومن يفعل ذلك عدواناً وظلما	٤٧٢
النساء	٣١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	٤٥٧
النساء	٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ...	٢١٤
النساء	٥٤	أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله	٦٣ (هـ)
النساء	٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات	٤٣١
النساء	٦٥	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما ...	٢٠٨،٣١٨،٤١٩، ٧٢٩
النساء	٨٠	ومن يطع الرسول فقد أطاع الله	٢٢٠
النساء	٨٢	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند	٢٦٧،٣٥٨، ٥٢٢(هـ)
النساء	١١٣	ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت ...	٢٢٠
النساء	١٢٠	يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا	٨٥
النساء	١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين	١٩٧
النساء	١٣٨	بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً	٤٣٧
النساء	١٤٥	إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار	٤٣٧

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
النساء	١٥٠	إن الذين يكفرون بالله ورسله	٦٩ ، ٣٧٥ ، ٦١٦
النساء	١٥١	أولئك هم الكافرون حقاً	٦٩ ، ٣٧٥ ، ٦١٦
النساء	١٥٢	والذين آمنوا بالله ورسله ...	٦٩ ، ٦١٦
النساء	١٥٩	وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به	٥٦٦
النساء	١٦٣	إنا أوحينا إليك كما أوحينا	١١٥ ، ١١٨
النساء	١٦٤	ورسلاً قد قصصناهم عليك	١١٥ ، ١١٨
النساء	١٦٥	رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون	٤٠٩ ، ٦٢٤
النساء	١٧١	إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون	٢٩٣
المائدة	٢	يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	١٩٧
المائدة	٣	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم	٢٠٥
المائدة	٤٤	إنا أنزلنا التوارة ومن لم يحكم بما أنزل الله	٤١٩ ، ٧٣٥
المائدة	٤٥	وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس	٤١٩
المائدة	٤٦	وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ...	٤١٩
المائدة	٤٧	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه	٤١٩
المائدة	٤٨	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً	٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٦٤٠
المائدة	٤٩	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	٢٠٨ ، ٣١٨
المائدة	٥٠	أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن	٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٨
المائدة	٥٦	ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا	٤٥١
المائدة	٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك	١٦٧ ، ٥٥٠
المائدة	٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل	٢٧٠ ، ٤٤٢
المائدة	٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	٢١٤
المائدة	٩١	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم	٢١٤
المائدة	٩٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا	٢٢٠
المائدة	٩٤	يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله	٩٧
المائدة	١١٠	... وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت	١٢٤

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
المائدة	١١١	وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا	١١١ ، مرتان
المائدة	١١٧	... وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم	٥٦٦
الأنعام	٦	... وأرسلنا السماء عليهم مدراراً	٢٤ ، ٣٩
الأنعام	٩	ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً	١٠٤
الأنعام	١٤	قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات	٦١٣
الأنعام	١٩	قل أي شيء أكبر شهادة ... وأوحي إلي هذا	٦١٨ ، ٧١٨
الأنعام	٢٥	ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على	٧١٣
الأنعام	٢٦	وهم ينهون عنه وينأون عنه	٧١٤
الأنعام	٢٧	ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا	٧١٤
الأنعام	٢٨	بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل	٧١٤
الأنعام	٣٣	قد نعلم إنه ليحزنك فإنهم لا يكذبونك	١٣٣ ، ٣٨٠
الأنعام	٣٥	وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت	٥٦٣
الأنعام	٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله	٦٠٢
الأنعام	٥٤	وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا	٧٤
الأنعام	٧٣	وهو الذي خلق السموات والأرض	٧٢
الأنعام	٨٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه	٥٦٧
الأنعام	٨٤	ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا	٥٦٧
الأنعام	٨٥	وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس	٥٦٧
الأنعام	٨٦	وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً	٥٦٧
الأنعام	٨٧	ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم	٥٦٧
الأنعام	٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده	٣٣٨، ٦١٥
الأنعام	٩١	وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا	١٠٤، ٣٧٦، ٥٢٩
الأنعام	٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	١٧٣، ٣٨١، ٧١٢
الأنعام	٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها	٢٦٦
الأنعام	٩٨	وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة	٢٦٦
الأنعام	١٠٦	اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو	٥٦٣
الأنعام	١٠٧	ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك	٥٦٣

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الأنعام	١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	١٥١
الأنعام	١١٠	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم	١٥١
الأنعام	١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة	١٥١
الأنعام	١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين	١١٠، ٤٠٥
الأنعام	١١٣	ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون	١٠٥
الأنعام	١١٥	وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً	٢١٩
الأنعام	١٢١	ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	٢٠٩
الأنعام	١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن	٥١، ١٦١
الأنعام	١٢٨	ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن	٢٠٠
الأنعام	١٣٠	يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل	١٩٩
الأنعام	١٤٥	قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم	٦١٩
الأنعام	١٤٨	سيقول الذين أشركوا لو شاء الله	٤٤٢
الأنعام	١٤٩	قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم	٤٤٢
الأنعام	١٥٠	قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله	٤٤٢
الأنعام	١٥١	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	٦٨٦
الأنعام	١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله	٤٣٤، ٧٣٣، ٧٣٨
الأنعام	١٦٣	لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين	٤٣٤، ٧٣٣، ٧٣٨
الأنعام	١٦٥	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ...	٥٠، ٧٥، ٩٥، ٤٧٣
الأعراف	١٦	قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك	٤٠٣
الأعراف	١٧	ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم	٤٠٣
الأعراف	٥٤	إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض	٥١٤
الأعراف	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم	١٢٤
الأعراف	٩٤	وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا	٣٩، ٤١
الأعراف	١٠١	تلك القرى نقص عليك من أنبائها	١٩
الأعراف	١٠٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا	٦٩٧
الأعراف	١٠٤	وقال موسى يا فرعون إني رسول	١٣٢

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الأعراف	١٠٥	حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق	١٣٢
الأعراف	١٠٦	قال إن كنت جئت بآية	١٣٢
الأعراف	١٠٧	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين	١٣٢
الأعراف	١٠٨	ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين	١٣٢
الأعراف	١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين	٦٤٤
الأعراف	١٣١	فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه	٦٤٤
الأعراف	١٣٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية	٦٤٤
الأعراف	١٤٤	قال يا موسى إني اصطفيتك	٥١ (هـ)، ١١٨
الأعراف	١٥٢	إن الذين اتخذوا العجل سينالهم	١٣٠
الأعراف	١٥٦	اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة	٢٠٧
الأعراف	١٥٧	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي	٤٢، ٢٠٧، ٢١٣- ٢١٤، ٢٢٠
الأعراف	١٦٩	فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب	٧٠٩
الأعراف	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ...	٨٠، ٩١، ٢٦١، ٦٠٣
الأعراف	١٨٤	أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة	٦٠٣
الأنفال	٢	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله	٤٣٣، ٤٥٦
الأنفال	٣	الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون	٤٣٣
الأنفال	٤	أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات	٤٣٣
الأنفال	٢٢	إن شر الدواب عند الله الصم البكم	٢٦٧
الأنفال	٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة	٧٥
الأنفال	٣٠	... ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين	٢٤٤ (هـ)
الأنفال	٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٢٧٠
التوبة	٦	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره	١١٩، ٧١٨
التوبة	٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون	٤٥، ٤٤١، ٥١٤، ٧٣٧

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
التوبة	٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار	٤٧٣
التوبة	٣٥	يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها	٤٧٣
التوبة	٤٧	ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً	٤٣٧
التوبة	٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا	٤٣٧
التوبة	٥٣	قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم	٥٣، ٤٧٠
التوبة	٥٤	وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم	٤٣٧، ٤٣٩
التوبة	٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم	٤٣٧
التوبة	٥٦	ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم	٤٣٧، ٤٣٩
التوبة	٥٧	لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً	٤٣٧
التوبة	٦٤	يحذر المنافقون أن تنـــزل عليهم سورة	١٩
التوبة	١٠٣	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها	٤٧٥
التوبة	١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	٤٥٢
التوبة	١٢٠	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب	٤٥٨
التوبة	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	٣٣٨
يونس	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل	٥٨٥
يونس	٥	هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً	٧٣
يونس	٧	إن الذين لا يرجون لقاءنا	١٣٣
يونس	٨	أولئك مأواهم النار	١٣٣
يونس	٢٢	هو الذي يسيركم في البر والبحر	٨٣
يونس	٢٣	فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض	٨٣
يونس	٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله	٧١٧
يونس	٣٨	أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة	١٧٧
يونس	٤١	وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم	٢٦٨
يونس	٤٢	ومنهم من يستمعون إليك	٢٦٨
يونس	٤٣	ومنهم من ينظر إليك	٢٦٨
يونس	٦٢	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	٤٥٧
يونس	٦٣	الذين آمنوا وكانوا يتقون	٤٥٧
يونس	٦٤	لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة	٤٥٧

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
يونس	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم	٨٦، ٢٩٠
يونس	١٠٢	فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا	٤٠٧ (هـ)
يونس	١٠٣	ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ...	٤٠٧ (هـ)
هود	٤	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور	٥٦٤
هود	٧	وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام	٧٦
هود	٨	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك	١٧١، ١٨٣
هود	١٣	أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور	١٧٦، ٧١١
هود	١٤	فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل	٧١١
هود	١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها	٨٧
هود	١٦	أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار	٨٧
هود	٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه	١٥٥
هود	٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك	٢٦٥
هود	٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم	٢٦٥
هود	١٢٠	وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل	٧١٤
يوسف	١	ألر، تلك آيات الكتاب المبين	٦٧٢، ٦٩٢
يوسف	٦	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك	٥١ (هـ)
يوسف	٣٩	يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون	٢٠٩
يوسف	٤٠	ما تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها	٢٠٩
يوسف	٥٣	وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة	٥٣
يوسف	١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	٦٤١، ٦٩٣
يوسف	١٠٤	وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر	٦٩٣
يوسف	١٠٥	وكأين من آية في السموات والأرض	٦٩٣
يوسف	١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون	٢٩٣، ٦٩٣
يوسف	١٠٧	أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله	٦٩٣
يوسف	١٠٨	قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله	٦٩٣
يوسف	١١١	لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب	٢١٧، ٤٠١، ٤١٧
الرعد	١	ألر، تلك آيات الكتاب والذي أنزل	٦٧٣

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الرعد	٣	وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي	٢٦٧
الرعد	١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك	٢٦٦
الرعد	٢٧	ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه	٦٣٢
الرعد	٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم	٤٥٦
إبراهيم	١	ألر، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس	٦٨٤
إبراهيم	٢	الله الذي له ما في السموات وما في الأرض	٦٨٤
إبراهيم	٣	الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة	٦٨٤
إبراهيم	٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله	٤٠٤
إبراهيم	٣٧	ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع	٤٨٥
الحجر	١	ألر، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين	٦٧٢، ٦٨٨
الحجر	٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	١٨٠، ١٩١، ٥٣٠
الحجر	١٤	ولو فتحنا عليهم باباً من السماء	١٥١، ٦٤١
الحجر	١٥	لقالوا إنما سكرت أبصارنا	١٥١، ٥٢٣، ٦٤١
الحجر	٢٦	ولقد خلقنا الإنسان من صلصال	١٩٨
الحجر	٢٧	والجان خلقناه من قبل من نار السموم	١٩٨
الحجر	٢٨	وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً	٢٦٥
الحجر	٢٩	فإذا سويته ونفخت فيه من روحي	٢٦٥
الحجر	٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون	٢٦٥
الحجر	٤٩	نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم	٢٠
الحجر	٧٥	إن في ذلك لآيات للمتوسمين	١٧٢
الحجر	٧٦	وإنها لبسبيل مقيم	١٧٢
الحجر	٧٧	إن في ذلك لآية للمؤمنين	١٧٢
النحل	٥	والأنعام خلقها لكم فيها دفء	٩٤
النحل	٦	ولكم فيها جمال حين تريحون	٩٤
النحل	٧	وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه	٩٤
النحل	٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها	٩٤

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
النحل	١٢	وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم	٨٠
النحل	٢٠	ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات	٩٤
النحل	٣٠	وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ...	١٩٠
النحل	٣٥	وقال الذين أشركوا ... فهل على الرسل إلا البلاغ	٥٦٣، ٥٦٤
النحل	٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله	١٩٢، ٥٣٤
النحل	٣٧	إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي	٥٦٣
النحل	٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم	٢١٩
النحل	٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	٢٦٧
النحل	٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر	٦٤
النحل	٥٧	ويجعلون لله البنات سبحانه	٥٨٥
النحل	٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه	٢١٤
النحل	٦٨	وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال	١١١
النحل	٨٩	ويوم نبعث في كل أمة شهيداً ... ونزلنا عليك الكتاب	٢١٧، ٤٠١، ٥٦٦
النحل	١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك بالحق	٦٨٦
النحل	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر	١٦٣
النحل	١٢٢	وآتيناه في الدنيا حسنة	٦١٦
النحل	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	٦٠
الإسراء	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٦٧٩، ٦٨٤
الإسراء	١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا	٦٧٩، ٦٨٤
الإسراء	١٣	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	٦٩٠
الإسراء	١٤	اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً	٦٩٠
الإسراء	١٥	من اهتدى فإنما يهتدي ... وما كنا معذبين حتى ...	٢٠٠، ٤٠٩
الإسراء	١٨	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها	٨٧
الإسراء	١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها	٨٧
الإسراء	٢٠	كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك	٨٧
الإسراء	٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	٧٠١، ٧٠٣
الإسراء	٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين	٦٨٥
الإسراء	٥٥	وربك أعلم بمن في السموات والأرض	٦٥

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الإسراء	٦٣	قال اذهب فمن تبعك منهم	٤٠٤
الإسراء	٦٤	واستفزز من استطعت منهم بصوتك	٤٠٤
الإسراء	٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	٤٠٤
الإسراء	٧٠	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ...	٧٢، ٢٦٤
الإسراء	٧١	يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ...	٦٩١
الإسراء	٧٣	وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا	٥٩٢ (هـ)، ٧١٨
الإسراء	٧٤	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم	٧١٨
الإسراء	٧٥	وإذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات	٧١٨
الإسراء	٨٢	وننــزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة	٦٨٥
الإسراء	٨٥	ويسألونك عن الروح وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً	٤٦، ٣٧٩، ٣٤٩
الإسراء	٨٦	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا	٥٥٢ (هـ)
الإسراء	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن	١٩٣، ١٧٦، ١٩٩، ٧١٧
الإسراء	١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات	١٣٣
الإسراء	١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب	١٣٣
الإسراء	١٠٣	فأراد أن يستفزهم من الأرض	١٣٣
الكهف	٧	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم	٩٥، ٤٣٢
الكهف	٢٧	واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك	٥٩٢ (هـ)
الكهف	٢٩	وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن	٢٧٧
الكهف	٣٠	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٢٧٧
الكهف	٣١	أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم	٢٧٧
الكهف	٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه	٥٨٦
الكهف	٣٦	وما أظن الساعة قائمة	٥٨٦
الكهف	٤٩	ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين	٧٤، ٦٩١
الكهف	٥٤	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس	٩٩
الكهف	٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين	٧٠٤
مريم	١١	فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا	١١٠، ١١٢

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
مريم	١٦	واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت	٣٣
مريم	١٧	فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها	٣٣
مريم	١٨	قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت	٣٣
مريم	١٩	قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك	٣٣
مريم	٢٩	فأشارت إليه قالوا كيف نكلم	١٤١
مريم	٣٠	قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني	١٤١
مريم	٥١	واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً	٤٣، ١١٨
مريم	٥٢	وناديناه من جانب الطور الأيمن ...	١١٨
مريم	٥٤	واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان	٤٣
مريم	٥٨	أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين	٥١ (هـ)
مريم	٨٣	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين	٢٤
طه	٤٨	إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب ...	٦١٩
طه	١٢٣	قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ...	٤٥٧
الأنبياء	١٠	لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ...	٦٠٣
الأنبياء	١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ...	٣٢٥
الأنبياء	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه ...	٤٣٥
الأنبياء	٣٥	ونبلوكم بالشر والخير فتنة ...	٩٦، ٤٥٨
الأنبياء	٥١	ولقد آتينا إبراهيم رشده ...	١٦٧
الأنبياء	٧٠	وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين	١٢٦
الأنبياء	٧٤	ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه	٥٦٧
الأنبياء	٧٥	وأدخلناه في رحمتنا إنه كان من الصالحين	٥٦٧
الأنبياء	٩٦	حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج	٦٠٧
الحج	٢٧	وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً ...	٤٨٨
الحج	٢٨	ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ...	٤٨٨
الحج	٣٤	ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله	٣٤٤
الحج	٣٧	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها	٥١٢-٥١٣
الحج	٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق	١٧١
الحج	٤١	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة	١٧١

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الحج	٤٦	أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب	٧٨، ٩١، ٢٦٦، ٦٠٣
الحج	٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول	٣٨، ٣٩ مرتان، ٤٠ (هـ)، ٤١
الحج	٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له	٦٢٥
الحج	٧٤	وما قدروا الله حق قدره إن الله ...	٦٢٥
الحج	٧٥	الله يصطفي من الملائكة رسلاً	٤٨، ٥٧١
الحج	٧٨	... ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين ...	٥٦٥
المؤمنون	٢٣	ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه	١٠٣
المؤمنون	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه	١٠٣
المؤمنون	٨٠	وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل	٢٦٥
المؤمنون	١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم	٤٢٩
المؤمنون	١١٦	فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو	٤٢٩
النور	٣٣	والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم	٤٧١
النور	٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول	٢٢٢
النور	٤٨	وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ...	٢٢٢
النور	٤٩	وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين	٢٢٢، ٦٨١
النور	٥٠	أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ...	٢٢٢
النور	٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ...	١٧١، ٧٣٨
الفرقان	٥	وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى	١٨٧، ٧١٤
الفرقان	٦	قل أنزله الذي يعلم السر في السموات	٢٦٨، ٦٠٣، ٧١٤
الفرقان	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون	٧١٦
الشعراء	١	طسم	٦٩٢
الشعراء	٢	تلك آيات الكتاب المبين	٦٩٢، ٦٩٤
الشعراء	٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين	٦٩٥
الشعراء	٤	إن نشأ ننـــزل عليهم من السماء آية	٦٩٥
الشعراء	٥	وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث	٦٩٥

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الشعراء	٦	فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء	٦٩٥
الشعراء	٧	أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها	٦٩٥
الشعراء	٨	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين	١٧١، ٦٩٥
الشعراء	٩	وإن ربك لهو العزيز الرحيم	٦٩٥
الشعراء	١٦	إنا رسول رب العالمين	٢٢ (هـ)
الشعراء	٦٧	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين	٦٩٧
الشعراء	٦٨	وإن ربك لهو العزيز الرحيم	٦٩٧
الشعراء	١٩٢	وإنه لتنـــزيل رب العالمين	٧١٨
الشعراء	١٩٣	نزل به الروح الأمين	٧١٨
الشعراء	١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين	٧١٨
الشعراء	١٩٥	بلسان عربي مبين	٧١٨
الشعراء	٢٢١	هل أنبئكم على من تنـــزل الشياطين	١٤٩
الشعراء	٢٢٢	تنـــزل على كل أفاك أثيم	١٤٩
النمل	١	طس، تلك آيات القرآن وكتاب مبين	٦٧٢ مرتان، ٦٨٨، ٦٩٢، ٦٩٥
النمل	٦	وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم	٦١٨
النمل	١٢	وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء	٦٤٤
النمل	١٣	فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر	٦٤٤
النمل	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	١٣٢، ٦٤٤
النمل	٤٠	فلما رآه مستقراً عنده قال هذا	٩٦
النمل	٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ...	٤٨، ٦١٧
النمل	٦٦	بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في	٤٥٩
النمل	٨٢	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة	٦٠٧
النمل	٨٨	وترى الجبال تحسبها جامدة	٧١
النمل	٩١	إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة	٦٨٠، ٦٩٥
النمل	٩٢	وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما	٦٨٠، ٦٩٥
القصص	١	طسم	٢٦٢
القصص	٢	تلك آيات الكتاب المبين	٢٦٢

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
القصص	٣٢	اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء	١٢٤، ١٣٩
القصص	٤٨	فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي	٣٩٩
القصص	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي	٥٦٢
القصص	٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ...	٢٧٠
العنكبوت	١	ألم	٩٣، ٤٢٤
العنكبوت	٢	أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ...	٩٣، ٤٢٤
العنكبوت	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن	٩٣، ٤٢٤
العنكبوت	٤٥	اتل ما أوحي إليك من الكتاب	١٧٣، ٦٨٣
العنكبوت	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	٦٨٣
العنكبوت	٤٧	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب	٦٨٣
العنكبوت	٤٨	وما كنت تتلو من قبله من كتاب	١٦٤، ٦٨٣
العنكبوت	٤٩	بل هو آيات بينات في صدور الذين	٦٧٤، ٦٨٢ مرتان، ٦٨٣
العنكبوت	٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه	١٧٣
العنكبوت	٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب	١٧٣
العنكبوت	٦٣	ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً	٨٠، ٦٠٣
الروم	٢	غلبت الروم	٦٠٨
الروم	٣	في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون	٦٠٨
الروم	٤	في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ...	٦٠٨
الروم	٥	بنصر الله ينصر من يشاء	٦٠٨
الروم	٦	وعد الله لا يخلف الله وعده	٦٠٨
الروم	٧	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا	٩٨، ٤٥٩، ٦٠٨
الروم	٨	أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات	٧٣، ٩٨، ٦٠٣
الروم	٩	أولم يسيروا في الأرض فينظروا	١٧٢
الروم	١٠	ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى	١٧٢
الروم	٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله	٨١، ٨٢، ٤٢١ مرتان
الروم	٣٨	فآت ذا القربى حقه والمسكين	٤٧٠

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الروم	٣٩	وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس	٤٧٠
الروم	٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم	٧٤، ١٢٧
الروم	٥١	ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً	٣٩
لقمان	٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات ...	٩٤
الأحزاب	٧	وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ...	٤١، ٤٢، ٦٦
الأحزاب	٩	فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ...	٣٩
الأحزاب	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...	٦١٢، ٦٦٦
الأحزاب	٣١	... وأعتدنا لها رزقاً كريماً	١٤٥
الأحزاب	٣٤	واذكرن ما يتلى في بيوتكن	٦٢
الأحزاب	٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	٢٠٦، ٦٨٨
الأحزاب	٤٥	يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً	٥٦٥
الأحزاب	٥٠	... للنبي إن أراد	١٤ (هـ)
الأحزاب	٥٣	... لا تدخلوا بيوت النبي	١٤ (هـ)
الأحزاب	٥٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٦١٧
سبأ	٢٠	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	٨٥
سبأ	٢١	وما كان له عليهم من سلطان	٨٥
سبأ	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ...	١٩٨
سبأ	٤٦	قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله	٢٦٧
فاطر	٢	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك	٢٤
فاطر	١٠	من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً ...	٤٥١
فاطر	٢٢	وما يستوي الأحياء ولا الأموات	٨٠
فاطر	٢٤	إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ...	٣٤٧
فاطر	٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً	٤٩٧
فاطر	٢٨	ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ...	٤٩٧
فاطر	٣١	والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق	٦٧٣
يس	٧	لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين	٨٠
يس	١٢	إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم	٦٧١، ٦٩٠
يس	٦٩	وما علمناه الشعر وما ينبغي له	٨٠
الصافات	٧٨	وتركنا عليه في الآخرين	٦١٧

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الصافات	٧٩	سلام على نوح في العالمين	٤٨، ٦١٧
الصافات	٩٨	فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين	١٢٩
الصافات	٩٩	وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين	٥٩٣
الصافات	١٠٠	رب هب لي من الصالحين	٥٩٣
الصافات	١٠١	فبشرناه بغلام حليم	٥٩٣
الصافات	١٠٢	فلما بلغ معه السعي قال يا بني ...	٥٩٣-٥٩٤
الصافات	١٠٣	فلما أسلما وتله للجبين	٥٩٤
الصافات	١٠٤	وناديناه أن يا إبراهيم	٥٩٤
الصافات	١٠٥	قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين	٥٩٤
الصافات	١٠٦	إن هذا لهو البلاء المبين	٥٩٤
الصافات	١٠٧	وفديناه بذبح عظيم	٥٩٤
الصافات	١٠٨	وتركنا عليه في الآخرين	٥٩٤، ٦١٧
الصافات	١٠٩	سلام على إبراهيم	٤٨، ٥٩٤، ٦١٧
الصافات	١١٠	كذلك نجزي المحسنين	٥٩٤
الصافات	١١١	إنه من عبادنا المؤمنين	٥٩٤
الصافات	١١٩	وتركنا عليهما في الآخرين	٦١٧
الصافات	١٢٠	سلام على موسى وهارون	٦١٧
الصافات	١٢٩	وتركنا عليه في الآخرين	٦١٧
الصافات	١٣٠	سلام على إل ياسين	٦١٧
الصافات	١٣٣	وإن لوطاً لمن المرسلين	٥٦٤
الصافات	١٣٤	إذ نجيناه وأهله أجمعين	٥٦٤
الصافات	١٣٥	إلا عجوزاً في الغابرين	٥٦٤
الصافات	١٣٦	ثم دمرنا الآخرين	٥٦٤
الصافات	١٣٧	وإنكم لتمرون عليهم مصبحين	١٧٢
الصافات	١٣٨	وبالليل أفلا تعقلون	١٧٢
الصافات	١٤٩	فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون	٥٨٥
الصافات	١٥٠	أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون	٥٨٥
الصافات	١٥١	ألا إنهم من إفكهم ليقولون	٥٨٥
الصافات	١٥٢	ولد الله وإنهم لكاذبون	٥٨٥

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الصافات	١٥٣	أصطفى البنات على البنين	٥٨٥
الصافات	١٥٤	ما لكم كيف تحكمون	٥٨٥
الصافات	١٥٥	أفلا تذكرون	٥٨٥
الصافات	١٧١	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين	١٢٩، ١٧٢
الصافات	١٧٢	إنهم لهم المنصورون	١٢٩، ١٧٢
الصافات	١٧٣	وإن جندنا لهم الغالبون	١٢٩، ١٧٢
الصافات	١٨١	وسلام على المرسلين	٦١٣
ص	٥	أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا	٢٩٢
ص	٦	وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا	٢٩٢
ص	٧	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة	٢٩٢
ص	٨	أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك	٥٧٢
ص	٢٢	إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا	٦٨٧
ص	٢٦	يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض	٦٨٧
ص	٢٧	وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما	٧٢
ص	٢٨	أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٢٧، ٤٢٩
ص	٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا	٢٦٦، ٢٦٧، ٣٣٩
ص	٤٥	واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب	٦١٥
ص	٤٦	إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار	٦١٥
ص	٤٧	وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار	٤٨، ٦١٥
ص	٤٨	واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل	٦١٦
الزمر	١١	قل إني أمرت أن أعبد الله	٦١٣
الزمر	١٢	وأمرت لأن أكون أول المسلمين	٦١٣
الزمر	٢٢	... فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ...	٢٢، ٤٢٥
الزمر	٦٥	ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك	٦١٣
غافر	٣٥	الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ...	٥٦٩
غافر	٥١	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا	١٢٨، ١٧٢
غافر	٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان	٣٨٦
غافر	٦٧	هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة	٢٦٥
فصلت	٤٠	إن الذين يلحدون في آياتنا	٨٦

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
فصلت	٤٦	من عمل صالحاً فلنفسه	٧٤
فصلت	٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	٦٤٤
الشورى	٦	والذين اتخذوا من دونه أولياء ...	٥٦٣
الشورى	١١	فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً...	٢٩٦
الشورى	١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً	٦١٨،٦٦
الشورى	٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين	٢٠٩، ٤٤٢-٤٤٣
الشورى	٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا	٤٤٢
الشورى	٢٤	أم يقولون افترى على الله كذباً	١٢٩
الشورى	٣٨	والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة	٣٣٥
الشورى	٤٨	وإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ...	٥٦٣
الشورى	٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً	١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦
الزخرف	٦	وكم أرسلنا من نبي في الأولين	٤١،٣٩
الزخرف	١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ...	٥٨٥
الزخرف	٣١	وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل	٤٩
الزخرف	٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم	٤٦، ٤٩ مرتان، ٥٠
الزخرف	٤٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون	٦٤٤
الزخرف	٤٧	فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون	٦٤٤
الزخرف	٤٨	وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها	٦٤٤
الزخرف	٤٩	وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك	٦٤٤
الزخرف	٨١	قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين	٢٩٣
الدخان	٣٨	وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين	٧٢
الدخان	٣٩	ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون	٧٢
الجاثية	١٣	وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً	٤٣٢،٩٥
الجاثية	٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات	٤٣٠
الجاثية	٢٣	أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله	٣٤٤
الجاثية	٢٧	ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة ...	٦٩١
الجاثية	٢٨	وترى كل أمة جاثية كل أمة	٦٩١
الجاثية	٢٩	هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق	٦٩١

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الأحقاف	٢٩	وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن	٢٠١، ٦٦٩
الأحقاف	٣٠	قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً	٢٠١، ٦٦٩
الأحقاف	٣١	يا قومنا أجيبوا داعي الله	٢٠١، ٢٠٢ مرتان، ٦٦٩
الأحقاف	٣٢	ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز	٢٠١، ٢٠٢ ثلاث مرات، ٢٠٣، ٦٦٩
الأحقاف	٣٣	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ...	٢٩٣
الأحقاف	٣٥	فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ...	٦٥
محمد	٤	فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب	٩٢
محمد	١٧	والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم	٦٦٣
محمد	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٦٣٩، ٦٧٩
محمد	٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم	٩٢
محمد	٣٨	ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله	٤٧٦
الفتح	٣	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	٦١٦
الفتح	٨	إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً	٥٦٥، ٦١١
الفتح	٩	لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه	٦١١
الفتح	١٧	ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج	٩٠
الفتح	٢٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	١٧٠
الحجرات	٦	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	١٩
الحجرات	١٠	إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم	٣٢١
الحجرات	١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم	٣٢١
الحجرات	١٢	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن	٣٢١
الحجرات	١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	٥٧٤
ق	٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب	٧٨
الذاريات	٢٠	وفي الأرض آيات للموقنين	٢٦٥
الذاريات	٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢٦٥
الذاريات	٢٤	هل أتاك حديث ضيف إبراهيم ...	٣٣
الذاريات	٢٥	إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ...	٣٣
الذاريات	٢٦	فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين	٣٣

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الذاريات	٢٧	فقربه إليهم قال ألا تأكلون	٣٣
الذاريات	٢٨	فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف	٣٣
الذاريات	٢٩	فأقبلت امرأته في صرة فصكت	٣٣
الذاريات	٣٠	قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم	٣٣
الذاريات	٣١	قال فما خطبكم أيها المرسلون	٣٣
النجم	٣٢	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ...	٤٥٧
النجم	٣٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	٢٨٧
النجم	٤٠	وأن سعيه سوف يرى	٢٨٧
النجم	٤١	ثم يجزاه الجزاء الأوفى	٢٨٧
القمر	١	اقتربت الساعة وانشق القمر	١٥٠
القمر	٢	وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر	١٥٠
القمر	٣	وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر	١٥٠
القمر	٢٥	أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر	٥٧٢
القمر	٥٢	وكل شيء فعلوه في الزبر	٦٩٠
القمر	٥٣	وكل صغير وكبير مستطر	٦٩٠
الرحمن	١	الرحمن	٤٦، ٣٠٤
الرحمن	٢	علم القرآن	٤٦، ٣٠٤
الرحمن	٣	خلق الإنسان	٤٦
الرحمن	٤	علمه البيان	٤٦
الرحمن	١٤	خلق الإنسان من صلصال كالفخار	٤٦
الرحمن	١٥	وخلق الجان من مارج من نار	٢٠٤
الرحمن	٦٨	فيهما فاكهة ونخل ورمان	٤١
الواقعة	٧٧	إنه لقرآن كريم	١٤٥
الحديد	٧	آمنوا بالله ورسله وأنفقوا مما جعلكم ...	٤٧١
الحديد	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا	٦٦٧، ٧٢٩
المجادلة	١٢	يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول	٢١٥
المجادلة	١٣	أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم	٢١٥
المجادلة	٢١	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي	١٢٧
المجادلة	٢٢	لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون	٣٢١

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الممتحنة	٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ...	٣٢٥
الصف	٦	وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل	١٦١
الصف	٨	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم	٦٢١
المنافقون	١	إذا جاءك المنافقون والله يشهد إن المنافقين ...	٤٣٩، ٦٧٦ مرتان
المنافقون	٢	اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله	٤٣٩، ٦٧٦
المنافقون	٨	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ... ولكن المنافقين	٤٥١، ٤٥٣
التغابن	٣	خلق السموات والأرض بالحق وصوركم	٩١
التغابن	١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده	٨٤ مرتان
التحريم	٣	وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً	١٩
الملك	٣	الذي خلق سبع سموات طباقاً	٧١، ٦٤٤
الملك	٤	ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر	٧١، ٦٤٤
الملك	١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	٢١٠
الملك	١٥	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا	٢٦٥، ٣٤١
القلم	٤	وإنك لعلى خلق عظيم	٣٣٧ (هـ)
القلم	٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين	١٢٧، ٥٣٥
القلم	٣٦	ما لكم كيف تحكمون	٥٣٥
الحاقة	١٩	فأما من أوتي كتابه بيمينه	٦٩١
الحاقة	٢٥	وأما من أوتي كتابه بشماله	٦٩١
الحاقة	٤٣	تنــزيل من رب العالمين	٥٧١
الحاقة	٤٤	ولو تقول علينا بعض الأقاويل	١٢٩، ٣٧٧، ٥٧١، ٦١٨
الحاقة	٤٥	لأخذنا منه باليمين	١٢٩، ٣٧٧، ٥٧١، ٦١٨
الحاقة	٤٦	ثم لقطعنا منه الوتين	١٢٩، ٣٧٧، ٥٧١، ٦١٨
الحاقة	٤٧	فما منكم من أحد عنه حاجزين	١٢٩، ٣٧٧، ٥٧١، ٦١٨
المعارج	١٩	إن الإنسان خلق هلوعاً	٢٩١
المعارج	٢٠	إذا مسه الشر جزوعاً	٢٩١
المعارج	٢١	وإذا مسه الخير منوعاً	٢٩١

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
المعارج	٢٢	إلا المصلين	٢٩١
المعارج	٢٣	الذين هم على صلاتهم دائمون	٢٩١
المعارج	٢٤	والذين في أموالهم حق معلوم	٢٩١
المعارج	٢٥	للسائل والمحروم	٢٩١
المعارج	٢٦	والذين يصدقون بيوم الدين	٢٩١
المعارج	٢٧	والذين هم من عذاب ربهم مشفقون	٢٩١
الجن	١	قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن	٦٧٩
الجن	٢	يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك	٦٧٩
الجن	٦	وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال	٥٨٤
الجن	١٣	وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن	٢٠٣
الجن	١٤	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون	٢٠٠، ٢٠٣
الجن	١٥	وأما القاسطون فكانوا لجنهم حطباً	٢٠٠، ٢٠٣
الجن	٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً	١٦٧
الجن	٢٧	إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك	١٦٧
الجن	٢٨	ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم	١٦٧
المزمل	١٠	واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً	٤٠٧ (هـ)
المزمل	١١	وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً	٤٠٧ (هـ) مرتان
المزمل	١٢	إن لدينا أنكالاً وجحيماً	٤٠٧ (هـ)
المزمل	١٥	إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم	٥٦٥
المدثر	١٦	كلا إنه كان لآياتنا عنيداً	٤٣٢
المدثر	١٧	سأرهقه صعوداً	٤٣٢
المدثر	١٨	إنه فكر وقدر	٤٣٢
المدثر	١٩	فقتل كيف قدر	٤٣٢
المدثر	٢٠	ثم قتل كيف قدر	٤٣٢
المدثر	٢١	ثم نظر	٤٣٢
المدثر	٢٢	ثم عبس وبسر	٤٣٢
المدثر	٢٣	ثم أدبر واستكبر	٤٣٢
المدثر	٢٤	فقال إن هذا إلا سحر يؤثر	٤٣٢
المدثر	٢٥	إن هذا إلا قول البشر	٤٣٢

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
المدثر	٢٦	سأصليه سقر	٤٣٢
المدثر	٤٣	قالوا لم نك من المصلين	٤٤١
القيامة	١	لا أقسم بيوم القيامة	٨٨
القيامة	٢	ولا أقسم بالنفس اللوامة	٨٨
القيامة	١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به	٥٩٢
القيامة	١٧	إن علينا جمعه وقرآنه	٥٩٢
القيامة	١٨	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه	٥٩٢
القيامة	٣٦	أيحسب الإنسان أن يترك سدى	١٠٢، ٤٣٠
القيامة	٣٧	ألم يك نطفة من مني يمنى	١٠٢
القيامة	٣٨	ثم كان علقة فخلق فسوى	١٠٢
القيامة	٣٩	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى	١٠٢
الإنسان	١	هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن	٧٦، ٥٦٣
الإنسان	٢	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ...	٧٦، ٩٠، ٢٨٧، ٣٨٥، ٥٦٣-٥٦٤
الإنسان	٣	إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً	٩٠، ٢٨٧، ٣٨٥، ٥٦٤
الإنسان	٤	إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً	٩٠، ٢٨٨
الإنسان	٥	إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً	٩٠، ٢٨٨
النبأ	١	عم يتساءلون	٢٠
النبأ	٢	عن النبأ العظيم	٢٠
النازعات	٤	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	٧٥
عبس	١	عبس وتولى	٦٧٥، ٧٠٠
عبس	٢	أن جاءه الأعمى	٦٧٥، ٧٠٠
التكوير	١٩	إنه لقول رسول كريم	٢٤
التكوير	٢٣	ولقد رآه بالأفق المبين	١١٦
الانفطار	٦	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم	٩١
الانفطار	٧	الذي خلقك فسواك فعدلك	٩١
الانفطار	٨	في أي صورة ما شاء ركبك	٩١
الانفطار	٩	كلا بل تكذبون بالدين	٩١

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
البروج	١٩	بل الذين كفروا في تكذيب	٦٨٩
البروج	٢٠	والله من ورائهم محيط	٦٨٩
البروج	٢١	بل هو قرآن مجيد	٦٧١، ٦٨٩
البروج	٢٢	في لوح محفوظ	٦٧١، ٦٨٩
الطارق	١٥	إنهم يكيدون كيداً	٤٠٧ (هـ)
الطارق	١٦	وأكيد كيداً	٤٠٧ (هـ)
الطارق	١٧	فمهل الكافرين أمهلهم رويداً	٤٠٧ (هـ) مرتان
الغاشية	٢١	فذكر إنما أنت مذكر	٥٦٣
الغاشية	٢٢	لست عليهم بمسيطر	٥٦٣
الفجر	١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه ...	٥٠، ٩٥، ٤٥٥، ٤٧٣
الفجر	١٦	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ...	٥٠، ٩٥، ٤٥٥، ٤٧٣
الفجر	١٧	كلا بل لا تكرمون اليتيم	٥٠، ٩٥، ٤٥٥
الفجر	٢٧	يا أيتها النفس المطمئنة	٤٥٧
الفجر	٢٨	ارجعي إلى ربك راضية مرضية	٤٥٧
الفجر	٢٩	فادخلي في عبادي	٤٥٧
الفجر	٣٠	وادخلي جنتي	٤٥٧
الشمس	٧	ونفس وما سواها	٨١، ١٩٦، ٤٢٨
الشمس	٨	فألهمها فجورها وتقواها	٨١، ١٩٦، ٤٢٨
الشمس	٩	قد أفلح من زكاها	٨١
الشمس	١٠	وقد خاب من دساها	٨١
الليل	٥	فأما من أعطى واتقى	٦٦٣
الليل	٦	وصدق بالحسنى	٦٦٣
الليل	٧	فسنيسره لليسرى	٦٦٣
الضحى	٤	وللآخرة خير لك من الأولى	٦١٦
الضحى	٥	ولسوف يعطيك ربك فترضى	٦١٦
الضحى	٦	ألم يجدك يتيماً فآوى	٦١٦
الضحى	٧	ووجدك ضالاً فهدى	٦١٦

اسم السورة	رقم الآية	الآية	مكان ورودها
الضحى	٨	ووجدك عائلاً فأغنى	٦١٦
الشرح	١	ألم نشرح لك صدرك	٦١٦
الشرح	٢	ووضعنا عنك وزرك	٦١٦
الشرح	٣	الذي أنقض ظهرك	٦١٦
الشرح	٤	ورفعنا لك ذكرك	٦١٦
التين	٧	فما يكذبك بعد بالدين	٤٣٠
التين	٨	أليس الله بأحكم الحاكمين	٤٣٠
العلق	١	اقرأ باسم ربك الذي خلق	٥٨٨
العلق	٢	خلق الإنسان من علق	٥٨٨
العلق	٣	اقرأ وربك الأكرم	٥٨٨
العلق	٤	الذي علم بالقلم	٤٦
العلق	٥	علم الإنسان ما لم يعلم	٤٦
الناس	١	قل أعوذ برب الناس	٤١٤
الناس	٢	ملك الناس	٤١٤
الناس	٣	إله الناس	٤١٤
الناس	٤	من شر الوسواس الخناس	٤١٤
الناس	٥	الذي يوسوس في صدور الناس	٤١٤
الناس	٦	من الجنة والناس	٤١٤

ثانيا : فهرس الأحاديث الشريفة الواردة في الرسالة:

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
١	أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة ..	متن	أبو هريرة	٦٠
٢	أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ..	متن	أبو هريرة	٦١
٣	أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت ..	متن	عبد الله بن مسعود	٢٠٤
٤	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ..	متن	عائشة بنت الصديق	١١٧،٣٥٩، ٥٨٨
٥	إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك ..	متن	البراء بن عازب	٤٣-٤٤
٦	إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن ..	هـ	أبو هريرة	٥٤
٧	أرني النبي صلى الله عليه وسلم...... بالجعرانة ومعه ... نفر...	متن	عمر بن الخطاب	٥٩٠
٨	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ..	متن	جابر بن عبد الله	٣١
٩	اغزوا باسم الله في سبيل الله	متن	بريدة بن الحصيب	٣٢٦
١٠	اقرؤوا -أي القرآن- فكل حسن ..	متن	جابر بن عبد الله	٥٠٧
١١	اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ..	متن	عبد الرحمن بن شبل	٥٠٨
١٢	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ..	متن	أبو هريرة	٤٥١
١٣	اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق	متن	عبد الله بن عمر	٢٢٣- ٢٢٤
١٤	ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي ..	متن	أبو سعيد الخدري	٤٣٧
١٥	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	متن	المقدام بن معد يكرب	٢٢٢
١٦	ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون ..	متن	سعد بن أبي وقاص	٢٠٧
١٧	ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه ..	متن	عدد من أبناء الصحابة بلغوا (٣٠)	٣٢٦
١٨	ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ..	متن	المقدام بن معد يكرب	٢٢٢
١٩	ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت ..	متن	النعمان بن بشير	٥١٢
٢٠	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا ..	متن	عدي بن حاتم الطائي	٤٤٢
٢١	أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام ..	هـ	عبد الله بن عمر	٤٩١
٢٢	أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له ..	متن	عمر بن أبي سلمة	٦١٣
٢٣	أنا سيد الناس يوم القيامة	متن	أبو هريرة	٦٥
٢٤	أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ..	متن	العباس بن عبد المطلب	١٥٨
٢٥	الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	متن	سعد بن أبي وقاص	٣٦٠، ٥٧٧
٢٦	إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال...	هـ	عروة عن عائشة	٣٣٦

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
٢٧	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ..	متن	عمر بن الخطاب	٦٩
٢٨	إن بين يدي الساعة لفتنة	هـ	أبو موسى الأشعري	٦٠٩
٢٩	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك	متن	محمود بن لبيد	٤٣٦
٣٠	إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر ..	متن	عمار بن ياسر	٤٣٦،٥٠٩
٣١	إن روح القدس نفث في روعي ..	متن	أبو أمامة الباهلي	١١٤
٣٢	إن العلماء ورثة الأنبياء ..	متن	أبو الدرداء	٢٨
٣٣	إن في الجنة باباً يقال له الريان...	متن	سهل بن سعد الساعدي.	٤٦١
٣٤	إنك تقدم على قوم أهل الكتاب	متن	عبد الله بن عباس	٢١٠
٣٥	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب	متن	عبد الله بن عباس	٥٣٤
٣٦	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل	متن	واثلة بن الأسقع	١٥٨
٣٧	إن الله قال من عادى لي ولياً	متن	أبو هريرة	٤٥٥-٤٥٦ ٤٧٨
٣٨	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	هـ	أبو هريرة	٢٧٧
٣٩	إنما جعل الإمام ليؤتم به	هـ	عائشة بنت الصديق	٣٣٦
٤٠	إنما جعل رمي الحجار والطواف والسعي	متن	عائشة بنت الصديق	٤٤٨
٤١	إنما سعى الرسول صلى الله عليه وسلم بالبيت وبين الصفا والمروة...	هـ	عبد الله بن عباس	٤٩٠
٤٢	إنما هو جبريل لم أره على صورته	متن	عائشة بنت الصديق	١١٦
٤٣	أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم...	هـ	أنس بن مالك	٦٦٢
٤٤	إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس	متن	سهل بن سعد الساعدي	٣٢٢
٤٥	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	متن	أبو هريرة	٢٠٦
٤٦	إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي ..	هـ	عبد الله بن عباس	٣٣٦
٤٧	إن هذا والله والذي جاء به موسى	متن	أم سلمة (أم المؤمنين)	١٥٣
٤٨	إني سائلك فمشدد عليك في المسألة ..	متن	أنس بن مالك	٣٥٦
٤٩	إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما...	متن	أبو هريرة	٢٢٣
٥٠	أن يبيع حاضر لباد ولا تناجشوا	متن	أبو هريرة	٣٢٥
٥١	أن يستام الرجل على سوم أخيه	متن	أبو هريرة	٣٢٥
٥٢	أول ما بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي...	متن	عائشة بنت الصديق	٦١٩
٥٣	أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع...	متن	أبو الدرداء	٤٥٢

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
٥٤	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	متن	أبو هريرة	٣٢٤
٥٥	بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ...	متن	أبو هريرة	٤٧٣
٥٦	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك	متن	النواس بن سمعان الأنصاري	٨٨
٥٧	ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم	متن	النعمان بن بشير	٣٢٢
٥٨	ثم يضرب بمطرقة من حديد	متن	أنس بن مالك	٢٠٠
٥٩	جاءه أعرابي فقال له يا نبيء الله	متن	أبو ذر الغفاري	١٥
٦٠	حديث الأبرص والأقرع والأعمى	هـ	أبو ذر الغفاري	٣٤
٦١	حديث الرجل الذي زار أخاه في قرية أخرى	هـ	أبو ذر الغفاري	٣٤
٦٢	خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ..	هـ	أنس بن مالك	٣٣٧
٦٣	رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين ...	هـ	أبو هريرة	٥٤
٦٤	رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع...	متن	أبو هريرة	٥٠٩
٦٥	سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان الرسول	هـ	عائشة بنت الصديق	٣٣٧
٦٦	الصيام جنة...، فلا يرفث ولا يجهل	متن	أبو هريرة	٤٤٦
٦٧	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم...	متن	عبد الله بن عمر	٤٦١
٦٨	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	متن	النواس بن سمعان	٨٨
٦٩	ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره ...	متن	عبد الله بن عباس	٦٣
٧٠	العبد إذا وضع في قبره ..	هـ	أنس بن مالك	٢٠٠
٧١	العلماء ورثة الأنبياء ...	هـ	أبو الدرداء	٢٨
٧٢	عليك بالصوم فإنه لا مثل له	متن	أبو أمامة	٤٦٢
٧٣	عليكم بكثرة السجود لله	متن	أبو أمامة	٤٦٢
٧٤	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما	متن	أبو هريرة	٤٨٢
٧٥	غزا نبي من الأنبياء فغزا، فدنا من القرية ..	هـ	أبو هريرة	٥٦٠
٧٦	فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ...	متن	معاذ بن جبل، عبد الرحمن بن عائش، ابن عباس، أبو أمامة، أبو رافع، أم الطفيل، زوجة أبي بن كعب، أبو عبيدة ابن الجراح	٣٥٩

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
٧٧	فإذا رجل مستلق على قفاه ...	متن	سمرة بن جندب	٥٠٨
٧٨	فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد	متن	أبو هريرة	٢٠٦
٧٩	فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع	متن	عمر بن الخطاب	٣٣٦
٨٠	فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين ...	متن	العرباض بن سارية	٢٢٣
٨١	فمن أدركه منكم فليقرأ عليه ...	هـ	النواس بن سمعان	٦٠٩
٨٢	قصة إبراهيم وإسماعيل وبئر زمزم	هـ	سمرة بن جندب	٤٨٤
٨٣	قصة إبراهيم ورمي الجمار	هـ	سمرة بن جندب	٤٨٤
٨٤	قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون	هـ	عبد الله بن عباس	٤٩٠
٨٥	كان بشراً من البشر	هـ	عائشة بنت الصديق	٣٣٧
٨٦	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ...	هـ	أبو هريرة	٢٩
٨٧	كان خلقه القرآن	هـ	عائشة بنت الصديق	٣٣٧
٨٨	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين	هـ	الأحنف بن قيس	٣٣٧
٨٩	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلف في المسير	هـ	جابر بن عبد الله	٣٣٧
٩٠	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض	هـ	عبد الله بن عباس	٣٣٦
٩١	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير	هـ	أنس بن مالك	٣٣٧
٩٢	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار	هـ	أنس بن مالك	٣٣٦
٩٣	كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً	هـ	أنس بن مالك	٣٣٧
٩٤	كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس	هـ	أنس بن مالك	٣٣٨
٩٥	كان النبي صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة على الناس	هـ	أبو واقد البكري	٣٣٧
٩٦	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي ...	متن	عبادة بن الصامت	٥٨٩
٩٧	كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ...	هـ	أنس بن مالك	٣٣٦
٩٨	كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنـــزيل شدة	متن	عبد الله بن عباس	٥٩٠
٩٩	كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر	هـ	عبد الله بن أبي أوفى	٣٣٦

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
١٠٠	كلا والله ما يخزيك الله أبداً	هـ	عائشة بنت الصديق	٥٢-٥٣
١٠١	كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ...	متن	أبو هريرة	٤٦٠-٤٦١
١٠٢	لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ...	متن	أنس بن مالك	٣٢٤
١٠٣	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا	متن	أبو هريرة	٣٢٢-٣٢٣
١٠٤	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...	متن	ثوبان	١٩١
١٠٥	لا تفضلوا بين أنبياء الله	متن	أبو هريرة	٦٦
١٠٦	لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ...	متن	أبو رافع مولى النبي	٢٢٢
١٠٧	لقد خشيت على نفسي	متن	عائشة بنت الصديق	١٥٢،٣٥٣
١٠٨	لو لم يبق من الدهر إلا يوم ...	هـ	علي بن أبي طالب	٦٠٩
١٠٩	ما بال هذا ؟ قال نذر أن يمشي	متن	أنس بن مالك	٤٢٤
١١٠	ما كان أحد من الناس أحب إليهم شخصاً ...	هـ	أنس بن مالك	٣٣٥
١١١	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ...	متن	أبو هريرة	٥٦٧
١١٢	ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة ...	متن	عائشة بنت الصديق	٤٥٨
١١٣	ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي ...	متن	جابر بن عبد الله	٤٧٧-٤٧٨
١١٤	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه ...	متن	عبد الله بن مسعود	٨٤، ٦٦٥
١١٥	المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن ...	متن	أبو هريرة	٣٢٢
١١٦	ما من مولود إلا يولد على الفطرة ...	متن	أبو هريرة	٨٢، ١٠٧
١١٧	المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ...	متن	أبو هريرة	٣٢٣
١١٨	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ...	متن	عبد الله بن عمر	٣٢٣
١١٩	المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ...	متن	عبد الله بن عمرو	٣٢٣-٣٢٤
١٢٠	المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه ...	متن	النعمان بن بشير	٣٢٢
١٢١	من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ...	متن	أبو هريرة	٥٠٩
١٢٢	من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ...	هـ	أبو هريرة	٤٩١
١٢٣	من دعا إلى هدى كان له من الأجر ...	متن	أبو هريرة	٥٦٧
١٢٤	من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً ...	هـ	أبو الدرداء	٢٨
١٢٥	من قام رمضان إيماناً واحتساباً ...	متن	أبو هريرة	٤٦٠
١٢٦	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ...	متن	أبو هريرة	٤٦٠

الرقم	الحديث	موضعه	راويه	رقم الصفحة
١٢٧	من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ...	متن	عبد الله بن عمرو	٣٢٦
١٢٨	من قرأ القرآن فليسأل الله به ...	متن	عمران بن حصين	٥٠٨
١٢٩	من كانت الآخرة همه جعل الله غناه ...	متن	أنس بن مالك	٤٥٩
١٣٠	من لم يدع قول الزور والعمل به ...	متن	أبو هريرة	٥٠٩
١٣١	نضر الله امرءاً سمع مقالتي ...	متن	عبد الله بن مسعود	٤٨٩
١٣٢	نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو	متن	عبد الله بن عباس	٤٨٩
١٣٣	نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ...	متن	بريدة بن الحصيب	٢١٥
١٣٤	هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ...	متن	عائشة بنت الصديق	١٥٢
١٣٥	هلم إلى جهاد لا شوكة فيه ...	هـ	الحسن بن علي	٤٨٦
١٣٦	والإثم ما حاك في نفسك وكرهت ...	متن	النواس بن سمعان	٨٨
١٣٧	وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ...	متن	عائشة بنت الصديق	١١٧
١٣٨	وأما الرجل الذي رأيت مستلقياً على قفاه ...	متن	سمرة بن جندب	٥٠٨
١٣٩	وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا...	هـ	أبو سعيد الساعدي	٣٣٧
١٤٠	ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس ...	متن	أبو هريرة	٦٦
١٤١	ولا تناجشوا ...	متن	أبو هريرة	٣٢٤
١٤٢	والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر	متن	أبو سفيان	١٥٤-١٥٥
١٤٣	يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث ...	هـ	خالد بن عرفطة	٦٠٩
١٤٤	يا رسول الله أرأيت هذا المترل؟، أمترلاً	هـ	الحباب بن المنذر بن الجموح.	٣٣٦
١٤٥	يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ...	متن	أبو ذر	٥٠٤
١٤٦	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ...	متن، هـ	أبو ذر.	٧٤، ٥٠٤

ثالثاً: فهرس المراجع

ويحتوي على:

أولاً: ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه.

ثانياً: ما يتعلق بالحديث الشريف وعلومه.

ثالثاً: ما يتعلق بالعقيدة وعلومها والمذاهب المختلفة.

رابعاً: ما يتعلق بالرجال وتراجم الأعلام والسيرة.

خامساً: ما يتعلق باللغة العربية وآدابها وعلومها.

سادساً: كتب متفرقة.

أولاً مايتعلق بالقرآن الكريم وعلومه:

١- القرآن الكريم .

٢- الإتقان في علوم القرآن؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تصوير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت مصورة عن طبعة المطبعة الحجازية المصرية ١٣٦٨هـ.

٣- أحسن الحديث؛ محمد سعيد رمضان البوطي من منشورات المكتب الإسلامي

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم؛ تفسير أبي السعود؛ محمد بن محمد العمادي، أبو السعود، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ٩ مجلدات

٥- إعجاز القرآن الكريم؛ محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد السيد أحمد صقر، طبع ونشر دار المعارف بمصر، ط ثالثة

٦- إعجاز القرآن؛ عبد الكريم الخطيب، الكتاب الثاني الإعجاز في مفهوم جديد ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي، طبع بمطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط١ أولى، ١٩٦٤م

٧- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق؛ حفني محمد شرف ط بمطابع الأهرام التجارية؛ القاهرة: ١٣٩٠هـ وهو الكتاب الرابع من سلسلة كتب أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، اللجنة العامة للقرآن والسنة، ج ع م، وأشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة

٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية؛ مصطفى صادق الرافعي ط دار الفكر العربي

٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة؛ عبد الفتاح قاضي الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط أولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

١٠- البرهان في علوم القرآن؛ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان (٤ مجلدات)

١١- بيان إعجاز القرآن (ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) بن محمد بن إبراهيم الخطابي تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام ط دار المعارف، بمصر، ثانية ١٣٨٧هـ

١٢- بينات المعجزة الخالدة؛ حسن ضياء الدين عتر ط دار النصر، حلب – سوريا، أولى ١٣٩٥هـ.

١٣- التبيان في آداب حملة القرآن؛ أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، التوزيع مكتبة المؤيد، الطائف – السعودية

١٤- التبيان في أقسام القرآن؛ شمس الدين بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تصوير دار الفكر، وهي مصورة عن ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر؛ ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م

١٥- التبيان في علوم القرآن؛ محمد علي الصابوني دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت – لبنان، ط أولى؛ ١٣٩٠ – ١٩٧٠م ط مطابع دار القلم؛ بيروت – لبنان

١٦- التذكرة في القراءة الثمان؛ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحلبي، ت ٣٩٩هـ، دراسة وتحقيق أيمن رشدي سويد ط أولى؛ ١٤١٢ – ١٩٩١م ضمن سلسلة أصول النشر ١ الإخراج الفني راسم للدعاية والإعلان؛ جدة – السعودية يطلب من الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم؛ جدة – السعودية

١٧- تفسير البحر المحيط؛ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تصوير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م عن طبعة مطبعة السعادة مصر ١٣٢٩هـ

١٨- تفسير البيضاوي؛ البيضاوي (ت ٨٩١هـ) تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة دار الفكر بيروت ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م

١٩- تفسير التحرير والتنوير؛ محمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤م

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن

٢٠- تفسير القرآن العظيم؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار المعرفة للطباعة والنشر؛ بيروت – لبنان، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

٢١- التفسير الكبير؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) المطبعة البهية المصرية مصر

- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ط الثانية ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م

٢٣- الجامع لأحكام القرآن؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية ط الثانية

٢٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، بيروت ط أولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

٢٥- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند مؤسسة علوم القرآن دمشق، سوريا، بيروت – لبنان ط الثانية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ محمود الألوسي أبو الفضل (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت

٢٧- حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، على تفسير البيضاوي تصوير دار صادر؛ بيروت – لبنان

٢٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير؛ محمد بن علي الشوكاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع معلومات النشر بدون

٢٩- في ظلال القرآن؛ سيد قطب ط مطابع الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر ط عاشرة شرعية ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٣٠- القراءات العشر المتواترة؛ إعداد محمد كريم راجح، ومحمد فهد خاروف فكرة ونشر علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه دار المهاجر للنشر والتوزيع المدينة، المملكة العربية السعودية

٣١- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين؛ محمد الصادق إبراهيم عرجون، طبع دار الاتحاد العربي للطباعة بمصر؛ ١٣٨٦هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية؛ بمصر، ط أخرى دار القلم، دمشق – سوريا، الدار الشامية – بيروت – لبنان ط ثانية؛ ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م

٣٢- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط دار القلم دمشق، سوريا، لبنان، ط ثانية ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م

٣٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) دار المعرفة بيروت – لبنان – معلومات، الطبع بدون

٣٤- مباحث في إعجاز القرآن؛ مصطفى مسلم دار المنارة للنشر والتوزيع جدة – السعودية، توزيع البشير، جدة، ط أولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٣٥- مباحث في علوم القرآن؛ صبحي الصالح، ط دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط الرابعة، ١٩٦٥.

٣٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق وتعليق الرحالي الطارق وآخرون، طبع مؤسسة دار العلوم الدوحة – قطر ط أولى، الدوحة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م

٣٧- معارج التفكر ودقائق التدبر؛ تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل)؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني دار القلم، دمشق، الدار الشامية؛ بيروت، توزيع دار البشير؛ جدة ط أولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

٣٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق علي محمد البجاوي طبع ونشر دار الفكر العربية (ثلاثة أجزاء)

٣٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط الرابعة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م

٤٠- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن؛ نصر حامد أبو زيد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م

٤١- مناهل العرفان في علوم القرآن؛ محمد عبد العظيم الزرقاني تصوير دار الفكر لطبعة عام ١٣٦٢هـ، ١٩٤٣م

٤٢- المهذب في القراءات العشر، وتوجيهها من طريق طيبة النشر؛ محمد سالم محيسن مكتبة الكليات الأزهرية ط دار الأنوار للطباعة، الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م

٤٣- الناسخ والمنسوخ؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس تحقيق د. محمد عبد السلام محمد - نشر مكتبة الفلاح؛ الكويت ط أولى؛ ١٤٠٨هـ

٤٤- النبأ العظيم؛ محمد عبد الله دراز طبع مطبعة السعادة؛ مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

٤٥- النكت في إعجاز القرآن؛ علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني رسالة مطبوعة ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام ط دار المعارف؛ مصر؛ ثانية، ١٣٨٧هـ

ثانياً ما يتعلق بالحديث وعلومه:

١- الآحاد والمثاني ؛ أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (٢٠٦ - ٢٥٧هـ) تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة نشر دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ط أولى

٢- الأحاديث المختارة؛ أبو عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧ - ٦٤٣هـ) تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش نشر مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة ط أولى، ١٤١٠هـ.

٣- الأحاديث الطوال؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر مطبعة الأمة ط الثانية، ١٤٠٤هـ

٤- الأدب المفرد؛ محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م

٥- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار؛ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني (ت ٥٨٤هـ) نشره وعلق عليه وصححه راتب حاكمي ط أولى، مطبعة الأندلس حمص، سوريا، ١٣٨٦هـ - ١٩٩٦م

٦- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث مسند الحارث؛ الحارث بن أبي أسامة، الزوائد؛ الحافظ نور الدين الهيثمي تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية؛ المدينة المنورة، ط أولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٧- تحفة الأحوذي؛ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، أبو العلا (١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية بيروت

٨- الترغيب والترهيب؛ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (٥٨١ - ٦٥٦هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية؛ بيروت ط أولى؛ ١٤١٧هـ

٩- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف نشر المكتبة العلمية؛ المدينة المنورة طبع دار التراث؛ القاهرة ط الثانية؛ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م

١٠- التعليق المغني على سنن الدار قطني؛ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (مطبوع مع سنن الدار قطني)

١١- التمهيد؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٣٦٨ - ٤٦٣هـ) تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ المغرب ١٣٨٧هـ

١٢- تيسير مصطلح الحديث؛ محمود الطحان توزيع مكتبة الرشد؛ الرياض ط الخامسة؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

١٣- حاشية السندي على سنن النسائي؛ أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ) (مطبوع مع سنن النسائي).

١٤- حجية السنة؛ د. عبد الغني عبد الخالق سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١) المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر ط ثانية؛ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

١٥- حلية الأولياء؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) نشر دار الكتاب العربي بيروت ط الرابعة ١٤٠٥هـ

١٦- خلق أفعال العباد؛ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦هـ). تحقيق د. عبد الرحمن عميرة دار المعارف السعودية الرياض؛ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

١٧- روائع من أقول الرسول صلى الله عليه وسلم (دراسة لغوية وفكرية وأدبية)؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت ط رابعة؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

١٨- الزهد؛ ابن المبارك، عبد الله بن واضح المروزي أبو عبد الله (١١٨ - ١٨١هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي نشر دار الكتب العلمية بيروت

١٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام؛ محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الفكر للطباعة والنشر؛ بيروت، لبنان، ط الولي؛ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م

٢٠- السنة قبل التدوين؛ د. محمد عجاج الخطيب دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت- لبنان ط ثالثة؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٢١- سنن الترمذي؛ محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩ - ٢٧٩هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون نشر دار إحياء التراث العربي بيروت

٢٢- سنن الدار قطني؛ علي بن عمر، أبو الحسن الدار قطني البغدادي (٣٠٦ - ٣٨٥هـ) تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني نشر دار المعرفة؛ بيروت؛ ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م

٢٣- سنن الدارمي؛ عبد الله بن عبد الرحمن، أبو محمد الدارمي (١٨١ - ٢٥٥هـ) تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي نشر دار الكتاب العربي؛ بيروت أولى، ١٤٠٧هـ

٢٤- سنن أبي داود؛ سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار الفكر

٢٥- سنن سعيد بن منصور؛ سعيد بن منصور (٢٢٧هـ) تحقيق سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد نشر دار العصيمي؛ الرياض ط أولى؛ ١٤١٤هـ

٢٦- السنن الكبرى؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ). تحقيق محمد عبد القادر عطا نشر مكتبة دار الباز؛ مكة المكرمة؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٢٧- السنن الكبرى؛ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ). تحقق عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن نشر دار الكتب العلمية؛ بيروت ط أولى؛ ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٢٨- سنن ابن ماجه؛ محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار الفكر؛ بيروت

٢٩- سنن النسائي (المجتبي من السنن المسندة)؛ أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٥ - ٣٠٣هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة نشر مكتب المطبوعات الإسلامية؛ حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م طبع دار البشائر الإسلامية

٣٠- شرح السنة؛ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، زهير شاويش طبع بأمر الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، المكتب الإسلامي

٣١- شرح السيوطي لسنن النسائي؛ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) (مطبوع مع سنن النسائي)

٣٢- شرح معاني الآثار؛ أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة، أبو جعفر الطحاوي (٢٢٩-٣٢١هـ) تحقيق محمد زهري النجار نشر دار الكتب العلمية؛ بيروت ط أولى، ١٣٩٩هـ.

٣٣- شرح النووي على مسلم؛ محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) (مطبوع مع صحيح مسلم بشرح النووي) وهو طبع ونشر دار الفكر للطباعة والنشر؛ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٤- شعب الإيمان؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) له تحقيقان التحقيق الأول تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول دار النشر دار الكتب العلمية؛ بيروت - لبنان ط أولى، ١٤١٠هـ، (ثمانية مجلدات) التحقيق الثاني تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي الناشر الدار السلفية، بومباي - الهند ط أولى، ١٤٠٦ - ١٤١٦هـ، ١٩٨٦ - ١٩٩٦م (عشرون مجلد)

٣٥- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري؛ محمد ناصر الدين الألباني دار الصديق ط الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٣٦- صحيح البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ) تحقيق د. مصطفى ديب بغا - نشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت - لبنان، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٣٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته؛ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ط الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٣٨- صحيح ابن حبان؛ محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط نشر مؤسسة الرسالة؛ بيروت ط الثانية؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٣٩- صحيح ابن خزيمة؛ محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي النيسابوري (٢٢٣ - ٣١١هـ) تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي نشر المكتب الإسلامي؛ بيروت؛ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

٤٠- صحيح سنن الترمذي؛ محمد ناصر الدين الألباني أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير شاويش طبع ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج توزيع المكتب الإسلامي ط أولى؛ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٤١- صحيح سنن أبو داود؛ صحح أحاديثه ناصر الدين الألباني اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير شاويش طبع ونشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج الرياض توزيع المكتب الإسلامي ط أولى؛ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م

٤٢- صحيح سنن ابن ماجة؛ محمد ناصر الدين الألباني إشراف زهير شاويش نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج بيروت. ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٤٣- صحيح سنن النسائي؛ محمد ناصر الدين الألباني أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير شاويش طبع ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة؛ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٤٤- صحيح مسلم؛ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي

٤٥- صحيفة همام بن منبه؛ همام بن منبه تحقيق علي حسن علي عبد الحميد المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار؛ عمان، ط أولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٤٦- العجالة في الأحاديث المسلسلة؛ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي دار البصائر؛ دمشق ط ثانية؛ ١٩٨٥م

٤٧- العلل المتناهية؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧) تحقيق خليل الميس دار الكتب العلمية؛ بيروت ط أولى؛ ١٤٠٣هـ

٤٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المسمى بالعيني على البخاري، البخاري هو محمد بن إسماعيل، والعيني بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد المعروف بالبدر العيني (ت ١٥٥هـ) تصوير دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، طبعة المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ

٤٩- فتح الباري، بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري؛ أحمد بن حجر العسقلاني، [ت ٨٥٢هـ] قرأ أصله تحقيقاً وتعليقاً عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الثلاثة أجزاء الأول فقط). رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ط المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة - مصر، ١٣٨٠ - ١٣٩٠م

٥٠- فوائد حديثية؛ محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ) تحقيق وتخريج أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، أبي معاذ إياد بن عبد اللطيف القيسي سلسلة مكتبة ابن القيم (١)، دار ابن الجوزي؛ الدمام - السعودية ط أولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ينشر لأول مرة

٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، وهو جلال الدين عبد الرحمن السيوطي والشرح لمحمد عبد الرؤوف المناوي طبعة محققة من لجنة من العلماء دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية؛ ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م وهي طبعة مصورة عن طبعة عام ١٣٥٧هـ

٥٢- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ) تحقيق وتعليق أحمد الفلاش مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الثالثة؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٥٣- الكفاية في علم الرواية؛ أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٩٣-٤٦٣هـ) تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني المكتبة العلمية، المدينة المنورة

٥٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) نشر دار الريان للتراث؛ القاهرة، مصر، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ١٤٠٧هـ

٥٥- المدخل إلى السنن الكبرى؛ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي؛ أبو بكر ت ٤٥٨هـ) تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي دار الخلفاء للكتاب الإسلامي؛ الكويت ١٤٠٤هـ

٥٦- المرض والكفارات؛ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي (ت ٢٨١هـ) تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط أولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥٧- المستدرك على الصحيحين؛ محمد بن عبد الله، أبوعبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

٥٨- مسند أحمد بن حنبل؛ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (١٦٦ - ٢٤١هـ) نشر مؤسسة قرطبة مصر وهي تصوير للطبعة الميمنية، مصر ١٣١٣هـ

٥٩- مسند إسحاق بن راهويه؛ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (١٦١ - ٢٣٨هـ) تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي نشر مكتبة الإيمان؛ المدينة المنورة ط أولى، ١٤١١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩١م - ١٩٩٥م

- مسند الحارث (زوائد الهيثمي) انظر بغية الباحث

٦٠- مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي (ت ٢١٩هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. نشر دار الكتب العلمية؛ بيروت - لبنان، مكتبة المتنبي ، القاهرة

٦١- مسند الربيع؛ الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري تحقيق محمد أدريس عاشور بن يونس نشر دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان ط أولى، ١٤١٥هـ

٦٢- مسند الروياني؛ محمد بن هارون الروياني، أبو بكر (ت ٣٠٧) تحقيق أيمن علي أبو يماني مؤسسة قرطبة؛ القاهرة، ط أولى، ١٤١٦هـ

٦٣- مسند الشافعي؛ محمد بن إدريس، أبو عبد الله الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ) نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٤- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م

٦٥- مسند الشهاب؛ محمد بن سلامة بن جعفر، أبو عبد الله القضاعي (ت ٤٥٤هـ) وهو المسمى بمسند القضاعي تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م

٦٦- مسند الطيالسي؛ سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) نشر دار المعرفة، بيروت

٦٧- مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد)؛ عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكشي (ت:٢٤٩هـ) تحقيق صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي نشر مكتبة السنة؛ القاهرة ط أولى؛ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٦٨- مسند أبي يعلى؛ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (٢١٠ - ٣٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد نشر دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ، ط أولى، ١٩٨٤م

٦٩- مشكاة المصابيح؛ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي (ت بعد ٧٣٧هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني طبع ونشر المكتب الإسلامي؛ دمشق، ط أولى، ١٣٨٠ - ١٣٨٢هـ، ١٩٦١ - ١٩٦٢م

٧٠- مصنف ابن أبي شيبة؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (١٥٩ - ٢٣٥هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت نشر مكتبة الرشد؛ الرياض، ط أولى ١٤٠٩هـ

٧١- مصنف عبد الرزاق؛ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي نشر المكتب الإسلامي؛ بيروت، ط الثانية؛ ١٤٠٣هـ

٧٢- معالم السنن (شرح سنن أبي داود)؛ حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت ٣٨٨هـ) (مطبوع مع مختصر سنن أبي داود) طبع مطبعة أنصار السنة المحمدية؛ ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م

٧٣- المعجم الأوسط؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد بن عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني نشر دار الحرمين؛ القاهرة، ١٤١٥هـ

٧٤- المعجم الصغير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير نشر المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان ط أولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٧٥- المعجم الكبير؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل ط ا لثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٧٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي؛ للكتب الستة، ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين بمساعدة محمد فؤاد عبد الباقي، نشره أ.ي ونسنك، وأتبع نشره ي برجمان طبع مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٩٣٩ - ١٩٦٩م

٧٧- مكارم الأخلاق؛ (ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي) (٢٠٨ - ٢٨١هـ) تحقيق مجدي السيد إبراهيم مكتبة القرآن، القاهرة، ط ١٤١١، ١٩٩٠م

٧٨- المنتقى لابن الجارود؛ عبد الله بن علي بن الجارود، أبو محمد النيسابوري (ت ٣٠٧هـ) تحقيق عبد الله عمر البارودي نشر مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٧٩- الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) وهو المقصود بالطبعة المحققة لمسند أحمد، توزيع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت - لبنان، ط أولى؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٨٠- موطأ مالك؛ مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي (٩٣ - ١٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي، مصر

٨١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح منتقى الأخبار؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت - لبنان، يطلب من دار إحياء التراث العربي ط ١٩٧٣م

٨٢- هدي الساري، مقدمة فتح الباري بشرح صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب أشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة

ثالثاً ما يتعلق بالعقيدة وعلومها والمذاهب المختلفة:

١- ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق بيروت، يطلب من دار البشير جدة ط أولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني، طبع ونشر دار القلم بدمشق، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد؛ لإمام الحرمين الجويني ت ٤٧٨ حققه وعلق عليه: د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، الناشر مكتبة الخانجي مصر ط مطبعة السعادة بمصر، ١٣٦٩ ١٩٥٠

٤- الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة، عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ) تحقيق وتعليق مصطفى عاشور، نشر مكتبة ابن سينا، القاهرة

٥- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام؛ د. علي عبد الواحد الوافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة

٦- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه؛ د. يوسف القرضاوي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط مطبعة المدني، القاهرة، السابعة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

٧- الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة والطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دار الهدى للمطبوعات ط الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

٨- أصول الدين؛ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التيميمي البغدادي ت ٤٢٩هـ). تصوير دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط الثالثة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م وهي مصورة عن طبعة مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية مطبعة الدولة، إستانبول ط أولى، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م

٩- اعتقاد الإمام ابن حنبل؛ عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي دار المعرفة، بيروت

١٠- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه السلام؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله ت ٦٧١) تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨

١١- أعلام النبوة؛ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م

١٢- أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك؛ سامي نجيب محمد دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية ط الأولى

١٣- الاقتصاد في الاعتقاد؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥). تقديم د. عادل العوا نشر: دار الأمانة بيروت، لبنان طبع دار الكتب، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

١٤- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، د. نصر حامد أبو زيد، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية؛ ١٩٩٦م

١٥- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به؛ أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري ت ٤٠٣هـ) تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري أشرف على مراجعته أصله وتصحيحه عبد الوهاب بن عبد اللطيف، طبع مطبعة السنة المحمدية، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ثانية ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م

١٦- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ت: ٧٢٨هـ) خرج أحاديثه وعلق عليه، محمد شاكر الشريف، طبع ونشر مكتبة التوعية الإسلامية القاهرة، ط أولى، ١٤٠٧هـ

١٧- الإيمان والعمل؛ الإمامة الجزء الخامس من كتاب من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، دار النمر للطباعة

١٨- بدائع الفوائد؛ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ تصوير دار الفكر لطبعة المطبعة المنيرية

١٩- بيان مذهب الباطنية؛ منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد صلى الله عليه وسلم، تأليف محمد بن الحسن الديلمي عني بتصحيحه ر. شدوطمان الناشر إدارة ترجمان السنة؛ لاهور / باكستان ط في مطبعة جاويد رياض، الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م المكتبة الإمدادية؛ مكة المكرمة

٢٠- تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل مما عني بتنقيحه وتخليصه وتهذيب مضمنه وتلخيصه؛ أبو طالب عقيل بن عطية القضاعي ت ٦٠٨هـ تحقيق ودراسة موسى بن عبد العزيز بن عبد الله الغصن رسالة دكتوراه، إشراف د. صالح بن محمد الرشود، عام: ١٤١١هـ.

٢١- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد؛ إبراهيم بن محمد البيجوري دار الكتب العلمية، ط أولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٢٢- التسعينية؛ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨ دراسة وتحقيق د. محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

٢٣- تلبيس إبليس؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي ٥١٠ ٥٩٧)، تحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط أولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٢٤- تنزيه القرآن عن المطاعن؛ إملاء: القاضي عبد الجبار بن أحمد. فيه طبعتان: أولا: الشركة الشرقية للنشر والتوزيع/ دار النهضة الحديثة؛ بيروت؛ لبنان. بدون تاريخ. ثانيا: المكتبة الأزهرية؛ القاهرة؛ ط: ١٣٢٩ هـ.

٢٥- التوحيد، الجزء الثاني من كتاب من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، مكتبة مدبولي، دار النمر للطباعة

٢٦- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد؛ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٢٣٣هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الخامسة، ١٤٠٢هـ)

٢٧- الجزاء الأخروي، دراسة تحليلية نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، إعداد محمد عبد الرحمن حبنكة الميداني، رسالة ماجستير، عام ١٤١٤هـ

٢٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ٦٦١-٧٢٨هـ)، النسخة المحققة د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، ط أولى، ١٤١٤هـ، النسخة الثانية، ط مطابع المجد التجارية

٢٩- حاشية زين الدين قاسم على المسايرة زين الدين قاسم بن قطلو بغا الحنفي ت ٨٧٩هـ ١٤٤٧م مطبوع مع المسامرة بشرح المسايرة، انظرها

٣٠- حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية، متن العقائد؛ النسفي شرحه سعد الدين التفتازاني، حاشيته؛ الفاضل الكستلي، تصوير طبعة المطبعة العثمانية، إستانبول، ١٣١٥هـ

٣١- الحركات الباطنية في الإسلام؛ مصطفى غالب، دار الكتاب العربي

٣٢- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ت ٧٢٨ هـ تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، مكتبة ابن تيمية.

٣٣- دراسات في النفس الإنسانية؛ محمد قطب دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت لبنان ط سابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٣٤- دستور الأخلاق في القرآن؛ دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية، الكويت، طبع المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، ط أولى، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م ١٩٧٤م

٣٥- دلائل النبوة؛ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن المكتبي، صاحب المكتبة السلفية بالمدينة، ط دار النصر للطباعة، القاهرة، أولى، ١٣٨٩هـ، جزءان)

٣٦- دلائل النبوة؛ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ٤٥٧ ٥٣٥هـ تحقيق محمد محمد الحداد دار طيبة الرياض، ط أولى، ١٤٠٩هـ

٣٧- دلائل النبوة، جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، أبو بكر ٢٠٧ ٣٠١هـ تحقيق عامر حسن صبري دار حراء، مكة المكرمة، ط أولى، ١٤٠٦هـ

٣٨- الرسل والرسالات؛ عمر سليمان الأشقر، نشر مكتبة الفلاح، الكويت، طبع مطابع القبس التجارية، ط الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٣٩- زاد المعاد في هدي خير العباد؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، مكتبة المنار الإسلامية، ط الخامسة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٤٠- شرح الأصول الخمسة؛ عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥هـ تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم. حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، طبع مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط أولى، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م

٤١- شرح العقيدة الأصفهانية؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، قدم له وعرف به حسنين محمد مخلوف، نشر دار الكتب الحديثة، مصر

٤٢- شرح العقيدة الطحاوية؛ العقيدة الطحاوية ل أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت ٣٢١هـ) وشرحها لـ صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢هـ) تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، طبع ونشر المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط السادسة، ١٤٠٠هـ بيروت

٤٣- شرح المقاصد؛ مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مطبعة دار التأليف

٤٤- شرح المواقف في علم الكلام؛ للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت ٨١٦ هـ ، تقديم وتحقيق وتعليق د. أحمد المهدي نشر مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع دار الحمامي للطباعة

٤٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدرة والحكمة والتعليل؛ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٤٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء؛ أحمد بن محمد بن محمد الشمني ط دار الفكر، بيروت، لبنان؛ الأخيرة؛ ١٩٨٥م، جزءان في مجلد

٤٧- شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ شرح وتحقيق د. مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

٤٨- الصفدية؛ أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق د محمد رشاد سالم، طبع على نفقة أحد المحسنين، ط الثانية، ١٤٠٦هـ

٤٩- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دمشق، ط ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٥٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين؛ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ تحقيق ومراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع مطابع الدوحة الحديثة، طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح بن ناصر آل ثاني

٥١- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة؛ عبد الكريم نوفان فواز عبيدات، نشر دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط أولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٥٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ تصحيح الناشر زكريا علي يوسف، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع طبعة مصورة عن طبع مطبعة الإمام

٥٣- العدل؛ المجلد الثالث من العقيدة إلى الثورة؛ د. حسن حنفي، مكتبة مدبولي،دار النمر للطباعة

٥٤- عصمة الأنبياء عليهم السلام بين المسلمين وأهل الكتاب؛ أحمد عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف، رسالة ماجستير، إشراف د. محي الدين الصافي، بحث ماجستير مقدم في فرع العقيدة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م

٥٥- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم؛ د. محمد أبو النور الحديدي طبع مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

٥٦- العقود الجوهرية، لحل الأسئلة المغربية، انظر الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة

٥٧- العقيدة الإسلامية وأسسها؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طبع ونشر، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط الثالثة، ١٩٨٣م، ١٤٠٣هـ

٥٨- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية؛ أحمد سعد حمدان الغامدي بإشراف د. عثمان عبد المنعم عيش رسالة ماجستير، مقدمة في قسم العقيدة؛ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية؛ جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٣٩٧ ١٣٩٨هـ

٥٩- العقيدة؛ روايات متعدد، عن عقيدة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، رواية، أحمد بن جعفر بن يعقوب الإصطخري، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، نشر دار قتيبة؛ دمشق، ط أولى؛ ١٤٠٨هـ

٦٠- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية؛ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت ٤٧٨هـ) رواية أبي بكر بن العربي عن الغزالي عن المؤلف، تقديم وتحقيق وتعليق د. أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، طبع مطبعة دار الشباب، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٩م.

٦١- العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة؛ سفر بن عبد الرحمن الحوالي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الكتاب الخامس والعشرون، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط الأولى؛ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٦٢- غاية المرام في علم الكلام؛ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سالم التغلبي الآمدي، ت ٦٣١هـ)، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م

٦٣- الفتاوى الكبرى؛ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس ٦٦١ ٧٢٨هـ) تحقيق حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط أولى، ١٣٨٦هـ

٦٤- الفرق بين الفرق؛ عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني ت ٤٢٩هـ ١٠٣٧م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع مطبعة المدني، القاهرة، نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة

٦٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الناشر، مكتبة الخانجي، مصر، ط ١٣٢١هـ

٦٦- فلسفة كانط؛ إميل بوترو ترجمه إلى العربية، د. عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٧- قاعدة في المحبة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨هـ تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، طبع دار المدينة المنورة للطبع والنشر، القاهرة

٦٨- القضاء والقدر في الإسلام؛ د. فاروق أحمد الدسوقي نشر المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخاني، الرياض، طبع المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

٦٩- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر؛ محمد صديق حسن خان القنوجي ١٢٤٨ ١٣٠٧هـ). تحقيق د. عاصم بن عبد الله القريوتي نشر عالم الكتب، بيروت، ط أولى ١٩٨٤م

٧٠- قواعد عقائد آل محمد صلى الله عليه وسلم؛ محمد بن الحسن الديلمي انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه

٧١- الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة؛ محمد شحرور، الناشران سينا للنشر، القاهرة، الأهالي، دمشق، طبع عربية للطباعة والنشر، القاهرة، الأولى، ١٩٩٢م

٧٢- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة؛ في سلسلة أعداء الإسلام ٦)؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م

٧٣- الكون والإنسان في التصور الإسلامي، د. حامد صادق قنيبي، نشر مكتبة الفلاح، الكويت، ط أولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م

٧٤- الكيد الأحمر؛ دراسة للشيوعية وجذورها وأفكارها وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة وواقع تدميرها الثوري الحقود والحسود، وجحيم تطبيقاتها، في سلسلة أعداء الإسلام ٤)؛ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط ثالثة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م

٧٥- لقط المرجان في أحكام الجان؛ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ دراسة وتحقيق مصطفى عاشور، طبع ونشر مكتبة القرآن، القاهرة

٧٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية؛ محمد بن أحمد السفاريني، عليها تعليقات لعبد الرحمن أبا بطين، وسليمان بن سحمان، ونقول من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ومكتبة أسامة، الرياض، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٧٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه طبع ونشر مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، أشرف على الطباعة والإخراج المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، طبع بأمر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، وعلى نفقته.

٧٨- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين؛ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط بالمطبعة الحسينية المصرية؛ الأولى، ١٣٢٣هـ

٧٩- محمد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، ط مطبعة التقدم، مصر

٨٠- مختصر الشمائل المحمدية؛ أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، اختصره وحققه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط الرابعة، ١٤١٣هـ

٨١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ) تحقيق محمد حامد فقي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبع السنة المحمدية، مصر، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م

٨٢- مذاهب الإسلاميين؛ د. عبد الرحمن بدوي، الجزء الأول، المعتزلة والأشاعرة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط ثالثة؛ ١٩٨٣م، الجزء الثاني الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية، الدروز، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط أولى ١٩٧٣م

٨٣- مذاهب فكرية معاصرة؛ محمد قطب دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت لبنان، ط أولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م

٨٤- المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين؛ محمد العروسي عبد القادر، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، ط أولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، تحت سلسلة في أصول الفقه ٣)

٨٥- المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام المسامرة لكمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن الشريف ت ٩٠٦ هـ، ١٥٠١م والمسايرة لكمال الدين محمد بن همام الدين عبد الواحد بن عبد الحميد الشهير بابن الهمام ت ٨٦١هـ، ١٤٥٧م تصوير لطبعة المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣١٧هـ

٨٦- المسايرة لكمال الدين محمد بن همام الدين عبد الواحد بن عبد الحميد ابن الهمام ت ٨٦١هـ، ١٤٥٧م) مطبوع مع المسامرة

٨٧- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي؛ عبد الرحمن بن زين الزنيدي، دار نقدية في ضوء الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ هيرندن؛ فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، مكتبة المؤيد؛ الرياض، السعودية، ط أولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٨٨- المعاد؛ حسن حنفي مطبوع مع النبوة؛ له

٨٩- معارج القبول بشرح مسلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد؛ حافظ بن أحمد حكمي، تصوير دار الفكر لطبعة المطبعة السلفية ومكتبتها مصر

٩٠- معالم أصول الدين؛ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مطبوع بحاشية كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين؛ الرازي، انظره

٩١- المعجزة؛ زمزم عبد الرحمن آدم رجال، رسالة ماجستير، إشراف د. محيى الدين الصافي مقدمة إلى قسم العقيدة والأديان، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م، ١٩٨٣م

٩٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة مصورة

٩٣- المقدمات النظرية، الجزء الأول من سلسلة من العقيدة إلى الثورة؛ حسن حنفي، مكتبة مدبولي، دار النمر للطباعة

٩٤- الملل والنحل، للشهرستاني؛ محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي ٤٧٩ ٥٤٨هـ تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العبد، طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط أولى، ١٩٧٧م.

٩٥- من العقيدة إلى الثورة، خمسة مجلدات، انظر المقدمات النظرية، التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة؛ حسن حنفي، مكتبة مدبولي، دار النمر للطباعة

٩٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية؛ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ت ٧٢٨هـ طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وهي تصوير لطبعة المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٢هـ

٩٧- المواقف في علم الكلام؛ عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحت سلسلة مطبوعات في علم الكلام، عالم الكتب؛ بيروت، توزيع مكتبة المتنبي، القاهرة، مكتبة سعد الدين؛ دمشق

٩٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط أولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م

٩٩- النص، السلطة، الحقيقية، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، د. نصر حامد أبو زيد، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط أولى، ١٩٩٥م

١٠٠- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨هـ ، وفيها طبعتين. الطبعة غير المحققة، ط: ١٣٤٦ هـ، تصوير: دار الفكر. الطبعة المحققة: وهي من تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان. الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية؛ عمادة البحث العلمي، رقم: (٣١). مكتبة أضواء السلف؛ الرياض؛ السعودية. ط: أولى؛ ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.

١٠١- النبوة؛ حسن حنفي المجلد الرابع، من سلسلة من العقيدة إلى الثورة، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم المجلد الرابع النبوة، المعاد، مكتبة مدبولي دار النمر للطباعة

١٠٢- النبوة والأنبياء؛ محمد علي الصابوني، يوزع على نفقة حسن عباس شربتلي، ط ثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

١٠٣- النبي والرسول؛ د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد مكتبة القدس، الزلفي السعودية، ط مطابع الصفا، مكة المكرمة، السعودية، أولى، ١٤١٤هـ

١٠٤- هداية الحيارى؛ في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ) نشر الجامعة الإسلامية المدينة المنورة

١٠٥- واقعنا المعاصر؛ محمد قطب، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر؛ جدة السعودية، ط الثانية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

١٠٦- وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين؛ حسن ضياء الدين عتر، دار الفنون للطباعة والنشر، جدة السعودية، ط ثانية

رابعاً ما يتعلق بالرجال وتراجم الأعلام والسيرة

١- الاستيعاب في أسماء الأصحاب؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣هـ) مطبوع مع الإصابة).

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ). تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، تحت سلسلة كتاب الشعب دار الشعب

٣- إسعاف المبطأ برجال الموطأ؛ عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ٨٤٩ ٩١١هـ) المكتبة التجارية الكبرى؛ مصر، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

٤- الإصابة في تمييز الصحابة؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر ت ٨٥٢هـ) تصوير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عن طبعة مطبعة السعادة؛ بجوار محافظة مصر؛ ١٣٢٨هـ

٥- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين؛ بيروت، لبنان، ط السابعة؛ ١٩٨٦م

٦- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب؛ الأمير الحافظ ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك، علي بن هبة بن علي بن جعفر ابن علكان بن محمد بن دلف ت ٤٧٥هـ، ١٠٨٢). نشر محمد أمين دمج، بيروت لبنان

٧- البداية والنهاية؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ). دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم وآخرون نشر دار الريان للتراث؛ القاهرة، الإسكندرية طبع الأهرام التجارية؛ القاهرة، مصر ط أولى؛ ١٤٠٨هـ

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ). طبع ونشر دار المعرفة؛ بيروت، لبنان.

٩- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة؛ محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ٧٢٩-٨١٧) تحقيق محمد المصري نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط أولى، ١٤٠٧هـ

١٠- تاريخ بغداد ومدينة السلام؛ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

١١- التاريخ الصغير؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ، ٨٦٩م). تحقيق محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه يوسف المرعشلي. طبعة جديدة ومصححة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

١٢- التاريخ الكبير؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، ٨٦٩م.) نشر بيروت توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م).

١٣- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم؛ محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربيعي ٢٩٨ ٣٩٧هـ)، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد دار العاصمة، الرياض، ط أولى، ١٤١٠هـ.

١٤- تذكرة الحفاظ؛ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ، ١٣٤٧م). صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي، تحت إعانة معارف الحكومة الهندية العالمية، دار إحياء التراث العربي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة

١٥- التعديل والتجريح؛ سليمان بن خلف بن سعد أبو ا لوليد الباجي ٤٠٣ ٤٧٤هـ). تحقيق د. أبو لبابة حسين نشر دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض ط أولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

١٦- تقريب التهذيب؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف نشر المكتبة العلمية المدينة المنورة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٧- تهذيب الأسماء واللغات؛ محي الدين يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع إدارة الطباعة المنيرية

١٨- تهذيب تاريخ دمشق الكبير؛ حافظ الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ). هذبه ورتبه عبد القادر بدران ت ١٣٤٦هـ). دار المسيرة بيروت، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

١٩- تهذيب التهذيب؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ). طبع مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة حيدر أباد الهند ط أولى، ١٣٢٦هـ، توزيع دار الباز.

٢٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال؛ الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي حققه أبو الفراء عبد الله القاضي توزيع مكتبة الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط أولى، ١٤٠٦، ١٩٨٦م

٢١- الثقات؛ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر ط أولى، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م

٢٢- الجرح والتعديل؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧هـ) طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط أولى

٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سعيد جاد الحق طبع مطبعة المدني، القاهرة، يطلب من دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م

٢٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢هـ تحقيق د. إحسان عباس، طبع ونشر دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

٢٥- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة؛ السيد محمد بن جعفر الكتاني طبعت بإذن المؤلف عن نسخة صَححها بنفسه وعليها خط يده ط الثانية ١٤٠٠هـ

٢٦- سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ، ١٣٧٤م) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، وقد حقق أجزاءه عدة علماء، طبع ونشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط أولى ١٤٠٢ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٢ ١٩٨٥م، وجزء الفهارس، ط التاسعة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م

٢٧- السيرة النبوية الصحيحة؛ د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط خامسة؛ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م

٢٨- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أبو محمد عبد الملك بن هشام، راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها، محمد محي الدين عبد الحميد، تصوير دار الفكر، ط ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٢٩- الصلة؛ أبو القاسم خلف بن عبد الله بن بشكوال ت ٥٧٨هـ نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبع مطابع سجل العرب؛ القاهرة، ١٩٦٦م

٣٠- طبقات الحفاظ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ ، راجع النسخة وضبط أعلامها، لجنة من العلماء بإشراف الناشر توزيع دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط أولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م

٣١- طبقات خليفة أو الطبقات ؛ خليفة بن خياط، أبو عمر الليثي العصفري ١٦٠ ٢٤٠ هـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري، نشر دار طيبة، الرياض، ط الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٣٢- طبقات الشافعية؛ جمال الدين عبد الرحمن الأسنوي ت ٧٧٢هـ تحقيق كمال يوسف الحوت. طبع ونشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٣٣- طبقات الشافعية؛ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شبهة الدمشقي ت ٨٥١هـ، ١٤٤٨م اعتنى بتصحيحه وعلق عليه، د. حافظ عبد العليم خان، رتب فهارسه، عبد الله أنيس الطباع، عالم الكتب، بيروت، ط أولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٣٤- طبقات الشافعية الكبرى؛ تاج الدين، أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٧١هـ تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو نشر مؤسسة قرطبة، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط أولى، ١٣٨٣هـ ١٣٨٩هـ، ١٩٦٤-١٩٦٩م

٣٥- طبقات الفقهاء؛ جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ت ٤٧٦هـ)، تصحيح ومراجعة، الشيخ خليل الميس دار القلم، بيروت، لبنان

٣٦- الطبقات الكبرى؛ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله البصري المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ) دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٣٧- طبقات المفسرين؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ تحقيق علي محمد عمر نشر مكتبة وهبة، القاهرة، طبع مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، ط أولى، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م

٣٨- طبقات المفسرين؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت ٩٤٥هـ ، راجع النسخة وضبط أعلامها، لجنة من العلماء بإشراف الناشر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، يطلب من عباس أحمد الباز، المروة، مكة المكرمة، ط أولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م

٣٩- العبر في خبر من غبر؛ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي ت ٧٤٨هـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد الكويت، طبع مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠م

٤٠- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين؛ تقي الدين محمد بن أحمد الحسني العباسي المكي ت ٨٣٢هـ) تحقيق د. فؤاد سيد، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م ، الجزء الثامن، تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م

٤١- الفهرست؛ محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ت ٣٨٥ دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م

٤٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة؛ شمس الدين بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ) راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط أولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م

٤٣- الكامل في التاريخ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠هـ عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء نشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان طبع المطبعة المنيرية، ط ثانية، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م

٤٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون؛ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بكاتب جلبي المعروف بحاجي خليفة ١٠١٧- ١٠٦٧هـ نشر دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٤٥- لسان الميزان؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، طبع شركة علاء الدين للطباعة والتجليد،بيروت

٤٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان؛ عفيف الدين بن عبد الله بن أسد اليافعي اليمني ٦٩٨- ٧٦٨هـ) تحقيق عبد الله الجبوري ط أولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م

٤٧- مشاهير علماء الأمصار؛ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ تحقيق م فلايشهمر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م

٤٨- معجم البلدان؛ شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م

٤٩- معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسن ٢٦٥ ٣٥١هـ تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، نشر كتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط أولى، ١٤١٨هـ

٥٠- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، نشر مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

٥١- معرفة الثقات؛ أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي ١٨٢ ٢٦١هـ تحقيق عبد العليم عبد العظيم السنوري نشر مكتبة الدار المدينة المنورة، ط أولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٥٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله ٦٧٣ ٧٤٨هـ) تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى، ١٤٠٤هـ

٥٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم؛ أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٥٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم؛ أبو الفرج عبد الله بن علي ابن الجوزي نشر دار صادر بيروت طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن ط أولى، ١٣٥٧هـ

٥٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي دار المعرفة، بيروت، لبنان، يطلب من عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٥٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس عامة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

٥٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٤٠١هـ) حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م

٥٨- الوافي بالوفيات؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٨٧٣هـ) يطلب من دار النشر فرانز شتاينر فيسبادن ط الثانية باعتناء هلموت ريتر ١٣٨١هـ _ ١٣٩٣هـ ١٩٦٢م ١٩٧٣م

٥٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ) حققه د. إحسان عباس، دار الفكر، دار صادر، بيروت

خامساً ما يتعلق باللغة وعلومها

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبـادي ت ٨١٧هـ تحقيق عبد العليم الطحان، المكتبة العلمية، بيروت لبنان

٢- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة القاموس ل مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشـيرازي ت ٨١٦ أو ٨١٧هـ والترتيب ل: الطاهر أحمد الزاوي، تصوير دار الفكر، ط الثالثة

٣- التعاريف؛ محمد عبد الرؤوف المناوي ٩٥٢ ١٠٣١هـ تحقيق د. محمد رضوان الداية، نشر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ط أولى؛ ١٤١٠هـ

٤- التعريفات؛ علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ دار الكتاب العلميـة؛ بيروت، لبنان

٥- التلخيص في علوم البلاغة؛ جلال الدين محمد عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان

٦- تهذيب اللغة؛ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ٢٨٢ ٣٧٠هـ تحت سلسلة تراثنا، تحقيق عبـد الكريم العزباوي، مراجعة محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبع مطابع سجل العرب، القاهرة، مصر

٧- التوقيف على مهمات التعاريف؛ محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الدايـة، دار الفكـر المعاصر؛ دمشق، ط أولى

٨- جمهرة اللغة؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، طبع مطبعة دائرة المعارف؛ حيدر آباد، الدكن، ط أولى، ١٣٤٥هـ

٩- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية؛ إسماعيل بن حماد الجوهري ت ما بين ٣٩٣ ٤٠٠هـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط الثانية؛ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

١٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم معاني كلمات القرآن الكريم، أبو العباس شهاب الـدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشـافعي، المعـروف بالسـمين الحلـبي ت ٧٥٦هـ) تحقيق محمود محمد السيد الدغيم، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في استنبول، دار السيد للنشر، استنبول، ط أولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

١١- العين؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ تحقيق د. مهـدي المخزومـي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال

١٢- غريب الحديث؛ أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي ت ٣٨٨هـ تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي طبع دار الفكر؛ دمشق، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي؛ كلية الشريعة؛ جامعة أم القرى، مكة المكرمة تحت سلسلة من التراث الإسلامي الكتاب السابع عشر، ط ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

١٣- لسان العرب؛ جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط كوستاتسوماس؛ القاهرة، مصر، وهي طبعة مصورة عن طبعة بولاق دار الطباعة الزاهرة ببولاق، مصر، القاهرة، تمت في ١٣٠٨هـ ١٨٩١م

١٤- مجمل اللغة؛ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ دراسة وتحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت لبنان، ط أولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م

١٥- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة؛ علي بن إسماعيل بن سيدة ت ٤٥٨هـ تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي وشركاه، خلفاء، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط أولى؛ ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م

١٦- مختار الصحاح؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت بعد ٦٩٠هـ دار التنوير العربي؛ بيروت، لبنان، طبعة جديدة منقحة

١٧- مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير؛ الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، يطلب من مكتبة الحلبوني؛ دمشق؛ سوريا

١٨- المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم؛ على حروف المعجم؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي ٥٣٨ ٦١٦هـ تحقيق ياسين محمد السواس طبع دار الفكر؛ دمشق، سوريا، ط ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي؛ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية؛ جامعة أم القرى، تحت سلسلة من التراث الإسلامي، الكتاب السابع والعشرون

١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي؛ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، نشر المكتبة العلمية، بيروت لبنان، وهي طبعة مصورة

سادساً كتب مختلفة فقهية أصولية علمية إسلامية موسوعية فكرية

١- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ١١٧٣-١٢٥٠هـ) تحقيق محمد سعيد البدري، أبو مصعب دار الفكر بيروت، ط أولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٢- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية؛ محمود عبد الله الشرقاوي، ضمن سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٤٧)، صفر، ١٤٠٧هـ، ط مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة

٣- أصول الشريعة الإسلامية، مضمونها وخصائصها؛ د غلي جريشة، طبع دار غريب للطباعة، القاهرة، ط أولى ١٣٩١هـ ١٩٧٩م، يطلب من مكتبة وهبة، القاهرة

٤- تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعة؛ عبد العظيم شرف الدين، ط أولى، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، لا يوجد دار نشر

٥- تاريخ الفقه الإسلامي، أشرف على مراجعته وتهذيبه، محمد علي السايس، مكتبة ومطبعة، محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الجامعة الأزهرية، كلية الشريعة

٦- خلق الإنسان بين الطب والقرآن؛ محمد علي الباز، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الرياض، الدمام، الطائف، ط ثالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨١م

٧- حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد المحلي على متن جمع الجوامع؛ تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي، عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي ت ١١٩٨هـ ، دار الفكر ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٨- الرسالة؛ محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤هـ عن أصل بخط الربيع بن سليمان، كتبه في حياة الشافعي، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، تصوير دار الفكر

٩- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختصر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبد العزيز علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ت ٩٧٢هـ تحقيق د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، طبع دار الفكر؛ دمشق، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، من منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مكة المكرمة

١٠- الصيام ورمضان في السنة والقرآن؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني طبع ونشر دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط أولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

١١- الصيام وفوائده الطبية؛ د. مدحت الشافعي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ط مطابع الصفا، مكة المكرمة

١٢- فواتح الرحموت؛ عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، شرح مسلم الثبوت، محب الله بن عبد الشكور مطبوع مع المستصفى

١٣- كتاب الله جل جلاله والعلم الحديث؛ عبد الرزاق نوفل، الناشر دار الكتاب العربي؛ بـيروت لبنان ط ثالثة، ١٣٩٣هـ

١٤- لماذا أنا مؤمن، محمد جمال الدين الفندي. بدون معلومات نشر.

١٥- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مكتبة القدس، مؤسسة الرسـالة، ط السادسـة منقحة، ساعدت جامعة بغداد على نشره.

١٦- المستصفى من علم الأصول؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، طبعة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٥هـ.

١٧- مقدمة ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل، بيروت.

١٨- من حكم الشريعة وأسرارها؛ حامد بن محمد العبادي، عني بطبعه، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. طبـع على نفقة الشؤون الدينية؛ قطر طبعة ثانية.

١٩- الموسوعة العربية العالمية؛ الجهة القائمة بدراسة المشروع وتنفيذه أحمد مهدي، محمد الشويخات، صـلاح الدين الزين الطيب، سعد بن عبد الرحمن البازعي، ساعد في إخراجه والترجمة والإنتاج عدد من العلماء، طبع ونشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع؛ الرياض السعودية ط ثانية؛ ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٢٠- من فلسفة التشريع الإسلامي؛ فتحي رضوان نشر دار الكتاب اللبناني؛ بيروت، ط الثانية؛ ١٩٧٥م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر ودعاء	ب
المقدمة	١
الباب الأول : حقائق النبوات ومضامينها	١٢
الفصل الأول : معنى النبوة والرسالة والفرق بينهما	١٣
المبحث الأول : النبي والرسول عليهما السلام لغة	١٤
النبي لغة	١٤
الرسول لغ	٢٢
المبحث الثاني : النبي والرسول عليهما السلام اصطلاحاً	٢٦
المبحث الثالث : الفروق بين النبي والرسول عليهما السلام	٣٨
المبحث الرابع : النبوة والرسالة اصطفاء رباني	٤٦
المبحث الخامس : الحكمة والنبوة	٥٥
الحكمة لغـــة	٥٥
الحكمة اصطلاحاً	٥٧
المبحث السادس : التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام والتفاضل بينهم وبين الملائكة عليهم السلام	٦٥
أولاً : التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام	٦٥
ثانياً : التفاضل بين الأنبياء والملائكة عليهم السلام	٦٧
الفصل الثاني : حكم النبوة والحكمة منهما	٦٨
المبحث الأول : حكم النبوة	٦٩
الأقوال في حكم النبوة	٦٩
الأسس التي يقوم عليها القول الصحيح	٧٠
الأساس الأول	٧٠
الأساس الثاني	٧١
الأساس الثالث	٧٣
الأساس الرابع	٧٥
أولاً : صفات الإنسان الذاتية ودلالتها على الابتلاء	٧٦

الموضوع	الصفحة
١- منحة الفكر ودلالته على الابتلاء	٧٨
٢- منحة إلهام النفس معرفة طريق الخير والشر ودلالتهما على الابتلاء	٨١
٣- منحة الفطرة ودلالتها على الابتلاء	٨١
٤- دلالة الأهواء والشهوات في الإنسان على كونه مبتلى	٨٣
٥- منحة حرية الإرادة المحدودة ودلالتها على الابتلاء	٨٣
٦-٧-دلالة الأخلاق الباطنة والضمير الخلقي على الابتلاء	٨٦
٨- الصفات الجسدية التي منحها الله تعالى الإنسان ودلالتها على حقيقة الابتلاء	٨٨
٩- دلالة سنة الاختلاف بين ا لبشر ووقوع التضاد بينهم على كونهم مبتلين في هذه الحياة	٩٢
ثانياً : تسخير الكون للإنسان ودلالته على حقيقة الابتلاء	٩٣
الأساس الخامس	٩٦
الأساس السادس	٩٨
اقتضاء حكمة الرب جل جلاله إنزال تشريع يكلف البشر أن يتبعوه	١٠٣
المبحث الثاني : الحكمة من بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام	١٠٦
الفصل الثالث : حقيقة الوحي	١٠٩
المبحث الأول : الوحي لغة واصطلاحاً	١١٠
الوحي لغة	١١٠
الوحي في الاصطلاح الشرعي	١١٢
المبحث الثاني : طرق وصور الوحي	١١٤
الوجه الأول	١١٤
الوجه الثاني	١١٥
الوجه الثالث	١١٦
المبحث الثالث : الوحي وكلام الله عز وجل	١١٨
الفصل الرابع : الآيات الدالات على صدق الأنبياء عليهم السلام (المعجزات)	١٢٠
المبحث الأول : المعجزة لغة واصطلاحاً	١٢١

الموضوع	الصفحة
المعجزة لغة	١٢١
المعجزة اصطلاحاً	١٢٢
المبحث الثاني : الحكمة من وجود الآيات الربانية المؤيدة للرسل والأنبياء	١٢٦
سبب عدم الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام مع وجود الآيات	١٣٢
المبحث الرابع : شروط وصفات الآيات الدالات على صدق الأنبياء (المعجزات)	١٣٤
الصفة الأولى	١٣٤
الصفة الثانية	١٣٥
الصفة الثالثة	١٣٥
كرامات الأولياء آيات لأنبيائهم عليهم السلام	١٣٧
الآيات خارجة عن المقدور	١٣٨
عدم معارضة الآيات (المعجزات)	١٣٩
الصفة الرابعة	١٤٠
الصفة الخامسة	١٤١
الصفة السادسة	١٤١
الصفة السابعة	١٤٢
المبحث الخامس : الصفات التي لا يجب إثباتها لكل آية (معجزة)	١٤٣
١- الاقتران بدعوى النبوة	١٤٣
٢- اقتران الآية (المعجزة) بالتحدي	١٤٤
المبحث السادس : الفرق بين المعجزة والكرامة وبين المعجزة والسحر	١٤٥
أولاً : الفرق بين المعجزة والكرامة	١٤٥
الكرامة لغة	١٤٥
الكرامة اصطلاحاً	١٤٦
الفروق بين الآيات (المعجزات) والكرامات	١٤٧
ثانياً : الفرق بين المعجزة ومخاريق السحرة والكهان وغيرهم من الكاذبين	١٤٩

الموضوع	الصفحة
المبحث السابع : الأدلة الموضوعية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم	١٥١
– ممن استدل ببعض تلك الأدلة الموضوعية	١٥٢
١– أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	١٥٢
٢– ورقة بن نوفل	١٥٢
٣– النجاشي	١٥٣
٤– هرقل	١٥٣
– بعض الأدلة الموضوعية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم	١٥٧
أولاً : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل دعوته	١٥٧
أ– شرف نسبه صلى الله عليه وسلم	١٥٧
ب– أخلاق آباء النبي صلى الله عليه وسلم	١٥٨
ج– خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه	١٥٨
د– الكمالات الخَلقية له صلى الله عليه وسلم	١٦٠
هـ– يتمه صلى الله عليه وسلم	١٦٠
و– أعماله قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم	١٦٠
ز– العلامات الخَلقية الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم	١٦٠
ح– أميته صلى الله عليه وسلم	١٦٠
ط– أمور حدثت له قبل بعثته صلى الله عليه وسلم	١٦٠
ي– ما حصل له صلى الله عليه وسلم حين إرضاعه	١٦١
ك– تحبيب الخلاء إليه صلى الله عليه وسلم	١٦١
الفوائد المبنية على ما سبق ذكره من أمور	١٦١
ثانياً : إخبار النبي السابق بالنبي اللاحق عليهم السلام	١٦١
ثالثاً : الرسالة التي جاء بها النبي عليه السلام	١٦٢
رابعاً : موافقة ما جاء به كل نبي لمن سبقه	١٦٤
خامساً : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة	١٦٤
سادساً : الصفات الواجبة لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام	١٦٦
– صفة العصمة	١٦٨
سابعاً : حال أمته صلى الله عليه وسلم في حياته ومن بعده	١٦٩

الموضوع	الصفحة
ثامناً : كون العاقبة الحسنة له صلى الله عليه وسلم ولدينه	١٧١
تاسعاً : ما أخبر به من الأمور الغيبية المستقبلية	١٧٢
عاشراً : الكتب الربانية المنزلة	١٧٣
– إعجاز القرآن الكريم	١٧٩
أولاً : النصوص الدالة على القرآن الكريم هو الآية العظمى	١٧٣
ثانياً : من أهم مميزات آية القرآن الكريم	١٧٩
ثالثاً : بعض أوجه الإعجاز القرآني	١٨٠
الوجه الأول : الإعجاز البياني	١٨٠
الوجه الثاني : الإعجاز الغيبي	١٨٢
الوجه الثالث : إعجاز القرآن في مضامينه	١٨٥
الوجه الرابع : الإعجاز العلمي في القرآن المجيد	١٨٦
الفصل الخامس : مضامين الرسالات الربانية بصفة عامة والرسالة الخاتمة بصفة خاصة ، ومميزاتها ومصادر مضامين الرسالة الخاتمة	١٨٩
مقدمة .	١٩٠
المبحث الأول : المضمون العقدي ومميزاته	١٩٢
أهم مميزات المضمون العقدي	١٩٣
المبحث الثاني : المضمون الخلقي ومميزاته	١٩٥
أهم مميزات المضمون الخلقي	١٩٦
١- الربانية	١٩٧
٢- عالمية الرسالة الخاتمة	١٩٨
– شمول الرسالة الخاتمة للجن	١٩٨
٣- شمول الشريعة الخاتمة لجميع الأحكام المتعلقة بالمكلفين	٢٠٥
– ختم رسالة الرسول عليه السلام للرسالات الربانية	٢٠٥
٤- قيام الشريعة الربانية على الحق والعدل	٢٠٧
٥- يسر التكاليف والأحكام في الشريعة الخاتمة	٢٠٧
٦- مراعاة الشريعة الربانية للجانبين النفسي والجسدي	٢٠٨
٧- تحقيقها عبودية المؤمن لربه جل جلاله	٢٠٨

الموضوع | الصفحة

٨- أن الشريعة الربانية نابعة من أساس خلقي ٢١٠
٩- أن الشريعة الربانية تتدرج في بناء الأحكام الشرعية ٢١٠
١٠- أن الشريعة الربانية متوافقة مع حاجات البشر أفراداً وجماعات ٢١١
١١- أن الشريعة الربانية تحقق السعادة لجميع أفراد المجتمع ٢١١
١٢- أن قلوب المؤمنين بالشريعة الربانية أعظم طواعية لها ٢١١
١٣- تطور بعض الأحكام الشرعية ٢١٢
- التطور في الأحكام الشرعية بالنسبة إلى الرسالة الخاتمة ٢١٢
المبحث الرابع : مصدرا مضامين الرسالة الخاتمة ٢١٦
أولاً: القرآن الكريم ٢١٦
ثبوته ٢١٦
مكانة الكتاب العزيز ٢١٧
المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ٢١٨
ثانياً : السنة النبوية المطهرة ٢١٩
مكانتها وحجيتها وصحة ثبوتها ٢١٩
أ- الأدلة من القرآن الكريم ٢١٩
ب- الأدلة من السنة المطهرة ٢٢٢
ج- إجماع المسلمين . ٢٢٤
الباب الثاني : الرد على شبهات وأباطيل علمانيين تتناول النبوة وموضوعاتها ٢٢٧
تمهيد : العلمانية وتسللها في ديار المسلمين ٢٢٨
العوامل التي مهدت لانتشار الوافدات الفكرية الضالة بين المسلمين ٢٢٨
أولاً : الضعف العام الذي حل بالعالم الإسلامي ٢٢٨
ثانياً : وجود الفرق الضالة ٢٣٠
ثالثاً : وجود جماعات غير إسلامية ٢٣٠
رابعاً : كثرة الفتن الداخلية ٢٣١
خامساً : استدراج الدولة الإسلامية إلى حروب خارجية خاسرة ٢٣١
سادساً : إيقاع الدولة الإسلامية في الأزمات الاقتصادية ٢٣١
سابعاً: حجب الدول غير الإسلامية ما عندها من علم نافع ٢٣١

الموضوع	الصفحة

ثامناً : نشوء منظمات وحركات وأحزاب مشبوهة ٢٣٢
تاسعاً : نشر المدارس التبشيرية ٢٣٢
عاشراً : إرسال أبناء المسلمين إلى ديار الكفر ٢٣٢
حادي عشر : غزو الدول النصرانية للعالم الإسلامي غزواً مباشراً ٢٣٣
انتشار المذاهب والأفكار الضالة بين أبناء المسلمين وأثره ٢٣٣
سقوط المذاهب التخصصية وانضواء أصحابها تحت مظلة العلمانية ٢٣٦
العلمانية : معناها ، ونشأتها ، والغاية منها ٢٣٧
- أساليب العلمانيين المعاصرين في إبطال حقائق الإسلام ٢٤٠
- الموضوعات التي تناولها العلمانيون في كلامهم وكتاباتهم ٢٤٢
- حكم العلمانية في ضوء حقائق الإسلام العقدية والتشريعية ٢٤٤
- بعض خصائص أساليب العلمانيين في كتاباتهم ٢٤٦
القسم الأول:مقالات افترائية علمانية تتضمن شبهات حول مواضيع في النبوة متعددة والرد عليها ٢٥٢
الفصل الأول : المقالة الافترائية الأولى وبيان ما فيها من أباطيل ومغالطات
(وهي تدور حول مناقشة العلماني لمن قالوا بوجوب النبوة..) ٢٥٣
مقدمة حول ذكر المقالة الافترائية ٢٥٤
القضايا التي تتضمنها هذه المقالة ٢٥٩
القضية الأولى : زعمه أن العقل الإنساني كاف في الوصول إلى جميع الحقائق،
والرد عليه ٢٦٤
القضية الثانية : اتكاؤه على مقالة المعتزلة ، إذ يرون وجوب النبوة عقلاً
لينسف قضية الحاجة إلى النبوة بصفة عامة، والرد عليه ٢٧٤
القضية الثالثة : تمجيده حرية الإنسان ...، والرد عليه ٢٧٧
القضية الرابعة : رده على إيجاب المعتزلة للنبوة بناء على الصلاح واللطف،
والرد عليه ٢٧٩
القضية الخامسة : زعمه أن الذين يبينون حاجة البشر إلى الرسالة يهدمون
العقل والعلم والاجتماع والسياسة، والرد عليه ٢٨٣
القضية السادسة : زعمه أن تفصيل العقائد معارف نظرية ولا حاجة إلى النبوة
من أجلها، والرد عليه ٢٨٧

الموضوع	الصفحة
القضية السابعة : دعواه أن النبوة لم تمنع من وجود من ينكر حقائق الدين، والرد عليه	٢٩٠
القضية الثامنة : اتخاذ فكرة إمكان الوصول إلى التوحيد بالعقل للإيهام بعدم حاجة البشر إلى النبوات، والرد عليه	٢٩٢
القضية التاسعة : ادعاؤه أن أدلة النبوات سمعية فقط ، والرد عليه	٢٩٤
القضية العاشرة : زعمه أن الصفات الربانية ليست إلا مثلاً للإنسان الكامل، والرد عليه	٢٩٥
القضية الحادية عشرة : زعمه أن معرفة العقل البشر للحسن والقبح كاف لحياته، والرد عليه	٢٩٧
القضية الثانية عشرة : ادعاؤه أن العقل قادر على بث الطمأنينة في الإنسان، والرد عليها	٢٩٩
القضية الثالثة عشرة : محاولته إبطال فائدة الأدلة النبوية بدعوى أن العقل واضع منهج البرهان ، والرد عليه	٣٠٠
القضية الرابعة عشرة : ادعاؤه أن النبوة جاءت بمنهج عملي لإثبات حقائق اعتقادية ، والرد عليه	٣٠٢
القضية الخامسة عشرة : إيهامه أن النبوة تحتاج إلى العقل ، ومن ثم فهو يغني عنها ، والرد عليه	٣٠٢
القضية السادسة عشرة : ادعاؤه أن النبوة لا تعمل وحدها دون العقل، والرد عليه	٣٠٢
القضية السابعة عشرة : زعمه أن العقل هو الذي يحول أدلة النبوة إلى يقين، والرد عليه	٣٠٣
القضية الثامنة عشرة : ما ذكره من أن العقل قادر على صياغة منطق للبرهان للإيهام بعدم الحاجة إلى النبوات ، والرد عليه	٣٠٤
القضية التاسعة عشرة : محاولته جعل برهان النبوة منحصراً بين المعجزات والمشاعر الوجدانية ، والرد عليه	٣٠٥
القضية العشرون : مزاعمه عن الحركة الإصلاحية الحديثة والرد عليه	٣٠٦

الموضوع **الصفحة**

القضية الحادية والعشرون : ادعاؤه أن الأخطاء التي تقع فيها العقول ترجع
إلى الخطأ في استعمالها لا إلى نقص في ذاتها ، والرد عليه ٣١١
القضية الثانية والعشرون : ادعاؤه أن ما جاء في النبوات من علوم تجريبية
أو كونية ، لا لزوم لها ، والرد عليه ٣١٢
القضية الثالثة والعشرون : زعمه أن العلوم النبوية أقرب إلى العلوم
الإشراقية الصوفية ، والرد عليه ٣١٤
القضية الرابعة والعشرون: مزاعمه حول ما أسماه الوحي الأفقي، والرد عليه ٣١٦
القضية الخامسة والعشرون : زعمه أن العقل قادر بمفرده على وضع القوانين
وسن الشرائع الملائمة للبشر ، والرد عليه ٣١٨
القضية السادسة والعشرون : استهانته بالتشريعات الربانية، والرد عليه ٣٢٠
القضية السابعة والعشرون : ما ذكره من أن البشر هم الذين وضعوا علوم
السياسة والاجتماع والقانون ، وادعاؤه أنهم قادرون من
ثم على تأسيس السياسية وتدبير الملك ، فلا حاجة للنبوات،
والرد عليه ٣٢٨
القضية الثامنة والعشرون : دفاعه عن القوانين البشرية الوضعية، والرد عليه ٣٣٠
القضية التاسعة والعشرون : حزنه على البلاد الإسلامية إذ لم تأخذ بالقوانين
الوضعية ، والرد عليه ٣٣٢
القضية الثلاثون : ادعاؤه أن العقل يقود الأمة كالإمام ، والرد عليه ٣٣٣
القضية الحادية والثلاثون : انتقاصه من قدر قيادة الأنبياء عليهم السلام
لأممهم ، والرد عليه ٣٣٤
القضية الثانية والثلاثون : زعمه أن البشر قادرون على أن يضعوا لأنفسهم
ما يروق لهم من عبادات ، والرد عليه ٣٤٠
القضية الثالثة والثلاثون : تسويته بين النبوة وعلومها ، وبين ما يخترعه البشر
من عقائد وتشريعات ، والرد عليه ٣٤٦
خاتمة بشأن القضايا السابقة ٣٤٨

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني : المقالة الافترائية الثانية وبيان ما فيها من أباطيل ومغالطات (وهي تدور تظاهر العلماني بمناقشته لمن ادعوا استحالة النبوة) ٣٥٠
مقدمة : حول اتخاذ بعض العلمانيين حيلة الرد على القائلين باستحالة النبوة للوصول إلى باطلهم ٣٥١
المبحث الأول:مناقشة العلماني لما أسماه الاستحالة المبدئية ، والرد على افتراءاته ٣٥٢
أولاً : الرد التحايلي للعلماني على ما ذكر أنه الحجة الأولى من حجج أصحاب هذه الاستحالة المزعومة ، والرد عليه ٣٥٢
القضية الأولى : إفادة الوحي الرباني العلم اليقيني الضروري ٣٥٣
القضية الثانية : حول حيلة العلماني عدم أهمية مصدر النبوة ٣٥٤
القضية الثالثة : حول حيلة العلماني لصرف أذهان عن التمييز بين كلام الله تبارك اسمه وكلام الناس ٣٥٧
القضية الرابعة : حول ادعاء العلماني بأنه لا يوجد اضطرار بأن ما تلقاه الرسول علم من الله سبحانه ٣٥٨
القضية الخامسة : حول ادعاء العلماني أن الإنسان قادر على أن يتنبأ ٣٦٠
القضية السادسة : حول ادعاء العلماني أن الحدس يقين لا ظن ٣٦١
ثانياً : رد العلماني التحايلي على ما ذكر أنه الحجة الثانية من الحجج الثلاث لأصحاب الاستحالة المبدئية ، والرد عليه ٣٦٢
ثالثاً : رد العلماني التلبيسي على ما ادعى أنه الحجة الثالثة لأصحاب الاستحالة المبدئية، والرد عليه ٣٦٤
رابعاً : حول رد العلماني التحايلي على القائلين برفض النبوة لأنها تستلزم تفضيل النبي عليه السلام مع أن البشر متساوون ، وما أثاره من ضلالات، والرد عليه ٣٦٦
المبحث الثاني : مناقشة العلماني لما أسماه الاستحالة العقلية، والرد على افتراءاته ٣٦٩
ذكر المقالة الافترائية ، والرد عليها ٣٦٩

الموضوع | الصفحة

القضية الأولى : حول منهج العلماني في رده ، وتعظيمه للعقل البشري ، والرد عليه ٣٧٢
القضية الثانية : حول العلاقة بين التوحيد والنبوة ، والرد على العلماني ٣٧٥
القضية الثالثة : حول ادعاء العلماني أن العقل يمكنه الوصول إلى جميع ما جاءت به النبوات ، والرد عليه ٣٧٨
القضية الرابعة : حول مسألة التحسين والتقبيح واستخدامها ذريعة لادعاء استحالة النبوة ، والرد على هذا ٣٨٩
القضية الخامسة : حول ادعاء قدرة العقل الوصول إلى معرفة العبادات ونحوها والرد على هذا ٣٩٥
القضية السادسة : حول التقابل بين السمع والعقل ، والرد على هذا ٣٩٧
القضية السابعة : حول ادعاء معرفة الحسن والقبح قبل السمع والرد عليه ٣٩٩
القضية الثامنة : حول إدراك التوحيد والعدل بالعقل ، والرد على العلماني . ٤٠٠
القضية التاسعة : حول ادعاء تحدي العقل والشيطان للنبوات ، والرد عليه ٤٠١
القضية العاشرة : مناقشة العلماني لدعوى الخواطر ، والرد عليه ٤٠٨
القضية الحادية عشرة : حول دعاوى العلماني المتعلقة بالعبادات والرد عليه ٤١٧
المبحث الثالث :مناقشة العلماني لما أسماه : الاستحالة العملية ، والرد عليه ٤٢٠
ذكر مقالة العلماني الافترائية ، والرد عليها ٤٢٣
القضية الأولى : مناقشة العلماني لدعوى استحالة التكليف والرد عليه ٤٢٣
القضية الثانية : مناقشة العلماني لدعوى استحالة التكليف بسبب العقاب الأخروي المترتب عليه ، والرد عليه ٤٢٨
القضية الثالثة : دعوى أن التكليف إنما هو التزام داخلي ، وليس تكليفاً من خارج ، والرد على افتراءات العلماني ٤٣١
القضية الرابعة : ادعاء العلماني أن العبادات ليست جوهر التوحيد ، وأن الوحي لا طقوس فيه ، والرد على افتراءاته ٤٣٣
القضية الخامسة : حول ادعاء العلماني إمكانية تمثل مضمون العبادة بصور أخرى ، والرد على افتراءاته ٤٣٨

الموضوع | الصفحة

القضية السادسة : أمثلة من العبادات التي ادعى العلماني إمكان الوصول
إلى غايتها من خلال وسائل أخرى ، والرد عليه ٤٤٧
العبادة الأولى : عبادة الصلاة ، والرد على افتراءات العلماني حولها ٤٤٧
العبادة الثانية : عبادة الصيام ، والرد على افتراءات العلماني حولها ٤٦٠
العبادة الثالثة : عبادة الزكاة ، والرد على افتراءات العلماني حولها ٤٦٩
العبادة الرابعة : عبادة الحج ، والرد على افتراءات العلماني حولها ٤٨١
القضية السابعة : حول استخدام العلماني عبارات غير شرعية ، أو عبارات
شرعية في غير موضعها ، والرد عليه ٤٩٣
أولاً : استخدامه كلمة طقوس ٤٩٣
ثانياً : إطلاقه لفظ (الحكماء) على من لا يستحقه ٤٩٣
ثالثاً : استخدامه كلمة رموز ٤٩٦
القضية الثامنة : ادعاء العلماني أن الجانب اللاعقلاني في صور العبادات ، جعل
الفقهاء يرفضون التعليل ، ويبطلون القياس ، والرد عليه ٤٩٨
الزعم الأول : ادعاؤه أن صور العبادات هي من الأمور اللاعقلية
والرد عليه ٤٩٩
الزعم الثاني : ادعاء العلماني أن الفقهاء قد رفضوا التعليل
والرد عليه ٥٠٠
الزعم الثالث : إيهامه أن بعض الفقهاء يظنون أن بعض شرائع
الدين مخالفة ومضادة للعقل ، والرد عليه ٥٠١
الزعم الرابع : ادعاؤه أن بعض ما جاء في الشريعة ليس مضاداً
للعقل ، والرد عليه ٥٠٢
القضية التاسعة : حول افتراءات العلماني المتعلقة بالقيام بالأعمال المشروعة
الظاهرة مع غياب الأعمال الباطنة ، والرد عليه ٥٠٥
القضية العاشرة : حول دعوى العلماني المتعلقة بالحكمة من تشريع ذبح
الحيوان وإيلامه ، والرد على افتراءاته ٥١٤

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث : المقالة الافترائية الثالثة وبيان ما فيها من أباطيل ومغالطات (وهي تدور حول
تظاهر العلماني بادعاء إمكان النبوة ، وما افتراه من زيوف تبطل النبوة) ٥١٩
مقدمة : حول ذكر المقالة الافترائية ، ثم الرد عليها ٥٢٠
القضية الأولى : دعاوى العلماني حول دليل إمكان النبوة ، والرد عليه ٥٢٣
القضية الثانية : ادعاء العلماني أن الاستدلال على إمكان النبوة بوجود
الله تعالى وقوع في الدور ، والرد عليه ٥٢٨
القضية الثالثة : حول تساؤل العلماني عن فائدة استعمال النبوة لإثبات
وجود الله تعالى ، والرد عليه ٥٣٢
القضية الرابعة : حول تساؤل العلماني عن مصدر النبوة ، والرد عليه ٥٣٨
القضية الخامسة : حول اعتراض العلماني على اعتبار كون إمكان النبوة ؛
راجع إلى حاجة الإنسان إلى من ينظم له علاقاته الاجتماعية،
والرد عليه ٥٤٠
القسم الثاني : إبطال الشبهات الواردة حول موضوعات ومسائل خاصة تتعلق بالنبوة ٥٤٤
تمهيد . ٥٤٥
القضية الأولى : شبهات وأباطيل حول مسألة اشتقاق النبوة ، والرد عليها ٥٤٥
القضية الثانية : شبهات وأباطيل حول معنى النبوة والرسالة ، والرد عليها ٥٤٧
القضية الثالثة : شبهات وأباطيل حول مكانة موضوع النبوة بالنسبة إلى
سائر موضوعات العقيدة ، والرد عليها ٥٥٥
القضية الرابعة : شبهات وأباطيل حول الفرق بين النبي والرسول عليهما
السلام ، والرد عليها ٥٥٨
القضية الخامسة : شبهات وأباطيل حول كون النبوة اصطفاءً ربانياً
والرد عليها ٥٧١
الرد على الشبهة الأولى ٥٧١
الرد على الشبهة الثانية ٥٧٣
القضية السادسة : شبهات وأباطيل حول مسألة التفضيل ، والرد عليها ٥٧٤
الرد على الشبهة الأولى ٥٧٤
الرد على الشبهة الثانية ٥٧٧

الموضوع	الصفحة
الرد على الشبهة الثالثة	٥٧٩
القضية السابعة : شبهات وأباطيل حول حقيقة الوحي الرباني ، والرد عليها	٥٨٢
الرد على الشبهة الأولى	٥٨٢
الرد على الشبهة الثانية	٥٨٢
الرد على الشبهة الثالثة	٥٨٤
الرد على الشبهة الرابعة	٥٩٥
القضية الثامنة : شبهات وأباطيل حول موضوعات الوحي والرسالة ، والرد عليها	٦٠١
الرد على الشبهة الأولى	٦٠١
الرد على الشبهة الثانية	٦٠٧
الرد على الشبهة الثالثة	٦١١
الرد على الشبهة الرابعة	٦١٥
القضية التاسعة : شبهات وأباطيل ومغالطات حول آيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات) ، والرد عليها	٦٢١
الرد على الشبهة الأولى	٦٢٢
الرد على الشبهة الثانية	٦٣١
الرد على الشبهة الثالثة	٦٣٤
الرد على الشبهة الرابعة	٦٣٦
الرد على الشبهة الخامسة	٦٤٧
القضية العاشرة : شبهات وأباطيل حول عصمة الأنبياء عليهم السلام والرد عليها	٦٦٠
الرد على الشبهة الأولى	٦٦٠
الرد على الشبهة الثانية	٦٦٢
الرد على الشبهة الثالثة	٦٦٧
القضية الحادية عشرة : إنكار العلمانيين شمول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الجن ، والرد عليهم	٦٦٩

الموضوع الصفحة

القضية الثانية عشرة : شبهات وأغاليط وأباطيل حول القرآن الكريم ،
والرد عليها ٦٧١
أولاً : مقالة افترائية حول القرآن الكريم ، وما يتضمنه والرد عليها ٦٧١
ذكر المقالة الافترائية ٦٧١
الرد على الافتراءات ٦٧٥
ثانياً : شبهات حول القرآن الكريم وعلاقته بالوحي الرباني،
والرد عليها ٧٠٦
ثالثاً : افتراءات حول أن ثبوت القرآن الكريم بالتواتر من حفظ
الله تعالى له ، والرد عليها ٧٠٨
رابعاً : شبهات وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم ، والرد عليها ٧١٠
الرد على الشبهة الأولى ٧١٠
الرد على الشبهة الثانية ٧١٣
خامساً:شبهات حول كون القرآن الكريم من كلام الله والرد عليها ٧١٧
الرد على الشبهة الأولى ٧١٧
الرد على الشبهة الثانية ٧١٩
القضية الثالثة عشرة : شبهات وأباطيل حول السنة النبوية المطهرة ،
والرد عليها ٧٢٠
الرد على الشبهة الأولى ٧٢٠
الرد على الشبهة الثانية ٧٢٥
القضية الرابعة عشرة : شبهات وأباطيل حول مكانة الكتاب والسنة في
التشريع ، والرد عليها ٧٢٨
القضية الخامسة عشرة : شبهات وأباطيل حول وجوب تحكيم شريعة الله
عز وجل ، والرد عليها ٧٣٥
الخاتمة ٧٣٩
الفهارس العلمية : ٧٤٩
فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة ٧٥٠

الموضوع	الصفحة
فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة	٧٧٨
فهرس المراجع الواردة في الرسالة	٧٨٤
أولاً : ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه	٧٨٥
ثانياً : ما يتعلق بالحديث الشريف وعلومه	٧٨٩
ثالثاً : ما يتعلق بالعقيدة ، وعلم الكلام ، والفلسفة والفرق ونحو هذا	٧٩٧
رابعاً : ما يتعلق بالسيرة والرجال ، ونحو هذا	٨٠٦
خامساً : ما يتعلق باللغة وعلومها	٨١٢
سادساً : كتب متفرقة	٨١٤
فهرس الموضوعات	٨١٦